

٣

سلسلة تاريخ العصور الوسطى

نشأة الجامعات في العصور الوسطى

دكتور جوزيف فيليم يوسف
أستاذة تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨١

دار النهضة العربية

الطبعة الأولى
١٩٨١



٣

سلسلة تاريخ العصور الوسطى

نشأة الجامعات في العصور الوسطى

دكتور هوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨١

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت من.ب. ٧١١

إهداء

إلى الأجيال المتعاقبة ، من باحثين ودارسين ،
بين جامعة العصر الوسيط وجامعة القرن العشرين ؟

مقدمة الطبعة الثانية

يسرني أن أقدم لقراء العربية المجلد الثالث في «سلسلة تاريخ العصور الوسطى» ، التي تصدرها دار النهضة العربية ببيروت بلبنان ، وعنوانه «نشأة الجامعات في العصور الوسطى» ، وكانت قد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧١ . وهو يشتمل على قسمين كبيرين : أولهما قمت بإعداده تحت اسم «المدخل الى جامعات العصور الوسطى» ، والثاني هو كتاب شارل هومر هاسكنز المعنون «نشأة الجامعات» الذي قمت بنقله الى العربية مع التمهيد له والتعليق عليه . والقسمان يتتمان بعضهما ، فأولهما يتحدث عن الحركة العلمية والفكرية في الفترة المبكرة من العصور الوسطى ، وعلى وجه التحديد منذ بدايتها حتى نشأة الجامعات . وثانيهما يعالج بتفصيل وتدقيق ثلاث نقاط هامة هي : الجامعات المبكرة ، وأستاذ العصور الوسطى ، ثم طالب العصور الوسطى . وفي اعتقادي أن كتاب هاسكنز يسد فجوة واضحة في تاريخ التعليم والمدارس والجامعات في العصور الوسطى

جوزيف نسيم يوسف

بيروت (لبنان) يناير ١٩٨١

تصدير الطبعة الأولى

الكتاب الذى بين يدي القارىء ينقسم إلى قسمين متممين لبعضهما : الأول قننا بإعداده تحت إسم « المدخل إلى جامعات العصور الوسطى » ، ويتناول تطور الحركة العلمية والفكرية في الغرب الأوروبي منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة وبداية العصور الوسطى حتى نشأة الجامعات . والثاني هو كتاب شارل هورمر هاسكز المعنون « نشأة الجامعات » ، الذى قننا بترجمته إلى العربية مع التقديم له والتعليق عليه ، ويتحدث عن الجامعات الأوروبية المبكرة وعن كل من الأستاذ والطالب في القرون الوسطى . والقسمان يتمم كل منهما الآخر ، فالقسم الأول هو مدخل طبيعي لثاني ، كما أن القسم الثاني امتداد طبيعي للأول . وقد رأينا أن يكون عنوان المجلد متضمنا القسمين على النحو الذى صدر به وهو « نشأة الجامعات في العصور الوسطى » .

وبالله التوفيق ؟

جوزيف نصير يوسف

الاسكندرية في يوليو ١٩٧١

القسم الأول

المدخل
الف
جَامَعَاتُ الْعَصْرِ الْوَسْطَى

تأليف

جوزيف نعيم يوسف

مقدمة

تعالج هذه الدراسة موضوع النشاط العلمى والفكرى فى الغرب الأوروبى منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة فى أواخر القرن الخامس الميلادى حتى نشأة الجامعات وانتشارها اعتباراً من القرن الثانى عشر . وقد رأينا أن نمهد بها لترجمتنا العربية لكتاب شارل هورماسكنز باعتبارها المدخل الطبيعى لقيام الجامعات فى أخريات المصور الوسطى . إذ ليس من السهل تفهم مختلف العوامل التى أدت إلى قيام الجامعات ، والتعرف على الأدوار الرئيسية التى مرت بها ، دون الرجوع عدة قرون إلى الوراء عند ما قضى الجرمان البرابرة على الإمبراطورية الرومانية ، وعلى نظمها وحضارتها وتقاليدها ، وأقاموا على أنقاضها دولاً وممالك جرمانية جديدة لها أنظمة وحضارة جديدة مغايرة . وهذا الحدث الحظى يطوى التاريخ القديم صفحته ، ويبدأ عصر جديد فى التاريخ الأوروبى هو العصر الوسيط . وقد بدأ بداية سيئة غير طيبة فى ظل الفوضى التى أعادتها غزوات الجرمان الدامية المدمرة التى كانت تكتسح فى طريقها كل شئ ، وفى ظل انهيار الجهاز الرومانى المتين فى العلم والفكر والفلسفة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والقانون والدين . فقد تحطم جهاز العمل الرومانى ، وانهار من أساسه ذلك الصرح الشامخ الذى كان سائداً عند الرومان القدماء لتحل محله أنظمة عارضة وأمم جديدة لها حضارتها وتفكيرها ومشاكلها الأدبية والمادية والاجتماعية الخاصة بها .

وغير خاف أن من أم الآثار التى ترتبت على غزوات الجرمان فى أواخر القرن الخامس الميلادى ، هى حالة الفوضى التى سادت كافة أنحاء الغرب الأوروبى ،

حتى أن مؤرخاً معروفاً مثل إدوارد جييون يقول إنه كان في حكم المستحيل أن تمرز الإنسانية أى تقدم في ذلك العهد المضطرب. (١) هكذا بدأت الصور الوسطى في جو من القلق والاضطراب الذى لم يكن لها يد فيه ؛ ولم يكن هناك مناص من أن تواجه هذا الوضع ومن أن تبدأ على هذا النحو . لقد كان العصر عصر تغير واعتقال من القديم بمنته وقبحة التي آمن بها المجتمع الرومانى إلى الوسيط بفلسفته وأفكاره ؛ ولم يكن هناك شئ ثابت على حاله ، بل كان كل شئ في تغير دائم تدريجى مستمر . وفي مثل هذه الظروف لم يكن من السهل أن تمرز الإنسانية أى تقدم ، في وقت كان فيه الفرد في الغرب يعيش يومه ولا يدرك تماماً ما يمكنه فعله من كوارث وسكبات

بدأت الصور الوسطى ، إذن ، بداية غير طيبة ، حتى أن مؤرخاً مثل و. ب. كير (٢) أطلق على القرون الأولى منها اسم « الصور المظلمة » . ويأخذ بهذا الرأي كثير من المؤرخين المعنيين بتاريخ هذه الحقبة من الزمن. (٣) ولقد كانت تركة مثقلة بالمشا كل مليئة بالصعاب تلك التي تسلبها الصور الوسطى المتقدمة ، وهى حركة اندمج فيها نور العلم والمعرفة ، وانطفأت فيها شعلة الحضارة الرومانية القديمة الزاهرة ، وساد بدلا من ذلك ظلام دامس لا يستبين المرء منه أى شئ ، وسرت برودة شديدة تقهر من قسوتها الأبدان . وكان على هذه الصور أن تقوم بدور هام ، وهو العمل على الخروج من هذا الظلام والقضاء على تلك

(١) انظر رأى جييون وتعليق المؤرخ جورج جوردون كوتون عليه في كتاب كوتون (ج. ج) : عالم الصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق دكتور جوزيف ليم يوسف - ط ١ (الاسكندرية ١٩٦٧) ، ص ٧ و ٦ ، و ٥٠ .

(٢) Cf. W. P. Ker, The Dark Ages (London, 1955), p. 1 ff. (٣)

(٣) انظر كوتون : عالم الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٣٥ .

البرودة ليحل عليها بصيص من نور ونفس من دفء . وكان عليها أيضاً العمل على تحقيق نوع من الأمن والهدوء والاستقرار النفسي . ولم يكن هناك بد من ذلك لتعود الحياة إلى سيرتها الأولى ، وليسترد المجتمع الأوروبي المنهك أنفاسه للامثلة ويأخذ طريقه نحو التقدم والرقى .

لقد تمطت صجلة الحياة في الغرب قروناً طويلة ، ولم يكن لها عمل سوى أن تسجل الزمن وهو يمر مرأً بطيئاً رتيباً . وقد أحاط بالحياة الفكرية ، على وجه الخصوص ، ظلام كثيف ، اللهم إلا من شعاع ضئيل خافت من بقايا تراث لاتيني ذابل كان الكنيسة الرومانية دور هام في الإبقاء عليه داخل جدرانها خدمة لأهدافها الدينية فحسب . وكان ذلك ، بحكم الظروف ، في أضيق الحدود وفي أضيق نطاق . وعلى هذا ظل شعاعاً رفيعاً ، أو بكلمة أدق في التعبير ، بصيصاً من شعاع وسط ظلام شامل عم الغرب من أنصاه إلى أنصاه . ومع ذلك فقد خلف لنا عدداً من الفلاسفة والمفكرين وغيرهم من آباء الكنيسة الأول الذين تكتشف تأليفهم عن نوعية الفكر وقتذاك ، وعن سمات الثقافة التي ارتبطت أساساً بالمسيحية وفلسفتها وبالكنيسة وتعاليمها في هذا العصر المبكر .

وهكذا تركت الظروف التي أحاطت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط ، والتي ارتبطت بالجرمان وغزواتهم وبالمسيحية وكنيستها ، بصيانتها الواضحة على الثقافة والملم خلال القرون الأولى من ذلك العصر ، مثلاً تركت بصيانتها على العقلية والفكر الوسيط ، بل وعلى كافة أوجه الحضارة والحياة في الغرب . واستمر الحال على هذا المتوال عدة قرون . ولكن ، مع بدايات القرن الثامن ظهرت نهضة عليبة مبكرة ومتواضعة ، إذا قورنت بالتدهور العام الذي ساد الغرب في القرون السابقة . وكان مركزها إيرلندا وإنجلترا ، وارتبطت بعدد

من الشخصيات مثل بيده والكرين أكثر من ارتباطها بالمصر نفسه . فلم تكن الظروف والأوضاع مهيئة لإحداث تغيير جذري حقيق ، كالم تكن العقول والأفكار هي الأخرى معدة لتقبل كل ما هو جديد في ميدان العلم والفكر والثقافة بعامة .

وما يقال عن القرن الثامن ونهضته ، يقال أيضا عن القرن التاسع ونهضته العلمية التي ارتبطت بالإمبراطور شارلمان في بدايات ذلك القرن وبالمملك الفريد السكسوني قرب نهايته .

كانت هذه كلها بواريخ ومقدمات طيبة لنهضة أكثر شمولا واتساعا شهدها المجتمع الغربي الوسيط مع بدايات القرن الحادى عشر الذى تميز بأسطورة سنة ١٠٠٠ المروعة التي كان لها أثرها في إيقاظ الغرب من سبات عميق ، وفي وجود حالته من الاستقرار أخذ يستشعرها ويحس ثمارها ويتمتع بنتائجها . إذ بدأ الظلام ينقشع تدريجيا ملنا عن صبح مشرق ، وأخذ الدف يسرى في الشرايين ليقتضى على برودة القرون المظلمة وجودها . وبدأ العقل الأوروبي ينطلق من عقالة محاولا الخروج من الدائرة الضيقة المملقة التي عاش أسيرها ، ليضع حداً للجمود المعكرو الذى اكتنفه قرونا عديدة . وكانت النتائج طيبة تلخص في ظهور الفكر الحر والفلسفة المدرسية وانبعاث النهضة الفكرية في القرن الحادى عشر التي هيأت بدورها الجو لنهضة القرن الثانى عشر المعروفة بالنهضة العلمية الأولى ، (١) التي

(١) يعتبر «ولف هاسكينز» من نهضة القرن الثانى عشر أفضل ما كتب في هذا الموضوع حتى الآن . انظر C. H. Haskins, The Renaissance of the Twelfth Century (Cambridge, 1928) . والكتاب ممتاز بأهميته الكبرى في إلقاء الضوء على الخلفية الثقافية والفكرية التي على أساسها قامت أقدم الجامعات في المجتمع الغربي الوسيط .

دعت إلى تحرير الفكر والعودة إلى التراث الكلاسيكي القديم ، وبخاصة فلسفة
أرسطو . وقد أخرجت هذه النهضة الكثير من كبار المفكرين والدعاة من أمثال
الفيلسوف بطرس أبيلارد صاحب الفكر الحر والقديس برنارد أوف كليرفو
صاحب الفكر الديني القديم ، وغيرهما من ملأوا العالم الوسيط حركة ونشاطا
بمناقشاتهم ومجادلاتهم وكتبهم وتآليفهم التي لا يزال معظمها باقيا إلى اليوم يروى
قصة تلك الاضطلة الفكرية العملاقة وذلك الاحتكاك الذهني الكبير على مسائل
حيوية في الدين والفلسفة كان لها قدرها ووزنها وقتذاك . وقد أدى هذا بالتالى
إلى نشأة الجامعات التي كانت ، في حقيقتها ، وليدة تلك الجهود المليئة السابقة
الطوية الباطنية الخفية . وقد قامت تلك الجامعات لتحتل مكانة مرموقة في
المجتمع الغربى في القرون الأخيرة من العصر الوسيط ، ولتؤدى دوراً بارزاً انتقل
بالغرب ، وبصفة نهائية ، من عصر الجهل والظلمات إلى عصر العلم والنور والمعرفة ،
ويعنى بذلك عصر النهضة الذى مهد بدوره العصر الحديث ومدنيته الزاهرة .

الفصل الأول

حركة التعليم في العصور المظلمة حتى بداية حكم شارلمان

- النزوات الجرمانية وأثرها في القضاء على العالم الروماني وحضارته .
- تدهور اللغة اللاتينية والتراث الكلاسيكي القديم .
- بداية عصر جهود وظلام .
- العلم والإنتاج الأدبي والشعري في العصر الوسيط المبكر .
- الإنتاج الفكري ينحصر في أعمال الآباء المسيحيين الأول .
- دور الكنيسة اللاتينية في الحفاظ على العلم في فترة العصور المظلمة .
- أشهر الكتاب والفلاسفة والمفكرين ، وأثرهم على العلم والثقافة : ييوميوس ، كاسيودورس ، مارتيناوس ، جوردايس ، البابا جريجوري الكبير .
- النهضة العلمية الإيرلندية في القرن الثامن وأثارها : بيده ، السكوين .

شملت المصور الوسطى قرابة عشرة قرون من الزمان ، فهي تبدأ سنة ٤٧٦ م بسقوط روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية القديمة أمام جحافل المتبرجرين ، وتنتهى فى سنة ١٤٥٣ م بسقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية فى أيدي الأتراك العثمانيين . وقد بدأت بداية سبئية فى وقت كانت فيه الدولة الرومانية فى طور الاحتضار بسبب الأزمات الشديدة التى هدت كيانها . ولهذا نظر إليها فريق من المؤرخين على أنها عصور متأخر وانحطاط ليس فيها من نور العلم والمعرفة شئ يذكر ، وكيف لا وقد قامت غزوات الجرمان البرابرة فى التاريخ الأوروبي على أنقاض الحضارة الرومانية الزاهرة وحلت محلها (١) .

ولا شك أن غزوات البرابرة قد أوجعت حالة من الفوضى والتوتر فى شتى مراحق الحياة وعثقت أوجه النشاط فى الغرب ، إذ قضت على معالم الحضارة والمدنية الرومانية وأحلت محلها حضارة قبلية بدائية لحدا ما ، لم تكن لترقى بحال إلى مستوى حضارة الرومان القدماء . ولهذا يطلق بعض المؤرخين على الفترة المبكرة من هذه المصور اسم «القرون المظلمة» ، وعلى رأس هؤلاء إدوارد جيبون و . ب . كير . ويقول كير إن أحلك فترة فى المصور المظلمة هى التى تمتد من نهاية القرن السادس حتى حركة إحياء العلم فى عهد شارل العظيم فى أخريات

(١) أنظر J. le Goff, La Civilisation de l'Occident Médiéval (Paris, 1965), p. 27 ff; Katz, S., The Decline of Rome and the Rise of Mediaeval Europe (New York, 1960), pp. 69, 71, 88; Brinton, C. and Others, A History of Civilization, Vol. I (New Jersey, 1967), pp. 208, 295; Homo, L., Nouvelle Histoire Romaine (Paris, 1941), p. 525 ff.

الوسطى (القاهرة ١٩٥٦) ، ص ١ وما بعدها .

القرن الثامن وبدايات القرن التاسع . إذ أصبح إعمال قواعد النحوي في اللغة اللاتينية أمراً شائعاً ما لولفاً ، بل كان موضع تشجيع في بعض الأحيان . وكان البابا جريجوري العظيم (٥٩٠ — ٦٠٤ م) يستشهد أحياناً بالكتاب المقدس مستكراً العلوم الإنسانية . وتزايد مع الزمن إعمال دراسة الكتاب الوثنيين القديمي وأعمالهم . وكثر التساؤل الذي كان يحصل بين طيابه أكثر من مغزى ودلالة : هل تنفذ قواعد اللغة اللاتينية النفس الخالدة ؟ ، أو : ما الفائدة التي يمكن أن نهبها من الكتابة من آلهة أو فلاسفة الديانة الوثنية القديمة أو أعمال هرقل أو سقراط ؟ ، (١) كذلك أصبحت الكتب نادرة الوجود . ولم يعد شراء أو خطباء العالم القديم في أغريات أيامه يقومون بصناعة نسخ الكتب كما كان الحال من قبل ، اللهم إلا التليل منهم . وكان تدهور هذه الدراسات أوضح ما يكون في كل من حالة وإيطاليا (٢) .

/ لقد أخذت الحضارة الرومانية المرتبطة بالثقافة اللاتينية تتكسر تدريجياً من دول الغرب الأوروبي ، وأغلقت المدارس القديمة أبوابها ، وعم الجهل ، وساد الغلام . وكان هذا أمراً طبيعياً متوقفاً . فقد غدا المجتمع الروماني في نهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط مجتمعا جامداً لا حياة فيه ، وانعدمت نتيجة لذلك

(١) "Quid posteritas emolumenti tulit legendo Hectorem pugnantem aut Socratem philosophantem ؟"

وهذه العبارة من قول سوليكيوس سيفيروس (٤٠٠ م)

وكان مثل هذا النوع من النقاش سائلاً زمن جريجوري الكبير وبهذه نوقت غير قصير .

أنظر Ker, op. cit., p. 24 n. 1.

(٢) Ker, op. cit., pp. 24-5.

الاصالة في اللغة والعلم والأدب الكلاسيكي القديم . (١) ولا جدال أن المسيحية قد
أمرت على اللغة اللاتينية باستحداث ألفاظ وكلمات وتعبيرات لم تكن موجودة من
قبل ، حتى تتماشى مع الآراء والأفكار الجديدة التي نادت بها تلك الديانة التي كانت
بمثابة رد فعل للتاريخ القديم وورثيته ، هذا ، فضلا عن الكلمات التي هي من أصل
جرماني ، والألفاظ العامية والدارجة التي أدخلت على اللغة الفصحى . ويمكن التأكد
من ذلك بالمقارنة بين اللاتينية القديمة الفصحى النقية من كل الشوائب كما كتبها أناس
مثل شيشيرون وفرجيل وأوفيد وستاتيوس وسالوست وقيصر وبليني وكاتو ،
وبين اللاتينية الجديدة التي استخدمها الآباء والقديسون في العصر المسيحي الأول .
وإن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على أن البلاغة التي تميزها الأسلوب اللاتيني القديم
قد انتهت ليحل محلها وضع جديد لم يهتم فيه الناس باختيار اللفظ المناسب أو
العناية بالسجام العبارات واتزان الجمل . ولم يعد الكاتب في عصر العصور الوسطى
يعنى بقواعد النحو في كتاباته كنتيجة للأوضاع التي أسلفنا إليها . مثال ذلك أن
كل كلمة في اللاتينية الكلاسيكية كان لها مكانها الخاص في الجملة ، فالجملة تبدأ بالفاعل
وتختتم بالفعل ، ولكن كتاب العصر المسيحي الأول لم يراعوا هذه القواعد بالمرة ،
وقد كان لهم في ذلك عذرهم . وإن كانوا يوقنهم هذا قد أضروا اللغة اللاتينية
ضررا بالغا ، حتى أنه مع بداية الحقبة الوسيطة من التاريخ كانت هناك لغة لاتينية
جديدة تماما ، ومختلفة في نفس الوقت اختلافا بينا عن اللاتينية الكلاسيكية ، ومعنى

(١) كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٢٤ ؛ كرامب (ج)
وچاكوب (١) : تراث العصور الوسطى - راجع الترجمة العربية عماد بدوان والدكتور عماد
زهاة - ج ١ (القاهرة ١٩٦٥) ص ٢٥٣ و١٠٠ بعدا و ٢٧٨ . راجع أيضا
Goff, op. cit., p. 147 ff; Kitchin, G.W., A History of France,
Vol. I (Oxford, 1899), p. 66.

بها اللاتينية العامة Lingua Rustica أو الدارجة Lingua Vulgaris أو الشعبية Lingua Plebea حسبما كان يطلق عليها (١).

وكما تأثرت اللغة اللاتينية بكل من المسيحية والغزوات الجرمانية ، كذلك تدهور مستوى الخط والكتابة تدهورا واضحا بسبب تقشي الجبل في عصر مظلم؛ وكثرت الأخطاء النحوية والنحوية حتى غدا من المتعذر قراءة المخطوطات التي وضعت في العصر المسيحي المبكر أو فك طلاسمها ورموزها . والخلاصة أن اللاتينية التي كانت في وقت ما هي لغة العلم والتعلم لدى كافة الشعوب النحوية المثقفة قد دب فيها الخلط والفساد بسبب الظروف الجديدة التي استجدت على العالم الأوروبي وقتذاك (٢).

وكان كل ما تبقى من حضارة الرومان القدماء هي بقايا ذائلة باهتة اثبتت من المؤسسات الدينية والدينية التي أدخلت تلتشر بسرعة في الغرب مع انتشار المسيحية وتأصل جذورها . وثمة صلة وثيقة بين المسيحية وفلسفتها التي جاءت كرد فعل للعصر القديم بمثل وأفكاره ومبادئه ، وبين ما أصاب التراث الكلاسيكي

(١) أنظر Kitchin, op. cit., I, p. 164 ; Painter, S., A History of the Middle Ages (London, 1966), p. 11 ; LaMonte, J.L., The World of the Middle Ages (New York, 1949), pp. 554-556 ; Bloch, M., Feudal Society, Vol. I (London, 1967), p. 107.

أنظر أيضا سعيد عاهدور : أوروبا المصور الوسطى - ج ٧ (القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ كرامب وجاكوب : تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٢١٦ وما بعدها .

(٢) أنظر كرامب وجاكوب : تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ،

من تدهور وانحطاط . فلم يكن قيام الدين الجديد وفلسفته لينتفان بحال مع بقايا الحضارة الرومانية التقليدية والتراث الكلاسيكي القديم . لقد كان هذا التراث في نظر المسيحية تراثاً ضاراً عديم الفائدة لارتباطه بالوثنية وما كانت تدعو إليه من الحرية والانطلاق وتعدد الآلهة (١).

وللزيد من الإيضاح نقول إن فلسفة المسيحية تنادى بأن الحياة الدنيا ما هي إلا مطية زائلة إلى الدار الثانية دار الخلد والنعيم المقيم ، ولذلك وجب على الفرد أن يعد نفسه لهذه الحياة الأبدية الباقية بالصلاة والتبتل والتقرب إلى الله العمل على مرضاته . لذا حرمت على الفرد أن يتمتع بمباهج الحياة الدنيا وملذاتها باعتبارها متناً زائلة يجب أن ينهى نفسه عنها ، وفادت بأن الخلاص — أى خلاص النفس — هو الغاية النهائية لكل كائن حي . في حين أن الوثنية القديمة كانت تتميز بالتحور من كل القيود كنتيجة لتعدد النواحي . فكانت تدعو إلى التمتع بالحياة وبالطبيعة وجمالها في شتى صورها ومظاهرها . وهكذا صيغت المسيحية الحياة في المجتمع الغربي الوسيط بصيغة خاصة ظهر أثرها جلياً في شتى المجالات ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم والفكر والثقافة . فلم يكن ، مثلاً ، يسمح للأديب أو المفكر أو الفنان أو الشاعر أن يعبر عن أحاسيسه وافعاله في كلمة أو رأى أو لوحة أو قصيدة وما إلى ذلك بما حرّمته المسيحية وفلسفتها ، تلك الفلسفة التي اعتبرت الأساس الأول للحياة والتفكير في المصور الوسطى . كذلك لم يكن مسموحاً بتدريس علوم وآداب اليونان والرومان القدماء لما فيها من

(١) أنظر كولون : عالم المصور الوسيط (الترجمة العربية) ص ٤٨ و ٤٩ .

راجع أيضاً كتاب : Sullivan, R. E., Heirs of the Roman Empire (New York, 1960), p. 6.

عناصر وثنية لا تتفق بحال مع المسيحية وما كانت تدهو إليه . ولهذا نبذتها الكنيسة اللاتينية . وبلغ من تمتها حيال التراث الكلاسيكي القديم أن حاربه دون رفق أو هوادة حتى أن المتبقى منه مع بدايات العصر الوسيط ، والذي حفظه لنا الزمن من الضياع ، كان ضئيلاً جداً وضعيفاً في مستواه (١) .

وهكذا صاحب القرون الأولى من العصر الوسيط تدهوراً وانحياراً في أمور العلم والتعليم بصفة عامة وفي اللغة اللاتينية وما يتصل بها من نحو وأجرومية وبلاغة على وجه الخصوص . ولازم ذلك ظهور أدب لاتيني جديد يختلف عما كان سائداً من قبل . وقد كان لهذا الأدب الجديد الذي أرسى قواعده آباء الكنيسة الأول أثره الواضح في تفكير العصر الوسيط المبكر . ومن بين هؤلاء الآباء يفتى الإشارة إلى اثنين بالذات هما القديس جيروم (حوالي ٣٤٧ - ٤٢٠ م) St. Jerome والقديس أوغسطين أوف هيبو (٣٥٣ - ٤٣٠ م) St. Augustine of Hippo

كان أولهما عالماً كبيراً وكاتباً عظيماً ، له مؤلفات عديدة هامة منها ترجمته لحياة الرهبان المصريين وأنظمتهم إلى اللغة اللاتينية التي ساعدت على سرعة انتشار

(١) كواتون : عالم الصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٥٤ و ٥٥ وما بعدها ؛ كرامب وحاكوب : تراث الصور الوسطى (الترجمة العربية) ج ١ ص ٢٦٩ وما بعدها ؛ عبد الرحمن بدوي : فلسفة الصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٢) ص ١٤ - ١٥ .
أنظر أيضاً المراجع الأجنبية التالية : Goff, La Civilisation de l'Occident Médiéval, pp. 147 ff., 155 f. ; Taylor, H. O., The Classical Heritage of the Middle Ages (New York, 1957), p 44 ff., 107 ff.; Cantor, N. F. (ed), The Medieval World (New York, 1963), p. 27 ff. ; Katz, op. cit., p. 180 ff. ; Brinton & Others, op. cit., I, pp. 167-168 .

الرهينة في الغرب . وكذلك ترجمته اللاتينية للإنجيل التي أصبحت الترجمة المستندة المعترف بها في العالم بعد أن حلت محل النص الأصلي القديم . وقد تأثر عالم اللاهوت تأثراً واضحاً بهذه الترجمة الجديدة ^(١) .

أما أوزسطين فهو يعتبر — بحق — أعظم آباء الكنيسة اللاتينية في هذا العصر المبكر . وكان قبل اعتناقه المسيحية مدرساً لعلم البيان في إيطاليا . كما كان على دراية واسعة بأدب اللاتين القدامى والمناقشات الفلسفية والأدبية واللاهوتية في عصره . وقرأ الكثير من فلسفة الإغريق وأدبهم في التراجم اللاتينية . وله ، هو الآخر ، مؤلفات عديدة تركت أثرها على العقيدة الوسيطة . ومن أهمها ، لأن لم يكن أحدها على الإطلاق ، كتابه الذي وضعه باللاتينية باسم « مدينته الله » ، *De Civitate Dei* ، الذي يعد أعظم تأليفه الفلسفية والذي تحدث فيه عن فلسفة المسيحية.

وجدير بالذكر أنه مار الجدل والخلاف لقرون طويلة حول المقصود بالمدينتين

(١) أنظر كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٥٣ . واجع أيضا Coulton, G. G., *Medieval Panorama* (New York, 1935), pp. 9, 11, 118, 264, 272, 666, 690, 692 ; Burgh, W. G. de, *The Legacy of the Ancient World* (London, 1955), Vol. I, pp. 310 - 311 ; Duroselle, J. - B., *Histoire du Catholicisme* (Paris, 1949), p. 21 ; Katz, op. cit., pp. 92, 129, 188 f., 146 ; Glanville, S. R. K. (ed.), *The Legacy of Egypt* (Oxford, 1957), pp. 802, 818, 828 ; Grump, C. G. & Jacob, E. P. (eds), *The Legacy of the Middle Ages* (Oxford, 1951), pp. 42, 147 - 152 ; LaMonte, op. cit., pp. 77 f., 85 f.

هذا ، ومحمد مصطلحات من أقوال جيروم ، وبخاصة ما يتعلق بالمسيحية والتراث

الكلاسيكي القديم في كتاب Cantor, op. cit., pp. 27 - 30.

التين وصفهما أوغسطين في كتابه ، وهما مدينة الإنسان ومدينة الله . ولكن وجهة النظر المتفق عليها الآن أنه يعنى بمدينة الإنسان العالم الديوى الذى يعيش فيه ويقصد بمدينة الله السماء ، وذلك على الرغم من أن رجال الدين فى الغرب قد أصرروا لفترة طويلة أثناء صراعهم مع القوى العلمانية حول المسائل الديوية ، أن المقصود بالمدينتين الدولة العلمانية والدولة الكنسية . ويتبع كتاب « مدينة الله » بحرى التاريخ الرومانى منذ السكارة التى حلت بروما على يد الأريك Mario الجرماني فى بدايات القرن الخامس ، ويكشف عن الأزمات التى نزلت بها بسبب تمسكها بآلهة زائفة ثم يستلرد أوغسطين ليناقش خطة الله من أجل تخليص الإنسان وعودته إلى مدينة الله الخالدة . وإن كان لهذا الكتاب من أثر ، فهو الأثر الذى تركه على الفكر الدينى فى الغرب أكثر من أى مؤلف آخر . ويمكن أن القديس أوغسطين لم يكن موضع دراسة وتقدير علماء اللاهوت فى العصر الوسيط فحسب ، وإنما تركت تعاليمه أثراً واضحاً على كل من الفكر الكاثوليكي والفكر البروتستانتي فى العصر الحديث أيضاً . وللقديس أوغسطين ، إلى جانب كتاب « مدينة الله » ، مؤلفات أخرى من أهمها « اعترافاته » التى تعتبر فى الواقع أول ترجمة يدونها شخص عن نفسه فى تاريخ الأدب قاطبة (١) .

(١) انظر من ذلك LaMonte, op. cit., p. 77 f.; Mommsen, T. E., *Medieval and Renaissance Studies* (Ithaca, 1959), pp. 265-298 ; Huotelle, op. cit., 21; Garin, E. & others, *Les Utopies à la Renaissance* (Bruxelles & Paris, 1963), pp. 63, 65, 188 ; Gaulton, *Medieval Panorama*, pp. 11 f., 15, 32, 34, 36, 96, 110, 122 et seq.; Crump & Jacob, op. cit., pp. 25, 32, 39, 41 f., 48 f., 54f., 152, 201 et seq.; Kitchin, op. cit., I, p. 65; Katz, op. cit., pp 70 f., 92, 133 f.; Goyau, G., *Orientations Catholiques* (Paris,

هذا عن وضع اللغة اللاتينية والكتابة والانتاج الأدبي اللاتيني الجديد في العصر الوسيط المبكر الذي ارتبط أساساً بالدين ، وقد ترك أثره وطابعه على العقل والفكر وقتذاك . أما عن الشعر فقد وجد نوحان منه يختلفان تماماً عن بعضهما هما : الشعر المسيحي الديني والشعر المسيحي الديني . وقد تخطى الشعر الديني عن المقاييس الكلاسيكية القديمة المعروفة ، وأصبح يستند على أوزان إرشاعية مما ساعد على ذوبان التراجم والتراتيل والأناشيد الدينية ، وبالتالي سرعة انتشار المسيحية نفسها في الغرب . ومن شعراء العصر المسيحي المبكر الذين فرضوا هذا النوع من الشعر يجب أن نذكر القديس أمبروز St. Ambrose الذي عاش في القرن الرابع وكان أسقفاً على مدينة ميلان في عهد الإمبراطور فالنتينيان الثاني (٣٧٤-٣٩٧م) . وقد اشتهر بتراجمه الدنيوية التي وضعها باللغة اللاتينية (١) . وهناك أيضاً الشاعر

1935), pp. 1-11.

أنظر مقال نورمان يتر المنون : "The Political Ideas of St. Augustine's De Civitate Dei," The Historical Association, London, 1962, pp. 8-17.

راجع أيضاً كوفتون : عالم الصور الوسيطى (الترجمة العربية) ص ٤٥ - ٤٦

و ٢٦٥ - ٢٦٦ .

(١) له ثلاث تراجم معروفة باللغة اللاتينية يحتمل أن يكون قد وضعها في الوقت الذي حمد فيه أوغسطين ، أى في عهد القياصرة لسنة ٣٨٧ م ، وهذه التراجم هي :
أ - تسبحة المساء ومطلعها « الله خالق الكل » « Deus creator omnium »
ب - تسبحة الصباح ومستهلها « الأزل خالق كل شيء »

« Aeternae rerum equiditor,

ج - ترنيمة عيد الميلاد ويبدأها « جاء غطس البشر »

« Veni redemptor gentium »

أنظر كتاب Ker, op. cit., 206، راجع أيضاً Piganiol, A., L'Empire

الأسباني بروذنتيوس Prudentius (٣٤٨ - ٤٠٥ م) الذى يتناز بأشعاره الدينية المستوحاة من الكتب المقدسة ومن تعاليم المسيحية ذاتها ، واتى كانت تيمث على الأمل وتحث على التواضع والبعد عن العظمة والكبرياء (١) . وكذلك القديس باولينوس أوف نولا St. Paulinus of Nola (حوالى ٢٥٣ - حوالى ٤٣١ م) بمجنوب إيطاليا الذى أسهمت أشعاره فى تثبيت دعائم المسيحية فى وجه الحكام الرومان المضطهدين لها وفى وجه الوثنية القديمة (٢) .

ولكن هذا لا يبنى أن الشعر الذى نظمته شعراء المسيحية الأول وقت انهيار الامبراطورية القديمة وبداية العصر الوسيط ، كان كله دينياً بحتاً . فقد وجد كثير من الشعراء المسيحيين ، وبخاصة خلال القرون الرابع والخامس والسادس الميلادية ، ظلوا وثنيين فى تفكيرهم بالرغم من اعتناقهم الدين الجديد . وكان

Chrétien : 325-395 (Paris, 1497), pp. 194, 207, 227, 241, 246, = 256, 262, 264, 268, 389, 391, 408 ; Cochrane, C. N., Christianity and Classical Culture (New York, 1957), pp. 347 ff., 373 f.

(١) Hillgarth, J.N. (ed.), The Conversion of Western Europe (London, 1961), p. 17 ; Crump & Jacob, op. cit., 156; Katz, op. cit., pp. 184, 141 ; LaMonte, op. cit., 84 ; Pignaniol, op. cit., p. 387; Cochrane, op. cit., p. 290 .

راجع أيضاً سميد ماحور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ .

(٢) Coulton, Medieval Panorama, p. 16 ; Crump & Jacob, op. cit., p. 51 ; Painter, op. cit., p. 85 ; LaMonte, op. cit., p. 84; Bury, J. B., History of the Later Roman Empire, Vol. I (New York 1958), p. 168 n 6 ; Hillgarth, op. cit., pp. 17, 21, 68 f. ; Pignaniol, op. cit. loc. cit.

راجع أيضاً سميد ماحور : نفس المرجع السابق ونفس الجزء والصفحة .

معظم هؤلاء الشعراء من الفرنجة ، ويذكر منهم الشاعرين اوزونيوس Ausonius (٣١٠ — ٣٩٥ م) الذى عاش القرن الرابع بكل أحداثه ، وسيدونيوس ابوليناريس Sidonius Apollinarius أسقف كليرمون الذى عاش فى القرن الخامس — إذ تبدو الانجاسات والنقايد الوثنية القديمة واضحة فى أشعارهما (١) .

وفى هذا الصدد يجب أن نشير أيضا إلى أحد شعراء العصر الميروفنجى وهو الشاعر فنانيوس فورتوناتوس Venantius Fortunatus (٥٣٠ — ٦٠٣ م) أسقف بواتييه الذى سار فى نفس الاتجاه الذى سار فيه كل من اوزونيوس وسيدونيوس من قبل . فقد تناول فى أشعاره مواضيع عديدة متنوعة تتميز بدورها الكلاسيكى القديم أكثر من انسامها بالسمة العامة التى كانت مألوفة فى فترة العصور المظلمة . ومن أفضل ماخلف لنا تلك الأشعار التى وجهها إلى عدد من أصدقائه والتى تبدو فيها جوابب البطولة فى قالب من السخرية . مثال ذلك القصيدة التى كتبها عن صديق له يدعى جوجو Gogo ، يقول فيها : ماذا يفعل جوجو ؟ أيرقب شباك السالمون فى نهر الراين ؟ أم يسير وقد انقضى من الحز ؟ أم يصطاد الجاموس من الغاب ؟ لتكن السحب والرياح رسلا بين جوجو وصديقه

(١) أهلر Ker, op. cit., p. 122 ff. ; Goff, op. cit., p. 151 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 122, 169; Katz, op. cit., pp. 110, 184; LaMonte, op. cit., pp. 74, 84 ; Bury, op. cit., I, pp. 326, 381, 384 f., 337 f., 342 f. ; Piganiol, op. cit., 176, 202, 204, 221, 279, 325, 385, 393. راجع أيضا دوسن (كرستوفر) : تكوين أوديا — ترجمة ومراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ١٩٦٧) ، ص ١٠٢ و ١١١ و ١١٤ و ١٢١ . هذا ، ونجد منطلقات من أعمال اوزونيوس فى كتاب Cantor, op. cit., pp. 16—19.

فورتوماتوس ، . وفي نعمة أكثر جدية ووقاراً يكتب الفساح إلى صديقه لوبوس Lupus دوق شامبانيا ، مبينا كيف أنه يحس بالراحة والطمأنينة لأفكار صديقه الثبيل التي هي أشبه ماء تكون بالظل الواقع أو الماء الرطيب بالنسبة للإنسان أجهدته مشقة الطريق تحت وهج الشمس المحرقة ، ثم أخذ تسطاً من الراحة وهو يذكر شاعره الذي يعرفه حتى المعرفة ، وقد يكون هذا الشاعر هو هومير أو فرجيل أو أوفيد .

وعلى أية حال ، فإن المتابع لأعمال فورتوماتوس يدرك أنه كان ينجح في فرضه الشعر التقليدي القديم . إذ كان يستب الشعر اللاتيني أفضل أشكال عام الصياغة والبيان . وكان يؤثر استخدامه باعتباره من الأساليب الهامة لمعالجة أى موضوع من الموضوعات التي يتطرق إليها في شعره ، وبخاصة الموضوعات الدينية^(١) .

هذا من الإنتاج الشعري الديني والديوي في العصر المسيحي المبكر وأمره على الثقافة وعلى العلم والتعليم ، في وقت اكتسح فيه الجرمان الجهاز الروماني العتيق وانتصرت فيه المسيحية على الديانة الوثنية . وأما عن الكتابات الفكرية ، فقد برع فيها عدد قليل من الكتاب الذين تناولوا شتى الموضوعات في تأليفهم ، ومن أبرز هؤلاء سوليبيكيوس سفيروس Sulpicius Severus وجرمورى الثورى Gregory of Tours نسبة إلى مدينة تورز الفرنسية .

Cf. Ker, op. cit., pp. 119—124 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 182, 156 ; Kitchin, op. cit., I, p. 101 ; Katz, op. cit., p. 110 ; Painter, op. cit., p. 68 ; LaMonte, op. cit., 84 f. وللتزيد من المعلومات من هذه الفصصيات ، أنظر صعيد ماهر: أوروبا المصور الوسطى، ج ٢ ، ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .

ويعتبر سفيروس (٤٠٠ م) من الكتاب المشهورين . كان من رجال القانون، وقد تشبع بروح الرهبانية، ووضع مؤلفا عن حياة القديس مارتين التورى الذى كان من معاصريه، وكان له أكبر الأثر في الإسهام في نشر الديرية في الغرب الأوروبي إلى جانب مؤلفات غيره من أمثال القديس أوغسطين والقديس جيروم . هذا، ويلاحظ أن قواعد النحو لم تكن تراعى في تلك الفترة المتقدمة في الكتابة النثرية. كما كانت الأخطاء القفرية شائعة ، وأهمل دراسة كل ما يتعلق بالتراث الكلاسيكي القديم باعتباره تراثا ضارا لما فيه من عناصر وثنية حاربتها المسيحية دون رفق أو هوادة . ونلس ذلك بما قاله سفيروس نفسه عندما تساءل : د هل تدفع أجرومية اللغة اللاتينية لخلاص الروح الخالدة؟، ومن تساءل أيضا : وما الفائدة التي يجنيها من الكتابة عن الآلهة أو الفلاسفة الوثنيين أو أعمال سقراط ؟ ، ولم تكن مثل هذه التساؤلات ، في حقيقة الأمر ، بغير مغزى أو دلالة . وكان هذا يعنى - بكلمة مختصرة - بمذ كل ما يتعلق بالوثنية في التراث الكلاسيكي القديم باعتبار أنه يتعارض مع ما كانت تتنادى به المسيحية وما كانت تدعو إليه فلسفتها القائلة بأن الخلاص هو الغاية النهائية لكل كائن حي (١) .

أما المؤرخ جريجورى التورى (٥٣٨ - ٥٩٤ م) فقد عاش في القرن السادس، وكان أسقفا على مدينة تورز الفرنسية ، وهو يمثل الصور الوسطى المبكرة بثمناها وأفكارها وخصائصها وقيمتها خير تمثيل . لقد خلعت كتاباته من التقاليد الكلاسيكية والرونية القديمة . وما يذكر في هذا العدد أنه بدأ تاريخه الذى وضعه من القرنه

(١) Ker, op. cit, p. 24 & n 1 ; cf. also LaMonte, op. cit., p. 85 ; Bury, op. cit, I, p. 807 n. 1 ; Hüllgarth, op.cit.,p. 16.
أنظر أيضا سعيد ماحور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ .

« History of the Franks » ، والذي يعتبر المصدر الاساسى عن تاريخ غالة في ذلك العصر ، بالفكوى من تدهور العلم والتعلم والنحطاط للدراسات الديبوية . ولكنه يستدرك فيقول إن انحطاط هذه الدراسات لا يجب أن يؤدى إلى إهمال التاريخ . وكان جريجورى يستهدف تسجيل الأحداث ، وبخاصة تلك التى وقعت في عصره . كذلك لم يمتن فى مؤلفه باللغة اللاتينية نفسها أو بإبراز اوضاع الجمال فيها . ولم يتقيد بقواعد النحو وأجرومية اللغة . وإنما قصر اهتمامه على الأشخاص والأحداث فحسب . وكان كل ما يعنيه أن يحدد المستمع أو القارئ الذى يفهم أسلوبه ، وبمنص قوله : « Philosophantem rhetorem intellegunt : pauci, loquentem rusticum multi » . لذلك اراه يستخدم فى تاريخه الأسلوب اللاتينى الدارج السهل ، بينما كان يوسعه أن يكتب بلاتينية أكثر نقاء وصفاء . لكنه أثر اختيار اللغة التى يفهما عامة الناس الذين يكتب لهم فى عصر تدهورت فيه اللاتينية والثقافة المرتبطة بها (١) .

(١) أنظر Ker, op. cit., pp. 125—180 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 132, 152, 154 ; Kitchin, op. cit., I, p. 90 ; Katz, op. cit., pp. 110, 135 ; Painter, op. cit., pp. 68, 444. LaMonte, op. cit., p. 88 f. هذا ، ونجد مقطعات من كتاب تاريخ الترجمة لجريجورى فى مؤلف ن. ف. كانتور : Cantor, op. cit., pp. 77—81 .

وجعلت كبر عن تاريخ جريجورى فى شيء من الإفاضة والتعليل ، فيقول أنه يستمر حتى سنة ٥٩١ م ، وهو يقع فى معرفة كتب ، وتبدأ ذكر بابه الخاصة بالكتاب الرابع . وتدل مذكراته على الدور الكبير الذى لعبه فى تاريخ بلاده . وكان فى نفس الوقت يوجه عنايته فائقة إلى كل ما يتعلق بالمعجزات والتمائمات ، كما كان يتمتع بمقدرة هائلة على التخييل وسرد القصص ، وصنف خاصة ما يتعلق بالفقرة السابقة لعصره ، بالإضافة إلى تجاربه الخاصة . ويجزى جريجورى النورى ، فضلاً عما تقدم ، من المؤلفين القلائل الذين كان باستطاعتهم

ولقد كان جريجورى التورى فى كتاباته يعبر — فى الواقع — عن عصر
تغير وانتقال فى نواحى السلم والمعرفة وما أصاب اللاتينية والثقافة المرتبطة بها
من تدهور وانحلال . ويقول المؤرخ جون لامونت إن معرفته باللاتينية تكشف
لـى أى حد تدهور العلم فى الغرب الأوروبى وقتذاك ، وكيف أن اللاتينية الجديدة
كانت مليئة بالأخطاء اللغوية والكلمات الدخيلة التى هى من أصل جرمانى ^(١) .

ومع كل ما تقدم يجب ألا ينطبع فى الذهن أن العصور الوسطى المبكرة
كانت غلواً تقريباً من حركة التفكير والإنتاج العلمى ، أو أن عجلة العلم قد
توقفت تماماً عن الحركة ، إذا استثنينا هذه الأمثلة الفردية التى ألمعنا إليها وإلى
لا يجوز اتخاذها كقياس ثابت لاتجاه معين . حقيقة لقد شمل القارة الأوروبية ،
وبخاصة القسم الغربى منها ، ظلام دامس كنتيجة للظروف التى نشأت عن غزوات البرابرة
وتدفعهم فى أعداد هائلة فى قلب الامبراطورية الرومانية وهدم نظامها المتين
الذى كان هو الآخر فى طور الاحتضار . ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً ولم
تستمر إلى ما لا نهاية . فقد كانت الكنيسة ، وهى كل ما تبقى من الدولة الرومانية
القديمة ومدنيتها بعد اكتساح الجرمان لها ، هى معقل التفكير ومنبع الحركات

== رمم صورة حية نابضة للموضوع الذى يكتبون عنه . ويرى كبر أنه بالرغم من عدم تلميد
جريجورى بقواعد النحو وأجرومية اللغة ، وبالرغم من أسلوبه اللاتينى المادى ، وبالرغم من
أن الكثيرين غيره من كتاب الحوليات كانوا يستخدمون أسلوباً أفضل من ذلك الذى
استخدمه جريجورى — بالرغم من كل ذلك فقد نجح جريجورى بذلك الإسكانيات الشئيلة التى
كانت تحت يده والمواهب البسيطة التى كان يتمتع بها ، فى حين فعل كثيرين غيره من كبار
الكتاب . وبكهدف مؤلف جريجورى ، الحاس بتأريخ الترجمة من هذه المواهب والقدرات التى
كان يتمتع بها فى تلك الفترة المبكرة من التاريخ الوسيط . أنظر كير : نفس المزمع ،

س ١٢٥ — ١٢٦ .

LaMonte, op. cit., pp. 88—89.

الأديبة . كما احتفظت بطابع على متواضع على قدر مفهوم الناس وتذاك ، هذا ، إلى جانب نشاطها في العلوم الدينية والمعارف الدنيوية . وقد اجتذبت لخدمتها عدداً كبيراً من الناس الذين ذاع صيتهم وبرزت شهرتهم (١) .

سرومن هنا اصطبح التعليم في هذه الفترة المبكرة بصيغة دينية واضحة . وكان هذا أمراً طبيعياً متوقفاً . فهو مرتبط شكلاً وموضوعاً بالمسيحية ، وهي الديانة التي كانت قد تأصلت جذورها في الغرب بعد القضاء على الوثنية وعبادة الإمبراطور . وقد ترتب على ذلك ظهور نهضة تعليمية متواضعة في ظل الكنيسة الجديدة التي أصبحت بحكم وجودها في روما الوريثة الشرعية للإمبراطورية القديمة بعد انهيارها ونقل الكرسي الإمبراطوري من روما إلى القسطنطينية في طرف أوروبا الأتقى عند اللقاء الهسفور ببحر مرمرة . فاكسبت بحكم هذه الظروف التي أحاطت بنشأتها ونموها وبحكم الأحوال التي ألمت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط ، سلطة ونفوذاً كبيرين . وأصبحت هذه الكنيسة ، وعلى رأسها البابا ، قوة عظمى تسيطر على مصائر الأفراد وعقولهم ومقدراتهم وعلى حياتهم العامة والخاصة كذلك . ونتيجة لهذا المركز الكبير الذي تمتعت به في الشؤون الدينية

(١) أنظر وهيب إبراهيم سمعان : الثقافة والتربية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٧) ص ١٤٥ وما بعدها . وللزيد من المطويات عن التعليم الديني في المجتمع الغربي الوسيط ، ومخاطبة في فروعه المبكرة عند ما كان النظام السائد هو النظام الانظامي وعند ما كان الجهل متلفياً بين غالبية أهل الغرب وبين الفلاحين السكادحين في الأرض ، صفة خاصة ، أنظر المراجع الأجنبية التالية : Coulton, G. G., Medieval Village, Manor and Monastery (New York, 1980), ch. XIX, pp. 258-278 ; Baldwin, M.W., The Mediaeval Church (New York, 1953), p. 66; Brinton & others, op cit., p. 805.

والديوية على السواء ، أصبح لها دور واضح في الإبقاء على العلم في بداية العصر
الوسيط ، أو حسبما قال المؤرخ كولتون فقدت الكنيسة هي المخترعة شرعا لكل
ما يتعلق بشئون العلم والتعليم^(١) .

/وقد قامت تلك الكنيسة بإنشاء المدارس في الأديرة لخدمة أغراضها فحسب.
فكان يوجد بكل دير مكتبة وعدد من النساخ^(٢) ومدرسة لتعليم النشء تعليما دينياً
بمحتاً . وكان هذا يعني — بكل بساطة — دخول الغرب الأوروبي في حظيرة
الكنيسة الكاثوليكية وارتباطه بالثقافة اللاتينية . وأخذت المدارس الديرية
تنتشر في طول البلاد وعرضها لتعليم الصغار الذين يقع عليهم الاختيار لكي
يصبحوا قساوسة ويعملوا في سلك الكهنوت بعض المعارف والعلوم الدينية^(٣) /
لقد اقتصر التعليم في هذه المدارس الديرية ، إذن ، على تلقين الطلاب

(١) كولتون : عالم الصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٩٩ — ١٠١ ؛
أنظر أيضاً سميد عاشور : أوروبا الصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٢٤ — ١٢٦ ؛ كرامب
وجاكوب : تراث الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦١ — ٣٦٢ . راجع أيضاً
Goff, op. cit., pp. 149, 167; Coulton, Medieval Panorama, p. 885;
Painter, op. cit., p. 466 f. ; Poole, A. L., From Domesday Book
to Magna Carta (Oxford, 1964), p. 282.

(٢) كان يطلق على مكاتب النسخ في الأديرة باللاتينية لغة scriptoria . أنظر من
ذلك ؛ Baldwin, Medieval Church, p. ٤7 ; Cantor, op. cit., p. 109 ;
Painter, op. cit., p. 81.

(٣) أنظر من ذلك ؛ Chateaubriand, Génie du Christianisme, t. II
(Paris, 1922), pp. 245 — 246 ; Durosello, op. cit., 31 ; Baldwin,
op. cit., p. 32.

راجع أيضاً كرامب وجاكوب : تراث الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ،
ص ٢٨٩ وما بعدها .

ما يؤهلهم للعمل في السلك الكنسى فحسب . فكان عليهم دراسة اللغة اللاتينية لإجادة قراءة الكتب الدينية والقيام بالوعظ والإرشاد . كما كان عليهم تفهم أسفار الكتاب المقدس ودراسة الموسيقى والألحان الدينية اللازمة لأداء الخدمات والطقوس الشعائرية . ومع أن هذه الدراسات قد اصطفت بالصيغة الدينية البحتة ، إلا أنها كانت تستلزم على سبيل المثال تعليم رجل الدين تعليماً دينياً يتخذ أساساً لثقافته الدينية . فعليه أن يدرس قواعد الحساب والرياضيات والفلك والمهندسة حتى يتسنى له تحديد التواريخ والأعياد وأيام القديسين وما إلى ذلك مما يتعلق بالشئون الدينية . ويجب أن تفهم أن كل هذه المواد من دينية وديونية كانت مجرد أداة لتفهم الدين فحسب ، وإن كانت قد ساعدت فيما بعد وبطريق غير مباشر على تطور الفكر البشرى والعلاقة من عقائه وتحرره من القيود التي حاش أسيرها عدة قرون عندما حانت الفرصة وتبأت الظروف لذلك . وقد عبر عن هذا التفكير القديس أوغسطين أوف هيبو في القرن الرابع ، وردد صدى هذا القول في القرن الثالث عشر القديس بونا فنتورا الفرنسيكاني St. Bonaventura (١٢٢١ — ١٢٧٤ م) ، عندما أوضح أنه ليس من المستطاع فهم الكتب المقدسة بدون دراسة مختلف العلوم دراسة علمية^(١) . وقد استغرق قيام هذه الدراسات وتواصلها وقتاً غير قصير . وجدير بالذكر أنها كانت مستفانة من تآليف عدد من الكتاب الذين عاصروا المرحلة الأخيرة من مراحل الحضارة الرومانية عند انبهار العالم القديم وبداية العصر الوسيط ، وهم بيوتوس

Cf. Crump & Jacob, op. cit., p. 286 ; Coulton, G. G., (١)

Medieval Panorama, p. 391 f. ; Goff, op. cit., p. 167.

واجم أيضاً كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ،

Boethius وكاسيودورس Cassiodorus ومارتيانوس Martianus وجوردانيس Jordanis ، الذين يعتبرون في الواقع من آخر بقايا الحضارة الرومانية والتراث الكلاسيكي القديم ، والذين اعتمد عليهم الغرب وهو يعاوى صفحة قديمة ويفتح صفحة جديدة من تاريخه (١) .

ويستحق هؤلاء الرجال الأربعة كفة سريعة . أولهم الفيلسوف أنيكيوس مانليوس Anicius Manlius Boethius (٤٧٠ - ٥٢٥ م) ، وهو أحد المفكرين الذين تهجوا نهج القديس أوغسطين أوف هيبو (٣٥٣-٤٣٠ م) ، ويعتبر من أشهر الأدباء ليس في إيطاليا فحسب وإنما في الغرب المسيحي كله ، إذ اجتمعت فيه خصائص التراث الكلاسيكي والتقاليد الوثنية القديمة مع فلسفة المسيحية ومبادئها ومثلها . وهو من أسرة رومانية هريفة ، ذهب وهو صبي صغير إلى أفيذا حيث درس بها الأدب والفلسفة . وفي سنة ٥١٠ م أصبح وزيراً لثيودوريك ملك القوط الشرقيين في إيطاليا . ثم ألغقت به زوراً بعض التهم ومنها التآمر على حياة مليكة وممارسة أعمال السحر والشعوذة ، وزج به ظلماً في السجن دون أن تتاح له فرصة الدفاع عن نفسه . وقامى شق ألوان العذاب في الحبس ثم أعدم آخر الأمر . وقد عمل يوليوس على إرساء أسس الديانة المسيحية ووضع قواعداً مثلها فعل آباء الكنيسة الأولى . كذلك عمل جاهدأ على التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية القديمة ، تلك المحاولة التي تعد في الواقع مرحلة انتقال بين الفلسفة القديمة التي كانت قد انتهت منذ أوائل القرن السادس وبين فلسفة المصور الوسطى التي تنبع فيها بين القرنين التاسع والرابع عشر أو الخامس عشر . ومن الخدمات التي قدمها يوليوس إلى الفكر الغربي

(١) أنظر سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ٧-٣ .

ترجمته لمنطق أرسطو إلى اللغة اللاتينية ، فحفظ لنا جاببا كبيراً من تراث هذا الفيلسوف اليوناني في كتاباته . ولكن أعظم ما خلفه هو مؤلفه المعروف باسم « سلوى بيونيوس الفلسفية » أو « عزاء الفلسفة » *De Consolatione Philosophiae* الذى وضعه وهو فى السجن فى بافيا والذى ترجم فيه لنفسه . وهو لهذا يشبه اعترافات القديس أوغسطين إلى حد بعيد .

ولكتاب « سلوى الفلسفة » مكانته التى لا تنكر فى ثقافة وأدب العصر الوسيط المبكر . ويرى كير فى تقييمه للكتاب أنه يعتبر من كتب المرتبة الثانية . ويقول إنه من ذلك النوع من الكتب الذى يعوزه الخلق والإبتكار والتجديد ، أو هو من ذلك النوع الذى يعتمد فيه مؤلفه على غيره من الكتاب . وإن هذا الكتاب الذى وضع بعضه شمرأ وبعضه ثرأ ، جارة عن حوار بين الفلسفة التى تبدو لبيونيوس فى صورة امرأة إسمها فيلوسوفيا وبين المؤلف السجين فيما تثيره الحياة فى نفسه من مسائل ومشاكل وشجون كالعذاب الذى يعاينه الشخص الصالح ، ويمضى بذلك عذابه هو داخل السجن ، ثم العناية الإلهية والخير الأعظم . وقد خلص المؤلف من ذلك كله إلى أن الحياة الدنيا التى يحتازها الإنسان لا توفر له السعادة المنشودة ، بل هى مبعث شقاء بالنسبة له ، وأن الله هو الخير الأعظم الأعم ، وأن السعادة يجب أن يلتبسها البشر عنده ، وأن الآلام التى يعاينها البشر هى امتحان الصالحين وحجاب الطالحين . كما تناول بيونيوس ، إلى جانب ذلك ، موضوع القدر والإرادة الحرة والجبر وراء الشهرة . ومن أقواله الماثورة التى تتميز بقيمتها وأصالتها : « *Nam in omni adversitate fortunae* »

« *infelicissimum est genus infortunii fuisse felicem* » ، وترجمتها : « يتجنب الحكماء شهرة الشهرة ، بالرغم من أنها آخر مراتب الضعف والعجز » .

لقد ناقش بيوتيس مثل تلك المسائل والقضايا على منوال الأفلاطونية .
ومن هنا فإن كتابه «ساوى الفلسفة» يدور ، أساساً ، حول السؤال التالي :
« كيف يلتصق بيوتيس المراء عند الفلسفة ولا يلتصقه عند دينه ؟ » . ومجد في
الكتاب محاولة لتفسير الدين بالفلسفة وإقامة الإيمان على أساس عقل . وقد فهم
مفكرو العصر الوسيط الكتاب على هذا الوجه ، ولم يثيروا أى اعتراض عليه .
ويكفى ليبيان أهميته أن الشاعر الإيطالى دانتى الجيجيرى (١٢٦٥ - ١٣٢١ م)
اقتبس من عباراته عندما تعرض للمقابلة التى تمت بينه وبين فرنسيسكو Francesco
في ملحسته الشعرية الرائعة « الكوميديا الإلهية » . كما أخذ عنه ، مرة ثانية ، في
العبارة الختامية لفردوسه ^(١) . كذلك ورد ذكره في إحدى رسائل سير لابو
ماترى Ser Lapo Mazzei ، وهو كاتب عقود فلورنسى من أواخر القرن الرابع
عشر ، عندما أشار إلى كتاب « ساوى الفلسفة » على أنه كتاب يتناول
فلسفة رفيعة .

لقد كان بيوتيس يرى ضرورة التمييز بين الفلسفة والدين ، مع الاستعانة
بالأولى لتوضيح الثانى . ويظهر أثر الفلسفة جلياً في جميع مؤلفاته اللاهوتية حيث
يدخل على العقيدة الكثير من المعانى الفلسفية . وما يذكر أنه ترك عدداً غير قليل
من الكتب المؤلفة والمترجمة . كذلك نقل بعض كتب أرسطو إلى اللاتينية وله شروح
وتعليقات عليها ، وله أيضاً شرح على كتاب الجدل لثيشيريون . ومن تأليفه
الخاصة كتاب في القسمة وآخر في الجدل ، فضلاً عن العديد من المؤلفات في

(١) أنظر الجيجيرى (دانتى) : الكوميديا الإلهية - القسم الثالث (الفردوس) -

ترجمة وهديم وتعليق الدكتور حسن مثنان (القاهرة ١٩٦٩) ، ص ٥٥٥ .

اللاهوت والرياضة والموسيقى^(١). والخلاصة أن إنتاج هذا الفيلسوف الذي عاش في آخريات القرن الخامس وبدايات القرن السادس ، في المنطق والموسيقى والرياضة وغير ذلك من الفنون ، يرتبط ارتباطاً واضحاً بشئون العلم والتعليم في المجتمع الغربي الوسيط وقتذاك ، وقد ترك أثره عليها .

وإلى جانب بيوليوس يوجد كاتب من طراز آخر هو ماجنوس أورليوس كاسيودورس *Magnus Aurelius Cassiodorus* وزير ثيودوريك . ولد حوالي سنة ٤٨٠ م وتوفي سنة ٥٧٥ م وله من العمر قرابة ٩٥ عاماً . وتمكثف رسائله الرسمية التي كان يبعث بها إلى من كانت تربطه بهم صلة صداقة ومودة ، هن أحوال إيطاليا من الناحيتين السياسية والحضارية في عهد القوط الشرقيين . وقد قام كاسيودورس نفسه بنشر تلك الرسائل باللاتينية تحت اسم «مثنوعات» *Variae* ، وكان نشره لها بعد وفاة ثيودوريك بحوالى ١٢ سنة . كذلك وضع كتاباً عن تاريخ إيطاليا فقد ولم يصلنا ؛ ولو كان قد حفظه لنا الزمن من الضياع لربما أمدنا بمعلومات قيمة عن إيطاليا في القرن السادس . وتنحصر قيمة كاسيودورس الحقيقية في محاولته إثبات أهمية العلوم الدنيوية وفائدتها في وقت بدأت فيه هذه العلوم تفقد مكانتها . كذلك كان من المهتمين بالحركة الديرية التي كانت قد بدأت في الظهور والانتشار في الغرب وقتذاك ، فأسس ديراً في أواخر أيامه

(١) Ker, op. cit., pp. 103—117 ; cf. also Shorter Cambridge Medieval History, vol. I (Cambridge, 1952), pp. 75, 140 ; Goff, op. cit., p. 166 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 387, 520 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 158, 186, 272 ; Ffrench, H., Medieval Cities (Princeton, 1918), p. 7 ; Katz, op. cit., pp. 110, 185 ; Painter, op. cit., pp. 72, 449, 466 ; Berry, op. cit., II, pp. 216-220. أنظر أيضاً سعيد عاصور: أوروبا العصور الوسطى، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣٠.

وميه مكتبة الخاصة . وكان من المشجعين الأديرة على المحافظة على التراث الكلاسيكي القديم ، والعمل على تأليف كتب جديدة . وكان لهذا الاتجاه بطبيعة الحال — آثاره التي لا تترك في مجال التأليف والمحافظة على القديم في ذلك العصر الثاني ، وبقدر ما كانت تسمح به الظروف وتلك (١) .

وثالث هؤلاء هو مارتيانوس كابيلا Martianus Capella ، وهو الآخر من رجال العلم . وقد ترك عدداً من المؤلفات تعتبر من نوع الكتب العامة التي احتفظت بمكانة كبيرة باعتبارها خير ممثل للثقافة الكلاسيكية القديمة في ظل الأوضاع الجديدة التي استجدت على العالم الأوروبي وقتذاك ، حيث حافظ على التقاليد الكلاسيكية فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم (٢) .

وفي هذا المجال يجب الإشارة إلى المؤرخ الأسقف جورداييس القوطي الذي حفظ لنا في مختصره مادة كتاب كاسيودورس المفقود عن تاريخ القوط . ووضع هو نفسه كتاباً عن تاريخ العالم ، ولكن مؤلفه عن القوط هو الذي

(١) Ker, op. cit., pp. 117-119 ; Bury, op. cit., II, pp. 220-224 ; cf. also Goff, op. cit., pp. 151, 106 ; Coulton, Medieval Panorama, p. 268 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 153, 175, 202f. ; Downs, N. (ed.), Basic Documents in Medieval History (New York, 1959), p. 30 ; Pirenne, op. cit., p. 7 ; Katz, op. cit., pp. 110, 135 ; Baldwin, op. cit., pp. 26-27 ; Painter, op. cit., 72 ; LaMonte, op. cit., pp. 83, 86 f.

أنظر أفرال كاسيودورس حول التراث الكلاسيكي القديم إلى العصر الوسيط في كتاب كاتور Cantor, op. cit., pp. 109-112.

(٢) Ker, op. cit., pp. 25, 83, 84 ; Goff, op. cit., pp. 149, 151 ; Crump & Jacob, op. cit., p. 277 ; LaMonte, op. cit., pp. 81, 84.

أكسبه تلك الصهرة التي تمتع بها . ويلاحظ أن الشخصية الرئيسية في إنتاج جوردايس ليست بطلا قوطيا كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، ولكن أتिला Attila ملك الهون . وقد عرض تاريخ أتिला الذي استقاه من بريسكوس Priscus عرضاً أكثر استيفاء من الشخصيات الأخرى التي تناولها . هذا ، وقد تميز أسلوب جوردايس اللاتيني بالصف والركاكة والخشونة في وقت تدهورت فيه اللاتينية تدهوراً واضحاً وداخلتها ألفاظ جرمانية هرية (١) .

لقد كانت المعلومات التي كتبها هؤلاء الرجال الأربعة في الحساب والهندسة والفلك معلومات سطحية غير دقيقة بعكس الدراسات المتعلقة بالنحو والبلاغة والجدل . واشتمل النحر على فقه اللغة اللاتينية وقواعدها . وبقيت الدراسات اللاتينية الكلاسيكية هي الأساس لتعلم هذه اللغة . وظل طلاب العلم في تلك العصور يطالعون مؤلفات فرجيل Virgil وأوفيد Ovid وبليني Pliny وشيشرون Cicero وسالوست Sallust ، وغيرهم من أعلام الشعر والنثر عند الرومان القدماء — ظل طلاب العلم يطالعون مؤلفاتهم لتعلم البلاغة وقواعد النحو اللاتيني الصحيحة ، وكان الجدل والمنطق أهمية كبرى في تلك العصور ؛ إذ سمحت الكنيسة لرجالها بالتوسع في دراستهما لينسجى لهما إقناع الخارجين عليهم واكتساب الناس إلى حظيرتها ، بمعنى أنها استخدمتهما لحخدمة الدين الجديد

Ker, op. cit., p. 180 ; Cramp & Jacob, op., cit., p. (١)
151 ; LaMonte, op. cit., p. 88.

أنظر أيضاً سعيد عاشور : اوروبا المصور الوسطى، ج ٢ ، ص ٢٣٠—٢٣١ ، وفي كتاب كاتور منقطعات من غزوات القوط الغربيين مأخوذة من كتاب تاريخ القوط لجوردايس .
أنظر Cantor, op. cit., pp. 69-78.

وأهدافه فحسب ، وإن كان ذلك قد ساعد فيما بعد — وبطريق غير مباشر — على تحرر الفكر وانطلاقه .

وإن كنا قد تحدثنا عن يوليوس وكاسيودورس ومارتيانوس وجورجانيس في شيء من التفصيل ، فذلك لأنهم يعتبرون من أشهر الفلاسفة والمفكرين الذين عاشوا فترة احتضار الدولة الرومانية ومدنها وبداية العصر الوسيط ، فامتزج في كتاباتهم التراث الكلاسيكي القديم بالمسيحية ، واختلط الدين بالدينا ، وتماثلت العالم القديم وهو عالم الإمبراطورية الرومانية وجهازه العتيق في الدين والسياسة والاجتماع والاقتصاد والفكر بالعالم الجديد الذى ارتكز على البرابرة وغرواتهم والمسيحية وكنيستها .

وقد نتج ذلك حضارة جديدة لها طابعها الخاص بها ، لاهى رومانية بمحتة ولاهى جرمانية خالصة — تلك الحضارة التى ميزت المصور الوسطى المبكرة التى يطلق عليها فريق من المؤرخين إسم « المصور المظلمة » تميزاً لها من المصور الوسطى الحقيقية (١) .

لعلنا نخلص مما سبق أنه أصاب العلم واللغة اللاتينية والتراث الكلاسيكي القديم الكثير من التدهور والانهلال فى الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والسادس بسبب حالة الفوضى التى ألمت بالغرب إثر غزوات البرابرة التى قضت على المدنية الرومانية وهى تكتسح فى طريقها كل شيء ، والديانة المسيحية التى حلت محل الوثنية وعبادة الامبراطور . وقد اُصترف الكتاب اللاتين القدامى أمثال سفيروس وجريجورى التورى بذلك . وكان البابا جريجورى الكبير نفسه

(١) أنظر من ذلك كوتون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ص ٣٥ .

راجع أيضا Ker, op. cit., p. 1.

من ألد أعداء الثقافة الرومانية لما فيها من عناصر وثنية نبذتها المسيحية .

ونعرف عن البابا جريجورى أنه اعتزل الحياة الدنيا واعتنق مبادئ الرهبنة . وقد اشتهر بالتشف والتقى والتدين والجمد عن ملذات الحياة . وقام بتأسيس عدمن الأديرة . كما كان رجلا حازما ، عالما متقفا ، يتمتع بمقدرة سياسية وإدارية هائلة . وامتاز بنشاطه الفائق في ميدان التبشير بالدين الجديد بين أهل القرب الأوروبى بعمامة ، وبين الأنجلوسكسون في الجزيرة البريطانية بصفة خاصة . كل هذا لم يشغله عن التمتع في العلم والفلسفة واللاهوت ، ودراسة مؤلفات آباء الكنيسة الأول ، والكتابة في موضوعات كان لها خطرها وقتذاك . ومن أهم كتاباته سلسلة من المواظح الكبرى عرفت باسم « Homilies » لها شهرتها التي لا تنكر ، وغدت مصدرا أساسيا للوعاظ ورجال الدين في العصور التالية يستمدون منها مادتهم الوعظية . وله أيضا شروح وتعليقات على أسفار الكتاب المقدس . ومن مؤلفاته كذلك كتاب في الأخلاقيات المسمى « Moralia » الذي تضمن تعليقات على سفر أيوب من العهد القديم . وهو يمتاز بمكانته المرموقة في الأدب الفرنجى الوسيط لتأكيد الطريقة القديمة الخاصة بالتفسير المجازى . ثم أنه من نوع الكتب التي تمحوى زبدة وخلاصة المصادر القديمة وتحمل عليها لتصبح المصدر الأساس الذى يرجع إليه عوضا عن تلك الأصول . وكيفما كان الأمر ، تعتبر تلك التعليقات من إنتاج واحد من أكبر رجال العلم في العالم . وله - بالإضافة إلى ما تقدم - كتاب « العناية الربانية » ، « The Pastoral Care » ، وهو عبارة عن إرشادات وتوجيهات لرجال الدين ، ويفضل بكثير تعليقات جريجورى على سفر أيوب إذا قيمناه من وجهة النظر الأدبية ، وذلك بالرغم مما يحويه من الكناية والمجاز . ويكشف أسلوبه في هذا الكتاب عن شخصيته ، ويتناول فيه أقرب الموضوعات

إلى قلبه ونفسه. ويقال إنه عندما اشتد المرض على جريجورى وأوشك على الموت، طلب أن يقرأ له فى هذا الكتاب. واعتقد الناس أن نفسه امتلأت راحة وطمانينة وأنه واجه لحظة الفراق بشجاعة وهناء. أما محادثاته « The Dialogues » فهى تتمتع بشعبية أكثر من تأليفه الأخرى، وقد ترجمت إلى اللغتين الانجلىوسكسوية والفراسية القديمة. وهى تتضمن سلسلة من القصص والأساطير عن حياة القديسين الذين يعيشون فى الصحارى والقفار ومجازاتهم. وقد لقيت الشبوح والرواج لأنها كانت تمثل عقلية الشعب فى المجتمع الغربى الوسيط وتذكّر خير تمثيل. وخصص المؤلف كتابا كاملا منها للقديس بندكت. بينما احتوت الكتب الأخرى على معلومات مختلفة فيها من الأهمية بقدر ما فيها من المتعة والطرافة والتسلية. ولا تعتبر هذه « المحادثات » نوعا من التأمل والتفكير أو العبادة، وإنما هى أقرب ما تكون إلى التاريخ أو تسجيل للأحداث والذكريات.

ولعل الأمر الذى يمتينا أكثر من غيره هو أن البابا جريجورى الكبير قد اشتهر بعنايته الصريح للتراث الكلاسيكى وكل ما يمت إلى به صلة لما فيه من أفكار لا تنشى مع المعارف المستحدثة والفلسفة المسيحية الجديدة. فهو يكشف فى كتابه « المحادثات » عن احتقاره الشديد للأدب اللاتينى القديم ودراسته، وذلك فى قوله المأثور:

« Despectis itaque litterarum studiis... sanctae conversationis habitum quaeavit ^(١) ويضع الكاتب ر. ا. ساليغان R.E. Sullivan

Ker, op. cit., pp. 182-188 ; cf. also Goff, op. cit., (١) pp. 159, 164 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 9, 24 ff. et seq. ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 48, 50, 150, 152, 207 f., 218 ; Painter, op. cit., pp. 84 f., 98, 449. ويمدنا نورمون داووت بمادة قيمة فيها يلمح إلى بابا جريجورى فى ميدان التفكير، أنظر Downs, op. cit., p. 24ff.

جريريمورى الكبير فى الميزان مينا انه ا كئيب شهرة فائقة باعتباره زعيمًا روحيا ،
إذ كان موهبا فى العمل على تعزيز العقيدة المسيحية بأسلوب يناسب عقلية أهل
الغرب خلال تلك الحقبة من الزمن . ويستلزم قائلًا إن مؤلفاته العديدة وكتابات
الملهمة تعتبر جزءا أساسيا من التراث الدينى فى الغرب الأوروبى (١) .

يتضح مما سبق أن البابا جريريمورى الكبير قد اشتهر بعداته العريخ لآثار
الكلاسيكى وكل ما يمس له بصلة لما فيه من أفكار لا تتماشى مع المبادئ المسيحية
الجديدة (٢) . وتكشف عن ذلك مؤلفاته التى كانت معروفة فى عصره ، واتى كان
يتدارسها الجميع فى المصور الوسطى ، ولا تزال تقرأ وتدرس فى مدارس العلوم
اللاهوتية الكاثوليكية إلى يومنا هذا .

هكذا بدأ نهج اللاتينية بخاصة والتراث الكلاسيكى بعامة فى الآفول فى الغرب ،
حتى إذا كانت سنة ٥٢٩ م نجد أنه قد تحدثت فيها معالم شخصية العصر المسيحى
وسمات العلم والثقافة فيه . ففى تلك السنة أخلق الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ —
٥٦٥ م) مدارس أئينا الفلسفية القديمة . كما أسس القديس بندكت دير المعروف
فى مونت كاسينو . ولهذا ، بطبيعة الحال ، دلالتة ومغزاه ، إذ يعنى انتهاء عصر
الزمنية والتحرر والاطلاق وبداية عصر الدين والإيمان ، وما يرتبط بها من مثل
وقيم ومفاهيم تركت آثارها على العلم والفكر وقتذاك ولفترة طويلة لاحقة .

ولكن على الرغم من معاداة المسيحية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية لكل
ما يمس إل العلم والحضارة الرومانية والتراث القديم بصلة ، فلم يعدم ذلك العلم

(١) Sullivan, Heirs of the Roman Empire, pp. 48-49.

Ker, op. cit, p. 182.

(٢)

وما تيك الحضارة والتراث أن يهدوا الأنصار والمؤيدين مع قلتهم وقد ساعد ذلك — إلى حد ما — على حفظ جانب من العلم والتراث القديم من جهل البرابرة وتمنت المسيحية - إذ وجد بعض المثقفين في المجتمع الغربي ممن عز عليهم أن يندثر هذا التراث العظيم ويصبح في خبر كان بين يوم وليلة . فعملوا جاهدين على المحافظة عليه وإنقاذ ما يمكن إنقاذه منه . وكان على رأس هؤلاء كاسيودورس الذي سبق الإشارة إليه ، والذي يمثل البقايا الذابلة للعلم والفكر الروماني القديم وسط عصر من الجلود والظلام .

وعلى أية حال ، ظل الجلود والظلام هما السمة العامة حتى أواخر القرن السابع الميلادي في وقت كانت فيه غالبية الناس تعيش في جهل مطبق وتنط في نوم عميق (١) ، عندما ظهرت نهضة عظيمة في أيرلندا كان على رأسها الكنيسة والأديرة الأيرلندية . فقد حملت أيرلندا مصباح العلم والمعرفة في ذلك العصر المظلم الذي ألقى بظلاله الكثيفة على دول الغرب التي كانت مرتما خصيبا لقوى والمخات العنيفة في كافة مناحي الحياة ، وقد ترك هذا أثره على العقل والفكر في القرون الأولى من العصور الوسطى . وكانت النتيجة أن حفظت أيرلندا الكثير من مظاهر الأدب الكلاسيكي من البعث والضياع . وقد أدت هجرات الأيرلنديين إلى إنجلترا وباقى دول الغرب إلى ذبوع تلك النهضة العلمية وانتشارها في القارة الأوروبية . وبلغت هذه الحركة ذروتها في أخريات القرن السابع وخلال القرن الثامن في شخص كل من المؤرخ المعروف بيده Bede (٦٧٥ - ٧٣٥ م) والفيلسوف الكوين

Cf. Goulton, Medieval Village, Manor and Monastery, (١)
p. 254.

Alcin (٧٣٥—٨٠٤ م) (١).

كان أولما، وهو بيده، من تلامذة بيسكوب. وقد تتلف على يديه وقرأ تأليفه وأشماره العلمية والدينية التي كان قد أحضرها معه من روما إلى إنجلترا. وجملته هذه الثقافة التي تشبع بها فوق مستوى معاصرة وتفكيرهم، وأصبح يمثل بحق خلاصة النتاج الفكري لغرب أوروبا في الفترة الواقعة بين زوال الحضارة والتراث الروماني القديم عقب غزوات البرابرة وبين قيام النهضة الكارولنجية بإحياء الإمبراطورية الرومانية في مستهل القرن التاسع أيام شارلمان. قضى بيده حياته في دير جارو Jarrow متكبا على القراءة والدراسة والتحصيل، كما امتاز بحاسة تاريخية أصيلة لم تكن معروفة في مثل هذا العصر المبكر حيث لم يكن من السهل التمييز بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الخيالية. وله المدينتين المؤلفات من أهمها، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، كتابه المسمى «التاريخ الكنسي للأمة الانجليزية» The Church History الذي فرغ منه سنة ٧٣١ م، وتناول فيه تاريخ الجزيرة البريطانية وشعبها في العصر الانجلوساكسوني. وكانت كتاباته الأولى في قواعد اللغة وعلم البيان، وقد نهج في هذا نهج كل من كاسيودورس وايزيدور، ومن مؤلفاته التاريخية التي خلفها لنا بالإضافة إلى «التاريخ الكنسي» كتاب «حياة القديس كثر» Life of St. Guthbert الذي ألف جانباً منه بالسر وجانباً بالثر، وكذلك «حياة رهبان ديري وبراوث وجارو» Lives of the Abbots of Wearmouth and Jarrow. وله أيضاً تعليقات على الكتاب المقدس، وجمموعة

(١) ماهور: أوروبا العصور الوسطى، ج ٢، ص ٢٢٢؛ كرايب وجاكوب: تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية)، ج ١، ص ٢٩٦ وما بعدها. أنظر أيضاً Goff, op. cit., pp. 158, 164 f.

من العظات الدينية التي أصبحت هي والمصادر التي استقى منها مادته ، مثل مؤلفات
أوضطين وجيروم وجريجورى الكبير ، مصدرأ أساسياً للعظات الدينية التي
وضعت فيها بعد (١) .

والسؤال الذى يطرح نفسه فى انتظار الإجابة عنه هو : ماهى المشكلة التى
يحتلها بيده فى تاريخ العلم والتعليم وقتذاك ؟ تقول السكابة دوروى هويتوك
Dorothy Whitelock إن المتقنين من أمثال بيده كانوا ينظرون بإعجاب
وتقدير زاعمدين إلى بقايا التراث الرومانى القديم . وقد أشار بيده نفسه إلى المدن
والمعابد الرومانية وإلى الجسور والطرق المعبدة التى كانت لا تزال باقية حتى
أيامه (٢) . ويضيف و.ب. كير W. P. Ker الأمر وضوحاً فيقول إنه من الذهن
بالنسبة للقرن السابع ألا تعتبر تأليف بيده ممثلة العلم والمعرفة فى تلك الحقبة
الحقيقية من الزمن . لقد بدأ دراسته بالسيطرة على الفنون الحرة ، وأخذ فى تلقى
العلم منذ نعومة أظفاره ، وعمل مدرساً فى سن مبكرة . ومن بين رجال العلم
المتجولين فى ذلك الزمن ، أمضى بيده حياته كلها داخل جدران دير فى جاور
ولم ير من وجه الدنيا إلا القليل (٣) . أما أسلوبه اللاتينى فيمتاز بسلاسته

(١) حول بيده وكتابه ، انظر Whitelock, D., *The Beginnings of English Society* (London, 1954), p. 11 ; Ker, op. cit., pp. 141-146 ; Goff, op. cit., p. 166 ; Goulton, *Medieval Panorama*, pp. 16, 34, 40 f., 110, 157, 607, 610 ; Crump and Jacob, op. cit., pp. 68, 72, 156, 172, 207, 210 ; Painter, op. cit., pp. 87 f., 444, 449 ; LaMonte, op. cit., p. 242 ; Stenton, F. M., *Anglo-Saxon England* (Oxford, 1963), pp. 8, 10f., 18ff., 28f., 96 ff., 160, 185 ff. Whitelock, op. cit., 16. (٢)

Ker, op. cit., pp. 141, 142. (٣)

ووضوحه ، فضلا عن أنه كان يكتب اللاتينية في سهولة ويسر ، وهي لغة تختلف كلية عن تلك الجمل والمبارات المتداخلة في بعضها التي لم تراع فيها إطلاقا قواعد النحو والتي استخدمها سلفه جرمجورى التورى (١) .

والامر الذى يمتينا هنا أن كتابات بيده ، وبخاصة مؤلفه « التاريخ الكنسى » تضمنت أفكارا وآراء كانت تعتبر جديدة وقتذاك ، فيما يتعلق بضرورة تقدم المجلس البشرى عن طريق العلم والدين . وهو يعتبر أول مفكر انجليزى حر استطاع أن يخرج من ظلمات الصور الوسطى ، وأن يتحدث إلى العالم الجديد في موضوعات شتى متنوعة وفي دقة ووضوح كبيرين . وعلى هذا فإن أعماله تمثل — في الواقع — تهدم العلم والفكر في عصره أصلى تمثيل .

ولم تكن تضى أيام حل وفاة بيده حتى خرج إلى العالم شاعر يكاد يميز بيده في شهرته ، ونمن به السكويين الذى يعتبر سقطة الوصل بين النشاط الفكرى والثقافة في الجزيرة البريطانية وإيرلندا من ناحية وبين دول الغرب الأوروبى بعامة وغاللة بصفة خاصة من ناحية أخرى . وقد خبر عن ذلك كثير بقوله إن المؤلفات التي وضعها السكويين لا ترقى بحال إلى شهرته كرجل من رجالات العلم (٢) .

Ker, op. cit., p. 146.

(١)

(٢) للزيد من المعلومات عن الكويين وسيرته وإنتاجه ، انظر ديفز (هـ. و.ك.):

هارلان — الله إلى العربية الكوون السيد البار العزى (القاهرة ١٩٥٩) ، ص ١٤٩ وما بعدها . انظر أيضا Ker, op. cit., pp. 151—158 ; Coulton, Medieval Panorama, p. 393; Grump and Jacob, op. cit., pp. 48, 78, 217 f. ; Pirenne, Medieval Cities, p. 18 ; Bloch, op. cit., I, p. 42; Stenton, op. cit., pp. 90, 92 f. ; Trevelyan, G. M., A Shortened History of England (Aylesbury, 1960), pp. 69, 65 ; Maurois, A., — Histoire d'Angleterre (Paris, 1937), p. 58 f.

نخلص ما تقدم أن الغرب كان يعيش خلال القرون الأولى من العصر الوسيط في جهالة مطبقة نتيجة الظروف التي مر بها في فترة التثوير والانتقال من القديم إلى الوسيط ، اللهم إلا من فئة قليلة من رجال الدين ترودت بثقافة دينية واضحة ، وتركزت لنا أعمالا ومؤلفات لا يزال معظمها باقياً إلى اليوم. ولهذا انحصر الانتاج الفكري في هذه الفترة المبكرة في أعمال الآباء المسيحيين الأول التي اصطبغت — في معظمها — بصبغة دينية واضحة تتلائم ومقتضيات العصر (١) . أما النهضة العلمية الإيرلندية في أخريات القرن السابع وخلال القرن الثامن ، فقد ارتبطت بأشخاص أمثال بيده والسكوين ، أكثر من ارتباطها بالعصر نفسه ، وإن كانت قد مهدت للنهضة العلمية الكارولنجية في القرن التاسع التي هيأت بدورها الجو لنهضة القرن الثاني عشر المعروفة بالنهضة العلمية الأولى .

= وستحدث في الفصل التالي عن دور الكويين كريس لدوسة العصر إلى أسسها الإمبراطور شارلمان في عاصمة ملكه آكس لا شابيل .

(١) يقول المؤرخ الفرنسي جاك لي جوف إن إنتاج الآباء الأول من مجالات المسيحية كان يمثل شعاعاً وسط ظلام داهس في بدايات العصر الوسيط ، بينما يتبرهم كاتب آخر وهو ك. راند K. Rand ، وسمى الصور الوعظي . أنظر Goff, op cit., p. 165.

الفصل الثاني

النهضة العلمية في عصر شارلمان وخلفائه

— أثر النهضة الكارولنجية في إحياء العلم والتعليم في القرن التاسع .

— اهتمام شارل العظيم بأمور العلم والتعليم :

ا — الكويز ومدرسة البلاط .

ب — المدارس الأخرى التي أسسها الإمبراطور الألماني ونوع الدراسات بها .

ج — استمرار المدارس الدينية في أداء رسالتها في عهده .

— استمرار النهضة العلمية في عهد خلفاء شارلمان . مع ازدياد الاهتمام بالتراث الروماني القديم .

— الفريد السكسوني والنهضة العلمية في عصره وأهم آثارها .

— النهضة الألمانية السكسونية في القرن العاشر ، ومواصلة الاهتمام بشئون العلم والتعليم .

— أشهر علماء العصر :

برونو رئيس أساقفة كولونيا ، الراهب ويدوكند ، الراهبة هرتسويث .

— إيطاليا وليوبهراند السكريموني في القرن العاشر .

— فرنسا في القرن العاشر :

فلودورد الريمي ، ريتشارد الريمي .

إذا كان غرب أوروبا قد عاش — بصفة عامة — في جهالة مطبقة خلال القرون الأولى من العصر الوسيط ، باستثناء فئة قليلة من رجال الدين ، فإن الفضل يرجع إلى الامبراطور شارلمان (٧٦٨ — ٨١٤ م) في إحياء نهضة علمية شاملة اعتباراً من أواخر القرن الثامن الميلادي سميح باسمه ونسبت إليه ، فرفت باسم النهضة الكارولنجية نظراً للجهود الضخمة التي قام بها في هذا السبيل (١) . ويربط الكاتب شاتوبريان Chateaubriand بين هذه النهضة وبين الحركة الجامعية في الغرب ، فيقول إن أولى جامعات العصور الوسطى وهي جامعة باديس إنما ترجع أصولها وجذورها إلى تلك النهضة العلمية التي تنسب إلى شارلمان (٢) .

ولقد ساعد استقرار الأحوال في غالبية بصفة خاصة وفي الغرب بوجه عام ، بعد فترة طويلة من الركود والاضطراب ، على رقي الحضارة والثقافة وظهور هذه النهضة العلمية الكبيرة وإنقاذ الأدب اللاتيني من الهوة السحيقة التي تردى فيها طوال القرون السابقة . وقد تميز عصر شارلمان بميزة خاصة وهي المزج التدريجي البطيء بين التراث الروماني القديم وبين حضارة الجرمان المتبررين لانتاج عذبة جديدة لها طابعها الخاص لا هي رومانية خالصة ولا هي جرمانية خالصة ، ولكنها رومانية جرمانية في ذات الوقت . وكان لشخصه ونفوذه وطموحه وآماله المريضة أكبر الأثر في تدعيم هذه النهضة العلمية المبكرة .

(١) Duroselle, Histoire du Catholicisme, p. 86. وللزبد من المعلومات من النهضة الكارولنجية وخصائصها وأبرز أعلامها ، انظر سيد عاشور ومحمد آيس : النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة (القاهرة ١٩٦٠) ، ص ٤١ وما بعدها ؟ سيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ٤ وما بعدها .

(٢) Chateaubriand, Génie du Christianisme, II, p. 247.

ويقول المؤرخ جون لامونت إن النهضة العلمية الكارولنجية (١) تعتبر من أهم مظاهر عصر شارلمان . فقد قامت بفضل رعايته وتشجيعه ، ولم تنحصر في عاصمة ملكه أكس لاشابل فحسب ، وإنما امتدت لتشمل كذلك باقى أجزاء دولته الواسعة المترامية الأطراف . ويستطرد قائلا إن بلاد الفرنجة وقتذاك كانت ، فيما يتعلق بأمور العلم والتعليم والثقافة السامية ، أقل بكثير في مستواها عن إيطاليا أو بريطانيا . ولذلك قرر شارلمان النهوض بغالة ، وسمى جهاداً على أن تبنى جيранها في القارة الأوروبية قدر الاستطاعة . لذلك وجه عناية خاصة إلى الحركة العلمية ، وعمل على إحياء الدراسات الأدبية بالرغم من أنه لم يكن عالماً أو متعلماً بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة . واهتم هو شخصياً بجمع الكتب القديمة التي ظلت باقية والتي لم تعد عليها عواذى الزمن من مؤلفات اللاتين القدامى في إيطاليا وغيرها من دول الغرب . وحتى يحصل من هذه النهضة حقيقة واقعة ، استدعى إلى عاصمته كثيرًا من علماء عصره من الأدباء والفلاسفة واللاهوتيين والمفكرين . ومن بين هؤلاء فيودولف الأسباني Theodulphus أرقى شعراء ذلك العصر ، وبطرس

(١) يقول برنتون إن الجهود التي بذلها شارلمان في سبيل إحياء العلم والتعليم في عصره والتي يطلق عليها اسم « النهضة الكارولنجية » لم تكن في الحقيقة مولداً جديداً ، وإنما كانت مرحلة من مراحل التقدم البطيء المستمر في سبيل إقامة ثقافة بسيطة متوسطة الشأن ابتداء من أسفل السلم في القرن السابع حتى ذروة القمة في القرن الثالث عشر . بمعنى أنها كانت مرحلة من مراحل مجهودات طويلة هضمت لفترة الواقعة فيما بين القرنين السابع والثالث عشر . أنظر من ذلك Brinton & Others, A History of Civilization, I, p.204. وللزيد من المعلومات عن النهضة العلمية الكارولنجية ودور شارلمان فيها : أنظر دوسن : تكوين أوروبا (الترجمة العربية) ص ٢٧٤ وما بعدها : Calmette, J., Le Monde Féodal (Paris, 1987), pp.111-112. وحول واقع النهضة الكارولنجية وعيوبها ، أنظر ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص ١٦٥-١٦٦ .

البيزوى Peter of Pisa المتخصص في النحو وقواعد اللغة اللاتينية ، والمؤرخ بولس الشباس Paul the deacon الذى وجد أن حراسة الشمال الأوربى أكثر من أن يتحملها فذهب ليستقر في مونت كاسينو. وعن جلهم أيضا بولينوس أوف اكويليا Paulinus of Aquileia ، وهو يعتبر ثمرة نتاج الحضارة الإيطالية المباردية (١) .

استمدى شارلمان هؤلاء وغيرهم من العلماء من مختلف أنحاء القارة الأوروبية، وبخاصة من إنجلترا وإيطاليا وأسبانيا ، للاشتغال بأمور العلم والتعليم في مدرسة البلاط المشهورة التى أسسها بمدينة أكس لاشابل لتعليم أبنائه وأبناء كبار رجال حاشيته (٢) . وعهد بإدارة هذه المدرسة إلى الكوئين الذى بحث في طلبه من

(١) حول هذه التخصصات ، أنظر Ker, The Dark Ages, pp. 122, 124, 158 ff., 168-171, 218 ; Kitchin, A History of France, I, p. 122 ; Painter, A History of The Middle Ages, p. 81 ; LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 243 ; Calmette, Le Monde Féodal, p. 112. أنظر أيضا ديفز : دارلاند (الترجمة العربية) ص ١٤٧-١٤٨ .

(٢) يتناول كير في مؤلفه « الصور الخفية » الكوئين ونتاجه بالدراسة والتحليل. يقول إن مؤلفاته التى وضعها لا ترقى بحال إلى مرتبة شهرته كعلم، وإنه لم يكن يتمتع بالفكر القوى المستقل الذى كان يتمتع به بيده من قبله. كما أنه لم يتناول أى موضوع من رغبة صادقة أو لولها بما للشعوب العلمى. ويستمر كير في نقله قائلان جميع أنكاره وآرائه تكاد أن تكون سطحية غير متعمقة ، وإنه في أشعاره متأثر إلى حد بعيد بالشاعر فورتوناتوس. وقد حالج في أهماده النواحي التاريخية ، نذكر من بينها « تاريخ حياة القديس ويلبرود » Life of St. Willibrod ، و « تاريخ يورك » History of York ويغفّر كير تقييمه قائل إن الكوئين يشبه الشاعر فورتوناتوس في أن لسانه التاريخية تقل في قيمتها وأهميتها عن رسائله وحكمه التى ضمنها في مقاطع شعرية موجزة، وهى تلقى ضوءاً على تاريخ حياة الشاعر =

يورك بالبحر، والذي كان يمثل — بحق — الثقافة التي كانت تفسح من أديرة نورمبريا التي احتفظت بمستوى تقافي يفوق بكثير المستوى الذي بلغه الشمال الأوروبي وقتذاك^(١). ولقد خدمت هذه الفئة المختارة التي جلبها شارل العظيم من دول الغرب، إلى جانب مهامها التعليمية، باعتبارها سفراء ملكيين من قبل الإمبراطور الألماني. فمين ثيودولف، مثلا، أسقفا على أورليانز وكان موضع ثقته وتقديره^(٢). وكان السكوين بمثابة كاتب الإنشاء لشارلمان، فقد دون له العديد من المكاتبات الموجهة إلى المسؤولين في أوروبا من أمثال البابا ليو الثالث (٧٩٥ — ٨١٦ م) والإمبراطور البيزنطي ميخائيل الأول (٨١١ — ٨١٣ م)، والتي حفظها لنا الزمن من الضياع^(٣).

وبالرغم من أن شارلمان كان متقدما في السن وقتذاك، وبالرغم من كثرة أعماله ومشاغفه وحروبه التي كانت تلتهم معظم وقته، وبالرغم من أنه لم يكن عالما أو متعلما بالمعنى المفهوم — بالرغم من كل هذا فقد كان رجلا مستثيرا، ولم يجد

== نفسه وصوره . وتعتبر قصيدته من الفناء والريم من أبرز النماذج التي وضعا . أنظر Ker, op. cit., pp. 151-152.

Seignobos, Ch., *Histoire Sincere de la Nation Française* (١)
(Paris, 1938), p. 82 f.

LaMonte, op. cit., pp. 160, 242 f. ; cf. also Cantor, The (٧)
Medieval World, p. 185 ff. ; Chateaubriand, op. cit., p. 247 ;
Duroselle, op. cit., p. 41 ; Coulton, *Medieval Panorama*, p. 393 ;
Kitchin, op. cit., I, p. 122 f.

(٣) أنظر نماذج من خطابات السكوين في كتاب كاتور, Cantor, op. cit.,
p. 145 ff.

خاضعة في أن يجلس إلى جانب صبيان القصر الإمبراطورى في هذا المعهد الأول من نوعه في تاريخ المجتمع العربى الوسيط ليستفيد من نور العلم والمعرفة . وكان يناقش الاساتذة ويناقضونه مناقضة هلبية ، كما كان يتلقن العلم على أيديهم مع أبنائه وأبناء حاشيته . وقد أمر شارلمان بانتقال هذه المدرسة معه أينما ذهب وحيثما حل ، حتى وهو في حملاته الحربية ، فكانت بمثابة مركز علمى متنقل من نوع فريد^(١) .

لقد كانت هذه المدرسة هى المدرسة التى تتدرب فيها أفرد اساتذة الجليل التالى لجيل شارلمان . وكان الامبراطور الألمانى يسم — كما رأينا — بنصيب فيها عندما كانت الظروف تسمح له بذلك ، فيدعو الجميع إلى المشاركة على الدرس والتحصيل ، ويحث الكسالى على العمل والمذاكرة . وكان فى بعض الأحيان يشاؤك فى حوار روحى مع رئيس المدرسة . وما يؤسف له أنه ليست لدينا معلومات مؤكدة تتعلق بالنظام الذى كان متبعاً فيها . وهى — على أية حال — لم تكن من خلق شارلمان تماماً ، إذ وجدت منذ أيام شارل مارتل . ولكنها كانت وقتها محددة الأهداف والغايات ، كما كان الالتحاق بها أيضاً محدوداً ، وكان فرضها الأساسى هو تدريب الأمراء الملكيين وأبناء النبلاء والاشراف على أعمال الفروسية فحسب . أما أهداف شارلمان فقد كانت أبعد من ذلك بكثير ، إذ حرص على أن يسود الفزىن والتدريب الذهنى فوق أى شىء آخر . ومن هنا أخذت هذا الطابع العلمى الذى اشتهرت به فى عهده . وقد اتخذ قراراً بعدم تحديد الانساب إليها بدائرة البلاط فقط . وكانت أعمار التلاميذ متفاوتة ، فمنهم العسبة

(١) كرامب وجاكوب : مراثى الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٤٠١ ؛
دوسن : تسكون أوروبا (الترجمة العربية) ، ص ٢٧٦ — ٢٧٨ ؛ ديفز : شارلمان
(الترجمة العربية) ، ص ١٥١ و ١٥٤ — ١٥٥ .

الصغار ومنهم أيضا البالغون . ويبدو أن الكوين وغيره من الأساتذة ، الدائمين منهم والمؤقتين ، مثل بطرس البيزوى ، لم يستطيعوا تحمل نظام المدرسة الصارم الذى كان مفروضا على الدارسين . أما بالنسبة للطرق التعليمية ، فإن الطريقة المثلثى التى اتبعت هى تلك التى ضمنها الكوين فى كتاباته . فكانت كلها على شكل حوار ، فيها صدا مقائله التى كتبها فى موضوع « النطق السليم » . وأما المعلومات التى يرودها بها فهى معلومات أولية مأخوذة من مؤلفات عدد من الكتاب فى عصور سابقة من أمثال دوناتيوس Donatus وإيزيدور Isidore وفوكاس Phocas . وقد كتب هؤلاء بأسلوب صحيح خال من الأخطاء اللغوية . وكانت الدراسات التى تدور حول الفضائل والذائل مقتبسة عن إيزيدور وجريجورى وكاسيان. (١)

لم تقتصر النهضة العلمية الكارولنجية على مدرسة البلاط وعلى فئة قليلة مختارة من المدرسين والدارسين بها ، بل وجة شارلمان عناية خاصة إلى التعليم والمدارس والمكتبات بصفة عامة ، وعمل جامعا على إحياء الدراسات الدينية والأدبية والفلسفية والتاريخية فى كل مكان فى دولته . لذلك نراه يعمم المدارس فى الأديرة والكاتدرائيات والأسقفيات ، (٢) وفيها تعلم الأحداث مبادئ الحساب وقراءة اللاتينية وكتابتها ، فضلا عن الموسيقى والترايم الدينية . وإلى جانبها وجدت

Laistner, M.L.W., *Thought and Letters in Western Europe* (London, 1957), p. 207 ; Ker, op. cit., p. 188 f. ; Painter, op. cit., 81.

أنظر أيضا ديفز : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

Duroselle, op. cit., p. 41 ; Kitchin, op. cit., I, p. 149 ; (٣)
Painter, op. cit., pp. 81, 467 ; Calmette, *Le Monde Féodal*, p. 112.

مدارس عليا أهم فيها الراغبون من رجال التعليم تعليمهم. وكان شارلمان يستهدف من وراء ذلك رفع المستوى العلمى لرجال الدين من ناحية ، وتوفير طبقة من المثقفين لإدارة شئون البلاد بعد أن انصفت رقعة دولته من ناحية أخرى . ولبس اهتمام شارلمان الزائد بالإديرة وغيرها من المؤسسات الدينية من الناحية العلمية ، وعمله على رفع المستوى الثقافى لفرهبان الذين أخذوا يهتمون أصول العلم والتعليم . لبس ذلك كله من الخطابات التى يست بها إلى عدد من رؤساء الإديرة والوعاظ وغيرهم من رجال الدين يستحثهم فيها على التزود بالثقافة الأدبية ومواصلة العلم والتعليم إلى جانب الاهتمام بالشئون الدينية والأموال الروحية . وقد نص فى هذه الخطابات على الاحتناء بالنطق السليم والكتابة الصحيحة الخالية من الأخطاء . كذلك دعا إلى تدريس الفنون الحرة بجميع الكنائس ، والعمل على تنقية الكتب المقدسة من الشوائب العالقة بها . وطالب بالإكثار من إلقاء المدارس التابعة للمؤسسات الدينية ، وأن تفتح تلك المدارس أبوابها لكل راغب فى تلقى العلم بدون استثناء ، لافرق فى ذلك بين غنى وفقير أو عبد وحريل (١) .

كذلك أصدر شارلمان عدة قوانين كنسية تقضى بضرورة وجود مدرس أجرومية فى كل كاتدرائية ووجود أستاذ فى علم اللاهوت فى كل كاتدرائية أسقفية ، بهدف تعليم الشباب فى مختلف أرجاء دولته . ولا يرمى عدم تقدم تلك المدارس تقدما ملموسا إلى أخطاء وقع فيها هذا المشرع الكارولنجى العظيم الذى لم يعرف قط كيف يكتب اسمه وإن كان قد أولى العلم والتعليم عناية واهتماما زائدين ، وإنما

(١) Cantor, op. cit., p. 183 ff. أنظر سعيد ماهر : أوروبا الصوره

الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٢٧-١٢٨ ؛ أنظر أيضا الملحقين الأول والثاني بآخر القسم الأول من هذا المجلد .

يمزى إلى أسباب أخرى عديدة متفاوتة التأثير (١) .

وتبدو ثمار أعمال شارلمان وتاج هذا الجيل من العلماء الذين استندعاهم الإمبراطور الألماني من إنجلترا والغرب في الجيل التالي لعصره . فهي تبدو في شخص رجل مثل اينهارد Einhard مؤرخ حياة شارلمان ، وفي شخص كل من سماراجدوس Smaragdus ، وهرابانوس ماوروس Hrabanus Maurus مقدم دير فولدا ، وغيرهم من العلماء والمعلمين الذين نقلوا النهضة العلمية الكارولنجية إلى بلادهم في الغرب . (٢) وأصبحت غالبية جيل أحفاد شارلمان وأحفاد أحفاده هي مركز النشاط العلمي والثقافي في الغرب الأوروبي . فقد كان قادة الغرب في الناحية العلمية هم جون سكوتوس اريوجينا John Scotus Eriugena ، ولوبوس أوف فريير Lupus of Ferrieres ، وأجوبارد الليوني Agobard of Lyons (ت ٨٤٠ م) ، وسدوليوس سكوتوس Sedulius Scottus ، وهنكار الريمي (٣) Hinemar of Rheims .

LaMonte, op. cit., p. 160.

(١)

Ker, op. cit., pp. 189, 160, 171-174, 217, 248 ; Grump (٧) & Jacob, Legacy of the Middle Ages, p. 474 ; Painter, op. cit., pp 76, 80, 444 ; LaMonte, op. cit., p. 244 ; Calmette, Le Monde Féodal, p. 112. — أنظر أيضا دوسن : تكوين أوروبا (الترجمة العربية) ، ص ٧٨١ ؛ فيف : شارلمان (الترجمة العربية) ، ص ١٥٨ . هذا ، وتوجد مخططات من كتاب اينهارد من حياة شارلمان في مؤلف كاتوزر عن العصور الوسطى. Cantor, op. cit., pp. 134-145.

LaMonte, op. cit., pp. 160, 248, f., 733 ; Ker, op. (٣) cit., pp. 160-162, 216 ; Duroselle, op. cit., p. 42 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 106, 107 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 188, 229 ff., 281, 476, 511 ; Kitchen, op. cit., I, 166 ff. ; =

وجدير بالذكر أنه على الرغم مما نعرفه عن النهضة العلمية في عصر شارلمان وخلفائه ، فإنه تنقصنا المعلومات الدقيقة التفصيلية عن كيفية الممارسة العلمية وقتذاك (١) . وكيفما كان الأمر ، فقد كان للمدارس الكارولنجية أثرها الواضح في تطور الحياة الفكرية في الغرب الأوروبي ، وفي إحياء اللغة اللاتينية في الحقبة الوسيطة من التاريخ الوسيط . بعد قرون طويلة توقفت فيها الحياة الفكرية عن الحركة بعد أن أصابها شلل وتقي نتيجة ظروف معينة .

وما يذكر أنه بينما أرسل شارلمان إلى انجلترا في طلب الكوين للنشر العلم في غالا في أوائل القرن التاسع ، أرسل الفريد ملك سيبكس الأنجلو سكسوني (٨٧١ - ٨٩٩ م) من مقاطعة سيبكس الإنجليزية في نهاية ذلك القرن في طلب

Calmette, J., *Le Moyen Age* (Paris, 1948), pp. 102, 113 ; —
Idem, *Le Monde Féodal*, p. 112.

أنظر أيضا دوسن : تكوين أوروبا (الترجمة العربية) ، ص ٢٧٦ و ٢٨٢ و ٣٧٣ و ٣٢٥ وما بعدها ؛ بدوى : فلسفة العصور الوسطى ص ٤٦ - ٦٠ .

هذا ، ويرى ديروزيل (هي المرجع والصحة) أن القرن التاسع ، وليس شارلمان ، هو الذي حمى بأزمعارة في التاجيتين الفكرية والعلمية . بمعنى أنه لا ينسب هذه النهضة إلى شارلمان نفسه ، وإنما إلى عصر شارلمان . وأما المؤرخ جاك لي جوف فيعتبر النهضة الكارولنجية مرحلة من مراحل التكوين العلمي في المجتمع الغربي الوسيط . ويزيد الأمر وضوحاً لبقول أنها في الواقع مجموعة من النهضة الصغيرة السابقة لعصر شارلمان ، وقد أخذت شكل نهضة هامة في عهد هوف في عهد خلفائه من بعده . أنظر . Goff, op. cit., p. 166 ff. . ويحدد هنري بيرين طابع هذه النهضة وماهيتها قائلا إن الإمبراطورية الكارولنجية تتميز بخصيبتها الزراعية واقتصادها الطبيعي وحضارتها الريعية في وقت كان النظام الاقتصادي السائد في الغرب هو النظام الاقطاعي . أنظر . Pirenne, *Medieval Cities*, p. 28.

Laistner, op. cit., p. 207.

العلماء والأدباء والمفكرين من ألمانيا وفرنسا ليستعين بهم على تثقيف نفسه وشعبه في الجزيرة البريطانية. وكان من بين هؤلاء الأسقف آسر الغالي Asser the Welshman (ت حوالي ٩٠٨ م) الذي عاش في القصر الملكي. وهكذا نجح الفريد في تكوين طبقة من المثقفين عملت على نشر العلم والمعرفة في أنحاء الجزيرة البريطانية. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن النهضة العلمية التي شهدتها غالة في أوائل القرن التاسع قد قامت أساساً على أكتاف عدد من العلماء الإنجليز، في حين أن النهضة الثقافية التي تم إحيائها في إنجلترا في أخريات ذلك القرن قامت بدورها بفضل عدد من الأساتذة الغالين^(١).

هكذا ارتبطت النهضة العلمية الكارولنجية في بواكير القرن التاسع بشخص شارل العظيم نفسه، بينما ارتبطت نهضة أخريات ذلك القرن بشخص الفريد السكسوني ولا تغالي إذا قلنا إنه لو لم يظهر كل من شارلمان والفريد في ذلك الوقت المبكر لكان من الجائر ألا تقوم تلك النهضة المتصلة بإحياء العلم والتعليم بعد عصور طويلة من الجهل والفوضى والظلام^(٢).

ويعلق الكاتبان البرت مالهيه Albert Malet وجيل ايراك Jules Isaac على النهضة الكارولنجية قائلين إنه كانت تعوزها صفات الجمال والحرية والجرأة التي اتسمت بها الحركة الإنسانية في عصر النهضة الأوروبية المعروفة، إذ كانت

(١) LaMonte, op. cit., loc. cit. ; Ker, op. cit., pp. 177 f., 308 ff. ; Browne, R.A., British Latin Selections (Oxford, 1954), p. 26 f. — أنظر أيضاً راوس (أ. ل.) : التاريخ الإنجليزي — نقله إلى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٤٦ م) ص ٣٠.
(٢) Cantor, op. cit., p. 184. — أنظر أيضاً، ما سبق، ص ٦٠ ج ١ من هذا الكتاب.

نهضة شارلمان العلمية مجرد حركة للإحياء أكثر منها تجديدنا وخلفنا وإبداعا وإبتكارا، وكان هدفها المحافظة على التراث اللاتيني القديم الذى كان قد حفا عليه الزمن . ويستطرد الكاتبان فى توضيح وجهة نظرهما قائلين إنه من وجهة نظر شارلمان وعقليته المتدبنة لا ينبغي أن يبدو العلم خدمة الدين والعمل على تحقيق أهدافه . ولذلك فهو لم يطلب من العلماء الذين اجتذبهم إلى بلاطه من الغرب أن يكتشفوا حقائق جديدة تستهدف تنوير العقل الإنسانى ، وإنما كانت رسالة أهل العلم - فى نظره - تنحصر فى نسخ الكتب المقدسة نسخا واضحا ، وف أن تكون الكتابة سهلة القراءة والفهم ليتسنى دراستها والتأمل فيها . ولا جناح إذا اقتضى الأمر توضيح بعض نصوصها بشروح وتفسيرات من عندهم لتقريبها إلى أذهان التلاميذ . وعلى هذا فن الواضح أن الابتكار والخلق ليسا من سمات ذلك العصر ، لاسيما إذا عرفنا أنه لم تكن توجد وقتذاك فكرة واضحة عن العلم بالمعنى الحديث . ومن الواضح أيضا أن ذلك العصر لم يكن يحكم الضرورة والظروف فى حاجة إلى الابتكار والمبتكرين ، بل كان بحاجة إلى الرجال القادرين على استعادة ما فقد من علم وتراث قديمين والعمل على استيعابها وإحيائها وصيانتها أملا فى بناء مجتمعات مستتير وسط ظلام شامل . ويختتم مالىه وإيراك تقييمهما لنهضة شارلمان العلمية قائلين إنه لولا مصاييح العلم والأدب إلى أعضاء عددا من بلدان الغرب بقى من نور وقتذاك ، لما استطاع شارلمان أن يحقق شيئا يذكر من ذلك الهدف الذى كان يسعى جاهدا إلى تحقيقه . (١)

وفى هذا شيء من الحقيقة . ومع ذلك يجب ألا ننسى باللائمة على شارلمان

Malet, A. & Isaac, J., *Le Moyen - Age* (Paris, 1926). (١)
p. 152 ff.

لأن نهضته لم تزل ثمارها في حينها بالخلق والإبداع . وليس لنا أن ننظر من شارلمان وحصره أو حتى من خلفائه خلقا وإبداعا . فقد كان الغرب يستمد لينفض عن كامله غبار قرون طويلة مضت بالعودة إلى القديم لاستيعابه والإفادة منه حتى يكون أساسا متينا لاطلاقه فكرية مبدعة ، هي التي شهدها فيما بعد . وعلى هذا فقد كانت تلك النهضة المبكرة لبنة من البنيات الأولى التي هبأت الحجر للاطلاقة الفكرية في الغرب في القرن الثاني عشر . وكان من الطبيعي أن تقوم النهضة الكارولنجية على الاستيعاب والنقل والتقليد والمحاكاة لتمقيسها مرحلة التجديد والابتكار .

هذا ، وعند التعرض للنهضة العلمية الكارولنجية ، نجد أن التاريخ قد احتل فيها مكانة مرموقة . إذ امتدت حركة التدوين التاريخي وتقدم فن الكتابة التاريخية . فكتب بولس المباردي ^(١) Peter Lombard « تاريخ المباردين » ، كما وضع اينهارد باللاتينية مؤلفه عن تاريخ حياة شارلمان Vita Karoli ، وهو يعتبر المصدر الأدبي الأساسي في هذا العدد . والميب الوحيد فيه أن مؤلفه تقيد بمنهج المؤرخ الروماني سوتونيوس ^(٢) Suetonius (٦٩ - ١٤١ م) . ووضع كاتب آخر يسمى أدلهارد ^(٣) Adelhard مؤلفاً باللاتينية عنوانه « النظام في البلاط

Conlton, Medieval Panorama, pp. 414, 421, 451, 688, (١)
683, 70 ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 57, 279, 345 ; Painter,
op. cit., pp. 138, 263 f., 302 f., 474.

Goulton, Medieval Panorama, p. 488 n. ; Grump & (٢)
Jacob, op. cit., p. 201 ; LaMonte, op. cit., pp. 5, 243, 558.

Kitchin, op. cit., I, p. 164. راجع أيضا درس : تسكوين أوروبا (٣)

الإمبراطورى ، De ordine palati ، قد ولم يصلنا . ولكن من حسن الحظ أن أحد رؤساء أساقفة ريمز فى القرن التاسع ، ويدعى هنكار الرمى احتفظ بالمادة الأساسية للكتاب المفقود فى رسالة لاتزال باقية إلى اليوم . ولم تهمل أيضا سير القديسين والآباء الأول فى ذلك العصر . فضلا عن الكتب التاريخية التى تناولت أغوار الحروب ، مثل الكتاب الذى وضعه نيثارد (١) فى القرن التاسع تحت اسم « تاريخ الحروب الأهلية » .

وظهر فى ذلك الحين نوع جديد من التدوين التاريخى ، ونعنى به نظام الحوليات Annals الذى ظل قائما حتى نهاية العصر الوسيط . ولم تكن تلك الحوليات تتضمن مجرد وقائع وأحداث فحسب ، وإنما تضمنت سردا لأهم أحداث السنوات المتعاقبة ، كل سنة على حدة . ونعرف أن هذا النوع من الكتابة التاريخية ظهر لأول مرة فى نورثمبرلاند Northumburland بإنجلترا عندما كانت الأديرة تقوم بتدوين الحوادث أولا بأول ، ويحتمل أن يكون الكوين هو الذى نقل تلك الطريقة فى التدوين التاريخى إلى غالة ، وإن كانت ليس هناك أدلة ثابتة تقطع بذلك . وعندما أدرك شارلمان أهميتها ، أمر الأديرة التى تدخل فى نطاق إمبراطوريته باتباعها عند تسجيل الأحداث . وكان لهذه الحوليات الأديرية شأنها فى تدوين كثير من الأحداث والوقائع التاريخية الهامة ، التى كان من الجائز ألا تصلنا لولا

(١) حول نيثارد ، أنظر كتاب كير . Ker, op. cit., pp. 174, 348. ويقول لامونت إن النهضة السكارولنجية تركت أثرها الهام على كتابة التاريخ . بالإضافة إلى تولى ريمز بولس العباس وإيهارد ، أنتجت مدرسة القصر فى أكس لاغابل المؤرخ نيثارد ، وهو حفيد فقير شرعى للإمبراطور شارلمان ، وهو أيضا الذى دون تاريخ عصر لويس الثمى والحروب الأهلية التى انتهت بين أبنائه . أنظر عن ذلك كتاب جون لامونت :

LaMonte, op. cit., p. 243.

محافظة تلك الأديرة عليها . وإلى جانب تلك الحواريات الديرية ، وجد نوح آخر هو الحواريات الملكية التي تناولت تاريخ الكارولنجيين ، وكانت تدون تحت إشراف رجال البلاط (١) .

ومكثا امتد تأثير النهضة الكارولنجية الجديدة إلى شتى نواحي العلم والمعرفة ، ويشمل أيضا حركة تحسين الخطوط . إذ أن الخط اللاتيني الذي كان قد أصابه الفساد الذي أصاب اللغة نفسها هقب غزوات البرابرة ، قد تطور في هذا العصر تطورا واضحا . وإن ماوصلت إليه الحضارة الكارولنجية في العلوم والآداب يعتبر في الواقع خطوة أولى إلى الأمام وفي سبيل التقدم بعد قرون طويلة من الظلام والفوضى والخلول منذ سقوط الدولة الرومانية القديمة وانهارت الحضارة الرومانية وانهارت التراث الكلاسيكي .

هذا عن فن التدوين التاريخي وحركة تحسين الخطوط في العصر الكارولنجي . وإذا انتقلنا إلى الشعر نجد أنه قد فاق النثر كما لا يخفى . ذلك أن الاتجاه السائد كان يميل إلى استخدام الشعر في مختلف شئون الحياة . ولذلك كان معظم الأدباء والمعلمين أمثال بولس الشماس والكويون ويودولف من يقرضون الشعر . ومن مآثر ذلك العصر أنه خلف عددا كبيرا من القطع الشعرية من أغاني المآثر (٢)

(١) حول فن التدوين التاريخي في ذلك العصر من حيث كتابة سبع الفديسين والحادثة والحكم ، إلى جانب الحواريات الديرية والملكية ، أنظر : Painter, op. cit., p. 448 .
LaMonte, op. cit., p. 248 f. راجع أيضا سعيد ماعورة : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٢٤-٢٣٥ .

(٢) Crump & Jacob, op. cit., p. 151 ; Baldwin, Medieval , p. 106 , 108 ; Bloch, Feudal Society, I, pp. 71 ; Calmette, J., Le Moyen Age, p. 631. أنظر أيضا سعيد ماعورة : قمر المراجع والمجزء ، ص ٢٣٥ .

المعروفة باسم *Chansons de Geste* ، وهي قصائد تتناول سير البطولة ، وقد كتبت من عشرة مقاطع ، وكان الشعراء وطلاب العلم المتجولين الذين عرفوا باسم *Trouvères* أو *جوتجلير* ، *Jongleurs* ، ينشدونها داخل القلاع وفي الأماكن العامة . وتنقسم هذه الأغاني إلى ثلاث مجموعات من القطع الشعرية تدور حول الشخصيات التاريخية . والمجموعة الأولى تتناول أعمال شارلمان وأهم الأحداث التي تمت في عصره ، ومن أهمها أغنية *سج شارلمان* ، *Chanson de Roland* و *Pelerinage de Charlemagne* (١) . أما المجموعة الثانية لتتناول عصر جويوم دوانج *Guillaume d'Orange* ، أما المجموعة الثالثة والأخيرة فتدور حول عصر رينوه دي منتوبان *Renaud de Montauban* .

وإن امتازت هذه الملاحم بشئ ، فإنما تمتاز بأهميتها الفارقة لكل من المؤرخ والاديب والفنوى . فقد انعكست فيها صورة حية للمجتمع الغربي الإقطاعي ، كما أنها تلقى الاضواء على فارس العصور الوسطى ووسائل الحرب والتسلية التي كان يقضى فيها أوقات فراغه ، وكذلك الحياة الدينية والفكرية وقتذاك ، فضلا عن النواحي الإدارية والعسكرية . وكان شارلمان هو الشخصية الرئيسية التي اتخذتها تلك الملاحم موضوعا لها . لقد احتل مكانة بارزة في أغاني المسامر التي كتبت

(١) للزيد من التفاصيل من كل من الأغنية والأنشودة ، أنظر جوزيف نيم يوسف : *المطلع الشعري في قيام الحركة الصليبية* — مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية — العدد ١٦ (العدد ١٦٦٣/٦٢) — الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ١٨٥ — ١٨٨ والخواشي : *جوزيف نيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى* — ط . ثانية — الاسكندرية ١٩٦٧ — ص ٥١ و ٥٢ والخواشي . أنظر أيضا ديفيز : *شارلمان (الترجمة العربية)* ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

بالفة الوطنية بدلا من لاثينية المصور الوسطى ، وقد ذاعت ذيوها كبيرا فيما بعد في عصر التوسع الصليبي ضد العالم العربي لما كانت تحض عليه من الاستقبال في القتال حتى الموت . وتعتبر أفسودة رولان — بلا شك — من أهم الملاحم الشعرية التي عرفها العصر الوسيط ، وتدور حوادثها الأصلية في عصر شارلمان نفسه . إذ تنفي مؤلفها المجهول الاسم بطول شارلمان ورجاله وعلى رأسهم رولان في حروبهم ضد العرب في اسبانيا في كثير من المبالغة والتحويل . ولكنها تحولت زمن الحروب الصليبية إلى أسطورة شعبية لعب فيها الخيال دورا كبيرا ، بحيث أصبح هدفها إثارة روح الحرب والقتال لدى أهل الغرب اللاتيني وإيقاظ النعرة الدينية بينهم للاشتراك في تلك الحروب التي تعرض لها العالم العربي . وما يقال عن أفسودة رولان يقال أيضا عن قصيدة حج شارلمان إلى الأراضي المقدسة وخصرها من الأغاني والأناشيد التي كان هدفها حث الناس في الغرب على الاشتراك في الحروب الصليبية أو تشجيعهم على زيارة الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين وروما . ويبدو أن جانباً كبيراً من هذا التراث كتبه رجال الدين أنفسهم ، واستغلت الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية كنوع من أنواع الدعاية الدينية في ذلك الزمن السحيق الذي كانت فيه العقيدة تسبق العقل والإيمان يتقدم على الفكر ، والذي كان فيه لكنيسة روما سطوعاً وهيبتها وقد سبقتها . وقد اتخذت هذه الأشعار شكل ملاحم ضائية الأمر الذي ساعد على سرعة انتشارها وشيوعها بين الناس^(١) .

(١) تعتبر طبعة جوزيف بدييه من أفضل طبعات أفسودة رولان ، فهي تتضمن الأصل الفرنسي القديم عن نسخة أكسفورد المطبوعة ونباتات الترجمة الفرنسية الحديثة . مع التقدمة لها . أنظر Bédier, J., *La Chanson de Roland* (Paris, 1937), pp. I—XIV ; cf. also Vodoz, J., *Roland* (Paris, 1920), pp. 9—61 ; Pernot, M., *La Chanson de Roland* (Paris, 1950), pp. 3—

وإن نظرة فاحصة على الشعر الكارولنجى تبين أنه كان ينلب عليه الطابع
الدينى لأن معظم ناظميه كانوا من رجال الكنيسة ، فضلا عن أن معظم شعراء ذلك
العصر استوحوا قصائدهم من شعراء المسيحية الأسبقين أمثال بروديتيوس
وفورتوناتوس .

وعلى أية حال ، فن أبرز شعراء العصر الكارولنجى شاعران هما الراهب
والافريد سترابو (٨٠٩ — ٨٤٩ م) الذى عاش فى النصف
الأول من القرن التاسع ، والراهب الايرلندى سيدوليوس سكوتوس
(٨٤٨ — ٨٧٤ م) .

كان والافريد راهبا فى دير ريخناو Reichenau ، وقد واصل منهاج الكوين
الملى ، كما تشبه به فى قصائده التاريخية وغيرها . وله كذلك أشعار تدور حول
الحكمة ، وقصائد غنائية ورسائل دينية . وتعتبر قصيدته المسماة « هورتولوس »
Hortulus ، أفضل إنتاجه على الإطلاق ، وهى تتألف من سلسلة من المقاطع
الشعرية السداسية الوزن يصف فيها نباتات حديقة ديره .^(١)

أما سيدوليوس سكوتوس فهو الشاعر اللاتينى الرئيسى فى أواسط القرن
التاسع . وهو عالم ايرلندى متجول استقر به المظاف آخر الأمر بمدينة ليج

18 ; Paris G., *Mediaeval French Literature* (London, 1908), pp. =
32, 88 ff. ; Grump & Jacob, op. cit., pp. 63, 183, 198 ;
Calmette, op. cit., pp. 92, 168 ; Cordier, A., *La Chanson de*
Roland (Paris, 1935), pp. 5—16 ; Perier, A., *La Chanson de*
Roland (Paris, N. D.), pp. 2—9.

Ker, op. cit., p. 159 f. ; Grump & Jacob, op. cit., p. 42. (١)

انظر أيضا دوسن : « تكوين أوديا » (الترجمة العربية) ، ص ٢٨١ .

بفرنسا وقد ألّف مجموعة من الأغاني امتازت بدقة نظمها . ولم ينس موطنه الأصل وانتصارات الايرلنديين على للشالين التي قام بتسجيلها في عدد من قصائده . ولعل أهم ما قام به هو صياغة بعض الاجزاء من الكتاب المقدس في قالب شعري^(١) .

وعلى الرغم من وفرة الشعر الكارولنجي في النواحي الدينية والديوية على السواء ، فإن أهم ما يؤخذ عليه أنه لم يتعرض للحياة العامة وحياة الشعب وآلامه وعقائده . ويرجع السبب في ذلك إلى الأساس الاقتصادي والشكل الاجتماعي والسياسي للغرب الأوروبي وقتذاك . فقد كان الإقطاع هو النظام السائد هناك ، وهو عبارة عن علاقة بين سيد ومسود قوامها الأرض وما تفره من خيرات ، واقتصاده اقتصادا طبيعيا يرتبط بالأرض ، وخصارته خصارة زراعية قروية بحتة . وعلى أساسه انقسم المجتمع أقفا إلى طبقات تنسج تدريجيا كلها نزلنا إلى أسفل ، في أعلى القمة مجموعة من السادة الاشراف ينعمون بنبلاء القرب ، وفي القاعدة غالبية ساحقة من المبيد والافنان والفلاحين على مختلف فئاتهم ومستوياتهم يكسحون في الأرض .^(٢) وفي ظل هذا المجتمع الذي كانت فيه السلطة القوي صاحب الأرض ومن عليها ، كان الإنتاج الأدبي ، والشعر بخاصة ، يدور حول تمجيد السادة الإقطاعيين من رجال الدنيا والدين على السواء ، أو حول للوضوعات

(١) Ker, op. cit., pp. 160, 216. أنظر أيضا سيد هاور : أوروبا

الصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .

(٢) المزيد من التفاصيل ، أنظر هارتمان (د م) وباركلاف (ج) : الدولة والإمبراطورية في الصور الوسطى - ترجمة وتقديم الدكتور جوزيف نسيم يوسف - ط ٠
ثانية (الاسكندرية ١٩٧٠) ، ص ١٠٧ = ١٢٢ .

الدينية بسبب ارتباط الغرب بالكنيسة اللاتينية وتعاليمها ، تلك الكنيسة التي سيطرت على مقدراته وحياته وأفكاره . ولهذا السبب لم يحظ عامة الشعب من هذا الإنتاج الشعري إلا بنصيب ضئيل جداً يكاد لا يذكر . ولهذا السبب أيضاً عاش غالبية الناس في فقر مدقع وجهالة مطبقة . وغير خاف أنه كان الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي سادت الغرب أثرها في ذلك . ولعل هذا يكشف عن التناقض المصيب والحوة الشاسعة بين المثل والواقع للمبوس وبين النظرية والتطبيق في كل ناحية من نواحي الحياة في مجتمع المصور الوسطى بعامه ، وفيما يتعلق بأمور العلم والتعليم على وجه أخص . (١)

ولذا تركنا النثر والشعر في العصر الكارولنجي جانباً ، نحمد أن أبرز ما يجيز القرن التاسع هو العناية بالتراث الروماني لتقديم بصفة عامة والأدب الكلاسيكي بصفة خاصة . ويكفي أن ما نسخ في ذلك القرن من المخطوطات الكلاسيكية القديمة يبلغ أضعاف ما نسخ من تلك المخطوطات خلال القرنين العاشر والحادي عشر . ويرجع الفضل الأول في ذلك إلى السكوين رئيس مدرسة البلاط بمدينة إكس لاشابل في عصر شارلمان . وكان أهم ما قام به في هذا الصدد مراجعته لترجمة اللاتينية للكتاب المقدس . وإلى جانب السكوين وجسد شخص آخر هو سرفاتوس لوبوس Servatus Lupus مقدم دير فريير الذي كان من كبار المعنيين بالأدب الكلاسيكي في القرن التاسع . (٢)

(١) أنظر في ذلك كتاب Coulton, Medieval Village, Manor and Monastery, p. 254.

(٢) Blech, op. cit., I, p. 191. راجع أيضاً دوسن : تكوين أورب (الترجمة العربية) ، ص ٢٨١ ؛ سعيد عاشور : أورب المصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

ولا يعنى ما تقدم أن الأدب الجرمانى كان كما مهبلا . فقد وجه شارلمان ، وهو الجرمانى الأصل ، عنايته إليه . فحاول أن يجمع قواعد اللغة الجرمانية ، واحتفظ بمجموعة من الأغاني والأشعار الجرمانية . وكانت تلك الأغاني تتناول موضوعات في الحب والحرب . ولما كانت تحويه من عناصر ومثلية ، فقد نبذتها الكنيسة اللاتينية حتى أحرقتها خليفة شارلمان وهو ابنه لويس الصالح (٨١٤ — ٨٤٠ م) . ولو كانت هذه الأغاني وغيرها من أدب الجرمان قد بقيت ، لربما أمكن الكشف عن بعض غوامضه وعن اللغة الجرمانية وقواعدها (١) .

ومما يكن من أمر ، فإذا دققنا النظر في النتيجة العلمية الكارولنجية في القرن التاسع ، سوف نجد أنها — في الواقع — قد اقتصرت على فرنسا وجناب من ألمانيا ، حيث توجد امبراطورية الفرنجة . وفيما عدا ذلك ، فقد أصاب العلم والدراسات الأدبية قدرا كبيرا من التدهور . فبعد موت شارلمان أخذت امبراطوريته في التصدع بسبب تقسيم الملك بين أبنائه والأساس الاقتصادى الذى قامت عليه وهو أساس زراعى إقطاعى بحث ، إلى أن انتهى الأمر بمعاهدة فردان Treaty of Verdun سنة ٨٤٣ م التى انقسمت الإمبراطورية بمقتضاها إلى ثلاثة أنسام : القسم الغربى ويشمل فرنسا ، والشرق ويشمل ألمانيا ، والقسم الثالث عبارة عن عر طويل بينهما يشمل مقاطعات فريزيا ولوثارنجيا وبرجنديا وبروفانس وبارديا وبقية إيطاليا من بحس الشمال إلى البحر المتوسط ، ويشمل الحاكم على هذا القسم الأخير وهو لوثير لقب الإمبراطور . وظلت الأمور غير

(١) Painter, op. cit., p. 448 f. راجع أيضا كرايب وجاكوب : ترات

الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٠٩ وما بعدها : سعيد عاشور : أوروبا الصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

مستقرة فترة من الوقت الى أن قامت أسرة السكسون بألمانيا (٩١٩ -
١٠٥٦ م) ، وبقياها بشت الفكرة الإمبراطورية من جديد أيام الإمبراطور
أوتو الكبير في القرن العاشر الميلادي (١).

وأعظم ملوك هذه الأسرة هو أوتو الأول (٩٣٦ - ٩٧٣ م) ابن هنري
الصياد الذي نهج نهج شارلمان في الاهتمام بشئون العلم والتعليم (٢) . وكان يحاحه
في فتوحاته وتجهيز الإمبراطورية في صهده مدعاة لدعها بالعمل على إحياء العلم
والتعليم وتشجيع الماين في ميدانه بكافة الطرق والوسائل . ومن كبار علماء
عصره برونو (٣) Bruno رئيس أساقفة كولونيا الذي كان مهتا بالعلوم القديمة ،
حتى أنه تعلم اللغة اليونانية وكان مشجعا للعلم والمتدين . وإلى جانب برونو
أسفرت النهضة الألمانية السكسونية (٤) عن ظهور عدد من العلماء ، نذكر منهم
ويدوكند Widukind الراهب بدير كوربي Corbey ، وكذلك هرتسويث
Hrotswith الراهبة في دير جالدرشايم Ganderasheim . ويشبه ويدوكند
السكسوني في تاريخه الذي وضعه عن السكسون ، المؤلف بولس

(١) حول هذه الأحداث أنظر المراجع التالية LaMonte, op. cit., p. 162 ff. ; Sullivan, Heirs of the Roman Empire, p. 141 f. ; Shorter Cambridge Medieval History, I, p. 842 ff.

Cf. Calmette, Le Monde Féodal, p. 127. (٢)

Crump & Jacob, op. cit., p. 28 ; Baldwin, op. cit., (٣)
p. 42 ; Painter, op. cit., pp. 141-142 ; LaMonte, op. cit., p.
405 ; Calmette, Le Monde Féodal, p. 127.

(٤) بخصوص النهضة الألمانية السكسونية ، أنظر سميد عاشور : أوروبا العصور

الشاس في مناجحه وطريقته . فهو يكتب عن قومه فحسب ، كما أنه مولع بالقصص والأغاني الشعبية والتعليم التاريخي . وقد أهدى تاريخه بعد الفراغ منه الى مائيلدا ابنة أوتو العظيم . وأما الشخصية البارزة في مؤلفه فهي شخصية الإمبراطور السكسوني نفسه . وقد فرغ ويدوكند من كتابته سنة ٩٦٨ م ، وأضيفت إليه زيادات طفيفة بعد وفاة أوتو سنة ٩٧٣ م . وتعرض في بدايته لمعادات وتقاليد السكسون القدامى . ويمكن لقارئ أن يلاحظ في ثناياه بساطة الجرمان القدماء التي احتفظ بها السكسون باعتبارهم أحد العناصر الجرمانية . كذلك احتوى الكتاب على شذرات من أدب الملاحم السكسوني ؛ وليس من الصعب العثور فيه على آثار من القصص والروايات الشعبية . وبما يذكر أن هذا الكتاب يوضح أن ويدوكند كان يتمتع بموهبة تدوين المذكرات *memoirs* . وقد أثبتت مقدرة كبيرة في الكشف عن أعمال الإمبراطور أوتو الكبير وفي إلقاء الأضواء على شخصيته ، وذلك عندما تناول أوتو وشخصيته وحياته بالدراسة والتحليل في مؤلفه (١) .

وأما الراهبة هروسويت (تقبل ٩٨٤ م) فقد دونت مجموعة من الأشعار باللغة اللاتينية منها « أعمال الإمبراطور أوتو الأول » *De Gestis Oddonis* ، *I. Imperatoris* ، تعدلت فيها عن أعماله وسيرته حتى تتوجه لإمبراطورا سنة ٩٦٢ م . ووضعت كذلك عددا من القصص الدينية شعرا ، منها قصيدتها عن كل من القديس جنجولفوس *St. Gingolphus* وثيوفيلوس *Theophilus* ، وغيرهما من الشخصيات . وقد لقيت قصة ثيوفيلوس الشيوع والرواج ، وكانت متداولة

Ker, op cit., p. 186 f. ; of. also LaMonte, op. (١)
cit., p. 245 ; Bloch, op. cit., vol. I, p. XX.

بجميع اللغات (١) .

ومن الشخصيات البارزة في إيطاليا في القرن العاشر التي يجدر الإشارة إليها في هذا المقام ليوتبراند أسقف كريمونا Luitprand of Cremona الذي كان يجيد اللغة اليونانية لإجادة تامة ، حتى لقد اختاره الإمبراطور أوتو الأول مبعوثاً من قبله إلى القسطنطينية . وكان يعمل قبل ذلك في السلك الدبلوماسي ، كما زار العاصمة البيزنطية بوصفه مبعوثاً من قبل الملك هيوغ Hugh . ولم يمض وقت طويل على وفاة والده (حوالي سنة ٩٢٧ م) حتى أرسل وهو لا يزال صبياً إلى بلاط بافيا لتلقي العلم . وكان ليوتبراند لا يزال مقيماً في البلاط بعد سقوط هيوغ واحتلال برنهار Berengar العرش . وفي سنة ٩٤٩ م أرسله برنهار في مهمة إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع بورفيروجيتيوس Constantine VII Porphyrogentius (٩٤٤ - ٩٥٩ م) ، ولكنه تعرض بعد هودته لاضطهاد برنهار وزوجته ويلا Willa ، ولجأ إلى أوتو الكبير الذي احتضنه وضمه إلى بطائنه . وفي سنة ٩٦١ م أصبح أسقفاً على كريمونا ، وكان له دور بارز في الاتصالات التي تمت بين أوتو والرومانيين . وتولى ترجمة خطبة الإمبراطور الألماني التي ألقاها في روما سنة ٩٦٣ م بعد تنصيبه امبراطوراً على الإمبراطورية الرومانية المقدسة للخرية الجديدة وفي السنة التالية قام بكتابة تاريخ رحلة أوتو إلى إيطاليا . وفي سنة ٩٦٨ م ذهب ثانية إلى القسطنطينية للاتفاق مع الإمبراطور البيزنطي نقفور الثاني فوكاس (٩٦٣ - ٩٦٩ م) من الأسرة المقدونية على موضوع زواج المصاهرة بين ابنة الإمبراطور المسماه ثيوفانو

Ker, op. cit., p. 179 f. ; Cf. also LaMonte, op. cit., p. 247 ; (١)

Crump & Jacob, op., cit., pp. 167 f., 267 ; Cantor, op. cit., pp. 164-166 ; Calmette, Le Monde Féodal, p. 129.

وبين أوتو الصغير ، وبعد حياة حافلة بالأعمال النضحية توفي ليوتبراند سنة ٩٧١
أو ٩٧٢ م.^(١)

لقد عاش ليوتبراند حياة حافلة بالمهام الكبيرة التي كلف بها والتي أداها على
خير وجه . إذ شاهد الأحداث بنفسه ، وعاش فيها وتفاعل معها . وكان على صلة
بكبار رجال عصره ، وموضع ثقة الكثيرين منهم . وأبدى مقدرة وكفاءة في
المسائل السياسية التي كلف بها والمهام الدبلوماسية التي ترسل فيها . وسجل ذلك كله في
كتب وأبحاث لا تزال باقية إلى اليوم . ومع كل هذا لا تغلوا كتاباته من القدرح
والدعابات الفكاهية الساخرة . ونجد مثلا لأهاجيه عندما تعرض لبرنجار في كتابه
المسمى « Antapodosen » ، الذي تناول فيه تاريخ إيطاليا والإمبراطورية الغربية
في الفترة من سنة ٨٨٧ م إلى سنة ٩٥٠ م . وأما عن دعاباته وتعليقاته اللاذعة
فنجد مثلا هنا عندما تعرض لأباطرة بين لعة ، وبخاصة ليوبن بازيل^(٢) . ويقول
للمؤرخ لامونت إن ليوتبراند كان رجلا مثقفا ثقافة طيبة ، يجيد اللاتينية
واليونانية ، وكان يستخدم في كتابته أسلوبا روائيا لطيفا جملة عجبا للقراءة في كل
وقت . وقد دون أوصافه عن الناس الذين التقى بهم في سخرية لاذعة . ومن
خلال مؤلفاته نجد أن خلقه الذي تميز بطابعه الديوى قد فرض نفسه على قصصه

Ker, op. cit., pp.180—185 ; cf. Baldwin, op. cit., p. 96; (١)
LaMonte, op. cit., 140, 146, 174, 245 f.
أظن أيضا هاوتمان وباراكلاف
الدولة والإمبراطورية في الصور الوضعية (الترجمة العربية) ص ١٤٦ — ١٤٧ . هذا
Cantor, op. cit., pp. أنظر
160—164.

(٢) هو ليو السادس المعروف بليو السافل، وقد حكم من سنة ٨٨٦ إلى سنة ٩١٢ م.

التقصيرة والشخصيات التي أبدع قلبه تصويروها، وهذا أمر يستحق الذكر إذا قورن
بمن جاءوا بعده في عصر أكثر ديموية وأوسع علما واستنارة. (١).

هذا عن إيطاليا وليوتبراند الكريمتي ، أما في فرنسا فقد بلغ في القرن العاشر
اسم مؤرخين هما فلودورد الريمي Flodoard of Rheims وريتشارد الريمي
Richer of Rheims، وكلاهما من ريمز، ويصنف فلودورد (٨٩٤ — ٩٦٦ م)
من أشهر مؤرخي القرن العاشر . وهو صاحب تاريخ ريمز الكنسي
Historia Remensis Ecclesiae ، ويشتهر بمنهاجه الواضح وأمانته ودقته فيما
يكتب . وأما ريتشارد فهو راهب بدير القديس ريمي St. Remy بفرنسا ، وقد
تلمذ على يد جربرت Gerbert ، وله مؤلف باسم « التواريخ » *Histoires* ،
يقع في أربعة كتب ، ويتبين أسلوبه اللاتيني بصوبته لاستخدامه خيطا من
الألفاظ والمصطلحات الفنية والحربية والإدارية (٢) .

وهكذا نجد أن تلك النهضة العلمية المبكرة في غالة وانجلترا وباقى أجزاء
الغرب الأوروبي خلال القرنين التاسع والعاشر قد أثرت بخلق أجيال
متابعة من العلماء والأدباء والمؤرخين والكتاب الذين كان معظمهم ينتمي إلى
هيئة رجال الدين ممن أسهموا بانتاجهم المتنوع في خلق فئة من المتعلمين ومن
المعنيين بأمور العلم والثقافة مما سيظهر أثره في القرن التالي .

LaMonte, op. cit., pp. 245—246.

(١)

Ker, op. cit., pp. 180, 187 ff. ; cf. also LaMonte, op. (٢)
cit., pp. 229. 245 f. ; Bloch, op. cit., Vol. I, pp. 12, 28, 29,
30, 40, 191.

الفصل الثالث

ظهور الفكر الحر ونهضة القرن الثاني عشر

- تمطل الحياة الفكرية والثقافية في الغرب منذ وفاة شارلمان وتصدع إمبراطوريته .
- التعليم في العصر البندكتي ، واهتمام الأديرة البندكتية بالدراسات الكلاسيكية .
- أسطورة سنة ١٠٠٠ ودلالاتها .
- إرباط نهضة القرن الحادى عشر بالمؤسسات الدينية .
- نهضة القرن الثاني عشر ثروة حقيقية في شئ مرافق الحياة في الغرب .
- أثر العرب في الحضارة الأوروبية .
- ازدهار الحركة المدرسية .
- الديرية الكلاونية وحركة التعليم .
- نشاط الجماعات الرهبانية الأخرى في القرن الثاني عشر .
- أشهر المفكرين والدعاة إلى تحرير الفكر في القرن الثاني عشر :
برنارد ، ايبيلارد ، بطرس القمباردى ، برنهار ، اسيلم ، روسلين .
- نشاط الدراسات القانونية في إيطاليا :
ارريوس ومدرسة بولونيا القانونية .
- النشاط الأدبي في القرن الثاني عشر كظهر من مظاهر التقدم العلمى :
جروبرت الريمى ، فلبرت ، هيلدبرت .

عرفنا من الفصل السابق أن الغرب لم يلبث أن عاد إلى حالته الأولى من الفوضى السياسية والخلو الذهني - بصفة عامة - بعد وفاة شارلمان سنة ٨١٤م وتقسيم دولته الواسعة بين خلفائه . وقد ساد الظلام ثمانية حتى أغريات القرن العاشر تقريبا حيث تعطلت الحياة الفكرية تعطلا يكاد أن يكون تاما ، وذلك باستثناء الأديرة التي ظلت تؤدي رسالتها التعليمية والثقافية كما كان الحال من قبل ، وباستثناء بعض الشخصيات التي ألمعنا إليها ، والتي لا يمكن اتخاذها كقياس عام لاتجاه الفكر والثقافة خلال تلك الفترة من الزمن . وقد سميت تلك الفترة باسم العصر البندكتي نظرا لما قامت به الأديرة البندكتية من نشاط واضح في هذا المضمار وقتذاك .

لقد كانت هذه الأديرة من أهم المراكز التي اعتشت بالدراسات الكلاسيكية القديمة . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب من بينها أنها كانت أقدم الأديرة التي تأسست في الغرب (١) ، كما انتقل إليها تراث النهضة الكارولنجية . ثم أنها لم تشارك

(١) نسبة إلى القديس بندكت الذي بدأ حياته راهبا متوحدا بأحد الكهوف بمنطقة سويسيا كما يوسم إيطاليا . وليس ما كان يمايه الرهبان المتوحدون من صلابت فقام بتأسيس هذه الأول في مونت كاسينو ، وألف حوله هذه من الرهبان الذين وضع لهم قانونه المعروف باسمه ، وهو يقوم على أربع قواعد رئيسية هي : التبطل والطهارة وتكرار الذات والطاعة الميلاء . وكان أساس قانونه إنساني وروحي في آن واحد ، لئلا يجعل حياة أتباعه في أديرته حياة اجتماعية وخلف من حدة التعفف التي كانت سائدة قبلا . وما يذكر أنه وجهه هناية خاصة إلى التعلم ، فأوجد في كل دير نواة لمكتبة ومكانا لنسخ الكتب فجميعا ابن يمدون في نفوسهم ميلا للكتابة والتأليف . وأصبحت الديرية البندكتية منبعا لعلم والمعرفة والادعرت بسرعة في عني أرجاء الغرب أنظر : Coulton, Medieval Panorama, p. 263 ff. ; Cantor, Medieval World, p. 97 ff. عالم الصور والوساطي (الترجمة العربية) ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

المكتبات الديرية الجديدة في الاهتمام بما يتعلق بالشئون الدينية فحسب ، ولكنها ظلت المكان الذي حافظ على الدراسات الكلاسيكية الرومانية من العبث والضياع . ويكفى أن نعرف أنه وجد في كل دير من أديرتها نواة لمكتبة ومكان لنسخ المخطوطات زود بالأدوات اللازمة للكتابة والعناية بالأدب والعلوم والأبحاث ، وذلك حتى يتسنى لكل من يتوسم في نفسه ميلا نحو العلم والمكتبة والتأليف أن يواصل نشاطه في هذا الميدان ، وعلى هذا يمكن القول بأن الديرية البندكتية قامت بأكبر خدمة للحضارة الفكرية والعلمية والأدبية في المجتمع الغربي الوسيط . وقد حفظت في مكتباتها ، بالإضافة إلى ما تقدم ، الكثير من أمهات الكتب الكلاسيكية القديمة التي كانت معرضة لفقدان والضياع أثناء غارات البرابرة على الغرب والدمار الذي حل بالمدن الرومانية ، وأثناء محاربة الكنيسة المسيحية لكل ما يمت للتراث الروماني القديم بصلة ، باعتباره تراثا ضارا عديم الفائدة من وجهة نظر المسيحية وفلسفتها . وفي تلك الأديرة التي كانت في ذات الوقت دورا للعلم والتعليم ، وأصل النساخ والمؤلفون تحرير الكتب العلمية والتاريخية والأدبية واللاهوتية والقانونية التي مازال الكثير منها متداول إلى اليوم (١) .

(١) أنظر من ذلك المراجع التالية : Chateaubriand, Génie du Christianisme, p.248 ; Duroselle, Histoire du Catholicisme, p. ٥2 ; Goultou, Medieval Panorama, p.263 ff. ; Cantor, op. cit., p. 97 ff. أنظر أيضا سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ ؛ سعيد عاشور : الجاسنات الأوروبية ، ص ٧ وما بعدها ؛ إبراهيم المدوي : المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٦١) ، ص ١٥٩ — ١٦٠ ؛ كرامب وجاكوب : تراث العصور الوسطى (القاهرة العربية) ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ؛ فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ج ١ (القاهرة ١٩٥٠) ، ص ١١١ .

ولقد نمت هذه النزعة الثقافية والأدبية في أغلب الأديرة في وقت كان الناس فيه في الغرب لا يزالون يظنون في جهل عميق لا يفهمون معنى العلم، وفي وقت كانت فيه الأمية شائعة بين الجميع . ويلقى التركيب الطبقي للمجتمع الغربي وقتذاك حيث ساد النظام الإقطاعي العنوة على ذلك . فهناك القاعدة العريضة في أسفل الهرم الإقطاعي من الفلاحين على مختلف مستوياتهم من صغار المستأجرين والأرقاء والعبيد الكادحين في الأرض الذين يمثلون الغالبية العظمى في هذا المجتمع . وهناك الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية مالسكة الأرض التي تمثل أقلية ضئيلة تربع على قمة الهرم ، ولم يكن يعيش فيها قليل أو كثير التزود بالعلم والمعرفة ، بل لم يكن هذا مما يشرفها أو يرفع من قدرها على الإطلاق ، إنما كان منها الأول والآخر تعلم الفروسية والتدرب على فنون الحرب والقتال التي تشبع فيها هوايتها التي ورثتها عن أجدادها الجرمان.^(١) وأخيرا توجد طبقة رجال الدين ، وهي قليلة العدد وقد تزود أفرادها بالعلم الذي كان يستهدف أساسا خدمة الدين المسيحي.^(٢) وعلى هذا كانت نسبة المتعلمين قليلة جدا في الغرب وقتذاك ، وتكاد تنحصر في رجال الدين ، أو بالأحرى في عدد منهم ممن كانوا يلمسون في أنفسهم القدرة على الدراسة والعلم.^(٣) وبمرور الزمن تأسست المدارس في تلك الأديرة البندكتية لتثقيف

(١) كان أبناء الأشراف يطلقون تدرسيهم في مدارس الفروسية التي كانت مقصورة عليهم . وحول هذه المدارس ، أنظر كرامب وجاكوب : تراث الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٢) Goff, La Civilisation de l'Occident Médiéval, p. 319 f. ; Coulton, Medieval Panorama, p. 389. ويتهادأؤرخ القرنى مارك بلوك من أفضل من كتبوا عن التنظيم الطبقي في المجتمع الغربي الوسيط ، أنظر Bloch, Feudal Society, vol. II, p. 283 ff.

(٣) أنظر كولتون : عالم الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٠٠ و ١٠١ .

الناس. وأصبحت تلك المدارس الديرية مع الوقت معاهد علمية يشغل فيها الكثير من الرهبان بالنسخ والتأليف والمحافظة على التراث القديم الذى أهملته القرون السابقة ، هذا إلى جانب مهنة التعليم .

وباختصار فإن المدارس التى قدمت تعلماً متقدماً حتى أواخر القرن العاشر كانت مدارس ديرية ، وذلك باستثناء مدرسة القصر فى مصر شاولمان . وعلى هذا يكاد أن يكون جميع الرجال المثقفين ثقافة حقيقية من فئة الرهبان أو من رجال الدين الذين تم تدريبهم كالرهبان تماماً (١) . وفيما عدا ذلك فإن طبقة الفرسان المحاربين والعلماء الكلاسيين فى الأرض لا شأن لهما بأموال العلم والتعليم بحكم الظروف التى أحاطت بالمجتمع العربى الوسيط وقتذاك .

وفى آخريات القرن العاشر الميلادى ، وفى ظل الانحسار المضاعف لملهيها ، انتشرت فى الغرب أسطورة تقول بأن العالم سينتهى بنهاية الألف الأولى ، وأن المسيح سوف يظهر للؤمنين به . ويرى الكتاب أن هذه الأسطورة كان لها أثرها فى ظهور موجة من التقشف والزهد والبعد عن ملذات الحياة الدنيا وبلهيتها ، والتعرب إلى الله والعمل على مرضاته . وهم يرون أيضاً أنها إن كانت قد تركت أى أثر فهو وجود حالة من الاستقرار فى الغرب كان منعطفاً لملهيها ولم يستشعر بها قبل ذلك بقرون طويلة (٢) . وعلى حد قول المؤرخ جورج جوردون

(١) أنظر من ذلك Painter, History of the Middle Ages, p. 467.

(٢) حول أسطورة سنة ١٠٠٠ وأكثروا ، أنظر المراجع التالية كوتون : عالم الصور أوسلى (الترجمة العربية) ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ ؟ حسن هبسى : الحرب الصليبية الأولى - ط ٠ ثانية (القاهرة ١٩٥٨) ، ص ١٩ - ٢٠ ؛ جوزيف اسم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الملبية الأولى ، ص ١٧٣ - ١٧٤ . ولجج أيضا :

كولتون أنه بعد تلك السنة الحاسمة ولم يعد ثمة غزوات بربرية ذات أهمية ، وكانت أوروبا قد استقرت تماماً وأصبح التجديد ميسوراً . لما أن بدأ العمل حتى أخذ يسير بخطوات ثابتة . . ويستلرد نفس المؤرخ قائلاً : وكانت هذه الحركة التقدمية في سنة ١٠٠٠ نهضة حقيقية لاشك فيها ، أشبه ما تكون بالنهضة المتأخرة التي تعارف المؤرخون على تسميتها باسم عصر النهضة Renaissance^(١) . والواقع أن هذه الأسطورة وإن امتازت بشيء فإنما تمتاز بقيمتها الرمزية فصبب باعتبارها من أسباب نهضة القرن الحادى عشر في أوروبا ، حيناً بدأ الغرب يهب من سباته العميق وقد أخذ يسترد أنفاسه اللاهثة ويشق طريقه نحو التقدم والرقى ، بعد قرون من التكاسل والركود .

وهكذا ، اعتبر ساراً من القرن الحادى عشر بدأت أوروبا تدخل في فترة استقرار كانت أحوج ما تكون إليها في النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وقد كان لها أثرها في الانتماش التدريجى الذى أصاب النهضة الفكرية بصفة خاصة . وأخذت الحياة العلمية الجديدة تستمد أصولها من النهضة للكارولنجية . فنجد ، مثلاً ، أن نظم التعليم ومناهجه تدور على نفس الأساس الذى قامت عليه المدارس الدينية أيام شارلمان . وقد كان من الممكن أن تحقق تلك النهضة المبكرة في القرى الحادى عشر تقدماً أكثر عما حققته بالفعل لولا الأحداث السياسية والحربية الخطيرة التى كانت أوروبا مسرحاً لها وقتذاك ،

Coulton, G. G., *Medieval Scene* (Cambridge, 1961), p. 102 f.; —
idem, *Medieval Panorama*, p. 394 ; Goff, op. cit., p. 82 f.

(١) كولتون : نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٠ . راجع أيضاً Duroselle,
op. cit., pp. 45—46.

والتي أحاطت تلك الانطلاقة عن أن تشرق طريقها بسرعة نحو أهدافها التقدمية .
ففي القرن الحادى عشر بدأ الصراع المعروف بين البابوية والإمبراطورية على
المسائل العلمانية ، وما ترتب عليه من آثار وخيمة بالنسبة للسياسة الأوروبية
بصفة عامة ، والتدهور الذى أصاب كلا من الكنيسة والمسيحية وألمانيا وإيطاليا
على وجه أخص . وفيه أيضاً قام النورمان بنشاطهم التوسعى المعروف فى صقلية
وجنوب إيطاليا وإنجلترا . وفيه أيضاً كانت الحرب دائرة على أشدها بين الممالك
المسيحية فى الشمال الأسباني وبين العرب فى الجنوب . وفى آخرياته كذلك قام
الحركة الصليبية بتوجيه من البابوية وتحت إشرافها ورعايتها بقصد الاستيلاء
على الأراضى المقدسة ^(١) . كل هذه الأحداث وغيرها ، لم تمنح الحركة الفكرية
الفرصة الكاملة للإطلاق غير المحدود ، ولم تهيب تربة خصبة للازدهار العلمى
بالمعنى الواسع .

وبانتهاء القرن الحادى عشر ، وكان الغرب قد بدأ يلفظ أنفاسه وأخذت
الأحوال فى الاستقرار ، بدأت النهضة العلمية الأولى التى اشتهرت فى التاريخ
باسم « نهضة القرن الثانى عشر » ، والتى تمثل فى الحقيقة ثورة شاملة فى شتى مراحلي

(١) أنظر جوزيف لسم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص ١٧٢ — ١٧٧
والمواصى . راجع أيضاً ، Halphen, L., *L'Essor de l'Europe* (Paris, 1941), pp. 8 ff., 28 ff., 47 ff., ٢5 ff. ; Arnold, T. & Guillaume, A., *The Legacy of Islam* (London, 1952), p. 44 ff. ; Pirenne, *Medieval Cities*, p. ٢0 ff. ; Setton, K. M. (ed.), *A History of the Crusades*, vol. I (Philadelphia, 19٢8), pp. 10 ff., 20 f., 26f., 89 ; Lewis B., *The Arabs in History* (London, 1958), pp. 125 f , 150.

الحياة في أوروبا ، وهي نموة في الحياة الديرية وفي الفنون والنواحي الدينية والفكرية والثقافية والمالية ^(١) . ويقول جون لامونت إنه ليس ثمة ميدان من ميادين النشاط يتضح فيه تقدم الغرب خلال القرن الثاني عشر أكثر من ميدان النشاط الثقافي . فبينما كانت الدولة البيزنطية والعالم الإسلامي قبل ذلك التاريخ يحتفظان بمستوى رفيع في مجال النشاط الفكري ، كان الغرب اللاتيني متأخراً . ولكن في القرن الثاني عشر ، الذي أصبح يطلق الآن على النهضة التي شهدها اسم « نهضة القرن الثاني عشر » ، أحرز الغرب تقدماً كبيراً في حياته الفكرية بعد أن هذا واستقر وبعد أن استوعب أفضل ما في الثقافات الشرقية الإسلامية والبيزنطية ، بل وأحرز تقدماً نحو إنجازات جديدة متفوقاً بذلك على جيرانه الشرقيين من مسلمين وبيزنطيين . ويستطرد لامونت قائلاً إن النهضة القرن الثاني عشر تعتبر مظهرأ من مظاهر هذا التاج الهائل لنشاط الذي هم العالم الغربي ، والذي كان من ثماره أيضاً ظهور المدن بسكانها الأحرار واقتصادها النقدي وحضارتها المدنية ، وكذلك إحياء التجارة ونمو الملكيات ؛ ومن أهم عظمائهم الملموسة الكاتدرائيات على الطراز القوطي في كل من روما وألمانيا وإيطاليا ^(٢) .

Cf. Cantor, op. cit., p. 208 ; Sabine, G. H., A . (١)

History of Political Theory (London, 1948), p. 215.

أنظر أيضاً الدراسة القيمة التي كتبها الدكتور سميد عاشور بعنوان « النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر » في كتاب سميد عاشور وعبد أليس : النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، ص ١١١ - ٢٣١ ، فيها تحليل واثق للأدب التي قامت عليها هذه النهضة .

LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 568 ff. (٢)

Cf. Pirenne, H., Economic and Social History of Medieval Europe=

وجدير بالذكر أن هذه النهضة قد تميزت بالاحتكاك الفكري بين الغرب والحضارة العربية الإسلامية عندما تدفقت المعارف والعلوم العربية والإسلامية إلى أوروبا عن طريق معابر الإشعاع الثقافي الأربعة وهي : الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الشام . وقد أفاد الغرب فائدة كبرى من الحضارة الإسلامية البانعة . وساعد على ذلك أنه كان قد بدأ ينفض عن كاهله كابوس العصور المظلمة ، ويتمتع بحالة من الأمن والهدوء بعد قرون طويلة من الفوضى والاضطراب . وكان أثر المدينة العربية الإسلامية واضحاً في الغرب في شتى أفرع العلم والمعرفة ، وبخاصة في ميادين الأدب والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافية والفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة (١) .

وهكذا أقبل الأوروبيون يرتشفون في نهم وشغف من هذه المعارف والعلوم حتى ضاقت بهم المدارس الدينية في وقت ازدهرت فيه حركة الفلسفة المدرسية

(London, 1961), pp. 26 ff.

ويضيف العالم البلجيكي هنري بيمين قائلا إن هذه النهضة العلمية الجديدة ارتبطت بنهضة المدينة في الغرب ونشاطها التجاري وسكانها الأحرار والتضادها المالك وحضارتها المدنية والاتجاه العلماني فيها . انظر : Pirenne, *Medieval Cities*, p. 165 ff.

(١) للزيد من التفاصيل من فضل العرب على الحضارة الأوروبية في العصر الوسيط ، انظر سعيد عاهور : المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية (القاهرة ١٩٦٣) ، وبخاصة صفحات ٤٩ وما بعدها و ٧١ وما بعدها ؛ كولفون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٧٣١ وما بعدها ؛ يعقوب (ج) : أثر الشرق في الغرب خاصة في العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور فؤاد حسنين على (القاهرة ١٩٤٦) ، ص ٢٠ وما بعدها ؛ العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية (القاهرة ١٩٦٥) ، ص ٣٤ وما بعدها . راجع أيضا Grump & Jacob, *Sabine*, op. cit., p. 215 ; *Legacy of the Middle Ages*, pp., pp. 184—185.

Scholasticism ، وأصبحت الأساس الذى أمتقت منه الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى . إذ قامت تلك الجامعات لتحتضن هذه الدراسات الجديدة وتتمسكها برعايتها وتشجيعها حتى غدت منارة العلم ومراكز إشعاع تخرج منها الشباب المثقف المستنير من العلماء ورجال الدين الذين نادوا بالفكر الحر والمناقشة الحرة (١) .

وعلى هذا يمكن القول بأن النهضة العلمية الأولى التى اشتهرت باسم « نهضة القرن الثانى عشر » بدأت أول ما بدأت في المؤسسات الدينية والمدارس التابعة لها التى كان عددها في ازدياد مطرد . ذلك أن تلك المؤسسات كانت تجتذب لخدمتها والعمل بين جدرانها كل من تتوسم فيه الاستعداد للبحث والدراسة والتحصيل . كذلك هتيت الأديرة منذ الإصلاح البندكتى بالعلم والكتابة والأدب . فكانت تجد في معظمتها المكاتب والنساخ الماهرة والكتاب المبرزين من بين هؤلاء الرهبان أنفسهم المهتمين بالشئون العلمية . وفي داخل هذه الأديرة خصصت أماكن للعلمين يفتشون الكتابة والنسخ والقراءة والتأليف . وكانت مثل هذه القاعات العلمية تحمل الإسم اللاتينى *Scriptoria* ، أى مكاتب النسخ في الأديرة (٢) .

(١) أنظر كوثون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٥ وما بعدها ؛ سعيد عاكور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ١١ وما بعدها ؛ عبد الرحمن بدوى : فلسفة العصور الوسطى ، ص ٤٣ — ٤٤ . أنظر أيضا Goff, op. cit., p. 426 f. ; LaMonte, op. cit., p. 568

(٢) أنظر Baldwin, The Mediaeval Church, p. 27 ; Cantor, op. cit., p. 81. Painter, op. cit., p. 109 ; راجع أيضا ما سبق ، ص ٣٩ وح ٢ من هذا الكتاب .

وإذا كان الإصلاح البندكتي قد اعتنى بالعلم والأدب ، فلم يغفل الإصلاح
الكلوني (١) كذلك أمرهما . ولم يهمل القائمون على أمره هذه النزعة العلمية
والأدبية ، وإنما شجعوها وتولوها برعايتهم . وقد ألحقت بمعظم الأديرة الكلاوية
المدارس لتعليم الأطفال الذين أعدم آباؤهم للدخول في سلك الكهنوت والتدرج
في وظائفه أو للعمل في خدمة الحكومة والقيام بالمهام التي كانت تتطلب القراءة
والكتابة مثل الخمامة والطب . (٢)

وفي تلك الأثناء واصلت الجماعات الرهبانية الأخرى التي نشأت في القرنين
الحادي عشر والثاني عشر مثل الإخوان الفرنسيسكان والإخوان اليسوعيين
والإخوان الدومينيكان وغيرها تلك الجهود العلمية والأدبية التي بدأها من
سبقتهم ، حتى لقد أصاب الكثير من بين رجالها بسهم وافٍ في الفلسفة والقانون

(١) نسبة إلى جماعة كلوني الديرية التي بدأت حركتها ضيقة في أول الأمر ، ثم أخذت
تتسع تدريجياً إلى أن أصبحت في القرن السادس الميلادي مغلًا يمتد من أمتة الإصلاح . وكان
أساس نظام كلوني الاستقلال التام عن السلطات الدينية والدنيوية ، والاتصال المباشر
بالبابوية ، والقضاء على استقلال الأديرة من بعضها ، وللتنازع بإصلاح الجهاز الكنسي
البابوي من المفسدات التي تملكت فيه . وما يذكر أن رهبان كلوني احتلوا أيضاً بالعلوم
والأعمال الأدبية ، ومن هنا كاد لحركتهم آثارها البائدة الأهمية ، فأصبحت حركة دولية
واسعة بعد أن امتدت حدودها خارج فرنسا نفسها . انظر Cloulton, Medieval
Village, Manor and Monastery, p. 210 ; Baldwin, op. cit., pp.
84 - 36, 41 - 42.

(٢) Brinton & Others, A History of Civilization, Vol. أنظر

I, p. 289 ff.

والآداب ومختلف العلوم. (١) وقامت على أكتاف هؤلاء نهضة للقرن الثاني عشر ، حينما احتكت الأذهان والمقول بين المنصر الرجعي من المفكرين الذي يعبر عن المعركة الدينية القديمة المزمته ويمثله القديس برنارد أوف كليرفو ، وبين المنصر المجدد من المتأدين بتحرير الفكر ويتزعمه الفيلسوف بطرس ابيلارد زعيم الفكر الحر وتحرير الذهن من التقاليد المتينة والداعي إلى فلسفة الشك والتشكك الشهيرة .

وهكذا نشأت هذه النهضة كنتيجة طبيعية ومنطقية لاحتكاك الفكر بين عنصرين متباينين من المفكرين ، تمثلها أصدق تمثيل هاتان الشخصيتان اللتان ملأتا العصر الوسيط حديجيا وجدلا وحركة وحياة : القديس برنارد الذي قامت نظرياته على أساس الكنيسة اللاتينية وسيادتها ، فكان بحق أصدق مثل للتفكير الديني الوسيط . والثاني هو الفيلسوف بطرس ابيلارد زعيم حركة تحرير الفكر من التقاليد البالية في تلك القرون الغائرة التي سيطرت فيها الكنيسة بحكم مركزها والسلطات الضخمة التي تمتع بها ، على تفكير الفرد وعقليته ، وكان عليه أن يتقبل أوامرها وتعاليمها ونواهيها بالسمع والطاعة دون جدل أو مناقشة ، بحيث لم يكن من السهل عليه الإفلات من تلك الدائرة الضيقة المغلقة التي وضعت فيها . بل إن محاولة التفكير في الخروج على تعاليم الكنيسة كانت تعرض صاحبها لأشد أنواع العقاب ، وما أكثر أسلحة الكنيسة التي كانت تستخدمها عند معارضاها

(١) حول هذه الجامعات الرهبانية ومدى إسهامها في حركة العلم والتعليم ، انظر كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٧٣ وما بعدها . راجع أيضا Baldwin, op. cit., p. 42ff. ; Coulton, Medieval Panorama, p. 266 ; Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, p 502 ff.

والخارجين عليها من حرمان وثقمة ولينة وقطع (١).

ويعتبر القديس برنارد من الشخصيات البارزة التي أخرجتها جماعة الإخوان السترشيان (٢) Cistercians . ولد سنة ١٠٩١ م وتوفي سنة ١١٥٣ م وله من العمر حوالي ٦٢ عاما . وهو يعتبر ، بحق ، أكبر مثل للتفكير الديني القديم ، ومن المتحمسين للنظام البندكتي بعد الإصلاحات التي أدخلت عليه ، كما كان متصوفاً منكمرا لذاته . وقد أسس ديرَه المعروف في كليرفو Clairvaux وأصبح رئيساً له وكان يشتمع بنفوذ كبير ونشاط فائق للنسبا في مواقف عديدة له . فهو الذي حسم النزاع البابوي سنة ١١٣٠ م ، وقضى على الانقسام الكنسي بإعادة البابا انوسنت الثاني (١١٣٠-١١٤٣ م) إلى روما . وكان البابا ايوجين الثالث (١١٤٥ - ١١٥٣ م) من تلامذته ، ولإليه أيضا يرجع أمر تأسيس جماعة الفرسان الداوية التي قامت بدور خطير في الحركة الصليبية التي تعرض لها العالم العربي . وهو الذي ساعد في الدهوة إلى الحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٧ م التي قام بها الغرب الأوروبي من أجل استعادة الرها التي كان قد استولى عليها عماد الدين زكي سنة

(١) أنظر جوزيف نيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص ٩٨ ؛ كوكبون : عالم الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١١٥ وما بعدها .

(٢) أسس هذه الجماعة حوالي سنة ١٠٩٨ م وأصبح فرنسي يدمي دويرت ، وكانت تستهدف الدعوة إلى الصالحات البندكتية الأولى مع إدخال نوع من التصوف والتعفف فيها . وقد انتطع أباغ هذه الجماعة من العالم إلى الجهات المقفرة ، واختصوا برعاية الأغنام وتعمير الصحارى . وانتشرت أديرتهم بسرعة في الغرب . ومن أعظم من أخرجتهم جماعة السترشيان القديس برنارد مؤسس ديرَه المشهور في كليرفو سنة ١١١٥ م . ويطلق على هذه الجماعة أيضا اسم « البرناردين » نسبة إلى راعيهم الرئيسي القديس برنارد . أنظر Baldwin, op. cit., pp. 42-44 ; Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, pp. 502-504.

١١٤٤ م . ومن أهم ما ينسب إليه أنه وجه عناية فائقة للدرس والكتابة والتأليف ، وترك لنا رسائل ومؤلفات تجمع بين البلاغة والتفكير والمنطق . وهو في فلسفته وتفكيره يقوم بالدفاع عن الكنيسة والقضاء على أى بادرة تم من المرحلة أو الخروج على تعاليم المسيحية . وكان هذا الحماس الزائد للأفكار والمثل الدينية القديمة المزممة من الأسباب الجوهرية التى أدت إلى قيام الصراع الفكرى بينه وبين زعيم من أكبر زعماء حركة تحرير الفكر الإنسانى فى القرن الثانى عشر الميلادى ، إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق ، ومعنى به الفيلسوف ايبيلارد (١) .

ولد بطرس ايبيلارد سنة ١٠٧٩ م وتوفى فى ١١٤٢ م عن ثلاثة وستين عاما . وهو ، فى الحقيقة ، زعيم نهضة تحرير الفكر فى القرن الثانى عشر ، ومن أشهر رجال زمانه فى علم الجدل . كما أنه صاحب فلسفة الشك والتشكك الشهيرة فى كل شئ ، حتى فى طبيعة المسيح نفسه ، وما إلى ذلك من المسائل الخطيرة التى كان لها شأنها وقتذاك . ويعرف أنه درس فى مستهل حياته على أئمة العلم فى عهده ، ومن بينهم ولیم أستاذ المنطق فى مدرسة باريس وانيسليم اللاهوتى . وكان ايبيلارد يثير حاصفة قوية من الجدل والنقاش فى أى مكان يحل به ، وكثيرا ما يتسبى النقاش

(١) انظر من ذلك المراجع التالية Heer, F., The Medieval World (London, 1962), pp. 79-87 ; LaMonte, op. cit., pp. 404-406, 564-565 ; Painter, op. cit., pp. 148, 147, 210, 212 ; Brinton and others, op. cit., vol. I, p. 301 ; Doroselle, op. cit., pp. 60-62 ; Ceulton, Medieval Panorama, pp. 80 f., 104, 119, 141, 207, 220 f. et seq. ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 22, 48, 45, 57, 156, 161, 166, 227 ; Baldwin, op. cit., pp. 42-44 ; Lesourd, P., Histoire de l'Eglise (Paris, 1980), p. 57 f.

بتفوقه على أساتذته بعد أن بين لهم نقط الضعف في فلسفتهم . وقد انتهى به الأمر إلى تأسيس مدرسة خاصة به في أحد أحياء باريس ، والتف حوله المريرون والأتباع يستمعون إليه وينهلون منه . ولكن ظروفًا خاصة اضطرته إلى ترك باريس واعتناق الرهبنة بدير القديس ديس . ومع ذلك فقد استمر في المخاطرة والمجادلة على أساس فلسفة الشك والتشكك التي نادى بها . واضطرت للكنيسة بعد أن وجدت فيه خطرا يهددها إلى إدانته بالهرطقة سنة ١١٢٢ م وإبعاده عن دير .

ظل ايلارد طريدا فترة من الوقت ، ثم التجأ إلى منطقة كوينسى Quency بمقاطعة شامباينا في فرنسا حيث بنى له كوخا وكنيسة صغيرة ، وأخذ يواصل محاضراته وتعليمه . ولم يمض وقت طويل حتى تبعه عدد كبير من تلامذته الأولين الذين استمروا ملتفين حوله ينصتون إليه وإلى تعاليمه . وازداد مع الوقت أتباعه من المشتغلين بالعلم والتعليم حتى لم تجد الكنيسة بدا من العقو عنه . وأخذ يتدرج مرة ثانية في السلك الكنسى حتى أصبح رئيسا لدير القديس جيلدا St. Gildas بمقاطعة بريتانى الفرنسية . ولكنه وجد أن الحياة داخل هذا الدير مع عدد من الرهبان الذين يكرهون العلم والتعليم لا يمكن أن تستمر . فهرب من الدير وعاد مرة ثانية إلى باريس ليواصل الجدل الحامى والتقاش العنيف مع القديس برنارد . وكان ايلارد في جده ونقاشه لا يهتم على الإطلاق بالتقاليد الدينية الشائعة في القرون الوسطى المبكرة ، والتي كانت قد اهتزت في زمنه بسبب الفساد الذى استشرى في الجهاز الكنسى البابوى ، كما كان لا ينجس بالمرءة المجاهرة بالشك في التعاليم المسيحية أيًا كانت . وأخذ خطره يشتد على الكنيسة ويهدد سلطانتها وكيانها ، فحكم عليه البابا انوسنت الثانى (١١٣٠ —

١١٤٣ م) بالمرطقة مرة أخرى . وانزوى بقية أيام حياته بدور كلوني الرئيسي
بفراسا ماكفا على الدراسة والتحصيل والتأليف إلى أن وافته منيته (١) .

لقد دعا ايلارد إلى استخدام العقل وتطبيقه على كل ما يقع تحت يد الإنسان ،
قائلا إن الإنسان يجب ألا يؤمن في شيء قبل فهمه ، وبهذه قوله : *Nothing is to be believed unless it is understood* . وهكذا بعد أن كان الإيمان
يسبق العقل فيما مضى وبعد أن كان الأساس هو « إني أؤمن كي أفهم » ، تغير
الوضع وأصبح الفهم والإدراك يسبقان العقيدة . وقد نادى ايلارد بتطبيق هذا
المبدأ على كل شيء حتى على الدين نفسه . وهكذا كانت فلسفته تقوم على الشك ؛
ففي نظره لا يتأتى الوصول إلى الحقيقة إلا عن طريق التشكك والممارسة . وقد
وجد القديس برنارد أن اعتقاد ايلارد باستخدام العقل في المسائل اللاهوتية
أمر لا يمكن قبوله على الإطلاق ، وكان على يقين من أن ايلارد مدان في
وجهة نظره . (٢)

(١) عن ايلارد وسيرته وحياته وفلسفته، أنظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية
في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٥٧) ، ص ٩٢ - ٩٤ ؛ عبد الرحمن بدوي : فلسفة العصور
الوسطى ، ص ٧٩ - ٨٤ . راجع أيضا Ker, *The Dark Ages*, p. 210 ; Garin & Others, *Les Utopies à la Renaissance*,
pp. 61, 68, 65 ; Coulton, *Medieval Panorama*, pp. 207, 241,
307, 394, 466, 591, 664 ; Crump & Jacob, *op. cit.*, pp. 57, 156,
237, 259, 270, 326, 518 ; Gandillac, M. de, *Oeuvres Choisies d'Abélard* (Paris, 1945), p. 5 ff.
Cantor, *op. cit.*, pp. 220 — 228.

(٢) أنظر كوانتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

ومن أهم مؤلفات ايلارد التي خلفها لنا كتابه باللاتينية المعروف باسم « ليم ولا ، Sic et Non » الذي قدم له بكلمة عن تفسير الكتاب المقدس ، وضمنه فلسفته الصغيرة . وقد تناول فيه موضوعات خصبة للبحث والمناقشة ، كما جمع فيه الآيات الواردة في الكتاب المقدس التي يبدو فيها التناقض وعدم الانسجام بقصد المقارنة ولكن دون أية محاولة من جانبه لتوفيق بينها (١) .

ولا جدال أن فلسفة ايلارد كان لها أثرها الواضح في دفع مجلة التقدم إلى الامام وتحرير الفكر الانساني من القيود القديمة البالية في فترة بدأ فيها الغرب ينفض عن كامله كابوس الماضي المزعج ، مما هيا الجو لظهور عصر النهضة الذي يعتبر مرحلة تغير وانتقال من العصر الوسيط إلى العصر الحديث .

وقد يبدو مما تقدم أن الحزب الرجعي برعامة برنارد أوف كليرفورد أحرز انتصاراً مؤقتاً على حركة تحرير الفكر التي نادى بها ايلارد . ومع ذلك لم يكن من السهل إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء في وقت كان كل شيء فيه في تغير تدريجي مستمر ، ولم يكن هناك أمر ثابت على حاله . كانت الدماء الساخنة تجري في العروق ، والأفكار الجديدة تنصارع مع المبادئ القديمة . وكانت المثل والقيم القديمة تحارب ، في واقع الأمر ، في معركة خاسرة أمام القوى التقدمية الجديدة . إذ صمدت قوة فلسفة ايلارد في الأجيال التالية ، وانتصر مذهبه في نهاية الأمر في عصر مقعم بالنشاط متعطش إلى العلم والمعرفة (٢) .

(١) كولتون : نفس المرجع ، ص ٢٧٤ . انظر أيضا Goff, op. cit., p.

427 ; LaMonte, op. cit., p. 564.

(٢) كولتون : نفس المرجع ، ص ٢٢٣ .

ويكفى الدلالة على ذلك أن تلامذة ايلارد وصلوا إلى المراكز العليا في الكنيسة اللاتينية ، ومنهم تلميذه بطرس الباردي Peter Lombard الذى وصل إلى مركز أسقفية باريس ، وقام بلشر تعاليم أستاذه ومبادئه التى ضمنها في مؤلفه المعروف باسم « كتاب الجمل » Liber Sententiarum الذى غدا مصدرا رئيسيا في دراسة علم اللاهوت في الفترة الباقية من تاريخ القرون الوسطى .^(١) ويعتبر هذا الكتاب أوفى من كتاب « نعم ولا » ، إذ حاول فيه مؤلفه التوفيق بين مختلف الآيات المتناقضة في الكتاب المقدس ، حتى غدا الكتاب الأساسى الذى يرجع إليه في علم اللاهوت . ويقول كولتون إن هذا الكتاب في القرن الثالث عشر قد أغنى بالمرّة عن دراسة الكتاب المقدس نفسه^(٢) .

وما دمتنا نتحدث عن أبرز الدعاة إلى تلك الحركة الجديدة فلا بد أن نشير إلى برنهار التورى Berengar of Tours . وهو أحد المعلمين بكاتندراية مدينة تورز يحنوب فرسا . وقد تشكك هذا الرجل في أمر الجسد المقدس والدم المقدس الذى يعرف اصطلاحا باسم « الأفخارستية » Eucharist ، وهى العقيدة الشائعة بين الناس الفائلة بأن القربان والتبذيل ينقلبان فعلا إلى الجسد المقدس والدم المقدس ؛ بمعنى أنه كان يتشكك في حقيقة وجود المسيح في القربان المقدس . ولما كان

(١) - حول بطرس الباردي وكتابه ، انظر Shorter Cambridge Medievel History, vol. I, pp. 626, 639 ; Monroe, P., A Text-Book in the History of Education (New York, 1914), p. 823 ; LaMonte, op. cit, pp. 564-565, 572 ; Coulton, Medieval Panorama, pp. 414, 421, 481, 683, 688, 700 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 57, 279, 345 ; Painter, op. cit., pp. 178, 268, 289, 302 f., 474.

(٢) - أنظر كولتون - عالم الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٤-٢٢٥ .

فيما ينادى به برنهار تهديداً خطيراً العقيدة نفسها واللبادى الاساسية التى تقوم عليها المسيحية ، فقد تصدى له أحد رؤساء أساقفة كاتدربرى من أعضاء الحزب الدينى المحافظ ويدعى لانفرانك Lanfrans . واضطر برنهار تحت الضغط والتهديد إلى سحب اعتراضاته على العقيدة المسيحية^(١) .

ونمة شخص آخر يدعى روسلين Roscelin of Compiègne (١٠٥٠ — ١١٢٠ م) الذى يعتبره بعض الكتاب رسول نهضة القرن الثانى عشر . فهو الذى افتتح أزمى عصور الفلسفة المدرسية وقتذاك . وقد أخذ هذا المفكر — شأنه شأن غيره من المفكرين الغربيين — فى تطبيق أساليب العقل والمنطق فيما يتلقاه من دراسات لاهوتية ، فهاجم مبدأ الثالث الأقدس The Holy Trinity ، وهو فكرة الإله الواحد ذى الصفات أو الأقاليم الثلاثة ، وهى الآب والابن والروح القدس . ونتيجة لذلك أدين روسلين بتهمة الهرطقة لخروجه على تعاليم المسيحية ومبادئها ، واعتبرت تعاليمه هرطقة . وقد اضطر — هو الآخر — إلى التراجع عنها وببذها ، ولكنه كان قد ترك أثره العميق على تلميذه بطرس ابيلارد^(٢) .

وقد ابنى روسلين وآرائه القديس انسلم St. Anselm (١٠٣٣-١١٠٩ م) .

Cf. LaMonte, op. cit., pp. 247, 301, 304 ; Coulton, (١) Medieval Panorama, pp. 62 f., 124, 128, 207, 241, 322, 394, 446, 637 ; Crump & Jacob, op. cit., 368 ; Painter, op. cit., pp. 189, 148, 467.

Painter, op. cit., p. 482 ; Crump & Jacob, op. cit., (٢) p. 284 ; LaMonte, op. cit., p. 564. أنظر أيضاً سعيد عاشور : الجامعات

وهو ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية الإيطالية ، ثم اعتنق الرهبنة ، وغدا زعيما للرهبنة النورمالية ، واختتم نشاطه الدينى بشغل منصب رئيس أساقفة كاتدرى فى المجر . وقد قامت فلسفته على أساس تقبل الإيمان دون جدل أو مناقشة ، أى عدم تحكم العقل والمنطق فيما يتعلق بشئون الإيمان والعقيدة . وله عدة مقالات باللاتينية عن طبيعة الله أهمها مقالته المسماة « لماذا تجسد الله فى شخص إنسان ؟ » ، « Cur Deus homo ? » ، التى أوضح فيها فلسفته المعروفة وهى أن العقيدة يجب أن تتقدم الفكر عند الإنسان *Credo ut intelligam* ، بمعنى أن تفهم الأشياء يتبع العقيدة . وبناء على ذلك يصبح الشك فى طبيعة الثالوث المقدس وهو ما نادى به روسلين أمرا باطلا (١) . لقد كان اتسليم من كبار المدافعين عن الواقعية وهى أحد المذاهب المدرسية الرائدة فى فلسفة العصر الوسيط ، بينما كان روسلين من الإسميين (٢) .

(١) أنظر بحث اتسليم المعلنون « الدليل على وجود الله » وكذلك نبذة عن اتسليم نفسه فى كتاب كاندور ، Cantor, op. cit., pp. 208—210. Cf. also Coulton, *Medieval Panorama*, pp. 62, 64, 112, 128 ff., 171 f., 265, 394, 637 ; Crump and Jacob, op. cit., pp. 235, 252, 268 ; Painter, op. cit., pp. 148, 467 ; Browne, *British Latin Selections*, p. 86 ; Bloch, op. cit., vol. I, pp. 103, 108.

وللمزيد من المعلومات عن القديس اتسليم وسيرته وحياته ومؤلفاته الفلسفية واللاهوتية ، أنظر حسن حنظل حنين : نماذج من الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط (الاسكندرية ١٩٦٩) ، ص ١٠٣—١٧٧ ؛ بنوى : فلسفة العصور الوسطى ، ص ٦٥ وما بعدها .

(٢) أشار شارل هومر هاسكنز إلى ذلك فى مؤلفه عن نشأة الجامعات فى العصور الوسطى ، الذى قمنا بترجمته إلى العربية فى القسم الثانى من هذا المجلد . وللمزيد من المعلومات عن الإسمية والواقعية وعن وجهتى نظر الإسميين والواقعيين وكذلك مشكلة السكيات فى العصور

وإلى جانب هؤلاء يوجد مفكر آخر أسهم بتصيب وافر في نهضة القرن الثاني عشر ، وهو جون أوف ساليسبورى (حوالى ١١١٥ — ١١٨٠م) أسقف مدينة شارتر ، ومن أشهر تلامذة الفيلسوف بطرس ابيلارد . وهو من مدينة شارتر الفرنسية التى كانت مدرستها وقتذاك أعظم مركز لتدريس العلوم الإنسانية فى القرن الثانى عشر . وفيها وصلت تلك الدراسات ذروتها فى شخص ساليسبورى . وكانت ثقافته الكلاسيكية ومعرفته الواسعة بالكتاب اللاتين القدامى ، تسمح له بالرجوع إليهم والإفادة من إنتاجهم . وليس هناك من هو أحق من جون من علماء ذلك العصر بأن يحمل لقب « عالم فى الدراسات الإنسانية » . وقد اختتم حياته باعتباره أسقفا على شارتر حيث تلقى تعليمه ودرسته ، وترك عددا من البحوث والمؤلفات التى ضمنها آراؤه وأفكاره^(١).

والخلاصة أن هؤلاء المفكرين وغيرهم أسهموا بتصيب واضح فى الربط بين

==الوسطى ، أنظر بدوى : فلسفة المصور الوسطى ، ص ٦١ — ٦٤ ، وكذلك Stone, D., *France in the Sixteenth Century* (New Jersey, 1969), p. 15 f. ; Wallon, H., *Saint Louis* (Tours, 1879), p. 850.

(١) حول جون أوف ساليسبورى وسيرته وأفكاره ، أنظر المراجع التالية : LaMonte, op. cit., pp. 558 — 559, 565, 577, 738 ; Lewis, E., *Medieval Political Ideas*, vol. I (London, 1954), pp. 147, 169, 170—172, 197 f., 225, 246 f., 249, 278 f. ; Figgis, J. N., *Political Thought from Gerson to Grotius* (New York, 1960), p. 198 ; Heer, op. cit., pp. 78—79, 90—92 ; Sabine, op. cit., pp. 216—217 ; Coulton, *Medieval Panorama*, p. 394 ; Crump & Jacob, op. cit., pp. 150, 164, 238, 263, 506, 515 f. ; Painter, op. cit., pp. 303, 447 f., 465, 467 ; Browne, op. cit., p. 57 f.

الأفكار والمبادئ التي أعلنوها ونادوا بها وبين النظريات المتعلقة بعلم اللاهوت . وقد ترك بطرس ايلارد ، بصفة خاصة ، أثرا عميقا في الدراسات الفلسفية واللاهوتية ، وبلغت الحركة المدرسية في أيامه مرحلة الارتباط بالحركة الجامعية الناشئة . وبالرغم من أن أولى الجامعات الأوروبية لم تظهر إلا بعد مرور جيل تقريبا من وفاة ايلارد ، فقد كان هذا الفيلسوف صاحب الفضل الأول في بحث وإثارة موجة من النشاط الفكري والعقلي ، وهي التي هيأت الجو — إلى جانب عوامل أخرى — لظهور جامعة باريس فيما بعد . ذلك أن ايلارد بحث في كتابه الممتون « نعم ولا » ، الذي أشرنا إليه من قبل ، عددا من المسائل اللاهوتية بطريقة جدلية فلسفية . وأصبح هذا المنهج نموذجا لمن جاء بعده من اللاهوتيين والفلاسفة ، مثل بطرس اللباردي ، في تنفيذ آراء معارضتهم ودحضها . وهكذا غدت طريقة السؤال والجواب هي الطريقة المثلى في التدريس بالجامعات الأوروبية في العصور الوسطى . كذلك كان ايلارد هو الرجل الذي استهل الحركة الجامعية في أوروبا الغربية . ذلك أن المدارس الديرية بعد أن أغلقت أبوابها في وجه الطلاب الملبائين بعد حركة اسميلم المعروفة ، انجبه هؤلاء الطلاب إلى المدارس الكاتدرائية ، وكانت هذه المدارس أكثر ميلا نحو الطابع العلماني . وكانت مدرسة كاتدرائية باريس التي قام ايلارد بالتدريس فيها هي النواة التي ابشقت منها أولى الجامعات في الغرب ألا وهي جامعة باريس^(١) .

وشاءت الظروف أن صاحب شهرة بطرس ايلارد العلمية في باريس ارتفع شأن هذه المدينة في الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فأصبحت كعبة لطلاب العلم يسمون إليها من مختلف بلاد الغرب لفترة غير قصيرة من الزمن . واستمرت

(١) سنعلم إلى ذلك في شيء من التفصيل في الفصل التالي .

تتمتع بهذا المركز العلمى الممتاز الذى أرمى أسسه ووضع لبناته الأولى ايللارد، إلى أن ظهرت مجموعة أخرى من الجامعات الأوروبية ، وعندئذ بدأ الضغط يخف بعض الشيء عن باريس وجامعتها (١) .

هكذا ارتبطت الدراسات الفلسفية واللاهوتية والدينية بقيام جامعة باريس نتيجة لطروف خاصة أحاطت بالحركة الفكرية فى فرنسا . أما الدراسات القانونية فقد كان مسرحها — بطبيعة الحال — إيطاليا مهد الحضارة الرومانية القديمة والتعليم الرومانى القديم اللذين لم يندثرا طوال المصور المظلمة . وإذا كان التعليم فى فرنسا قد أصبح حكرا على المدارس التابعة للتوسسات الدينية ، فإنه لم يكن كذلك فى إيطاليا . فقد وجد فى الشمال الإيطالى كثير من الأساتذة العلمائين الذين لا يمتنون إلى الدين بصلة والذين لا يخضعون للكنيسة وسلطانها ورقابها . كما درج النبلاء هناك على توريد أبنائهم بقط من التعليم خروجا عن القاعدة المنتجة فى بقية أجزاء الغرب . ولهذا الأسباب كان جمهور المتعلمين فى إيطاليا من العلمائين ، بعكس الحال فى البلاد الواقعة شمال جبال الألب حيث كان العلم مقصورا على رجال الدين ، وبخاصة فى كل من فرنسا وألمانيا والمجترات .

وكان طبيعيا كذلك أن يصحب الاختلاف والتباين الفكرى بين شمال أوروبا وجنوبها ، اختلاف وتباين فى مواد الدراسة بينهما . فبينما وجهت البلاد الواقعة شمال الألب اهتمامها إلى الجدل والمنطق والمساكل المتعلقة بعلم اللاهوت ، اهتمت إيطاليا بالبحر والبلاغة والقانون . وكان لذلك فوائده فيما يتعلق بصياغة الوثائق والمستندات الرسمية وإعداد الفرد للعمل بالمحاماة أو كتابة الدعاوى والمراض .

وقد استخدموا المنطق لخدمة الدراسات القانونية . كل هذا جعل الإيطاليين يقولون على دراسة القانون والرجوع إلى تراثهم القديم . وترتبت على ذلك حركة بحث وإحياء للدراسات القانونية ارتبطت أول ما ارتبطت باسم المشرع ارنريوس Irnerius ومدرسة بولونيا . ولقد ظلت المدرسة الرومانية القديمة قائمة في إيطاليا ، وبخاصة في السهول الشمالية . ولهذا السبب ظل القانون الروماني هو الآخر حياً لم يندثر كلية طوال العصور المظلمة إلى أن قامت نهضة القرن الثاني عشر لتعمل على إحياء هذه الدراسات وتلك المدرسة ، في نفس الوقت الذي قامت فيه المدن في الغرب بنشاطها التجاري والصناعي على أنقاض الإقطاع وحضارته ، تدافع عن استقلالها ضد سيادة الامبراطورية الرومانية المقدسة^(١).

ولا يعني هذا أن الناحية الروحية كانت أمراً مذهبياً تماماً في إيطاليا وجنوب الألب ، فقد ظهرت واضحة تماماً في الصراع العنيف بين البابوية والإمبراطورية خلال القرون الحادى عشر والثاني عشر والثالث عشر حول المسائل العلمانية والأمور الدينية ، وما نازح حوله من آراء ونظريات ومجادلات فقهية كان لها دورها وتذكرك . (٢)

Coulton, Medieval Panorama, p. 886 ; Painter, op. cit., p. 469 ; Shorter Cambridge Medieval History, vol. I, p. 619. أنظر أيضاً سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ١٩ وما بعدها ؛ هارتمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٤ وما بعدها .

(٢) نفا يسطق بالصراع الدينامي والنظريات التي قامت حوله ، أنظر هارتمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية)، ص ٤٨ — ٦٢ والحواشي و ٢١٨ — ٢٢٤ ؛ كوثون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، =

وهكذا أدت الظروف إلى وجود نهضة قانونية كبرى في إيطاليا ارتبطت في التاريخ باسم المشرع ارنريوس ومدرسة بولونيا للقانون (١) التي كانت قائمة بالفعل قبل عصره . وقد اشتهرت بدراساتها الادبية والقانونية حتى لقد اجتذبت إليها من وراء جبال الألب عدداً غير قليل من طلاب العلم الذين كانت تستهويهم مثل هذه الدراسات . وأدت شهرة ارنريوس ومحاضراته في القانون الروماني إلى ذوبان صيت مدينة بولونيا ومدرستها في كافة أنحاء أوروبا ، بالإضافة إلى عوامل أخرى من بينها موقع بولونيا الجغرافي الممتاز ك مركز حيوي لالتقاء الطلاب الوافدين من البلاد الواقعة شمال جبال الألب وجنوبيها على السواء (٢) .

وهنا يجب أن نعرف أن مدرسة بولونيا لم تكتسب شهرتها بين يوم وليلة ، فقد مرت بسدة مراحل إلى أن أصبحت كبرى مدارس القانون في إيطاليا . ومن ذلك الاهتمام الكبير بموسوعة جستنيان المعروفة باسم «مجموعة القوانين المدنية» (٣)

==س ٢٦٥ وما بعدها ؛ سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى، ج ١ (القاهرة ١٩٥٨)،
س ٢٥٩ وما بعدها ، و ج ٢ (القاهرة ١٩٥٩) ، س ١٨٤ وما بعدها ؛ سعيد عاشور
ومحمد أيمن : النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة ، س ٢٠٠ وما بعدها ؛
سباين (ج) : تطور الفكر السياسي - ترجمة حسن جلال العروسي - ج ٢ (القاهرة ١٩٦٤) ،
س ٣٢٠ وما بعدها ؛ وحبيب إبراهيم سمعان : الثقافة والتربية في العصور الوسطى
(القاهرة ١٩٦٢) ، س ١١ وما بعدها .

(١) حول المشرع ارنريوس ومدرسة بولونيا ، أنظر Grump & Jacob, op. cit., pp. 259, 367; Kitchin, A History of France, vol. I, p. 286; Painter, op. cit., p. 469 ; LaMonte, op. cit., pp. 572, 575.

(٢) أنظر سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية ، س ٧٨ .

(٣) حول هذه الموسوعة أنظر المراجع التالي : Runciman, S., Byzantine

Corpus Juris Civilis ، ثم القيام بدراسة مصادر القانون ، ثم دراسة القانون في حد ذاته كعلم مستقل له كيانه بعد أن انصفت دأثرته وبعد أن أصبح له أساتذته وطلابه المقطعون له .^(١) وقد كشف المؤرخ شارل هومر هاسكنز عن ذلك بوضوح في كتابه عن نشأة الجامعات^(٢) .

ولذا كان اربريوس قد اهتم بإحياء القانون الروماني ، فقد وجه زميلان له هما المشرعان الكنسيان جراسيان Gratian^(٣) وهوجاشيو Hugacio^(٤) ،

Civilisation (London, 1948), pp. 74-76 ; Barker, E. (ed.), Social and Political Thought in Byzantium (Oxford, 1957), pp. 75-76 ; Ostrogorsky, G., History of The Byzantine State (Oxford, 1956), pp. 51-52, 69-70.

راجع أيضا هارتمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢١٩ ح ٢ .

Gf. Katz, Decline of Rome, pp. 142-148. (١)

(٢) أشار هاسكنز إلى هذه التطورات عند حديثه عن بولونيا ومدارسها القانونية في الفصل الأول من مؤلفه الذي قمنا بترجمته في القسم الثاني من هذا المجلد .

(٣) حول الراهب جراسيان ومرسومه ، أنظر كولتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٠ و ٢٥٠ - ٢٥١ . راجع أيضا : Goff, op. cit., p. 427 ; Conlton, Medieval Panorama, pp. 29, 272, 382 388, 615, 623 ; Grump and Jacob, op. cit., pp. 52, 57, 826, 844. 848, 351, 527 ; Kitchin, op. cit., vol. I, p. 296 ; Painter, op. cit., pp. 138, 268, 302.

(٤) وأما عن المصراع الكنسي هوجاشيو (ت ١٢١٠ م) الذي ترك أهمى الأثر على الفكر والقانون الكنسي في زمنه ، أنظر هارتمان وباراكلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢١ ح ٣ . راجع أيضا Grump &

عنايتهما إلى إحياء القانون الكنسى ، ويكتسب مرسوم جراشيان المعروف باسم Decretum الذى أصدره فى منتصف القرن الثانى عشر أهمية خاصة . فهو لم يصدر فى شكل مجموعة قانونية بالمعنى المفهوم ، وإنما فى شكل مرجع للطلاب امتاز بطابعه المدرسى . وكان هذا المرسوم — بطبيعة الحال — سنداً للبابوية فى صراعها العلىانى مع الإمبراطورية . ويحمد فى مؤلف جراشيان المراسيم البابوية مرتبة حسب الموضوع ، وذلك على غرار القانون المدنى . وقد أضاف جراشيان إليها بعض التعليقات التى قصد من ورائها التيسيق بين المواد العديدة المتناقضة أو المتعارضة . وعلى الرغم من أن البابوات لم ينشروا هذا الكتاب بصفة رسمية ، إلا أنه كان من أوائل الكتب التى أُنشِروا منها فائدة كبرى ، وبخاصة فى صراعهم ضد القوى العلمانية^(١) .

وعلى هذا إذا كان لارريوس الفضل فى الفصل بين دراسة القانون والفنون الأخرى ليجعل منه علماً مستقلاً قائماً بذاته ، كذلك كان لجراشيان وزميله هوجاشير الفضل فى الفصل بين القانون الكنسى وعلم اللاهوت . ولهذا دلالاته البالغة وأهميته الكبرى فى تطور النظام الجامعى فى بولونيا بعد أن تضافرت جهود أساتذتها من علمانيين وكنسيين على السواء للنهوض بمدرستها لتصبح بعد ذلك التاريخ بفترة وجيزة إحدى جامعتين رئيسيتين مع بداية الحركة الجامعية فى

Jacob, op. cit., pp. 827, 887, 852, 858, 856 ; Lewis, op. cit.,—
vol. II, pp. 890, 526.

(١) كولون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٥٠ — ٢٥٩ .

أنظر أيضاً Haskins, C. H., The Renaissance of the Twelfth Century (Cambridge, 1928), p. 215 ; Rashdall, H., Universities of Europe in the Middle Ages, (Oxford, 1986), vol. I, p. 127.

الغرب، هما جامعة بولونيا في إيطاليا وجامعة باريس في فرنسا ، اللتين وضعتا أساس الحياة الجامعية والتعليم الجامعي في الغرب الأوروبي في أواخر العصور الوسطى .

لستخلص مما سبق أنه نشأ عن احتكاك الفكر بين عنصرين متباينين من المفكرين في القرن الثاني عشر ، يقظة شعوب الغرب بعد سنوات طويلة عاشت في كنفه ، الأمر الذي أسهم في بث النهضة العلمية والفكرية الهائلة التي عمت مدارس الغرب . وقد انعكست هذه النهضة على النشاط الأدبي والدراسات الأدبية التي احدثت جانبا بارزا فيها . فتم الرجوع إلى التراث الكلاسيكي القديم ، أو بالأحرى ما تبقى منه ، وبخاصة الأدب ، والعمل على إحيائه بالرغم من الضعف الذي أصابه في القرون السابقة . وبدأت هذه الحركة في مدينة ريمز الفرنسية على يد شخص يدعى جربرت الريمي Gerbert of Rheims الذي يعتبر الممثل الحقيقي للثقافة اللاتينية قبل عصر الفلسفة المدرسية والفكر الحر . وتكشف رسائله عن اهتمامه بالكتابة في العديد من الموضوعات ، فضلا عن تعمقه في الفلسفة وعلم البيان . كما أنها تلقى ضوءا كافيا على هذا العصر وأبرز سماته وخصائصه . ويتضح اهتمام جربرت بأمور العلم والتعليم من مراسلاته العديدة ، وبصفة عامة من طلب تزويده بكتب ومراجع معينة ، وكذلك من سمة اطلاعه واتساع دائرة معارفه وقراءاته (١) .

وقد انتقلت هذه النهضة الأدبية من ريمز إلى مدينة شارتر الفرنسية على يد أحد تلامذة جربرت وهو الأسقف فولبرت Fulbert (١٠١٠م) ، كما انتقلت إلى مدينة

Ker, op. cit., p. 198 ; cf. also Bloch op. cit , vol. I, (١)
p. 79.

تورز على يد أسقفها هيلدبرت Hildbert المتوفى سنة ١١٢٣ م ، والذي امتازت قصائده بسلامة أسلوبها وجمال تعبيرها ، وهو يعتبر من أعظم شعراء عصره ، إذ كتب في معظم فنون الشعر كالأغاني والمديح ، بالإضافة إلى الموضوعات الدينية المطروقة آنذاك (١) .

ومع ذلك فقد وجد في القرن الثاني عشر بعض المتزمتين من رجال الدين الذين نادوا بمحاربة الأدب الكلاسيكي القديم بحجة أنه مظهر من مظاهر الوثنية التي جاءت المسيحية لكي تقضى عليها ، مقتنين في ذلك خطى البابا جريجوري العظيم . ولكن أمثال هؤلاء كانوا أقلية في ذلك الحين ، ولم تؤثر أفكارهم الضيقة المحدودة على النهضة الجديدة التي انطلقت من عقائدها نتيجة الظروف والمؤثرات التي استجذبت على مسرح الأحداث ، وفي عصر ساخط على كل ما هو قديم متعطش إلى كل ما هو جديد . وعلى هذا لم تكن هذه الفئة الرجعية خطرا على التراث الكلاسيكي الذي نادى أصحاب الفكر الحر بالرجوع إليه والإفادة منه . بل كانت دعوتهم صرخة في واد ذهب مع الريح دون أن يكون لها أي أثر . ذلك أنها لم تكن خطرا على المناديين بتحكيم العقل والمنطق في كل شيء ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور العقيدة . فظهرت كتابات بالفن اللاتينية لها قيمتها ووزنها مثل رسائل الفيلسوف ابيلارد وجربرت الزيمى وأشعار هيلدبرت التورى .

وإذا انتقلنا إلى ميدان البلاغة نجد أن إنشاء الرسائل قد احتل المكانة الأولى في القرن الثاني عشر . إذ ازدهر فن صديق الرسائل في كل من بولونيا وفرنسا ،

Cf. Coulton, *Medieval Panorama*, pp. 394, 411 et seqq. ; (١)

LaMonte, op. cit., p. 245 ; Bloch, op. cit., vol. I, pp. 65, 219,

228 ; Painter, op. cit., pp. 447 f., 467.

وقد كُتبت بأسلوب نثرى لاتينى رفيع ، وبخاصة تلك التى ترجع إلى عهد الملك الفرنسى فيليب أوغسطس ، ويريد من قيمة تلك الرسائل أنها تلقى الضوء على الأوضاع السائدة فى العصر الذى دوت فيه (١).

وأما عن الشعر اللاتينى فى القرن الثانى عشر ، فلم يكن أقل شأناً من النثر . إذ بلغ — هو الآخر — درجة كبيرة من الوفرة وتنوع موضوعاته وقوة أسلوبه . وقد تأثر هذا الشعر الجديد بكل من الشعر الكلاسيكى من ناحية والطابع الدينى الذى أوحته به المسيحية من ناحية أخرى. ويبدو الأثر الرومانى القديم فى أشعار هيلد برت ، بينما يتضح الطابع الدينى فى أشعار كل من ايلارد ومارودود Marbod (١٠٣٥ — ١١٢٣ م) ، وفى مئات القصائد التى تتناول الموضوعات الدينية البحتة مثل سيد الرسل والقديسين والقصص المستوحاة من الكتاب المقدس (٢).

وكانت الترايم الدينية ، فى الواقع ، أخصب أنواع الشعر فى تلك الفترة من الزمن . إذ أن طبيعة العصر كانت تشجع مثل هذا النوع من الشعر الذى كان يدور معظمه حول القصة الخالدة المتعلقة بأقوال الإنسان كما وردت فى الكتب المقدسة ، والتى قامت عليها فلسفة المسيحية . وكانت مثل هذه الترايم ترقل فى الكنائس فى أيام الأسرار والأعياد والمواسم الدينية ، وكان الناس يحفظونها عن ظهر قلب .

ولإى جانب هذا النوع من الشعر الدينى وجد أيضاً الشعر الغنائى أو الشعر الجولياردى، نسبة إلى شخصية غامضة مار حولها الكثير من الجدل والخلاف بين

Haskins, The Renaissance of the Twelfth Century, (١)
p. 143 ff.

(٢) سميد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ — ٢٤٣ .

المؤرخين هي شخصية جولياس^(١) . وكان هذا الشعر يدور حول تمجيد البطولة وسير الأبطال ، ويبر عن الطبيعة وجمالها وعن غتلف المواطف والانفعالات والاحاسيس الإنسانية من الحب والبغض والغيرة والكراهة والأمل والألم وما إلى ذلك . وقد امتاز هذا النوع من الشعر بظاهبه الديوى المرح الساخر الذى يدعو إلى التمتع بالحياة ومباهاها فى شق صورها ومظاهرها . وهو يعتبر بمثابة رد فعل المسيحية وفسفتها التى حرمت على الفرد فى القرون المبكرة من العصر الوسيط مجرد التفكير فى الحياة الدنيا ومتنها وملذاتها . وكان من الطبعى أن تتعارض الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية مثل هذا الشعر الديوى لتعارضه مع روح المسيحية فحاربته حرباً لا هوادة فيها ، وأزلت أشد أنواع العقاب بأصحابه والداعين إليه . ولكن هؤلاء الشعراء الديويين ، ويبدو أن معظمهم كانوا من طلبة العلم الجامعين ، لم يستكينوا ولم يسكتوا أو يستسلموا . بل اتخذوا من مفاسد الكنيسة ورجالها ، من رشوة أو سيمونية وزواج القسس وانغماس فى المسائل الديوية وانزلاق إلى الإقطاعية ، ومن بيع صكوك الغفران فى سوق البابوية وخروج على المثل والقيم التى تبنتها المسيحية - اتخذوا من كل هذه المفاسد وظهروا مادة خصبة لأشعارهم الغنائية الساخرة . فكانت هذه القصائد والأناشيد تعبر تعبيراً صادقاً عن روح العصر ، وعن تصميم الناس على الخروج على الكنيسة وتمايها بعد أن انحرفت هى نفسها عن التقاليد الأصلية للمسيحية . وكانت تعبر ، بحق أيضاً ، عن روح السخط والاستياء التى عمت الغرب من أقصاه إلى أقصاه . ولم يسل البابا نفسه من سخرية أولئك الشعراء وتهكمهم عليه . وكان مثل هذا

(١) نعرض هاسكتز فى الفصل الثالث من كتابه « نفأة الجامعات » المترجم فى القسم الثانى من هذا المجلد ، لشعر الجولياردى والشعراء الجوليارديين وشخصية جولياس فى شيء من التضييل والإسهاب والتعليل .

الشعر الفكاهى الساخر يلقى الشيوع والزوج فى كل مكان فى الغرب ، لأنه كان يهرب من سطخ مكبوت وأمل فى التجديد . ومن أبرز شعراء هذا النوع هيو ج أوف اورليانز الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . وقد درس فى باريس ثم قام بالتدريس فيها فيما بعد ، وتعمق فى الدراسات الكلاسيكية ، وكان على معرفة بأوزان الشعر اللاتينى القديم مما ساعد على نبوغه فى قرض الشعر الخفيف الذى تجلت فيه شخصيته ومواهبه ، والذي كشف بوضوح عن أوضاع عالم متغير . وأما الشاعر الجولياردى الثانى فهو مجهول الاسم وإن كان يطلق عليه أركيوبيس ، وتتمجلى فى أشعاره اللاتينية الروح الديوية الكلاسيكية (١).

لنخلص عما سبق أن نهضة القرن الثانى عشر كانت نهضة حقيقية لا يمكن إغفالها أو التهورين من شأنها ، وقد شملت كافة النواحي والأنشطة والمجالات ، وحل وأسسها أمور العلم والتعليم . وقد سبقتها عوامل وظروف عديدة متعددة هيأت الجو لظهورها وأوجدت تربة خصبة لنموها وازدهارها ، ترجع جذورها إلى أواخر القرن الثامن وبدايات القرن التاسع أيام الإمبراطور شارل العظيم ، بل وقبل ذلك أيام النهضة الإيرلندية فى القرن الثامن . كما ترتبت عليها نتائج وآثار لها أهميتها البالغة فيما يتعلق بنشأة الجامعات التى تعتبر من نتائج العصور الوسطى والتى تخرج من بين جدرانها الشباب المثقف ، مما ساعد على ظهور عصر النهضة الذى يعتبر مرحلة فاصلة بين التاريخ الوسيط بفلسفته ومثله وأفكاره ومبادئه وبين العصر الحديث بمبادئه العملاقة الزاهرة .

Painter, op. cit., p. 447 f.; Bloch, op. cit., vol. I, (١)

p. 104. راجع أيضا سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ — ٢٤٥ . وقد تعرض هاسكتز لهذه الناحية فى عمله . من التفصيل والتحليل فى الفصل الثالث من مؤلفه المترجم فى القسم الثانى من هذا المجلد ، والذي تناول فيه حياة الطلبة فى العصور الوسطى .

الفصل الرابع

جامعة العصور الوسطى

المراحل التي مرت بها ، ونشأتها ، وانتشارها

- الجامعة بمفهومها الحديث من نتائج العصور الوسطى .
- المراحل الرئيسية التي مرت بها الجامعة إلى أن اكتملت شخصيتها :
 - أ — تأسيس المدارس العامة الملحقة بالمؤسسات الدينية .
 - ب — قيام المعاهد العلمية .
 - ج — إنشاء اتحادات الطلاب .
 - د — الاعتراف الرسمي بالكيان الجامعي من قبل السلطات الدينية والديوية على السواء .
- أمم المراكز العلمية الجامعية في القرن الثاني عشر :
 - أ — جامعة باريس .
 - ب — جامعة بولونيا .
- جامعات القرن الثالث عشر والقرون التالية له .
- الجامعة المنعزلة قامت في العصور الوسطى قبل الجامعة للمادية .

لا خلاف أن تأسيس الجامعة بمنهاها المعروف في كل المصور يعتبر — حسباً أوضع كل من هاسكنز ولا مونت وغيرهما من المؤرخين المعنيين بهذه الناحية — من أم الآثار الفكرية التي أنتجتها المصور الوسطى في دوائر العلم والتعليم . إذ ليس هناك فيما سبق في التاريخ القديم أيام اليونان والرومان القدماء ما يدل على وجود مثل هذه الفكرة الجامعية التي عرفت لأول مرة في القرون الوسطى . بل إن التاريخ القديم بكل ما وصل إليه من التقدم والازدهار وما حققه من الرقي في شتى نواحي الحضارة الفكرية لم يكن فيه جامعة واحدة بالمعنى الذي نفهمه (١) . وقد أصبحت تلك الجامعات مراكز عليية تفيض بالحياة والنشاط والحركة الدائبة ، كما أخذت أمراً مثيراً للدهشة والإعجاب في ذات الوقت . إذ اجتذبت إليها الطلاب من كل مكان في الغرب الأوروبي ، وكان من بين أساتذتها أكثر رجال العصر مقدرة وألمية وكفاءة (٢) .

-
- (١) LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 567 ;
 Haskins, G. H., The Rise of Universities (New York, 1960), p. 1.
 أنظر أيضاً الفصل الأول من مؤلف هاسكنز صانف الفكر وعنوانه « الجامعات المبكرة » المترجم في القسم الثاني من هذا المجلد . وهنا يجب أن نذكر أن الجامع الأزهر كان يعتبر من أقدم الجامعات التي ظهرت في أواخر العصر الوسيط سواء في الشرق أو الغرب . وقد أسسه القائد جوهر الصلي عام ٩٧٢ م ، وكان لهذا الحدث أهميته البالغة ليس في مصر تحسب وإنما في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وقد أولف عليه الخلفاء الفاطميون المتعاقبون وبخاصة المميز الهبات والعطايا . وأخذ الجامع الأزهر صفته الجاهلية الواضحة بهذا اكساح القول لمدينة بغداد سنة ١٢٥٨ م بصفة خاصة . أنظر Glauville, S.B.K.
 The Legacy of Egypt, p. 851. (ed.) وللتزيد من المعلومات عن الأزهر كجامعة عليية ، أنظر Atiya, A. S., Crusade, Commerce and Culture (Bloomington, 1962), pp. 244-246 ; Dodge, B., Al-Azhar - A Millenium of Muslim Learning, Princeton, 1961 ; Mahmud, S.F., The Story of Islam (Karachi, 1959), p. 807.
 Cf. Sabine, History of Political Theory, p. 215. (٢)

وعلى هذا يمكن القول إن الجامعات بشكلها ونظمها التي وصلت إلينا عبر القرون الطويلة تعتبر من مخلفات العصر الوسيط ومآثره، وهي تعتبر — بحق — عن روح ذلك العصر الذي نشأت في فتياءه وترعرعت بين أحشائه . وكان يطلق عليها في المصوّر الوسطى الاسم اللاتيني *Studium generale* (١) ، أى المدرسة العامة ، بمعنى أنها كانت المكان العام الذي يستقبل طلاب العلم الوافدين إليه من جميع الجهات حيث يتلقون قسطاً من الدراسات العليا في مختلف فروع المعرفة على أيدي أساتذة مختصين أكفاء . وقد شاع لفظ « المدرسة العامة » عند مستهل القرن الثالث عشر ، وهو الذي يسر عن الجامعة في معناها الحديث . وهي بذلك تختلف اختلافاً واضحاً عن تلك المدارس المحلية المحدودة الضيقة التي أثمرنا إليها من قبل مثل المدارس التابعة للمؤسسات الدينية بمختلف أنواعها ومدارس القصور والفروسية .

وغنى عن القول إن هذه الجامعات لم تكن وليدة يوم وليلة ، ولم تنشأ فطرة واحدة في محيط العلم والتربية والتعليم ، شأنها في ذلك شأن أى ظاهرة من ظواهر التاريخ أو أى حركة من حركاته . إنما كانت نتيجة طبيعية ومنطقية لعدة عوامل وظروف ترجع إلى قرون طويلة سابقة ، إلى أن انتهى الأمر بفرس النواة الجامعية بمعناها المألوف . وقد بدأت هذه النواة صغيرة متواضعة في أول الأمر يكاد لا يمس بها أحد ، ولكنها أخذت تنمو نموًا تدريجياً بطيئاً مستمراً ، وكان من حسن حظها أن وجدت تربة صالحة ومناخاً ملائماً لنموها إلى أن شبت

(١) Crump & Jacob, *Legacy of the Middle Ages*, p. 259; Coulton, *Medieval Panorama*, p. 894; Baldwin, *Medieval Church*, pp. 68, 69; LaMonte, *op. cit.*, p. 569; Bailly, A., *Saint Louis* (Paris, 1919), p. 228; Moreau, E. de, *Histoire de l'Eglise* (Paris, 1931), p. 154. أنظر أيضاً مسيد عاشور : أوروبا المصور الوسطى ، ج ٢ ،

وترعرعت ، ثم منضجت واكتملت شخصيتها بمختلف كلياتها ومناهجها وأساتذتها وطلابها ونظمها وانظمتها .

وإذا رجعنا إلى الوراء ، وألقينا نظرة فاحصة مدققة إلى تطور الحركة الفكرية والعلمية التي أثمرت بنشأة الجامعات ، يمكن القول بأن الجامعات قد مرت بعدة مراحل رئيسية مميزة إلى أن وصلت إلى طور النضج والكمال^(١).

تقع المرحلة الأولى من تاريخ نشأة الجامعات في المدارس العامة الملحقة بالمؤسسات الدينية من كنائس وأديرة وكاتدرائيات وأبرشيات^(٢). فقد كانت هذه المؤسسات هي الممثل الذي أضاء ظلمات القرون الأولى من العصور الوسطى، وارتبطت بها حركات الإصلاح الدينية العديدة التي ظهرت في أوروبا من وقت لآخر ، وأصبحت بحكم مركزها والظروف التي أحاطت بنشأتها المهيمنة على التعليم منذ البداية ، كما أصبحت معاهد العلم من ملحقاتها قرة غير قصيرة من الزمن^(٣). وكان من الطبيعي أن يرتبط تأسيس مثل هذه المدارس المبكرة بالدين ، فلم يكن الغرض الأصل منها هو إعداد أفراد الشعب لمواجهة مطالب الحياة الدنيا أو العمل في الوظائف الحكومية ، وإنما كان — أولاً وقبل كل شيء — وسيلة لإعداد الصغار لكي يصبحوا قساوسة فيما بعد ويخدمون في السلك الكنسي . ولذلك أصبح التعليم في تلك المدارس منحصراً ، أساساً ، في تفهم الدين وتلاوة الصلوات وقراءة الكتب المقدسة والقيام بالعقوس الدينية والخدمات الشعائرية الكنسية . وكان

Baldwin, op. cit., p. 70.

(١)

Grupp & Jacob, op. cit., p. 259; Poole, op. cit., p. 282. (٢)

وللزيد من المعلومات من النظام الأبرشي في المجمل القرنين الوسيط ، انظر كوايتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٠٣ وما بعدها .

(٣) انظر كوايتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٩٩ - ١٠١ .

الأساقفة ورؤساء الأسقفية ومقدمو الأديرة بحكم مراكزهم هم نظار هذه المدارس ومديرها بل ومؤسسيها (١).

وكان من الطبيعي أيضا أن ترتبط مناهج الدراسة في تلك المدارس بما يحتاج إليه الطالب لتفهم العلوم اللاهوتية والقيام في النهاية بواجبه كرجل من رجال الدين . ولذلك كانت الأجرومية وقواعد اللغة اللاتينية هي أولى المواد وأهمها ، وقد اعتنى المعلمون بتدريسها لطلابهم . وتأتى بعد ذلك العلوم الكلامية والمقصود بها المنطق والجدل ، والهدف الرئيسى من تدريسها إقناع الخارجين على الدين والرد المنقح على المرافطة والوثنيين . ثم تأتى قواعد الحساب والفلسفة لتحديد أيام الأعياد والتقديسين . وكان للتنليذ يتلقى أحيانا دروسا في فن الموسيقى وقواعد الغناء حتى يتمكن من أداء الترانيم الكنسية . ويجب أن نفهم أن كل هذه المواد كانت مجرد أداة لتفهم الدين فحسب ، وإن كانت قد ساعدت فيما بعد وبطريق غير مباشر على تطور الفكر البشرى وتحروره من القيود التي عاش أسيرها والتي فرضتها الكنيسة عليه لعدة قرون .

والواقع أن هذا التفكير يرجع إلى أقدم القرون في المصور الوسطى . إذ خبر عن ذلك في القرن الرابع الميلادى القديس أوغسطين أوغستين ، وردد صدق هذا القول في القرن الثالث عشر القديس بوناڤنتورا St. Bonaventura بقوله : « إنه بنون درس مختلف العلوم دراسة عليية لا يكون من المستطاع فهم الكتب المقدسة . » (٢)

Goulton, Medieval Panorama, p. 385 ; Funck-Brentano, (١)
F., Le Moyen Age (Paris, 1922), p. 181.
و جاكوب : تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .
Cf. Grump & Jacob, op. cit., p. 356. (٢)

أنظر أيضا ما سبق ، ص ٤٠ من هذا الكتاب .

وكان من الطبيعي أن يجمع كبار رجال الدين في الكنيسة اللاتينية وعلى رأسهم البابوات مثل هذه المدارس التي أُنشئت لتثقيف الطلاب متفاحة دينية بحجة تقديم أولا وأخيرا أهداف الدين المسيحي . كذلك لقيت الكثير من حناية العلاميين من الحكام والملوك والأباطرة منذ أيام الإمبراطور شارلمان الذي أمر بتأسيس مدرسة بكل دير ، وأباح التعليم للجميع في تلك المدارس لمن يرغب فيه وبدون مقابل . وكان يحث رؤساء الأديرة وعامة رجال الدين في رسائل حفظها لنا الزمن من الضياع على الاهتمام بأمور العلم والتعليم ، وعلى تثقيف أنفسهم وحراسة الفنة اللاتينية وأجروميتها حتى يمكنهم أداء الخدمات الدينية بها وتلاوة الكتب المقدسة والقيام بالوعظ بأسلوب سليم خال من للشوائب والأخطاء (١) .

كان هذا في أوائل القرن التاسع الميلادي ، وفي أخريات ذلك القرن نهج الملك الفريد السكسوني نهج شارل العظيم مقتضيا خطاه ؛ وأرسلت مراكز الإشعاع الثقافي بأشعتها من غالة إلى الجزيرة البريطانية لتنتشر في باقي أجزاء القارة . ومع الزمن ازدادت هذه المدارس الدينية عددا ، وازدهر بعضها ورجحت كفتها على غيرها من المدارس بسبب ظهور أساندة مبرزين فيها بما دفع طلاب العلم على الإقبال عليها من كل مكان في الغرب لتلق العلم على أساندها والإفادة منهم . ولكن إذا كانت بعض هذه المدارس قد ذاع صيتها واتسع نطاقها وعظم شأنها ، فقد تدهورت بعض المدارس الأخرى التي لم يتيسر لها الوقوف على قدميها لأسباب متعددة

(١) أنظر الترجمة العربية لحطاب شارلمان إل رؤساء الأديرة ورجال الدين في دولته ل الملاحظين الأول والثاني بآخر القسم الأول من هذا المجلد . راجع أيضا ، ما سبق ، س ٦٤-٦٥ من هذا القسم .

من بينها وجود أساتذة شاملين بها ، وانتهى الأمر بها إلى الزوال (١).

وهكذا ، أعقب تأسيس المدارس في الأديرة وغيرها من المؤسسات التابعة للجهاز الكنسي البابوي في الغرب ، ازدهار بعض تلك المدارس ونموها في المرحلة الثانية حيث تحولت إلى معاهد علمية كبيرة بفضل أساتذتها الذين كانوا يحاضرون بها . فكلما ارتفعت مكانة الأساتذة من الناحية العلمية ، كلما ارتفع شأن المعهد الذي يندرسون فيه ، وكلما ازداد إقبال الطلاب عليه من كل حذب وصوب . ونجد مثلاً حيناً ذلك في عهد الفيلسوف بطرس ابيلارد صاحب فلسفة الشك والتشكك الشهيرة ، حيناً أخذ يحاضر ويجادل في باريس ، وقام القديس برنارد أوف كليرفو بتنفيذ آرائه وتعاليمه ومقارنته بالحجة بالحجة والبرهان بالبرهان والدليل بالدليل ، فأثاراً جدلاً علمياً رائماً ، وحركة فكرية نشطة ، وهرع إليها آلاف الطلاب من الممالك المجاورة يستمعون إليها ويستفيدون منها وينهجون نهجها ، وهو أمر لم تألفه باريس من قبل . وهكذا أخذ الإقبال يتزايد على تلك المعاهد لتلقى العلم والتزود به ، واتضح ذلك بصفة خاصة خلال القرن الثاني عشر الذي ارتبط بقيام النهضة الفكرية الأولى ، والذي بدأت الجامعات الأولى تظهر في النصف الثاني منه ظهوراً جلياً واضحاً (٢) .

Goff, La Civilisation de l'Occident Médiéval, p. 118 ; (١)

Coulton, Medieval Panorama, pp. 385, ff., 393 f. ; Baldwin, op. cit., p. 68 ; LaMonte, op. cit., p. 567 ; Brinton & Others, A History of Civilization, vol. I, p. 805.

المصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٣١ وما بعدها ؛ كرامب وجاكوب : تراث الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٢ و ٣٦٦ .

Coulton, Medieval Panorama, p. 394. أنظر أيضاً كرامب = (٢)

وكانت النتيجة أن عدد الطلبة أخذ يزداد في تلك المعاهد زيادة مطردة ، حتى أنهم بلغوا الآلاف المؤلفة في باريس وحدها التي كانوا يأتون إليها من كل مكان لتلقى العلم في مراكزه المعروفة وقتذاك . وإزاء ذلك ، وحتى يضمنوا لأنفسهم سبل الأمن والسلامة والاستقرار في هذه المراكز العلمية الجديدة البعيدة من بلادهم وأوطانهم ، قرروا أن ينشئوا فيما بينهم اتحاداً unit أو نقابة guild ، على بسق ما كان جارياً في المصور الوسطى بين طوائف التجار والعمال والصناع . والمهدف أن يكون هذا الاتحاد — كما يفهم من اسمه ومدلوله — بمثابة شخصية معنوية تنظر في مشاكلهم وترعى شئونهم ومصالحهم الخاصة والعامة ، وتستهدف أمنهم وسلامتهم وتحررهم من وسائل الضغط التي قد يتعرضون لها وهم في مراكز إقامتهم الجديدة ، حتى يتسنى لهم مواصلة الاشتغال بالعلم والتعليم في يسر وأطمئنان لايشغل بالهم شيء ولا يوقهم عن مواصلة دراساتهم عائق ، ولقد ظل هذا النظام قائماً في بادئ الأمر . ولكن كلما لقي طلاب العلم مضايقات داخل المدينة التي يلتقون فيها العلم ، وحلوا عنها جماعة ، ولم تكن هناك عقبات تحول دون رحيلهم ، فلم تكن ثمة مبان يرتبطون بها أو تقدمهم إليها (١) . والحقيقة أنه ثارت مشاكل عديدة في وجوه أولئك الطلاب الغرباء الذين تركوا ديارهم ليلتحقوا بتلك المعاهد الثانية ، من بينها تهيئة وسائل وسبل الراحة لهم من حيث المأوى والمأكل ، والحيولة دون استغلال المدينة التي يقيمون فيها لهم فيما يتعلق بإيجارات المساكن وأسعار اللوازم والحاجيات الضرورية وما إلى ذلك . وقد

==وجاكوب : تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٧ — أنظر خريطة
ه المراكز الفكرية في الغرب الأوروبي في القرن الثاني عشر — بآخر القسم الأول من
هذا الكتاب .

استدعى كل هذا إيجاد تلك الرابطة التي تجمع بينهم وتعدل على تأميرهم وحمايتهم من الاستغلال والمضايقات وتولى شئونهم وترعاها (١) . وقد اتخذت خطوة أخرى في هذا السبيل عندما اقتتحت بعض المدرسين نزلا للباوى والمأكل لم يكن يسمح للإقامة بها سوى الطلبة المنزولين ، بينما أقيمت نزل لصالح المدققين في الفقر كان يتفق عليها من الإحانات الخيرية الخاصة (٢).

وجاءت بعد ذلك المرحلة الرابعة والأخيرة في تكوين الجامعات ، وتمثل في الاعتراف الرسمي بشخصيتها وكيانها من جانب السلطات الدينية والدنيوية على السواء . وبذلك أصبح للجامعة من الحقوق الخاصة بها باعتبارها وحدة مستقلة لها كيانها ومقوماتها ما يضمن لها سلطة تنظيم أمور العلم والتعليم فيها ، ومنح الدرجات العلمية ، وتحديد المناهج والمقررات وما إلى ذلك بما يضمن تخريجها حق مواولة مهنة التدريس ، إما بالدخول في السلك الكنسى أو بالانضمام إلى

-
- (١) Goulton, *Medieval Panorama*, p. 394 f. ; Baldwin, (١)
 أنظر أيضا كتاب كرامب op. cit., p. 68 ; LaMonte, op. cit., p. 568.
 وجاكوب: تراث المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٧ وما بعدها .
 (٢) Grupp & Jacob, op. cit., p. 289. وجدير بالذكر أنه كان يطلق على هذه النزل اسم Colleges ، أي بيوت الطلبة ، وهي عبارة عن دور تعيش فيها مجموعة من الطلبة في مجتمع خاص بهم ، وقد خذت الوحدة الرئيسية لمعظم الطلاب . وكان نهاية هذا النظام في باريس ، واحتل منها إلى أكسفورد وكامبريدج ، ولا يزال يجرى من السمات المميزة لنظام الاليجيزى . وأقدم هذه البيوتات كان يرفق باسم Dixhuut ، وقد تأسس في باريس عام ١١٨٠ م ، وكان يحوى على ثمانية عشر سيرا خصصت للطلبة المؤيدين . وبعد ذلك مرعانا ما استقل الطلبة بدار خاصة بهم تحولت فيما بعد إلى معهد علمي .
 أنظر من ذلك ، LaMonte, op. cit., p. 571 ; Funck-Brentano, op. cit., p. 202 ; Wallon, II., *Saint Louis (Tours, 1879)*, p. 349 ; Bontifé, L., *Paris au temps de Saint Louis (Paris, 1911)*, pp. 127-129.

خدمة الحكومة (١).

تضرب مثلا لذلك بجامعة باريس التي منحها فيليب اوجسطس ملك فرنسا مرسوما سنة ١٢٠٠ م نص في شيء من التفصيل على كافة الإجراءات التي تتخذ لحماية طلبتها في حالة الاعتداء عليهم، والعمل على المحافظة على حياتهم إذا ما تعرضوا للخطر، حتى يفرغوا لمهتهم الأصلية وهي مواصلة العلم، إلى جانب العديد من الامتيازات الأخرى التي منحها لهم (٢). ونجد مثلا ثانيا في مرسوم البابا جريجوري التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١ م) الذي منحه لتلك الجامعة سنة ١٢٣١ م، والذي ركز فيه على ضرورة تحرى الدقة عند اختيار الأساتذة للعمل بالجامعة، حتى لا يقع الاختيار إلا على الأكفاء فحسب، وذلك حفاظا على المستوى العلمي للجامعة. فضلا عن النص على تنظيم شئون الطلبة فيما يتعلق بالمتاحج الدراسية والمحاضرات وعددها ومواعيدها ووسائل الانتظام فيها، والجازات والزي المميز للطلبة، إلى جانب العديد من التشريعات التي تكفل حاجتهم من أي أذى أو سوء مع طمأننتهم على حياتهم ومقبلهم. وما يذكر أن البابا منح الأساتذة والطلاب في هذا المرسوم - بصفة رسمية - حقا جديدا لم يكونوا يستعملون به من قبل، وإن كان تأكيداً لأوضاع فرضت نفسها وقتذاك، ألا وهو حق الترفق عن الدراسة والامتناع عن إلقاء المحاضرات إذا لحقت إساءة بأي طالب (٣).

-
- (١) Coulton, Medieval Panorama, p. 89%. أنظر أيضا ابراهيم الدوي: المجتمع الأوروبي في الصور الوسطى، ص ١٦٥.
- (٢) أنظر الترجمة العربية لمرسوم فيليب اوجسطس في الملحق الثالث بآخر القسم الأول من هذا المجلد.
- (٣) أنظر الترجمة العربية لمرسوم البابا جريجوري التاسع في الملحق الخامس بآخر القسم الأول من هذا المجلد.

وهكذا أخذ البابوات والاباطرة يصدرون المراسيم والبراءات تباعها لصالح تلك الجامعات ، والتي خولتها الكثير من الحقوق والامتيازات ، وبالتالي رفعت من مكانتها وهيبتها . وبالرغم من أن مثل هذه المراسيم والبراءات كانت تستهدف أساسا تشجيع العلم والتعليم في عصر متعطش للمعرفة وفي زمن شملت فيه النهضة الفكرية الغرب الأوروبي من أقصاه إلى أقصاه ، إلا أنها توضح في ذات الوقت كيف أن المسؤولين وأولى الأمر في الغرب كانوا يعملون بشق السبيل والوسائل على أن تبقى هذه الأعداد الكبيرة الهائلة من الطلاب في المراكز العلمية التي يتلقون فيها علمهم في باريس أو بولونيا أو أكسفورد ، وما يترتب على ذلك من إعاش الحالة الاقتصادية في تلك المدن ، في وقت أخذت فيه المدينة بسكانها الأحرار وبشاطها التجاري والصناعي واقتصادها الثقدي تحمل عمل الإقطاع باقتصاده الطبيعي وحضارته الريفية الوراكية التي ترتبط بالأرض وما تنقله من خيرات . وعلى هذا كان توقف طلبة أى جامعة عن الدراسة ورحيلهم عن المدينة التي يتلقون فيها العلم ينى باختصار كساد الحالة الاقتصادية فيها ، بينما كان بقاؤهم فيها بأعداد كبيرة يؤدي إلى انتماشها اقتصاديا . فلم يكن من الصالح العام معجزة هذه الجوع الهائلة من طلاب العلم من المدن التي كانوا يتلقون فيها علمهم مهما كانت الأسباب . بل كان أولو الأمر في تلك المراكز العلمية يذلون قصارى جهدهم للعمل على بقاء الطلبة فيها وعدم نزوحهم عنها بتقديم المغريات لهم في شكل براءات ومراسيم .

وكيفما كان الأمر ، فقد وجدت في أوروبا منذ القرن الثاني عشر أربعة مراكز عليية جامعة تمتعت بشهرة واسعة ، وتخصص كل منها في ناحية معينة أظهر فيها تفرقا واضحا . وهذه المراكز هي جامعة باريس التي اشتهرت بالدراسات اللاهوتية ، وجامعة بولونيا التي اشتهرت بأنها مدرسة للقانون ، وجامعة سالزمو التي تخصصت في الطب ، وجامعة أكسفورد التي تعتبر واحدة من أعظم الجامعات

الانجليزية والتي تشبه جامعة باريس في كثير من الوجوه ، وإن جاء تطورها متأخراً بعض الشيء عن الجامعات الثلاث السابقة (١) .

ولاشك أن الجامعتين المبكرتين اللتين طبقت شهرتهما الأفاق مع بداية الحياة الجامعية في الغرب هما جامعة باريس الفرنسية وجامعة بولونيا الإيطالية . وبما لاشك فيه أيضاً أنه كان لهما أثرهما الواضح في نشأة وتطور بقية الجامعات التي هرفت أوروبا منذ آخريات القرن الثاني عشر فصاعداً .

أما عن جامعة باريس ، فقد ثارت الروايات حول الأصول الأولى لها . فهناك من يرجع بها إلى مدرسة القصر أيام شارلمان ، أي إلى عدة قرون قبل خروجها الفعل إلى سائر الواقع والأشياء المللوسة . وهناك من يربط بينها وبين المدارس التي قام الفيلسوف ايلارد بالتدريس فيها في القرن الثاني عشر مثل مدرسة كاندرالية نوردام ومدرسة القديسة جنيفيف Sainte-Geneviève ومدرسة كنيسة القديس فيكتور . وبما يمكن من شيء ، فالمعروف أن هذه الجامعة قد ولدت داخل نطاق أسقفية باريس ومدرستها . ولهذا اتخذت منذ البداية طابعاً دينياً لاهوتياً فلسفياً واضحاً ، شأنها شأن بقية الجامعات التي وجدت في شمال أوروبا (٢) .

(١) Cf. Mott, G. F. & Dee, H. M , An Outline-History of the Middle Ages (New York, 1950), p. 169.

(٢) أنظر : Duroselle, Histoire du Catholicisme, p. 68 ; Coulton, Medieval Panorama, p. 394 ; Painter, A History of the Middle Ages, p. 470 ; LaMonte, op. cit., p. 567 f. لا موت (ص ٦٧ - ٦٨) إن جامعة باريس هي ثمرة الامتزاج بين مدارس ثلاث هي : مدرسة كاندرالية نوردام ومدرسة دير القديسة جنيفيف ومدرسة دير القديس فيكتور . أنظر أيضاً سعيد عاشور : الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، ص ٩١ - ٩٣ ، هذا ، =

ولقد اكتسبت مدينة باريس نفسها شهرة واسعة منذ أيام ابيلارد ، وكانت النتيجة أن ازداد عدد الدارسين والمدرسين بها . وانتهى الأمر بقيام رابطة union أو نقابة guild أو جامعة universitas لتنظيم أمور الأساتذة وتحديد علاقاتهم ببعضهم البعض من جهة وعلاقتهم بالمجتمع المحيط بهم من جهة أخرى . وكان على المدرس الذي يرغب في التدريس أن يحصل على ترخيص أو براءة لمباشرة مهنته من أمين كاتدرائية باريس ، وهو الشخص المكلف بالإشراف على شئون العلم والتعليم داخل حدود أسقفية باريس . وغير خاف أن قيام نقابة الأساتذة وتبليروها إلى أن وصلت إلى طور النضج لم يتم بين يوم وليلة أو بطريقة فجائية ، وإنما استغرق فترة غير قصيرة من الزمن . وكانت هذه النقابة هي البنية الأولى في بناء جامعة باريس نفسها . وعلى هذا فإن نهضة هذه الجامعة كانت بالتالى نتيجة لتطور تدريجى بطى . مستمر . وكان طبيعيا أن يستتبع ذلك الاحتراف بالطلبة الذين يتلقون العلم في باريس كهيئة لها شخصيتها ومقوماتها وكيانها

وقد اختلفت آراء المؤرخين المحدثين الذين بهذا الموضوع أمثال واحداً وحسبكنز حول الروايات المتصلة بنهضة جامعة باريس ومدى نصيبها من الصلة . وجدري بالذكر أن هذا الموضوع الهام لا يزال يحفل بالكثير من الدراسة والبحث للوصول إلى رأى حاسم قاطع بشأنه . ويرى الكاتب ديروزيل (هس للرجع والصحة) أن القرن الثانى عشر كان يعتبر قرن للدراس الأساتذية ، وأنه مع بدايات القرن الثالث عشر ، وحتى يحول البابوات دون قيام حركات جديدة تميز الجهاز الكنسى البابوى ، فقد عملوا جامعين على حصر مصادر الثقافة والفكر وتنظيمها وتبليغها بحيث تصبح كلها خاضعة لأحكامهم وتحت سيطرتهم . وقد قامت بمساعدتهم في هذا السبيل جامعات الإخوان الرحبان التى كان أفرادها يجتمعون على القبول والإحسان . وحذا حتى أن ديروزيل يرى أن الأصول الأولى لطلقات الصور الوسطى ، وعلى رأسها جامعة باريس ، ترجع أساسا إلى خلفية البابوية من ظهور حركات جديدة تهدد كيانها وتلغوز بنيتها ؛ أى أنها قامت بتفويض البابوية وتأييدها حتى تكون مستعاضة لها .

وحقوقها وامتيازاتها المعترف بها . وجدير بالذكر أنه كان ينظر إلى هؤلاء الطلبة على أنهم من رجال الدين لأنهم كانوا مرتبطلين بمدارس كنسية . ولهذا السبب تمتعوا بالحصانات التي تمتع بها باقي الأفراد المرتبطين بالكنيسة .

وفي سنة ١٢٠٠م حدث تطور هام في تاريخ جامعة باريس . إذ حدث أن اعتدى بعض أهالي المدينة على جماعة من الطلبة ، وقام محافظ باريس بالتنكيل بالطلبة ، فقاموا بشوة يطالبون بمنح جامعتهم المزيد من الحقوق والامتيازات . والتجأ أساتذتهم إلى فيليب ارضطس ملك فرنسا يلتسبون منه رفع الظلم الذي لحق بهم . وغشى الملك الفرنسي أن يهجر الطلاب والأساتذة مدينة باريس وماعد يترتب على ذلك من آثار من حيث الإضرار باقتصاد البلاد ، فأمر بمقاب المعتدين وحبس محافظ باريس لموقفه المشدد من الطلبة . وفي نفس العام منحه الجامعة براءة نصحت على أن تتولى الكنيسة عاكة أى طالب تقبض عليه السلطات المدنية في تمة أو جرعة ما ، كما طالب المواطنين باحترام حقوق الطلبة ومعاملتهم بالحسنى واللين ، واشترط على محافظ المدينة الجديد احترام امتيازات الجامعيين وعدم المساس بها . ويلاحظ أن هذه البراءة ، وإن لم تكن رسميا على الاعتراف بالجامعة ، إلا أنها اعترفت ضمينا بقيام هيئة من رجال العلم والتعليم لها حقوق يجب مراعاتها وامتيازات تتمتع بها (١) .

وقد مرت رابطة الأساتذة التي كانت أساس جامعة باريس بعدة خطوات إلى

(١) أنظر الترجمة العربية لهذه البراءة في الملحق الثالث بآخر القسم الأول من هذا المجلد . وقد أورد هاسكنز في الفصل الأول من مؤلفه المترجم في القسم الثاني من هذا الكتاب ، الأسباب التي حثت فيليب ارضطس إلى إصدار البراءة المذكورة سنة ١٢٠٠ م لصالح الأساتذة وطلاب العلم في باريس .

أن أصبحت اتحاداً معترفاً به من كلا السلطين الدينية والدنيوية على السواء .
وتمثل هذا الاعتراف في تسجيل نظمها في شكل لائحة وإصطاتها حتى تعيين الموظفين
الإداريين لتصريف شئونها ، وأن يكون لها خاتم رسمي تختم به أوراقها ، وما إلى
ذلك . وقد تم هذا في أوائل القرن الثالث عشر عندما صدرت لائحة مدونة من
هذه بتدريجة الأساتذة ، وعندما أصدر البابا انوسنت الثالث مرسوماً يعترف
فيه رسمياً بالجامعة . وقد أدت هذه التطورات التي مرت بها رقابة الأساتذة
في النصف الأول من القرن الثالث عشر إلى مولد الجامعة نفسها .

لوحة رقم (١)



(أ) إلى اليسار خاتم جامعة باريس وتبدو فيه علامة الصليب من أحلام ، ثم السيدة
العذراء وهي تحمل المسيح ، وإحدى القديسات ، فأستف باويس حاملاً
عصا الأسقفية . ومن أسفل يرمز الأساتذة والطلاب .

(ب) إلى اليمين خاتم يمثل الأمم الأرواح في جامعة باريس ، وكل أمة يرمز إليها شعارها .
[الخاتمان محفوظان بالمكتبة الأهلية بباريس]

ولم يكن الطريق بهذا تماماً أمام هذه الجامعة الوليدة ، فقد كان عليها أن

تتضمن العديد من العقبات ومن بينها السلطات التي كان لا يزال يتمتع بها أمين كاتدرائية باريس الذي كان له حق تعيين الأساتذة أو حرمانهم من مراوكة مهنة التدريس بالجامعة ، وحق توقيع الجزاءات على رجال العلم العلمانيين . فضلا عن إصدار التنظيمات الخاصة بتنظيم شئون الأساتذة وطلاب العلم على السواء . ولم يكن هذا يتمتع مع وجود رقابة للأساتذة منها حماية أعضائها من استبداد أمين الكاتدرائية والعمل على كبح جماحه والحد من نفوذه الراسخ . ولذلك كان طبيعيا أن يثور التنازع بين أمين الكاتدرائية وبين أعضاء نقابة الأساتذة الذين كلها أحسوا بذهبن واقع طيم لجأوا إلى البابوية يستجدون بها ويتمسكون مساندتها لهم . وفي أغلب الأحيان كانت البابوية تقف إلى جانبهم وتدافع عن حقوقهم ضد تسف أمين الكاتدرائية . وكان كل امتياز جديد تحصل عليه الجامعة بمثابة لبنة جديدة تضاف إلى البنايات السابقة في سبيل تشايتها وقيامها واستقلالها (١).

وهكذا مرت الجامعة بالعديد من التطورات ، وتضطت العديد من العقبات التي كان عليها مواجهتها ، ومن بينها النزاع الذي قام بينها وبين أهالي مدينة باريس والملكية الفرنسية خلال عامي ١٢٢٨/١٢٢٩ م . ووقفت البابوية ، مرة أخرى ، إلى جانب الجامعة في هذا الصراع الجديد عندما أصدر البابا جريجوري التاسع سنة ١٢٣١ م مرسوماً بمنع توقف الدراسة بالجامعة لمدة عامين ، حيث أعطى الجامعة الحق في وضع اللوائح الخاصة بها وعقاب الخارجين على نظامها . كذلك سدد من سلطات أمين كاتدرائية باريس وأسقفها فيما يتعلق باختيار الأساتذة ، كما أكد ضرورة عدم إفشاء أسرارهم أو المساس بقوانين الجامعة

وحقوقا ، إلى جانب العديد من الامتيازات التي نص عليها المرسوم للأستاذة والطلاب بالجامعة (١) .

وأمام هذه الامتيازات التي حصلت عليها جامعة باريس من البابوية والملكية الفرنسية ، أخذت سلطة أمين كاتدرائية باريس في التقلص والانسكاس التدريجي أمام مركز مدير الجامعة . وبشاية القرن الثالث عشر كانت سلطة أمين الكاتدرائية قد زالت تماما ، واستراحت الجامعة من تصفها ومضايقاته . ولكنها لم تكن تستقر وتأخذ أنفاسها بعمق حتى تعرضت لضغط جديد كان مصدره هذه المرة الملكية الفرنسية نفسها التي أخذت تتدخل في شئون الجامعة واختصاصاتها بعد أن كانت فيما مضى من أشد مناصريها . واستمر هذا التدخل يأخذ أشكالا عدة حتى صدر في أواسط القرن الخامس عشر أمر ملكي بخضوع الجامعة لأحكام برلمان باريس . وكانت الملكية تستهدف من وراء ذلك الحد من الإعفاءات والامتيازات والحقوق العديدة التي كانت الجامعة تتمتع بها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، بعد أن وجدت في ذلك خطرا يتهددها . وأخذ هذا التدخل يزداد مع الوقت حتى أواخر القرن الخامس عشر ؛ إذ قضى ملك فرنسا لويس الحادي عشر (١٤٦١ - ١٤٨٣ م) على ما تبقى لها من نفوذ عندما حرم على رجالها الاشتغال بالسياسة ، وأمر بأن يشترك مندوب ملكي في عملية انتخاب مدير الجامعة . وفي عام ١٤٧٤ م أمر لويس الحادي عشر بأن يكون مدير الجامعة خاصضا لنفوذ خضوعها تاما . وجاء بعد ذلك لويس الثاني عشر (١٤٩٨ - ١٥١٥ م) الذي حرم على الجامعة حق الإضراب ، وهو حق كان

(١) أنظر الترجمة العربية لهذا المرسوم في الملحق الخامس بآخر القسم الأول من هذا المجلد .

قد منحت لها البابوية في القرن الثالث عشر .

هكذا نمت ونشأت وترعرعت جامعة باريس إلى أن تضجت واكتملت شخصيتها بعد الامتيازات والحقوق العديدة التي تمتع بها . ثم ما لبثت أن تلقت العديد من الضربات من قبل الملكية الفرنسية إلى أن تم خضوعها تماما للتاج الفرنسي . ولم يأت القرن السادس عشر حتى كانت قد زالت آخر الامتيازات والاعفاءات التي كانت تتمتع بها من قبل . وقد تم هذا في عصر تغير وانتقال من القرون الوسطى إلى عصر النهضة ، وفي وقت تم فيه القضاء على آخر بقايا النظام الإقطاعي في المجتمع الغربي الوسيط ، وبدأت شخصية الفرد في الظهور التي كانت الإقطاعية قد طمس معالمها ، وقامت المدن والممالك الوطنية الناشئة وظهرت اللغات الرومانتيسية بدلا من لاتينية العصور الوسطى ، والتفت الشعوب حول حكماها معلنة نهاية عصر بمثله وفلسفته وأفكاره ، وبداية عصر جديد له آراء ومبادئ

لوحة رقم (٢)



خاتم كلية اللاهوت بجامعة باريس ويبدو فيه السيد المسيح وهو يخط

جديدة مغايرة (١) .

ولكن إذا كانت جامعة باريس بكلّيّاتها الأربع وهي اللاهوت والقانون الكنسي والطب والآداب قد اتخذت طابعا دينيا منذ البداية بحكم الظروف التي أحاطت بولدها ونشأتها (٢) ، فقد ترجمت مدرسة بولونيا في الجنب التبعث القانوني في إيطاليا . وكان أول اعتراف رسمي بالأساتذة والطلاب في مدن شمال إيطاليا سنة ١١٥٨ م عندما أصدر الإمبراطور الألماني فريديك بارباروسا براءة تضمنت بعض الامتيازات للأساتذة والطلاب في المدن الليباردية بصفة عامة . ولم تنص هذه الوثيقة صراحة على قيام رابطة رسمية للطلبة أو الأساتذة ، وإنما ترجع أول إشارة فيوثائق ذلك العصر إلى قيام تلك الرابطة إلى سنة ١٢١٥ م . ولم تأت سنة ١٢١٩ م حتى كان نظام الدرجات العلمية قد اكتمل شكله في بولونيا . ومنذ ذلك التاريخ كثرت الإشارات في مصادر العصر التي توضح اعتراف كل من البابوية والإمبراطورية بجامعة بولونيا .

وهنا يجب أن نعرف أنه إذا كانت جامعة باريس قد اشتهرت بأنها جامعة أساتذة ، لظروف أحاطت بها ، فقد اشتهرت جامعة بولونيا بأهاـد جامعة طلبية ،

(١) Cf. Kitchin, A History of France, vol. I, pp. 295—299, 327, 352, 501 ; Baldwin, op. cit., pp. 68, 69; Painter, op. cit., p. 470 ff. ; Waugh, W. T., A History of Europe (London, 1932), 10, 81, 84, 85, 86 ; Wallon, op. cit., p. 348 ff.; Bontié, op. cit., p. 70 ff.; Bailly, op. cit., p. 228 ff. أيضا
سجده حاهور : أوروبا الصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٣٧ وما يليها ، والمجاسات الأوروبية ، ص ٥٣ وما يليها .

(٢) للتزيد من المعلومات عن هذه الكليات الأربع ، انظر Bontié, op. cit., pp. 76—121.

لأن الاتحادات الطلبة بها كانت تسيطر سيطرة تامة على الجامعة وشؤونها . وإن كان أساتذة بولونيا قد تمككوا في شيء فقد تمككوا فيما يتعلق بامتحان الطلاب والترخيص لهم بالتدريس من عدمه أو الدخول في رابطة هيئة التدريس . وثمة ظروف عديدة ساعدت على نهضة اتحاد الطلبة في بولونيا وتمتعه بهذه السلطة الضعيفة ، ومن أهمها ظروف البيئة التي تنحصر في تمسك الأسر الشريفة في إيطاليا بالتراث العلمي القديم ، واهتمام الناضجين من ذوى المكاثة والثروة والجاه بالدراسات القانونية . ولذلك كان الأستاذ في بولونيا — على عكس زميله في باريس — مجرد محاضر استأجره عدد من السادة طلاب العلم لتلقى العلم على يديه مقابل ما يتقدمونه من أجر . كذلك ساعد على تطور هذا الاتحاد الوضع السياسي لهذه المدينة الإيطالية التي نشأت فيها هذه الجامعة . إذ حرمت على نزلاتها المغتربين التمتع بالحقوق المدنية التي منحها لأبنائها . ولذلك أراد طلاب العلم الوافدين على بولونيا من الخارج أن يعضوا داخل جامعتها ما يفتقدونه داخل محيط المدينة ذاتها ، فسعوا إلى بسط سيطرتهم على أساتذتهم . وساعد على ذلك أن أولئك الأساتذة كانوا في المراحل الأولى من نهضة الجامعة من مواطني بولونيا يتمتعون بحقوقها ويساندون السلطات الحاكمة ضد الطلبة المغتربين .

ولم تتركض السلطات الحاكمة على هذا الوضع الخاص باتحادات الطلبة لما يترتب على وجود أعداد ضخمة من الطلاب من اتعاش اقتصادي في المدينة ، وما يسليه وحيلهم منها من كساد الحالة الاقتصادية فيها . وأصبحت هذه الاتحادات الطلابية تتمتع بحقوق معترف بها وتخضع لقوانينها الخاصة لا لقوانين المدينة نفسها . ولذلك أخذ الطلاب المغتربون في بولونيا يتكثفون في هيئة نقابات ترمي مصالحهم وشؤونهم شأنها شأن غيرها من النقابات التي عرفها أوروبا في العصر الوسيط ، مع ملاحظة أن الطلبة والأساتذة مسن مواطني بولونيا ظلوا خارج

نقابات الجامعة لا يتمتعون بصوت يبرهن رغبتهم . ومع بدايات القرن الثالث عشر كان يوجد في جامعة بولونيا أربعة الاتحادات الطلبة الغريباء ، ولكنها انحلت وتداخلت في الاتحادين كبيرين في أواسط القرن الثالث عشر : الأول يضم الطلبة الراقدين من البلاد الواقعة شمال جبال الألب ، بينما يضم الثاني الطلبة القادمين من باقي الأقاليم الإيطالية .

وأخذت هذه الاتحادات تنمو تدريجيا وتزداد سلطتها حتى أنه كان لكل من هذه الاتحادات في القرن الثالث عشر مدير أو رئيس يوجه أموره ويرعى مصالح أعضائه ، ولم تأت المعارضة من ناحية السلطات الحاكمة ، ولكنها كانت من أساتذة القانون بالجامعة نفسها الذين طالبوا بأن يكون لهم وليس الطلبة الحق في وضع النظم والقوانين الخاصة بالجامعة . وقد ذهبت هذه النداءات أدراج الرياح أمام قوة الاتحادات الطلبة بالجامعة التي أصبحت تسيطر سيطرة تامة على أساتذتها . وكانت النتيجة الطبيعية والمتوقعة هي قيام الاحتكاك بين الطلبة والأساتذة الذين طالبوا القيام بما يقرم به الطلبة . ولم يكن من السهل على الطلبة أن يتنازلوا عن هذه السلطات التي كانوا يتمتعون بها ، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأن الطلبة في بولونيا لم يصاروا على الإطلاق للتدخل في توجيه النشاط العلمي بالجامعة الذي كان من صميم اختصاص الأساتذة .

وأخيرا في القرن الرابع عشر اندمج الاتحادان الخاصان بالطلبة في اتحاد واحد له نظمه الموحدة وله مدير واحد وخاتم واحد تدمج به الأوراق والقرارات الرسمية . وكانت اختصاصات مدير جامعة بولونيا ، وهو رئيس اتحاد طلبتها ، مستمدة في أول الأمر من قوانين الاتحاد . ولكنه لم يلبث أن استمد نفوذه فيما بعد من لائحة الجامعة نفسها ، وعلى أية حال ، لم تستمر هذه الوظيفة

طويلا ، إذ تلاشت في أواخر القرن الخامس عشر لأنها لم تكن بحرية أو مغربية لمن يقبل عليها (١) .

وإذا كنا قد تحدثنا في شيء من التفصيل عن نشأة وتطور جامعتي باريس وبولونيا ، فذلك لأنها تعتبران من أقدم جامعات أوروبا في الصور الوسطى ، لأن لم تكن أقدمها على الإطلاق . (٢) ثم إن ما قيل عنهما يمكن أن يقال أيضا عن الجامعات الأخرى القديمة التي قامت بعدهما والأدوار التي مرت بها إلى أن اشتد ساعدتها واعترفت بها السلطات الدينية والدنيوية . وعلى أية حال ، فقد أخذ عدد هذه الجامعات يزداد في طول أوروبا وعرضا . فتكرمت خلال القرن الثالث عشر سبع عشرة جامعة جديدة من بينها جامعة تولوز (سنة ١٢٢٩ م) ، وجامعة مونتبلية في مقاطعة لانجهويندوق في فرنسا (سنة ١٢٨٩ م) ، وجامعة سالامانكا Salamanca في أسبانيا (٣) ، وجامعة كامبريدج التي وضع هنري الثاني ملك

(١) Coulton, *Medieval Panorama*, p. 395 f. ; Baldwin, *op. cit.*, pp. 47, 68, 70 ; Painter, *op. cit.*, p. 469 f. ; LaMonte, *op. cit.*, p. 567. أنظر أيضا سعيد ماحور : أوروبا الصور الوسطى ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، والجامعات الأوروبية ، ص ٣٧ وما بعدها ؛ وهيب إبراهيم سيمان : الثقافة والتربية في الصور الوسطى ، ص ١٨٠ — ١٨٣ .

(٢) Cf. Burckhardt, J., *The Civilization of the Renaissance* (London, 1944), p. 125, n. 54 ; Moreau, *Histoire de l'Eglise*, 154 f.

(٣) ترجع أصول هذه الجامعة إلى أوائل القرن الثالث عشر ، وأخذ منذ ذلك الحين يرتفع شأنها وتوسع مساحتها لتستوعب الطلاب الذين كانوا يحدون إليها من مختلف الدول . كذلك اجتذبت إليها الطلاب من كل الطبقات ابتداء من الأثرياء الذين يسيطرون عليهم أملاكهم حتى الفقراء والموزين الذين يسعون على الصدقة والإحسان . وله بلغت حدة الجامعة =

انجلترا أساساً سنة ١٢٢٩ م عندما عرض على الطلبة المتدربين من الدراسة في باريس أن ينتقلوا إلى كامبريدج لبدأوا لأنفسهم معهداً خاصاً بهم في تلك المدينة . ولم تبلغ هذه الجامعة ، في الواقع ، مرتبة الجامعات الأخرى إلا خلال القرن الخامس عشر عندما سادت الحال في جامعة أكسفورد بسبب الانقسامات الدينية في كليتيها ، فزح كثير من طلبتها إلى كامبريدج ^(١) . أما في القرن الخامس عشر فقد تأسست في الغرب الأوروبي خمس وثلاثون جامعة جديدة ^(٢) . وعلى هذا النمط أخذت الجامعات تنتشر ويزداد عددها في الغرب حتى أنها بلغت قرابة ٨٠ جامعة في آخريات العصر الوسيط ^(٣) .

— ذرونها في أواسط القرن السادس عشر . هذا ولها دخل في جامعة سالانكا والجامعات الأسبانية الأخرى خلال القرنين الخامس والسادس عشر ، أنظر Davies, R.T., *The Golden Century of Spain* (London, 1964), pp. 25 f., 280 f.

(١) حول كل من جامعتي أكسفورد وكامبريدج ، أنظر Coulton, *Medieval* Panorama, p. 397; McKisack, *The Fourteenth Century* (Oxford, 1959), p. 501 ff.; Painter, op. cit., p. 471; Poole, A. L., *From Domesday Book to Magna Carta* (Oxford, 1964), pp. 238—240; Powicke, M., *The Thirteenth Century* (Oxford, 1962), pp. 56, 57, 70, 701; Jacob, E. F., *The Fifteenth Century* (Oxford, 1961), pp. 420 ff.

(٢) Mott & Dee, op. cit., p. 169; Duroselle, op. cit., pp. 68—69.

(٣) Painter, op. cit., p. 472; LaMonte, op. cit., p. 368; Rashdall, *Universities of Europe*, vol. III, p. 335. عاود : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٧ ، ص ١٤٦ ؛ وهيب إبراهيم سمعان : الثقافة والتربية في العصور الوسطى ، ص ١٨٣ — ١٨٤ و ١٨٨ و ٢٠٢ .

وجدير بالذكر أن التعليم كله في تلك الجامعات كان باللغة اللاتينية وهي اللغة الرسمية للغرب الأوروبي من أقصاء إلى أقصاء، ولغة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وهي أيضا لغة الموضوعات الخطيرة كاللاهوت والفلسفة، كما كانت معظم الوثائق الرسمية تدون بها^(١). وقد ارتبطت ثقافة الغرب وحضارته بهذه اللغة ارتباطا وثيقا. ولهذا كان من الميسور على كافة طلاب العلم من أية أمة في الغرب أن يتلقوا تعليمهم على أيدي من يريدون من كبار الاساتذة في أى جامعة وبأى دولة. ولا نغالى إذا قلنا إن وحدة اللغة في جامعات ومعاهد أوروبا في العصور الوسطى قد ساعدت، إلى حد بعيد، على وحدة الفكر في المجتمع الغربي في وقت بدأ فيه هذا المجتمع ينفض عن كاهله غبار القرون الماضية ليضع البينات الأولى في مقدمة الحضارى^(٢).

وكيفما كان الأمر، فقد أصبحت الجامعات الأوروبية تضم طلابا من مختلف الأمم من إنجلترا وفرنسيين وإيطاليين وألمان وغيرهم. وأدت الظروف بهم إلى أن يقسموا أنفسهم إلى «طوائف» أو «أمم»^(٣) nations كما هو معروف في العصور الوسطى. ففي باريس، مثلا، كان هناك أربع «طوائف» رئيسية

Painter, op. cit., p 447.

(١)

Katz, The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, pp. 146, 148. راجع أيضا سعيد عاشور: الجامعات الأوروبية، ص ٧٦ وما بعدها؛ كرامب وجاكوب: تراث العصور الوسطى (الترجمة العربية)، ج ١، ص ٢٧٦.

Coulton, Medieval Panorama, p. 401 ff. ; Kitchin, (٣) op. cit., vol. I, p. 297 ; Baldwin, op. cit., p. 68 f. ; LaMonte, op. cit., pp. 570, 571.

هي : طائفة الفرنسين ، وطائفة النورمان ، وطائفة البيكارديين ، وطائفة الانجليز . وقد أدى وجود هذه الطوائف ذات المشارب والآهواء والاجناس المختلفة إلى قيام المشاحنات فيما بينها التي كثيرا ما كانت تتطور إلى صارك دامية لازمها ما ائصفت به القرون الوسطى بصفة عامة من عنف وفوضى . وقد عبر عن ذلك أصدق مصير السكاكب جاك دي فيترى ، من كتاب النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى (١)

ومع مرور الزمن ، ومع النهضة الشاملة التي عمت أوروبا اعتبارا من القرن الثانى عشر فصاعدا ، ازدهت الجامعات بمجامير الطلبة الذين قدموا من مختلف أرجاء الغرب لتلقى العلم على أساتذة طبقت شهرتهم الآفاق . ويكفى أن بلغ عددن فى باريس (٢) خلال النصف الأخير من القرن الخامس عشر حوالى ٢٥ أما حتى فاضت جموعهم من جزيرتفرنسا وهى الجزيرة الواقعة وسط نهر السين ، والى قامت على ساحلها الجنوبي كاتدرائية نوردام الشهيرة ، فاضت جموع الطلبة من هذه الجزيرة إلى الضفة اليسرى من هذا النهر التى تواجه الكنيسة المذكورة

(١) أنظر الترجمة العربية لنس جاك دي فيترى عن حياة الطلبة فى جامعة باريس فى المجلد الرابع بآخر القسم الأول من هذا المجلد . وفيما يتعلق بالانواع الخاصة بتنظيم حياة الطلبة ويراعهم اليوم ومستوى معيشتهم ووسائل الهدو والتسلية التى كانوا يمارسونها ، ومما صاحب حياتهم ومعاكهم ، أنظر سيدعا شور : الجامعات الأوروبية ، ص ١٧٣ وما بعدها و ١٨٩ وما بعدها . وللزيد من المعلومات عن جاك دي فيترى (ت ١٢٤٠ م) أنظر Grump & Jacob op. cit., pp. 402 ; Runciman, S., A History of the Crusades, vol. II, (Cambridge, 1954), p. 477, III (Cambridge, 1955), pp. 146-7, 161-2, 488, 489.

(٢) أنظر خريطة « باريس فى العصور الوسطى » بآخر القسم الأول من هذا الكتاب .

وجدير بالذكر أن هذه الضفة وما قام عليها من معاهد ومبان ومساكن لإيواء الطلبة الغريباء هي التي عرفت بإسم حى الجامعة أو الحى اللاتينى Cartier Latin ، ولا تزال تعرف بهذا الإسم حتى اليوم. والواقع أن هناك أكثر من عامل أدى إلى قيام الجامعة وازدهارها على هذا الجانب من النهر ، منها مواجهتها لكنيسة نورتردام ، فضلا عن أن تلك المنطقة كانت تقع على الطريق للمؤدية إلى روما ، وهى الطريق التي كان الحجاج يسلكونها لزيارة مقابر القديسين هناك والتبرك بها .

ولم تكن هذه الزيادة في عدد الطلاب قاصرة على جامعة باريس وحدها ، فقد بلغ عدد طلبة جامعة أكسفورد في حكم ملكها هنرى الثالث (١٢١٦-١٢٧٢م) حوالي ٣٠ ألفا ، بينما وصل عدد طلاب جامعة بولونيا في القرن الثالث عشر قرابة عشرة آلاف، وهكذا^(١). وقد يكون في هذه الأرقام شيء من المبالغة كما هو الحال في البيانات الإحصائية والرقية الخاصة بأعداد الجيوش في المعارك والحروب وأعداد الأسرى والجرحى والقتلى ، أو تعداد سكان المدن وما إلى ذلك من إحصائيات زودتنا بها وثائق المصور الوسطى وسجلاتها — قد يكون في هذه الأرقام شيء من المبالغة ، ولكنها على أية حال تدل دلالة واضحة على ماهية هذه الإنطلاقة الفكرية الكبرى التي شملت الغرب من ناحية ، وعلى ما كانت تتمتع به تلك المعاهد والجامعات من مكانة بارزة مرموقة في تلك القرون النابرة من ناحية ثانية ، الأمر الذي حدا بالآلاف المؤلفة من الطلاب إلى الالتحاق بها ، لكي يرتفعوا العلم من منابه .

(١) LaMonte, op. cit., p. 568. - راجع أيضا صعيد عاشور: الجامعات

الأوروبية ، ص ١٦٩ وما بعدها ؟ وهيب سيمان : الثقافة والزراعة ، ص ١٨٩ .

وثمة مسألة جديرة بالملاحظة ، وهي أن كل جامعة من تلك الجامعات تميزت بنوع خاص من الدراسات التي تتفق مع الظروف والأوضاع والتقاليد المحيطة بالمنطقة التي نشأت بها ، ومع تخصصات العلماء الذين حاضروا بها . فثلاث تفوقت باريس على غيرها في العلوم الفلسفية ، بينما تفوقت كل من مونتبلييه وسالزبورغ في الدراسات الطبية ، وبرزت بولونيا في القانون الروماني بحكم مكانها في إيطاليا مقر التياصرة الرومان القدماء وموطن التراث والحضارة الرومانية المعروفة على رأسها القانون . كذلك اشتهرت كل من تولوز واورليانز بدراسة القانون المدني الذي لم يكن يدرس في جامعة باريس ، وهكذا (١) .

وكانت الجامعة تتكون عادة من أربع كليات أو معاهد هي كليات الآداب واللاهوت والقانون والطب . وكان عمل كل كلية من الكليات الثلاث الأخيرة مرتبطاً بأشد الارتباط بكلية الآداب التي اقتصر على الدراسات التحضيرية التحضيرية لتوجيه الطلبة بعد ذلك إلى التخصص في المعاهد الأخرى كل حسب ميله ورغبته (٢) .

وكانت مواد الدراسة في كلية الآداب بعد أن تضجعت وتبلورت تنقسم إلى مجموعتين رئيسيتين هما : المجموعة الثلاثية وتعرف باللاتينية بإسم Trivium ، والمجموعة الرابعة التي عرفت بإسم Quadrivium . وتشمل المجموعة الأولى

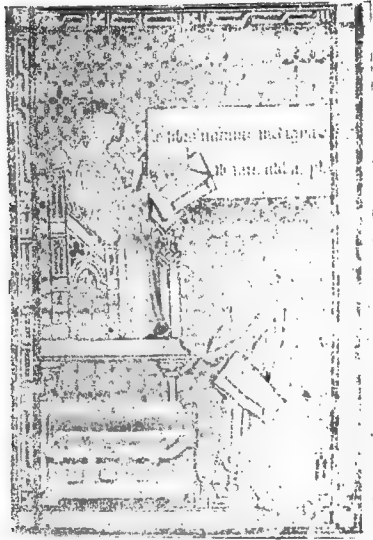
(١) Baldwin, Mediaeval Church, p. 69. انظر أيضاً سعيد ماسورة :

أوروبا الصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .

(٢) LaMonte, op. cit., p. 570. راجع أيضاً كراب وجاكوب : تراث

الصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

لوحة رقم (٣)



استاذ بجامعة باريس يبدأ الرسم

ويبدو لي الصورة وهو يملأ كل ما بينه أنه سوف يتحدث عن النباتات الطبية

[من مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس]

الثلاثية على قواعد اللغة اللاتينية وأصولها والمنطق والبلاغة . أما المجموعة الثانية الرباعية فكانت تتكون من الموسيقى والحساب والهندسة والفلك (١) . ولم يكن الهدف الرئيسى من دراسة هذه العلوم الدينية مجرد تثقيف الطالب تثقيفا عاما ، بل كانت تستهدف إعداد الطالب لدراسة العلوم اللاهوتية المتعلقة بفنون الكنيسة اللاتينية . مثال ذلك اللغة اللاتينية التى كان يقصد من تدريسها تمكين الطالب من قراءة الكتب الدينية ، والهدف من دراسة أجرومية اللغة هو تمكينه من قراءة الكتاب المقدس وحياة وسير القديسين والآباء الأول ومختلف الصلوات والتفاسات فى الكنائس قراءة صحيحة لاتفسدها شائبة . وكان المقصود من تدريس الموسيقى هو تعليم الطالب مايلزمه من أجل الاشتراك فى الترانيم والتراتيل الكنسية وأداء الألحان أداء سليما . والغرض من الحساب والهندسة والفلك تحديد أيام القديسين وغيرها من الأعياد الدينية . أما المنطق والبلاغة فكان الهدف منها تهذيب لسان الطالب حتى يتمكن من القيام بالوعظ والإرشاد والرد على الخارجين على تعاليم الكنيسة واجتذاب غير المسيحيين إلى حظيرتها .

وأما عن المحاضرات ونظام الامتحان والدرجات والرسائل العملية فقد تحدثت هاسكوت عنها فى ضوء من الإفاضة . وعلى أية حال ، كانت المحاضرات تلقى على الطلبة باللغة اللاتينية . وكانت المحاضرة الواحدة تستغرق أحيانا ساعتين أو أكثر دون مبالاة براحة الطالب البدنية أو الذهنية الذى كان يستمع إليها وهو جالس القرفصاء على أرضية الحجرة المفروشة بالقش . ونظرا لأن الطباعة لم تكن مروفة وقتذاك ، ونظرا لأن الكتب والمراجع كانت بالتالى كلها مخطوطة

(١) حول الفنون السبعة المرة ، أنظر : Painter, op. cit., p. 466 ;
Poole, op. cit., p. 232 ; Funck-Brentano, op. cit., p 191.
وقد وردت الإشارة إليها أكثر من مرة فى ثنايا هذا الكتاب .

لوحة رقم (٤)



طلبة القانون يستمعون إلى درس يلقيه عليهم الأستاذ
ويلاحظ أنهم لا يكتبون ، وإنما يستمعون إليه ويتناقشون معه .
[نحت بارز من كاتدرائية يستويا بإيطاليا]

ونمادة ومرفعة الثمن مما أعجز غالبية الطلاب عن اقتنائها ، فقد اتبع الأساتذة
خطة إلقاء النصوص التي يكتبها الطلبة وسط الصفحات ، ثم يضيفون بعد ذلك
بين السطور مذكراتهم وعلى هامشها المراجعة ما تيسر من الشروح والتعليقات
التي تلقى عليهم من أستاذ آخر ، وهكذا .

وكان نظام الامتحان قائماً على المناقشة العلنية في رسالة يكتبها الطالب باللغة
اللاتينية . وكانت الدرجات العلنية التي تمنحها الجامعة للطلاب هي الإجازة التي
تعرف بإسم اليساناس التي تتيح لحاملها حق ممارسة التدريس في المدارس . وهناك
أيضاً الإجازات العالية التي تعطى لحاملها الحق في المحاضرة بالكلية ، وأول
الشهادات العالية هي درجة الماجستير . والثانية هي درجة الدكتوراه في الآداب
أو القانون أو اللاهوت . وكانت مثل هذه الدرجة الأخيرة تعطى للحاصل
عليها الحق في أن يصبح أستاذاً بالجامعة . كذلك كانت موضوعات الرسائل المقدمة

في العصر الوسيط لها طابعها الخاص . فهي تمتاز ، بصفة عامة ، بالروح الدينية الجدلية الاستقرائية وليست الروح الاستنباطية الاجتهادية (١) .

وخلاصة القول إن جامعة المعصور الوسطى لم تظهر من العدم إلى الوجود طرفة واحدة ، ولم تكن بنت يوم وليلة ، إنما كانت هناك عوامل مهدت لها ترجع إلى قرون طويلة قبل نشأتها . وقد بدأت حياتها متواضعة بسيطة ، وأخذت في التبرعم تدريجياً ثابتاً بطيئاً إلى أن كبرت وتضخمت وبرزت شهرتها بفضل أساتذة كبار حاضروا بها إلى جانب آلاف مؤلفة من الطلبة اجتمعوا لكي ينهلوا على أيدي أولئك الأساتذة مختلف المعارف والعلوم . ومع الزمن توطدت أركانها ، واحترفت بها السلطات الدينية والديوية في الغرب وحل رأسها البابوات والإباطرة والملوك . فصدرت البراءات والمراسيم والإعفاءات تتضمن العديد من الحقوق والامتيازات الجامعة ولأساتذتها وطلابها ، وأوقفت عليها الهبات والعطايا من عبي العلم ومريديه مما ضمن لها حياة مستقرة هادئة ، وميلاً لرجالها أماكن مناسبة يزارون فيها نشاطهم التعليمي .

وعلى هذا يمكن القول بأن الجامعة المعنوية وجدت في المجتمع الغربي في أواخر العصر الوسيط قبل أن توجد الجامعة المادية . بمعنى أن اسم الجامعة لم يكن مقروناً في بداية الأمر بالمباني الرخبة الفخمة ذات القباب والأبراج العالية ، كما أنه لم يكن مقروناً بما احتوته من خاثر الآثاث والرياش ، بل كان كيانها يتوقف أولاً

(١) Coulton, *Medieval Panorama*, pp. 397, 400, 407ff ;
LaMonte, *op. cit.*, pp. 568—574 ; Brinton & Others, *op. cit.*,
vol. I, pp. 305—307 ; Bontié, *op. cit.*, p. 131 ff.
ماهور : الجامعات الأوروبية ، ص ١٣٧ وما بعدها و ١٥٢ وما بعدها و ١٥٧ وما بعدها
و ١٦٦ وما بعدها ؛ وهيب سمان : ثقافة الغربية ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

وأخيراً على سعة علم الأساتذة الذين يدرسون بها وقيمة محاضراتهم وأهميتها التي كثيراً ما كانت تأتي في الحلاء المكشوف أو في أفنية الكنائس أو في مراديبها (١). ولقد أثارت هذه الجامعات اهتمامات واسعة في أوروبا من أقصاها إلى أقصاها . كما كان لدى الطلبة رغبة أكيدة جامحة للتزود بالثقافة والعلم ، وفي سبيل ذلك قاسوا الكثير من المخاطر والصعاب ليتسنى لهم مواصلة دراستهم وتعليمهم .

- لقد كان طالب المصور الوسطى يعرف كل شيء عن سياق ،
- دروسه داخل محيطه الجامعي المحدود ... أما طالب المصور ،
- الحديث ، فهو يقتصر من أداء الواجب الأكاديمي متعللاً بأية ،
- حجة خارج نطاق دروسه ومناهجه .. وكان طالب النظام ،
- التقديم يملك الطاحونة دون الحبوب ؛ أما طالب المصور الحديث ،
- فقد ورث حصداً من المعارف والعلوم ، ولكنه ليس مجهزاً ،
- بمجهزاً حسناً طلياً بمطحنة يصقل بها هذا الحصاد (٢) .

(١) LaMonte, op. cit., p. 572. أنظر أيضاً كرامبوجاكوب : تراث

المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .

Mott & Dee, op. cit., p. 171 ; cf. also Shon, Trends (٢)
of Civilization and Culture (1932), pp. 243—244.

الملاحق

الملاحق الستة التالية لها صلة وثيقة ومباشرة بموضوع هذا الكتاب ، فهناك عن أهميتها من الناحية التاريخية ، وقد تم اختيارها بعناية فائقة . ففى ، أولا ، تتضمن مراسلات ووثائق ومراسم أصلية وأصيلية ، صادرة عن أشخاص مسئولين فى الغرب من ملوك وأباطرة وبابوات وكتاب وشعراء لهم شهرتهم ومكانتهم . ثم هى ، ثانيا ، تسلط الأضواء على موضوع التعليم والمدارس والجامعات فى العصور الوسطى ، وتكشف عن مختلف الامتيازات والإعفاءات والحريات والبراءات التى حصل عليها الأساقفة والطلاب فى جامعة العصور الوسطى وفى غيرها من مختلف المعاهد والمدارس والكليات .

يتناول الملحقان الأول والثانى موضوع إحياء العلم والتعليم فى عهد الإمبراطور شارلمان فى أغربيات القرن الثامن وبدايات القرن التاسع الميلادى ، فى عصر كانت فيه أوروبا لا تزال تعيش فى جهالة وظلام ولم تكن قد أفادت بعد من غزوات البرابرة المدمرة وما أحدثته فى الغرب من فوضى واضطراب . والمعروف أن شارل العظيم قد وجه عناية خاصة إلى أمور العلم والتعليم ليس فى عاصمته فريبس وإنما فى كافة أرجاء إمبراطوريته الواسعة . فأحضر إلى بلاطه الكثير من العلماء المبرزين فى شتى فروع المعرفة من مختلف أنحاء القارة الأوروبية بمامة ومن اجهترا بصفة خاصة ، وذلك لتثقيف خاله والعمل على إحياء نهضة علمية شاملة بها تعتبر - فى الحقيقة - من أبرز مظاهر عصره ، وترتبط إلى حد بعيد بإسمه وشخصه ، وإن كانت قد هيات الجور بدورها النهضة الفكرية التالية لها . وهكذا استدعى من نورثمبريا فى انجلترا الكون وجعله رئيسا لمدرسة البلاط التى أنشأها فى عاصمة ملكه آخن (أكس لاشايل) ويتضمن الملحقان لبدأ ومقتطفات من خطابين موجهين من شارلمان إلى رجال الدين ومقدمى الأديرة فى دولته المترامية

الأطراف . وهما يكشفان عن مدى اهتمامه بأمر العلم والتعليم على الرغم من أنه لم يكن عالماً أو متعلماً بالمعنى المقهور ، ويؤكدان أن هذا الاهتمام لم يقتصر على العاصمة فحسب وإنما امتد إلى كافة أرجاء إمبراطوريته . كما يوضحان ، في ذات الوقت ، أن اهتمام شارلمان بالشتون الثقافية لم يكن يقل بحال عن اهتمامه بالأمور الروحية البحتة (١) .

وإذا انتقلنا من التعميم إلى التخصيص نقول إن الملحق الأول يحتوي على رسالة موجهة من شارلمان إلى أحد رؤساء الأديرة بألمانيا ، يدعى باوجولف ، يبحث فيها الرهبان على البحث والدراسة والأخذ بأسباب العلم والاستزادة من المعرفة ، بعد أن لاحظ كثرة الأخطاء اللغوية والتعبيرات الشاذة غير السليمة التي كانت تملئ بها خطاباتهم الموجهة إليه . ثم يبين أهمية العلم مؤكداً أنه لا يقل بأية حال عن الخلق القويم والمسلك المستقيم ، إن لم يفضلها . وفي ختام رسالته يطالب الرهبان بالمثابرة والاجتهاد في تحصيل العلم ، بما يسمنهم على تفهم ما جاء في الكتب المقدسة (٢) . أما الملحق الثاني فيتضمن رسالة من الإمبراطور الألماني إلى الوعاظ الدينيين يدعوهم فيها إلى تدريس الفنون الحرة في جميع الكنائس ، مع العمل على تصحيح الكتب الدينية والكتاب المقدس من المباريات الخاطئة

(١) Downes, Basic Documents in Medieval History, p. 83;
LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 160.

والفرد من المعلومات عن النهضة العلمية السكارولتجية المرتبطة بهارلمان وعصره .
أنظر ما سبق ص ٥٩ وما يليها من القسم الأول من هذا المجلد .

(٢) للفرد من المعلومات ، أنظر ديفز : هارلمان (الترجمة العربية) ، ص

والألفاظ الشاذة الواردة بها (١).

والملحق الثالث عبارة عن مرسوم أصدره الملك الفرنسي فيليب اوجسطس
جد لويس التاسع لصالح جامعة باريس ، وتاريخه سنة ١٢٠٠ م . وهو أول
مرسوم حفظه لنا الزمن يهبه لتلك الجامعة أحد ملوك الغرب (٢) وفيه يمنح طلبة
جامعة باريس العديد من الامتيازات إثر المصادمات العنيفة التي وقعت بينهم
وبين سكان المدينة ، والتي ناصرها فيها محافظ المدينة الأهالي ضد الطلبة بما أثار
سخطهم وحفيظتهم . وتتلخص هذه الامتيازات في العمل على حماية الطلبة من أى
اعتداء قد يقع عليهم مستقبلا ، مع توفير أسباب الأمن وسبل السلامة لهم باتخاذ
كافة الإجراءات التي تكفل سلامتهم وعدم الإساءة إليهم أو إلحاق الأذى بهم ،
بما يشغلهم من مواصلة واجبهم العلمى . كذلك ينص المرسوم على توفير الضمانات
الكافية لأى طالب يقترف جريمة ما ويعضبط متلبسا بها (٣) .

والواقع أنه عندما كانت جامعة من جامعات العصور الوسطى تحصل على
براءة من أحد الملوك أو الوردات ، متضمنة امتيازات لصالح الطلبة أو الأساتذة

(١) هناك خطاب آخر للإمبراطور شارلمان يرجع تاريخه إلى سنة ٧٨٦ م ، يدمو
فيه إلى إنهاء المهيد من المدارس لتعليم الصغار القراءة والكتابة ، وطلب السماح للأطفال
الأرواء حسب المولد إلى جانب أبناء الأحرار الالتحاق ب تلك المدارس للازدياد من العلم .
وللجهد هنا هو أن شارلمان سمح لجميع رعاياه على اختلاف طبقاتهم وطبقاتهم الالتحاق بتلك
المدارس للأخذ بأسباب العلم . وتوجد مقتطفات من الخطاب المذكور مترجمة إلى الإنجليزية
في كتاب نورتون داويز . Downes, op. cit., p. 88.

(٢) Downes, op. cit., p. 132.

Gf. Wallon, op. cit., 348 ; Bontifé, op. cit., 71 ; (٣)

Bailly, op. cit., 228.

أوكليها ، كانت تحفظها وتحرم طليها أشد الحرم وإن الكتاب الذى يندو صورته على كثير من أختام الجامعة ، يعنى فى الحقيقة ذلك السجل الذى كانت تحفظ فيه مختلف الامتيازات والإعفاءات الجامعية (١) .

أما الملحق الرابع فيتضمن وثيقة تتحدث عن حياة الطلبة فى جامعة باريس فى العقود الأولى من القرن الثالث عشر . وكاتب هذه الوثيقة هو جاك دى فيترى الذى ولد حوالى سنة ١١٨٠ م وتوفى حوالى سنة ١٢٤٠ م وله من العمر قرابة ٦٠ عاما . وكان فيترى من الكتاب المبرزين وأسقفا له حياة حافلة . ومن أهم الأعمال التى قام بها التبشير بالحلة الصليبية المعروفة ضد المرافقة الأليجنسين فى شتاء عام ١٢١١/١٢١٢ م . وفى هذه القطعة التى قنا بنقلها إلى العربية يتحدث فيترى بصراحة عن سلوك الجانب الأكبر من طلبة جامعة باريس وتصرفاتهم المنيعة وأعمالهم الطائشة الخقاء . فيقول إن المشاحنات كانت لاتقطع بين الطلبة وسكان المدينة ، مثل الصدام الذى وقع سنة ١٢٠٠ م والذى ترتب عليه أن أصدر فيليب أوغسطس فى نفس السنة مرسومه المعروف لصالح طلبة باريس ترضية لهم لما لحقهم من أضرار . ولكن ما هو أهم من ذلك وأخطر ، تلك الممارك التى كانت تنصب بين الطلبة وبعضهم البعض ، وبصفة خاصة الممارك بين مختلف « الأمم » التى كان من نتائجها أن حقق الطلبة وضعا قانونيا خاصا بهم داخل المحيط الجامعى . وقد تطلخوا ، فى كثير من الأحيان ، بالمعى والهرافات والسكاكين التى كانوا يستخدمونها فى مصادماتهم الدامية . ويستبين مما ذكره فيترى أن الكثيرين من أولئك الذين التحقوا بالجامعة لم يكونوا طلاب علم على الإطلاق ، ولكنهم فى واقع الأمر كانوا يضيئون وقتهم فى إغارة القوضى

والشغب وفي الهو والمرح والحياة الصاخبة التي يسلط الشعر الجولياردى بعض الأضواء عليها (١) ، وإن كان هذا لا يمنع من القول بأنه وجد فريق محدود من الطلبة كان هدفه الأول والآخر هو تحصيل العلم واقتناء المعرفة والعمل الدائب المستمر المثمر ، وإن كانت الإشارة إليه تكاد تكون معدومة في وثائق العصر ومستنداته . فقد كان كل عمل جيد - عادة - لا يسترهى من الكتاب نفس القدر من الاهتمام الذي كان يلقاه كل ماهو غير طبيعي وغير مأروف ، وكل ماهو مثير للدهشة والغرابة والفضول .

وعلى أية حال ، فإن مذكره جاك دى فيترى من تراشق مختلف الطوائف والامم داخل الجامعة بمختلف ألفاظ الشتائم والسباب الذي يفتى - عادة - بالتضارب بالأيدي ، يرجع - في الغالب - إلى أنهم كانوا يدخلون الحانات لنمطى الخمر ، فإذا ما لمبت الخمر برء وسهم وفقدوا وعيهم بدأوا في كيل التهم والكلمات إلى بعضهم البعض . ويحتمل أيضا أن هذا العداء بين الطلبة من مختلف « الامم » إنما يرجع إلى فورة الشباب التي تهرى في عروقهم والتي تؤدي إلى اندفاعهم وثورهم . ولعل ظهور القوميات في ذلك الحين في الغرب ، وتغصب كل أمة من « الامم » داخل الجامعة لبلدها وقوميتها ، فضلا عن الخلافات العميقة الجذور والعداء التقليدى المستحكم بين مختلف دول الغرب وتذاك ، مثل العداء بين إنجلترا وفرنسا والصراع بين البابوية والإمبراطورية أو بين حزبى الجلف والجلين وأمر ذلك على كل من إيطاليا وألمانيا - لعل كل هذا قد ترك أثره

(١) نيا يتعلق بالشعر الجولياردى وأهميته في الكشف عن حياة الهو والنسك التي كان يحياها فريق من الطلاب ، أنظر ما ذكره هاسكتر في الفصل الثالث من كتابه « نشأة الجامعات » المترجم في القسم الثانى من هذا المجلد ، ومنوان الفصل المذكور « طالب المصور الوسطى » واجمع أيضا ، Downs, op. cit., p. 184.

في تكييف العلاقات بين الطلاب من مختلف و الأمم ، داخل نطاق الجامعة . إذ طبع هذه العلاقات بطابع خاص يبدو أمره جليا واضحا فيما كان يشور بينهم من خلافات ومشاحنات لآفته الأسباب ، وأحيانا لأسباب كان الطلاب أنفسهم يفتعلونها ، وكانت تأخذ في كثير من الأوقات مظهرا عنيفا داميا .

ويبرز ما ذكره فيترى عن حياة الطلبة في جامعات المصور الوسطى ما ذكره في هذا السدد أحد المؤرخين الغربيين المحدثين وهو سيدنى بينتر . فهو يتفق مع ما سكرز في أن طلبة المصور الوسطى لم يختلفوا عن طلبة اليوم . فبينما كان هدف البعض هو الدراسة وتحصيل العلم ، كان البعض الآخر على خلاف ذلك تماما . وبينما أفرط الكثيرون في الشراب حتى الثمالة ، كانت الغالبية في حاجة دائمة إلى المال . ويوجد تحت أيدينا عدد من كتب الطلبة التي تتضمن نماذج من المراسلات والخطابات التي كان الطلبة يستخدمونها عند مراسلة آبائهم وذويهم . وكثير من هذه الخطابات عبارة عن أمثلة لمختلف الحسج والتملات التي يتدرج بها الطلبة للحصول على المال من الوالدين والأقارب أو من أولياء الأمور . ومع ذلك فهناك عدد من هذه الخطابات يوضح — مثلا — كيف يدهر الطالب إحدى الفتيات للمساء . ولما كانت المصور الوسطى عصور تتميز بطبيعتها بالعنف ، فقد جنح الأساتذة والطلاب على السواء إلى إثارة الشغب والفوضى . فثمة أحد الأساتذة الألمان ذبح عددا من زملائه ، بينما طرد أستاذ آخر لآله أخذ يلعن زميلا له بسكين حتى أرداه قتيلًا ، وقد وقع هذا الحادث في أحد اجتماعات مجلس الكلية وحل مشهد من الجميع . وهناك أستاذ آخر من جامعة اكسفورد أدين لتعريض تلامذته على قتل أحد التفسس كان قد أساء إليه . وكانت قوانين جامعة اكسفورد تحرم على الطلبة الذين يلتحقون بالجامعة أن يدخلوا حبرات الدراسة وهم حاملين القى

والسهام . وكانت الثورات الدموية أمرا عاديا ومألوفيا بين الطلبة وسكان المدن التي كانوا يقيمون فيها . كذلك كانت السرقات وأعمال السطو التي يفتربها الطلبة ، هي الأخرى ، أمرا شائعا . وعلى أية حال ، فن الأهمية بمكان أن ندرك أنه لم يكن من المتشدد أن ينتحل أى فرد صفة طالب العلم . فليس هناك أكثر من رداء ملفت للأنظار مشير للإغراء يرتديه أمثال أولئك الأشخاص الذين هم ليسوا طلاب علم بالمرّة ، وإنما جرمين خارجين على القانون . ويكفى القول بأن أسوأ ضاحية إجرامية في مدينة باريس في القرن الخامس عشر كانت تقع خلف جامعة باريس نفسها ، وكان كثير من سكانها ينتكرون في هيئة طلاب العلم ومعلم بطلاب علم على الإطلاق (١) .

هذا من الملاحق الأربعة الأولى ، أما الملحق الخامس فهو يشتمل على مرسوم البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧ - ١٢٤١ م) إلى جامعة باريس ، وتاريخه سنة ١٢٣١ م . ويعتبر هذا المرسوم من أقدم اللراسيم التي صدرت لصالح هذه الجامعة وأكثرها أهمية . وقد أصدره البابا بعد أن ترك الطلبة الجامعة وتوقفت الدراسة بها ، وبعد أن أقسموا على عدم العودة إليها . وفيه يدعو الطلبة إلى العودة ثانية إلى الجامعة لاستئناف دراستهم بعد أن أمنهم على أنفسهم وحياتهم . كما يؤكد لهم الاعفاءات والامتيازات القائمة الخاصة بهم ، ويعترف بحق الأساتذة والطلاب في إصدار القوانين والتشريعات التي تنظم أمورهم . كذلك يمنح الجامعة حق التوقف عن إلقاء المحاضرات وتعطيل الدراسة إذا كان ثمة ضرورة تستدعي

(١) أنظر من ذلك : Painter, A History of the Middle Ages, p.475.

وقد تعرض لهذه الجوانب في شيء من التفصيل والتفصيل المؤرخ هاسكوت في الفصل الثالث من كتابه « نشأة الجامعات » المترجم في القسم الثاني من هذا المجلد .

ذلك ، وهو حق ظلت جامعة باريس تتمتع به إلى أن تم إلغاؤه في أواخر القرن الخامس عشر ، وعلى وجه التحديد في سنة ١٤٩٩ م .^(١) ويشتمل الملحق السادس والأخير على ترخيص بابوى بتأسيس جامعة الفنون في فرنسا ، وتاريخ الترخيص سنة ١٣٠٣ م . والمعروف أن التصريح بإنشاء أية جامعة كان يعتبر في ذلك الزمان حقا مطلقا للبابوات ، وتحتوى الوثيقة المذكورة على معلومات تميز بقيمتها ووضوحها فيما يتعلق بموضوع الامتحانات ومنح الدرجات العلمية مثل درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه^(٢) .

(١) أنظر من ذلك . Downes, op. cit., p. 186 ; Bailly, op. cit., p. 225.

Cf. Ashour & Rabie, op. cit., p. 116.

(٢)

الملحق الأول

خطاب الامبراطور شارلمان الى
باوجولف رئيس دير قولدا
بالمانيا (٧٨٠—٨٠٠ م). (١)

تحية وبعد — ليسكن معلوما لقد استمكم أنه مما يرضى الله أن وجدنا نحن
والمخلصون من رجالنا أنه من المفيد بالنسبة للأسقفيات والأديرة التي فوض
المسيح أمر الإشراف عليها إلينا ، بالإضافة إلى جماعات الإخوان الرهبان ، مع
الرغبة في مواصلة التعليم الديني — وجدنا أنه من المفيد الاهتمام بأمر الأسقفيات
والأديرة ، وذلك فيما يختص بالثقافة الأدبية وتعليم أولئك الذين وهبهم الله
القدرة على التعلم ، كل حسب مقدرته وطاقته . ولما كان احترام القوانين الرهبانية
ومراعاتها يؤدي إلى النظام وإلى صحة السلوك الحسن ، كذلك فإن الغيرة في
العلم والتعليم يمكن أن تؤدي إلى نفس النتيجة . وهكذا فإن الذين يرغبون إرضاء الله
بأن يحيوا حياة قويمه سالحة ، عليهم أيضا الحصول على رضائه بالتعلق بالسليم ...
وعلى الرغم من أن المسلك القويم قد يكون أفضل من المعرفة ، إلا أن المعرفة
تسبق آداب السلوك ... إذ كانت تصلنا خلال السنوات القليلة الماضية خطابات
من كثير من الأديرة ، جاء بها أن الإخوان الرهبان الذين يقيمون هناك يقيمون

Letter of Charlemagne to Abbot Baugulf, 780—800, (١)
cf. Downs, Basic Documents in Medieval History, pp. 32—33.
Cf. also S. Ashour & H. Rabie, Fifty Documents in Medieval
History (Cairo, 1971), pp. 34—35.

الصلوات والابتهالات المقدسة من أجلنا . ولقد وجدنا في معظم تلك المسكّنات الأفكار الصائبة إلى جانب التعبيرات الفجة قور للمألوفة . ذلك أن ماتمليه العبادة الحقة بإخلاص على العقل ، لم يكن يوسع اللسان الذي لم يشغف بسبب إهمال الدراسة التعبير عنه دون الوقوع في أخطاء . . لكل هذا ندعوكم ليس فقط إلى الاهتمام بدراسة الآداب ، ولكن أيضا بعقل شديد التواضع لتحصيل العلم واقتناء المعرفة بما يرضى الله ، حتى يتسنى لكم ، في سهولة ويسر أكثر من ذي قبل وبطريقة صحيحة أيضا ، التمتع في فهم خبايا الأناجيل المقدسة وأسرارها . . .

الملحق الثاني

خطاب الامبراطور شارلمان

الى الوعاظ الدينيين في دولته

(١٧٨٦-٨٠٠ م) (١)

... وبناء على ذلك ، وحيث أننا نهم دائما بالعمل على تحسين أحوال كنائسنا ، فقد جاهدنا بحماس ويقظة في سبيل النهوض بأسباب العلم والتعليم للذين أسدل عليها ستار النسيان بسبب إهمال أسلافنا . واقتداء بنا ، فإننا ندهو كل من يمكن دهورهم للإشراف على تدريس الفنون الحرة . ووفقا لذلك ، فقد قننا بفضل الله الذي يميننا على كل أمر من أمورنا ، بتصحيح جميع أسفار المهددين القديم والجديد بعناية ، لأنه كان قد دب فيها الفساد بسبب جهل التسليخ .

وفضلا عما تقدم ، واقتداء بأبيتنا بين (٢) صاحب الذكرى الفاضلة ، الذي كان متحمسا لتجميل جميع كنائس غالة بترانيم الكنيسة الرومانية ، يهتما أن تصل تلك الكنائس بمهارتنا إلى مرتبة رفيعة عن طريق إعداد سلسلة من الكتب الممتازة

(١) Letter of Charlemagne to the religious lectors, 783-800, cf. Down, op. cit., p. 88. Cf. also Ashour & Rabie, op. cit., p. 85.

(٢) هو بين القصير آخر وزراء الميروفنجيين ، وقد كانت له الكلمة العليا في البلاد بينا ملوك الميروفنجيين مجرد الموية . ولذلك قام في أواخر القرن الثامن بنقل الناج من آخر ملوك الميروفنجيين الماطلين وهو شيلديريك الثالث ، وأسس عواقبة البايوية أسرة جهيدة هي الأسرة السكارونجية . أنظر هارتمان وباراكلاف : الفوة والامبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١١٤ ح ١ و ١١٧ ح ١ و ١٤١ ح ٢ .

المتضمنة فصولا من الأناجيل لتلاوتها أثناء القداس . وأخيرا ، حيث أننا وجدنا أن الكتب الخاصة بالخدمة الدينية الليلية التي تم تجميعها بفضل جهود غير مثمرة لبعض الأشخاص المغمورين رغم عن نواياهم العلية ، قد أصبحت غير ملائمة أو مناسبة لأنها كتبت دون أن تتضمن عبارات مؤلفيها ، فضلا عن أنها مليئة بالأخطاء التي لا تفتح تحت حصر أوعد .

لذلك لا يمكن أن نتحمل في أيامنا هذه مسؤولية انسياب الألفاظ الشاذة المتناثرة المليئة بالأخطاء في المطبوعات الدينية التي تقرأ فيما بين الخدمات المقدسة .
وهدفنا هو العمل على تحسين تلك المطبوعات

الملحق الثالث

مرسوم الملك فيليب أوغسطس
لصالح جامعة باريس (سنة
١٢٠٠ م) .^(١)

..... ثم أنه فيما يتعلق بضمان سلامة الطلبة في باريس مستقبلا ، ووفقا لمذكورة
رعايانا ، أمرنا بما هو آت : على كل مواطن من مواطني مدينة باريس أن يقدم
بقول الحق إذا شاهد أحد الملبائين وهو يحتضن أحد الطلبة . كذلك يجب ألا
ينسحب أى فرد حتى لا يدعى أنه لم يشاهد ولقعة الاعتداء [على الطالب] . وإذا
حدث أن ضرب شخص ما أحد الطلبة ، لا سيما إذا استخدم في ذلك سلاحا أو
هراوة أو حجرا — اللهم إلا إذا كان ذلك دفاعا عن النفس — فعلى جميع المدنيين
الذين شاهدوا واقعه الاعتداء ، القبض بأمانة على المعتدى أو المعتدين ، وتسليمهم
إلى القاضي التابع لنا . ويجب أيضا [على جميع المدنيين] ألا ينسحبوا حتى لا يدعوا
أنهم لم يروا ما حدث ، وبذلك يتصلون من القبض على المعتدى ، ويتحللون من
قول الحق . وسواء ضيق الفاعل مثلها بجرمته أم لا ، فسوف تتخذ كافة
الإجراءات القانونية بواسطة رجال الدين أو الملبائين أو بعض القضاة .
وسوف يفعل قضائنا والكورت التابع لنا نفس الشيء.....

ولا يجوز لحافظ مدينة باريس أو لقضائنا القبض على أى طالب بسبب أية
إساءة منها كانت ، أو حتى إبداعه سجونا ، اللهم إلا إذا كانت الجريمة قد اقترنها

The Charter of King Philip Augustus to the University (١)
of Paris, 1200, cf. Downs, op. cit., pp. 182-188.

الطالب بالفعل مما يستدعي إلقاء القبض عليه . وفي هذه الحالة على القاضي الذي يتبعنا القبض عليه حالا دون إيداعه على الإطلاق ، اللهم إلا إذا أبدى مقاومة ، ثم يقوم بتسليمه إلى القاضي الكنسي الذي يجب عليه حمايته ترصية لنا ولبن لمقه الأذى . وإذا ارتكبت جريمة خطيرة ، فسوف يذهب القاضي الذي يتبعنا بشخصه ، أو يقوم بإرسال من ينوب عنه ، لمعرفة الإجراءات التي اتخذت حيال الطالب . فإذا لم يبد الطالب مقاومة عند إلقاء القبض عليه ، ومع ذلك ظل يعاني من أى ضرر يلحق به ، فسوف تطالب بترصيته وفقا للإجراءات المشار إليها أعلاه والتقسيم المنوه عنه . ولن يضع قضائنا أيديهم على منقولات أو متاع طلبة باريس بسبب أية جريمة يقرفونها مما بلغت جسامتها . ولكن إذا استلزم الأمر توقيع الحجر على هذه المنقولات ، فسوف يتم ذلك مع مراعاة حراسها والحفاظ عليها ، بعد صدور الأمر اللازم من القاضي الكنسي بتوقيع الحجر عليها

وفيما يخص بأولئك الذين يقومون على خدمة الطلبة من الملبسين ، وهم الذين لا يدينون لنا بالحقوق المدنية أو حق الإقامة ، ولا يعيشون على التجارة ، ولا يستخدمهم المتعلون كوسيلة لإلحاق الأذى بالغير — فإحدى اتخاذ ما يلي حيالهم : « غير مسموح لنا أو للقاضي الذي يتبعنا القبض عليهم ما لم يتم ضبطهم وهم متلبسون بجريمة ما . حيثئذ يجب علينا أو على قاضينا إلقاء القبض عليهم . ووفقا لما سلف ، ليست لدينا الرضبة ، حقا ، في أن يتمتع قساوسة باريس وخدامهم بهذه الامتيازات التي منحتها لطلبة باريس . »

وفضلنا عما تقدم ، وحتى يتسنى تطبيق هذه الأوامر بمثابة أكثر من ذي قبل ، مع العمل على تحريرها بقانون ثابت — فقد قررنا أن يقسم شعب باريس والحفاظ

الجديد في حضور الطلاب بتنفيذ ما سلف ذكره بإخلاص واستقامة . هذا ، وحل كل من يتسلم منا في المستقبل منصب محافظ باريس مع غيره من المهام المكلف بها ، أن يتوجه في يوم الأحد من الأسبوع الأول أو الثاني من تمينته ، إلى إحدى كنائس مدينة باريس — وذلك بعد استدعائه لهذا الغرض — ليؤكد بقسم يؤديه علينا وفي حضور الطلاب أنه سوف يحترم بإخلاص كل ما سبق التنويه عنه

الملحق الرابع

حياة الطلبة في جامعة باريس

لجاك دى فيترى (حوالى ١١٨٠ -

حوالى ١٢٤٠ م) ^(١)

لقد اقتصر عمل جميع طلبة باريس تقريبا ، المواطنون منهم والمغتربون ، في تعلم أو الاستماع إلى شئ جديد . إذ درس البعض بقصد تحصيل المعرفة فحسب ، ونفى بذلك الفضول وحسب الاستطلاع . بينما كان هدف البعض الآخر اكتساب الشهرة ، حيا في الزهر والغرور . ومع ذلك فهناك فريق كان يتعلم رغبة في الربح والكسب ، مما يكشف عن الجشع ورذيلة الرشوة أى السيمونية . وقليلون جدا هم أولئك الذين كانوا يتعلمون لتتقيف أنفسهم وتثقيف غيرهم . وكان الطلبة يتشاجرون ويتنازحون فيما بينهم ، ليس فقط بسبب اختلاف طوائفهم ، أو بسبب الجدل والمناقشات التي كانت تحدث فيما بينهم ، بل أيضا بسبب الخلافات بين « الأمم » التي أدت إلى قيام النزاع وإثارة الخصومات والاتحاد والعداء الشديد . فكانت مصدر عنهم ، في قحة وقلة حياء ، شتى أنواع البذاءات والسباب .

لقد قالوا إن الإنجليز سكارى ولهم ذبول ، وإن أبناء فرنسا متكبرون غشون يتزينون بتنايه مثل النساء . وقالوا إن الألمان يتزينون بالعنف ويأتون المنكر في أحيادهم ولا تهمهم . أما النورمان فهم مغرورون يتهبون فخرا ؛ وسكان بواتييه خونة من طباعهم القدر وهم دائما غايطرون . واعتبروا البرجنديين سفلة أغبياء . أما سكان

(١) Student Life at the University of Paris by Jacques de Vitry (ca. 1180—ca. 1240), cf. Downs, op. cit., pp. 184—185.

مقاطعة بريطاني فقد اشتهروا بأنهم هوائيون متقلبون ، وكثيرا ما كانوا يعيرونهم لمقتل آرثر .^(١) واتصف اللبارديون بأنهم يحبون للبال أشرار جبناء . أما الرومان فهم مترددون مشاغبون مفترنون ، والصقليون بغاة عتاه قساة ظالمون جائرون . ويرمق سكان برا بامت سفك الدماء وإثارة الفتن، فضلا عن أنهم لصوص وقطاع طرق ومغتصبون . وأما الفلنكيون^(٢) فهم متقلبون مسرفون نهيمون ناعمون كالزبد كمال . وبعده هذه الكلمات من الشتم والسباب كانوا في الغالب يتضاربون بالأيدي ويتبادلون اللكمات .

ولن أتحدث عن علماء المنطق أصحاب المناقشات السفسطائية ، الذين ليس بوسع أى إنسان فهم خطبهم البليغة الخالية من الحكمة على حد قول أشعيا [النبي]^(٣) . وأما عن أساتذة اللاهوت « المحتلين مركز موسى » فقد تشبعوا بالعلم ، ولكن هدفهم لم يكن التثقيف وتقوم الأخلاق . لقد اقتصر عملهم على التعليم دون ممارسة العلم ، حتى أصبحوا « مثل النحاس الأصفر الزمان » أو « الصنج ذات الطنين » أو مثل قناة من الحجر جافة دائما . ومثلهم مثل من يجب عليهم أن يحملوا الماء إلى « مجرى نهر من التوابل » . ولم يحذوا على بعضهم البعض فحسب ، وإنما كانوا ينفرون طلبية الأساتذة الآخرين بمسول كلامهم وطيب حديثهم . فقد كان كل فرد منهم يسعى لتحقيق مجده الشخصي دون الاهتمام بالنتيجة بخلاص النفوس وسلامتها^(٤) .

(١) ستعرض له بالتفصيل في القسم الثاني من هذا الكتاب .

(٢) نسبة إلى بلاد الفلندس ، وتعرف أيضا باسم الفلاندرز أو الأراضي الواطئة .

(٣) أنظر الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر أشعيا - إصحاح ٤٠ آية ٣١ ، ونصها : « وذل للسكاه في أمين أنفسيهم والفهاء عند ذواتهم » .

(٤) يبدو لي حديث قيرى هنا قصة التحكم والسخرية وهو يحدث من أساتذة المنطق واللاهوت .

الملحق الخامس

مرسوم البابا جريجورى

التاسع الى جامعة باريس

(سنة ١٢٣١ م) . (١)

تحية وبركة رسولية ، من الاسقف جريجورى ، خادم خدام الرب ، إلى
أبنائه الاحباء جميع أساتذة باريس وطلابها ...

لقد قررنا فيما يتعلق بأحوال الطلبة والمدارس الجامعة مراعاة الآتى : يجب
على كل أمين كاتدرائية يتم تعيينه فى باريس ، من الآن فصاعدا ، أن يقسم
بإخلاص وبوحى من ضميره ، عند تقلده مهام منصبه ، وفى حضور أسقف
باريس ، أو بناء على طلب الأخير بمقر اجتماع فى كاتدرائية باريس (٢) ، وبعد
دعوة اثنين من زعماء الطلبة لهذا الغرض—يجب عليه أن يقسم بعدم قبول أساتذة
فى العلوم اللاهوتية والقانون الكنسى سوى الأساتذة الأكفاء ، مع مراعاة المسكان
والزمان المناسبين ، وفقا لظروف المدينة واحتياجاتها ، وحسب ما يقتضيه
شرف هذه الفروع من العلم وهيبتها . وعليه أن يقسم أيضا بصرف النظر عن
غير الأكفاء دون مراعاة أو اعتبار للأشخاص أو الامم .

هذا ، وقبل منح أى فرد إجازة التدريس يجب على أمين الكاتدرائية ، خلال

(١) Charter of the Pope [Gregory IX] to the University of
Paris, 1281, of Downs, op. cit., pp. 186—188.

(٢) المقصود كاتدرائية نورهام .

ثلاثة أشهر تبدأ من طلب التصريح بالإجازة ، أن يقوم بجمع المعلومات الدقيقة الوافة عنه من جميع أساتذة اللاهوت الموجودين بالمدينة ، ومن غيرهم من الرجال المخلصين المثقفين الذين يمكن الاعتماد عليهم لمعرفة الحقيقة الخاصة بسيرة المرشح [الحصول على إجازة التدريس] ومقدار علمه ومدى قراءته ومقاصده ومشاريعه ، وغير هذا وذاك من الصفات الواجب توافرها فيه . وبعد إجراء هذه التحريات ، يقوم [أمين الكاتدرائية] بإخلاص وروحى من ضميره بمنح إجازة التدريس للبرشح أو حرمانه منها حسبما يبدو ذلك ملائماً وعلى أساتذة اللاهوت والقانون الكنسى عندما يبدأون فى إلقاء محاضراتهم ، أداء قسم على مفاده أنهم سوف يحافظون بإخلاص على ماسبق التنويه عنه . وعلى أمين الكاتدرائية أن يحلف أيضاً بعدم إفشاء أسرار الأساتذة بأية طريقة ، بما قد يترتب عليه إلحاق الضرر أو الأذى بهم . فضلاً عن الإبقاء على الحريات والامتيازات التى نصح عليها قوانين جامعة باريس دون المساس بها ، وأن تظل كما كانت منذ البداية . وبالإضافة إلى ما تقدم ، سوف يتعهد أمين الكاتدرائية بأن يتحرى بإخلاص عن أساتذة العلب والآداب وفروع المعرفة الأخرى ، حتى يتسنى السماح للأكتفاء فقط [بالتدريس فى الجامعة] واستبعاد غير الأكتفاء .

وفىما يتعلق بغير ذلك من الأمور ، ونظراً لأن القوضى تزحف فى سهولة ويسر حيث لا يوجد نظام ، فقد منحناكم^(١) حق إصدار القوانين والتشريعات التى تنظم مواعيد المناقشات والمحاضرات وكيفية إلقائها ، وكذلك إلى المميز للطلبة ، وما يختص بدفن الموتى ، وكل ما يتصل بالمؤهلين الذين يحاضرون [فى الجامعة] ومواعيد محاضراتهم ، والمواضيع التى يحاضرون فيها . وأيضاً ما يتعلق

(١) يقصد بذلك الجامعة .

بإيجارات السكن أو الحجر عليها ، وما يختص بالجاء المناسب الذى يوقع على أولئك الذين ينتهكون قوانينكم وتشريعاتكم ، بالعمل على بئس من مجتمعكم . وإذا تم تحصيل ضريبة السكن منكم ، وإذا كان يوزع أى شيء ، أو أصابكم ضرر أو لحق بكم مكروه أو داهمتكم خسارة فادحة أفضت إلى الموت أو بتر أحد الأطراف ، وما لم تم الترضية اللازمة ، خلال خمسة عشر يوما من وقوع الإصابة بعد توجيه إنذار مناسب ، فيمكنكم التوقف عن إلقاء محاضراتكم إلى أن تحصلوا على الترضية الكافية . (١) هذا ، ومن حق أى فرد منكم الامتناع كذلك عن إلقاء محاضراته فوراً ، إذا وجد أن هذه هى الوسيلة الملائمة فى حالة إبداءه السجن بدون وجه حق ، طالما لم يتم رفع الضرر الذى لحق به بناء على احتجاج يقدم منكم .

وفضلاً عما تقدم ، فقد أصدرنا أوامراً إلى أسقف باريس بتوقيع القصاص على المذهب إذا تمادى فى جريمته ، وبضرورة المحافظة على حقوق كل طالب وامتنيازاته الجامعية ، وعدم ترك الأعمال الشريرة غير الطيبة تفلت بدون عقاب . كذلك لا يجوز إطلاقاً القبض على شخص برئ بسبب المعتدى . وحتى إذا حاصرت شبكات غير مؤكدة حول أى فرد ، فيتم اعتقاله دون المساس بكرامته ، ويحل سبيله إذا دفع كفالة مناسبة ، ودون أى تعسف من قبل السجائين . ولكن إذا ارتكبت جريمة ما ، وكان من الضروري حبس مرتكبها ، فعلى الأسقف حبس المذهب فى سجنه ، ولا يسمع لأمين الكاتدرائية باحتجازه فى سجنه الخاص . كما أنه غير مسموح إلقاء القبض على أى طالب لدين له على آخر ، إذ أن هذا الأمر محرم طبقاً لتعليقات والتواوين الكنسية وما تنص به الشريعة . وليس من

(١) الحديث هنا موجه إلى أساقفة الجامعة .

سحق الأسقف أو موظفيه أو أمين الكاتدرائية أن يحصلوا حنوة على غرامة مالية من شخص ما لإحلاله من قرار حرمان كنسى تم توقيمه عليه ، أو من أى عقاب آخر أيا كان نوعه . ولا يحق لأمين الكاتدرائية أن يطالب الأساقفة المصرح لهم بمزاولة المهنة بأداء قسم أو حلف يمين الطاعة أو بذل أى وعد آخر أيا كان ، كما لا يحق له أن يحصل على أجر أو وعد نظير الترخيص لشخص ما بمزاولة المهنة ، بل يجب عليه أن يلتزم بالقسم المشار إليه أعلاه .

ويجب ألا تزيد مدة العطلة الصيفية عن شهر واحد . وبوسع الحاصلين على إجازة الليساس ، إذا رغبوا ، الاستمرار فى إلقاء محاضراتهم خلال العطلة . وبالإضافة إلى ما تقدم ، فإننا نحرّم بشدة على الطلبة حمل السلاح داخل المدينة ، وتمنع الجامعة من حماية أولئك الذين يخفون بالأمن أو يعملون على تعطيل الدراسة . وأما أولئك الذين يدهون أنهم طلاب علم ، ولكنهم لا يترددون على مدارسهم ولا يعرفون أساتذتهم ، فليس من حقهم التمتع بالحريات المصرح بها للطلبة ..

وحيث أن الأساقفة والطلبة الذين أثارتهم الحساو والأضرار التى لحقت بهم ، كانوا فى الواقع قد أدوا قسما مشتركا بمخادعة باريس وإخلاق الجامعة ، وحيث أنهم قد أثاروا بذلك نزاعا ليس فى صالحهم بقدر ما هو ضد الصالح العام — لذلك ، اعتبارا لخطاب الكنيسة وامتيازاتها ، نود بل تأمر بأن يواصل الأساقفة والطلبة عملهم فى باريس ، وسوف لا يدانون بسبب رحيلهم عنها أو هودتهم إليها ، وذلك بعد أن منحهم ولدنا الحبيب ملك القرميسين العظيم^(١) — ببركة المسيح — تلك الامتيازات السالفة ، وبعد أن قدم المعتدون التعويضات اللازمة .

(١) المقصود نيلب أوغسطس الذى كان قد أصدر مرسوما لصالح جامعة باريس عام

الملحق السادس

تخصيص بابوي بتأسيس

جامعة أفينيون بفرنسا

(سنة ١٣٠٣ م) .^(١)

تعتبر مدينة أفينيون لأسباب عديدة مقراً صالحاً ومناسباً تماماً لإقامة جامعة بها . هذا ، ولما كنا نؤمن بأن الصالح العام يقتضى استدعاء أولئك الذين يندرون الحكمة إلى المدينة ، وأنهم سوف يعطون في الوقت المناسب ثماراً يامة — فإننا نمنح هذه الوصفة حتى تأسيس جامعة هناك ، حيث يمكن للأساتذة *magistri* مواصلة مهنة التدريس بينما يقوم طلاب العلم بالدراسة والاستماع إلى المحاضرات في جميع الكليات طوعاً واختياراً . وعندما يصل أولئك الذين يدرسون بالجامعة إلى درجة رفيعة من العلم والمعرفة ، ويسألون التصريح لم يتدرس الآخرين ، فإننا نجهيزهم إلى طلبهم على أن يودوا امتحاناً في كلا القانونين الكنسي والمدني وفي الطب والفنون الحرة ، ثم يتوج عملهم بمنحهم لقب ماجستير في [تخصصات]^(٢) تلك الكليات . وسوف يمثل جميع المجازين لهذا الشرف في حضرة أسقف أفينيون الذي يتولى استدعاء جميع أساتذة الكلية المعنية ، ثم يقوم بامتحان المرشحين [لتليل الدرجة] دون المطالبة بأية مصاريف أو نفقات ، وذلك للوقوف على مقدار حصيلتهم العالية ومدى بلاغتهم وأسلوبهم في المحاضرة ، وغير ذلك

(١) Papal Charter for the Establishment of the University of Avignon, 1308, cf. Ashour & Rabie, op. cit., pp 116—117.

(٢) الكلمات التي تقع بين حاصرتين أضافها المترجم زيادة في الإيضاح .

من الأمور الواجب توافرها في مثل أولئك الذين سيحصلون على درجة الدكتوراه أ. أ. الماجستير . وبعد ذلك يتناول [الأسقف] مع الأساقفة حول [نتيجة] الامتحان ، ويقومون هم بدورهم بإبداء الرأي فيما يتعلق بموضوع منح الدرجة العلمية ، بمعنى أن يقرروا إن كان المرشح قد أدى الامتحان بنجاح أم لا . هذا ، مع مراعاة أن يبقى اقتراحهم سرّاً مكتوماً ، وألا يفصح الأسقف إطلاقاً كيف أدلوا برأيهم في الموضوع . وسوف يصادق على الصالحين منهم ويأذن لهم بتدريس الآخرين . أما أولئك الذين يرى أنهم غير صالحين ، فسوف يرفض طلبهم دون رهبة أو تملق . وإذا حدث أن كانت أسقفية أفنيون شاعرة ، فسيقدم المرشحون [لنيل الدرجة العلمية] أنفسهم إلى الفاضل Praepositus الكسبي الذي يتولى امتحانهم والموافقة على من يقع عليهم الاختيار وفقاً لما أشرنا به بالنسبة للأسقف .

وفيما يتعلق بأولئك الذين أدوا الامتحان وتم الموافقة عليهم في أفنيون وحصلوا على إجازة التدريس ، فسيكون لهم بعدئذ الحق المطلق في المحاضرة والتدريس في كل مكان بالكلية التي أجازوا للعمل بها ، وذلك بدون أداء أية امتحانات أخرى أو الحصول على موافقة أى شخص آخر .

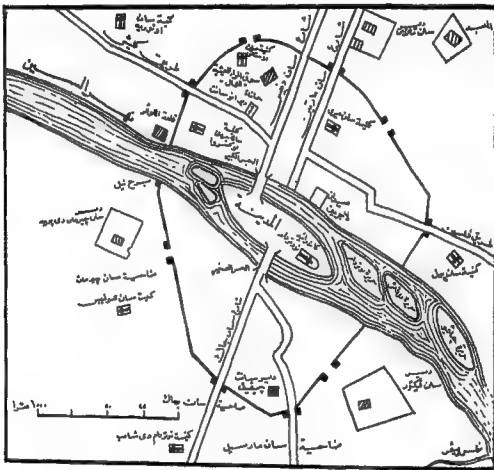
وحق يتم عقد مثل تلك الامتحانات بطريقة سليمة ، نأمر بأن يؤدي جميع الأساقفة الذين يرغبون في المحاضرة بمقامة أفنيون ، قبل أن يبدأوا عملهم بها كدكرسين ، قسماً علينا مؤداه أنهم سيتواجدون شخصياً في جميع الامتحانات وفي أى وقت يتم استدعائهم فيه ، وأنهم سوف يزودون الأسقف لا عن رهبة وغشية أو رهبة في الوقت والوقت ، وإنما بأمانة وإخلاص وبدون مقابل gratis ، برأيهم في الامتحان ، وذلك حتى يتسنى المصادقة على الإكفاء واستبعاد

غير الأكفاء . وإن يسمح لأولئك الذين يرفضون أداء هذا القسم بالمحاضرة في الجامعة أو حضور الامتحانات أو التمتع بأية مزايا جامعية .

وحتى يكرس أساتذة الجامعة وطلبتها أنفسهم لدراساتهم بحرية وبلا قيود ، وحتى يحرزوا تقدما طيبا فيها — فإننا نمنح كل الذين يعملون بالجامعة ، من أساتذة وطلاب ، جميع الامتيازات والحريات والإعفاءات التي يتمتع بها — عادة — المدرسون والدارسون بالجامعات الأخرى .



شهریة دلم (۷)



باریس فی صر فیلیپ لوصطی

المراجع^(١)

(١) يتضمن هذا التيت المراجع الوارد ذكرها في حواشي التسمي الأول والثاني
من هذا المجلد .

أولا

المراجع العربية

ابراهيم احمد العدوى (دكتور) : المجتمع الاوروبى فى العصور الوسطى —
القاهرة ١٩٦١ .

احمد فؤاد الاهوانى (دكتور) : ابن سينا — القاهرة ١٩٥٨ .

حوزيف نعيم يوسف (دكتور) :

١ — د الدافع الشعبى فى قيام الحركة الصليبية — مقال بمجلة كلية الآداب
بجامعة الاسكندرية — العدد ١٦ (السنة ١٩٦٣/٦٢) — الاسكندرية
١٩٦٣ (ص ١٨٣ — ٢٠٧) .

٢ — العرب والروم وللاتين فى الحرب الصليبية الاولى — ط. ثانية —
الاسكندرية ١٩٦٧ .

٣ — والمدون الصليبي والرأى العام الغربى — محاضرة من سلسلة المحاضرات
العامة بجامعة الاسكندرية العام الجامعى ٦٧ / ١٩٦٨ — الاسكندرية
١٩٦٨ (ص ٢٩ — ٥٢) .

٤ — المدون الصليبي على مصر : هزيمة لويس التاسع فى المنصورة
وقارسكور — الاسكندرية ١٩٦٩ .

٥ — المدون الصليبي على بلاد الشام : هزيمة لويس التاسع فى الاراضى
المقدسة — الاسكندرية ١٩٧١ .

حسن حبشى (دكتور) : الحرب الصليبية الأولى — ط. ثانية — القاهرة
١٩٥٨ .

حسن حنفى حسنين (دكتور) : نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط -
الاسكندرية ١٩٦٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

١ — أوروبا المصور الوسطى - جزيءان - القاهرة ١٩٥٨ - ١٩٥٩ .

٢ — الجامعات الأوروبية في المصور الوسطى — القاهرة ١٩٥٩ .

٣ — المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية — القاهرة ١٩٦٣ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) وعمد ايس (دكتور) : النهضة الأوروبية
في المصور الوسطى وبداية الحديثة — القاهرة ١٩٦٥ .

عباس محمود المقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية — القاهرة ١٩٦٥ .

عبد الرحمن بدوي (دكتور) : فلسفة المصور الوسطى — القاهرة ١٩٦٢ .

علي مطهر (دكتور) : حاكم التفويض — القاهرة ١٩٤٧ .

نظير حسان سنداوى (دكتور) : تاريخ البحارة وحضارتها في المصور القديمة
والوسطى — القاهرة ١٩٥٨ .

وهيب إبراهيم سحمان (دكتور) : الثقافة والفنية في المصور الوسطى —
القاهرة ١٩٦٢ .

يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط — القاهرة ١٩٥٧ .

ثانياً

المراجع العربية

الجيبرى (داتى) : الكوميديا الإلهية — القسم الثالث (الفردوس) — ترجمة
وتقديم وتعليق الدكتور حسن عثمان — القاهرة ١٩٦٩ .

بينز (ن) : الإمبراطورية البيزنطية - تعريب الدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد - القاهرة ١٩٥٠ .

دوسن (ك) : تكوين أوربا - ترجمة ومراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور سعيد عبد الفتاح حاشور - القاهرة ١٩٦٧ .

ديفز (أ. و. ك) : شارلمان - نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العريني - القاهرة ١٩٥٩ .

راوس (أ. ل) : التاريخ الانجليزي - نقله إلى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٤٦ .

سباين (ج) : تطور الفكر السياسي - جزءان - ترجمة حسن جلال العروسي - القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٤ .

فشر (أ. ل. أ) : تاريخ أوربا في المصور الوسطى - جزءان - ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريني والدكتور إبراهيم أحمد العلوي - القاهرة ١٩٥٠ و ١٩٥٧ .

كرامب (ج) وجاكوب (ل) : تراث المصور الوسطى - راجع للترجمة العربية محمد بدران والدكتور محمد مصطفى زيادة - جزءان - القاهرة ١٩٦٥ و ١٩٦٧ .

كولتون (ج. ج) : عالم المصور الوسطى في النظم والخصارة - ترجمة وتعليق الدكتور جوزيف نعيم يوسف - ط. ثانية - الاسكندرية ١٩٦٧ .
هارتمان (ل. م) وباراكلاف (ج) : الدولة والإمبراطورية في المصور الوسطى - ترجمة وتقديم الدكتور جوزيف نعيم يوسف - ط. ثانية - الاسكندرية ١٩٧٠ .

يعقوب (ج) : أثر الشرق في الغرب خاصة في المصور الوسطى - ترجمه بتصرف الدكتور فؤاد حسنين علي - القاهرة ١٩٤٦ .

المراجع

المراجع الاجنبية

- Arnold, T. & Guillaume, A. (eds.), *The Legacy of Islam*. London, 1952.
- Ashour, S. & Rabie, H., *Fifty Documents in Medieval History*. Cairo, 1971.
- Atiya, A.S., *Crusade, Commerce and Culture*. Bloomington, 1962.
- Bailly, A., *Byzance*. Paris, 1939.
- Bailly, A., *Saint Louis*. Paris, 1949.
- Baker, D.N. & Fasel, G.W. (eds.), *Landmarks in Western Culture*. 2 vols. New Jersey, 1968.
- Baldwin, M.W., *The Mediaeval Church*. New York, 1953.
- Barker, E. (ed.), *Social and Political Thought in Byzantium from Justinian I to the last Palaeologus*. Oxford, 1957.
- Barrow, R.H., *The Romans*. Aylesbury & London, 1955.
- Baynes, N.H., "The Political Ideas of St. Augustine's *De Civitate Dei*," *The Historical Association*. London, 1962. (Pamphlet No. 104, pp. 3-17).
- Baynes, N.H. & Moss, H. St. L.B. (eds.), *Byzantium*. Oxford, 1933.
- Bédier, J., *La Chanson de Roland*. Paris, 1937.
- Bell, M.I.M., *A Short History of the Papacy*. London, 1921.
- Blakeney, E.H. (ed.), *A Smaller Classical Dictionary*. London, 1923.
- Bloch, M., *Feudal Society*. Translated from the French by L.A. Manyon. 2 vols. London, 1967.
- Boutié, L., *Paris au temps de Saint Louis*. Paris, 1911.
- Brinton, C., Christopher, J.B. & Wolff, R.L., *A History of Civilization*. 2 vols. New Jersey, 1967.
- Browne, R.A., *British Latin Selections (A.D. 500-1400)*. Oxford, 1954.
- Burckhardt, J., *The Civilization of the Renaissance*. Translated by S.G.C. Middlemore. London, 1944.

- Burgh, W.G. de, *The Legacy of the Ancient World*. 2 vols. London, 1935.
- Bury, J.B., *History of the Later Roman Empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian*. 2 vols. New York, 1958.
- Calmette, J., *Le Monde Féodal*. Paris, 1937.
- Calmette, J., *Le Moyen Age*. Paris, 1948.
- Cantor, N.F., (ed.), *The Medieval World : 300—1300*. New York, 1963.
- Carcopino, J., *Daily Life in Ancient Rome*. Translated from the French by E.O. Lorimer. Aylesbury, 1956.
- Chadwick, H., *The Early Church*. London, 1969.
- Chateaubriand, *Génie du Christianisme*. 2 vols. Paris, 1922.
- Cochrane, C.N., *Christianity and Classical Culture : A Study of Thought and Action from Augustus to Augustine*. New York, 1937.
- Cordier, A., *La Chanson de Roland*. Paris, 1935.
- Coulton, G.G.,
1. *The Inquisition*. London, 1929.
 2. *Medieval Panorama : The English Scene from Conquest to Reformation*. New York, 1955.
 3. *Medieval Village, Manor and Monastery*. New York, 1960
 4. *Medieval Scene*. Cambridge, 1961.
- Cragg, G.R., *The Church and the Age of Reason (1648—1789)*. Bristol, 1969.
- Crombie, A.C., *Augustine to Galileo, Vol. I : Science in the Middle Ages (V—XIII Centuries)*. London, 1961.
- Crump, C.G. & Jacob, E.F. (eds.), *The Legacy of the Middle Ages*. Oxford, 1951.
- Daniel-Rops, *L'Eglise de la Cathédrale et de la Croisade*. Paris, 1932.
- Davies, R.T., *The Golden Century of Spain (1501—1621)*. London, 1964.
- Diehl, Ch., *Histoire de l'Empire Byzantin*. Paris, 1920.
- Diehl, Ch. & Marçais, G., *Histoire du Moyen Age, Tome III*. Paris, 1944.

- Dodge, B., *Al-Azhar - A Millennium of Muslim Learning*. Princeton, 1961.
- Downs, N. (ed.), *Basic Documents in Medieval History*. New York, 1959.
- Duroselle, J.-B., *Histoire du Catholicisme*. Paris, 1949.
- Encyclopaedia Britannica*, 23 vols. Chicago, 1964.
- Figgis, J.N., *Political Thought from Gerson to Grotius*. New York, 1960.
- Funck-Brentano, F., *Le Moyen Age*. Paris, 1922.
- Gandillac, M. de, *Oeuvres Choieses d'Abélard*. Paris, 1945.
- Garin, E. & Others, *Les Utopies à la Renaissance*. Bruzailles & Paris, 1963.
- Glanville, S.R.E. (ed.), *The Legacy of Egypt*. Oxford, 1957.
- Goff, J. le, *La Civilisation de l'Occident Médiéval*. Paris, 1965.
- Goyau, G., *Orientations Catholiques*. Paris, 1925.
- Halphen, L., *L'Esor de l'Europe (XIIe-XIIIe Siècles)*. Paris, 1941.
- Haskins, C.H.,
1. *The Renaissance of the Twelfth Century*. Cambridge, 1928.
 2. *Studies in Mediaeval Culture*. New York, 1929.
 3. *The Rise of Universities*. New York, 1960.
- Hay, D., *The Italian Renaissance in its Historical Background*. Cambridge, 1961.
- Herr, F., *The Medieval World : Europe 1100-1350*. Translated from the German by J. Sondheimer. London, 1962.
- Hilgarth, J.N. (ed.), *The Conversion of Western Europe. 350-750*. London, 1969.
- Hitti, P.K., *History of the Arabs from the Earliest Times to the Present*. London, 1964.
- Homo, L., *Nouvelle Histoire Romaine*. Paris, 1941.
- Huizinga, J., *The Waning of the Middle Ages*. London, 1955.
- Jacob, E.F., *The Fifteenth Century (1390-1485)*. Oxford, 1961.
- Katz, S., *The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe*. New York, 1960.
- Ker, W.P., *The Dark Ages*. London, 1955.

- Kitchin, G.W., *A History of France*, Vol. I : B.C. 58-A.D. 1453. Oxford, 1899.
- Kitto, H.D.F., *The Greeks*. Melbourne, 1954.
- Leistner, M.L.W., *Thought and Letters in Western Europe, A.D. 500 to 900*. London, 1937.
- LaMonte, J., *The World of the Middle Ages*. New York, 1949.
- Lesourd, P., *Histoire de l'Eglise*. Paris, 1939.
- Lewis, B., *The Arabs in History*. London, 1958.
- Lewis, B., *Medieval Political Ideas*. 2 vols. London, 1954.
- Machiavelli, N., *Florence and the Affairs of Italy to the Death of Lorenzo the Magnificent*. New York, 1960.
- Macfie, J.D., *The Earlier Tudors (1485-1558)*. Oxford, 1966.
- Mahmoud, S.F., *The Story of Islam*. Karachi, 1959.
- Malet, A. & Issan, J., *Le Moyen Age jusqu'à la guerre de cent ans*. Paris, 1926.
- Mason, G., *Medieval France from the Reign of Hugues Capet to the Beginning of the Sixteenth Century*. London, 1888.
- Mauvois, A., *Histoire d'Angleterre*. Paris, 1937.
- McKisack, M., *The Fourteenth Century (1307-1399)*. Oxford, 1959.
- Michaud, M., *Histoire des Croisades*. 7 t. Paris, 1819-1822.
- Molinier, A., *Les Sources de l'Histoire de France depuis les origines jusqu'en 1815*, Vol. III : *Les Capétiens, 1180-1328*. Paris, 1903.
- Mommsen, T.E., *Medieval and Renaissance Studies*. Ed. by E.F. Rice. Ithaca, 1959.
- Monnier, L. le, *Histoire de Saint François d'Assise*, 2 vols. Paris & Lyon, 1906.
- Monroe, P., *A Text-Book in the History of Education*. New York, 1914.
- Moreau, E. de, *Histoire de l'Eglise*. Paris, 1931.
- Mott, G.F. & Dee, H.M., *An Outline-History of the Middle Ages*. New York, 1950.
- Murray, J.A.H. (ed.), *A New English Dictionary on Historical Principles*. Vol. I. Oxford, 1888.
- Myers, A.R., *England in the Late Middle Ages (1307-1536)*. London, 1953.

- Ostrogorsky, G., *History of the Byzantine State*. Translated by J. Hussey. Oxford, 1956.
- Painter, S., *A History of the Middle Ages : 284—1500*. London, 1966.
- Paris, G., *Medieval French Literature*. Translated from the French by H. Lynch. London, 1903.
- Parlor, A., *La Chanson de Roland*. Paris (N.D.)
- Pernot, M., *La Chanson de Roland*. Paris, 1950.
- Piganiol, A., *L'Empire Chrétien, deuxième partie (325—995)*. Paris, 1947.
- Pirenne, H.,
1. *Medieval Cities*. Translated from the French by F.D. Halsey. Princeton, 1948.
 2. *Economic and Social History of Medieval Europe*.
Translated from the French by I.E. Clegg. London, 1961.
- Poole, A.L., *From Domesday Book to Magna Carta (1087—1216)*. Oxford, 1964.
- Powicke, M., *The Thirteenth Century (1216—1307)*. Oxford, 1962.
- Prové-Orton, C.W. (ed.), *The Shorter Cambridge Medieval History*. 2 vols. Cambridge, 1952.
- Rashdall, H., *Universities of Europe in the Middle Ages*. 3 vols. Oxford, 1936.
- Rosenthal, E.I.J., *Political Thought in Medieval Islam*. Cambridge, 1958.
- Runciman, S.,
1. *Byzantine Civilisation*. London, 1948.
 2. *A History of the Crusades*. 3 vols. Cambridge, 1954—55.
- Sabine, G.H., *A History of Political Theory*. London, 1948.
- Seignobos, Ch., *Histoire Sincere de la Nation Française*. Paris, 1933.
- Setton, K.M. (ed.), *A History of the Crusades, Vol. I: The First Hundred Years*. Ed. by M.W. Baldwin. Philadelphia, 1958.
- Shaw, *Trends of Civilization and Culture*, 1932.
- Stanley, D., *Lectures on the History of the Eastern Church*. London, 1924.

- Steinberg, S.H., *Historical Tables*, with a foreword by G.P. Gooch. New York, 1966.
- Stenton, F.M., *Anglo-Saxon England*. Oxford, 1965.
- Stone, D., *France in the Sixteenth Century — A Medieval Society Transformed*. New Jersey, 1969.
- Sullivan, R.E., *Heirs of the Roman Empire*. New York, 1960.
- Taylor, H.O., *The Classical Heritage of the Middle Ages*. New York, 1957.
- Trevelyan, G., *A Shortened History of England*. Aylesbury, 1960.
- Turberville, A.S., *Mediaeval Heresy and the Inquisition*. London, 1920.
- Vidler, A.R., *The Church in an Age of Revolution*. London & Beccles, 1968.
- Vitry, J. de, *The History of Jerusalem A.D. 1180*. Translated from the Original Latin by A. Stewart. London, 1896.
- Vodos, J., *Roland*. Paris, 1920.
- Wallon, H., *Saint Louis*. Tours, 1897.
- Warrington, J., *Everyman's Classical Dictionary (800 B.C. — A.D. 337)*. London, 1969. .
- Waugh, W.T., *A History of Europe from 1378 to 1494*. London, 1932.
- Wheeler, M., *Rome Beyond the Imperial Frontiers*. London, 1955.
- Whitelock, D., *The Beginnings of English Society : The Anglo-Saxon Period*. London, 1954.
- Woodward, E.L., *History of England*. London, 1937.

بيان الخرائط واللوحات

الخرائط

صفحة	
	خريطة رقم (١) المراكز الفكرية في الغرب الأوروبي في القرن الثاني عشر .
١٧٩	
١٨١	خريطة رقم (٢) باريس في عصر فيليب أوغسطس .
١٨٣	خريطة رقم (٣) باريس في العصور الوسطى .

اللوحات

	لوحة رقم (١١) خاتم جامعة باريس [محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس] .
١٣٤	
	لوحة رقم (١٢) خاتم يمثل الأمم الأربع في جامعة باريس [محفوظ بالمكتبة الأهلية بباريس] .
١٣٤	
١٣٧	لوحة رقم (٢) خاتم كلية اللاهوت بجامعة باريس .
	لوحة رقم (٣) أستاذ بجامعة باريس يبدأ الدرس ، ويبدو في الصورة وهو يعلن على طلبته أنه سوف يتحدث عن النباتات الطبية [من مخطوطة بالمكتبة الأهلية بباريس] .
١٤٧	
	لوحة رقم (٤) طلبة القانون يستمعون إلى درس يلقيه عليهم الأستاذ [تحت بارز من كاتدرائية يستويابا إيطاليا]
١٤٩	

محتويات الكتاب

صفحة

•	الإهداء
٧	تصدير الطبعة الأولى

القسم الأول

١٩-١٥	مقدمة
-------	-------------

الفصل الأول

٥٥-٢١	حركة التعليم في الصور المظلة حتى بداية حكم شارلمان
-------	-------------------------------------------------------

الفتوحات الجرمانية وأمرها في القضاء على العالم الروماني وحضارته -
تدهور اللغة اللاتينية والتراث الكلاسيكي القديم - بداية عصر جمود
وظلام - العلم والإنتاج الأدبي والشعري في العصر الوسيط المبكر -
الإنتاج الفكري ينحصر في أعمال الآباء المسيحيين الأول - دور
الكنيسة اللاتينية في الحفاظ على العلم في فترة الصور المظلة - أشهر
الكتاب والفلاسفة والمفكرين ، وأهمهم على العلم والثقافة :
بيوميوس ، كاسيودوروس ، مارتيناوس ، جوردانيس ، البابا
جريجوري الكبير - النهضة العلمية الإيرلندية في القرن الثامن
وآثارها ، بيده ، الكوين .

صفحة

الفصل الثانى

النهضة العلمية فى عصر شارلمان وخلفائه ٨٣—٥٧

أمر النهضة الكارولنجية فى إحياء العلم والتعليم فى القرن التاسع -
اهتمام شارل العظيم بأمور العلم والتعليم : الكوين ومدرسة البلاط،
المدارس الأخرى التى أسسها الإمبراطور الألمانى ونوع الدراسات
بها ، استمرار المدارس الدينية فى أداء رسالتها فى هذه - استمرار
النهضة العلمية فى عهد خلفاء شارلمان ، مع ازدياد الاهتمام بالقرات
الرومانى القديم - الفريد السكسونى والنهضة العلمية فى عصره وأهم
آثارها - النهضة الألمانية السكسونية فى القرن العاشر ، ومواصلة
الاهتمام بشئون العلم والتعليم - أشهر علماء العصر : برونو رئيس
أساقفة كولونيا ، الراهب ويدوكند ، الراهبة هرتسويك - إيطاليا
وليوتيراند الكريمونى - فرلسا فى القرن العاشر : فلودورد
الربمى ، ريتشارد الربمى .

الفصل الثالث

ظهور الفكر الحر ونهضة القرن الثانى عشر ١١٧—٨٥

تمطل الحياة الفكرية والثقافية فى الغرب منذ وفاة شارلمان
وتصدع إمبراطوريته - التعليم فى العصر البندكتى ، واهتمام الأديرة
البندكتية بالدراسات الكلاسيكية - أسطورة سنة ١٠٠٠ ودلالاتها -

صفحة

ارتباط نهضة القرن الحادى عشر بالمؤسسات الدينية - نهضة القرن
الثانى عشر موهودة حقيقية فى شتى مرافق الحياة فى الغرب - أثر العرب
فى الحضارة الأوروبية - لإزدهار الحركة المدرسية - المديرية الكلونية
وحركة التعليم - نشاط الجماعات الربانية الأخرى فى القرن الثانى
عشر - أشهر المفكرين والدعاة إلى تحرير الفكر فى القرن الثانى عشر:
برنارد، إيلارد، بطرس اللباردى، برنهار، انسلم، روسلين -
نشاط الدراسات القانونية فى إيطاليا : ارنريوس ومنوسه بولونيا
القانونية - النشاط الأدبى فى القرن الثانى عشر كظهور من مظاهر
التقدم العلمى : جيربرت الرمى، فلبرت، هيلبرت .

الفصل الرابع

١١٩-١٥١

جامعة المصور الوسطى

المراحل التى مرت بها ، وشأتها ، وتطورها

الجامعة بمفهومها الحديث من نتاج المصور الوسطى - المراحل الرئيسية
التي مرت بها الجامعة إلى أن اكتملت شخصيتها : تأسيس المدارس
العامة الملحقة بالمؤسسات الدينية، قيام المعاهد العلمية، إنشاء اتحادات
الطلاب، الاعتراف الرسمى بالكيان الجامعى من قبل السلطات الدينية
والدنيوية على السواء - أم المراكز العلمية الجامعية فى القرن الثانى
عشر : جامعة باريس ، جامعة بولونيا - جامعات القرن الثالث
عشر والقرون التالية له - الجامعة المحتوية قامت فى المصور الوسطى
قبل الجامعة المادية .

صفحة

١٧٨—١٥٣

الملاحق

الملحق الأول : خطاب الإمبراطور شارلمان إلى باوجولف رئيس
دير فولدا بألمانيا (٧٨٠ — ٨٠٠ م) .

الملحق الثاني : خطاب الإمبراطور شارلمان إلى الوعاظ الدينيين
في دولته (٧٨٦ — ٨٠٠ م) .

الملحق الثالث : مرسوم الملك فيليب أوغسطس لصالح جامعة
باريس (سنة ١٢٠٠ م) .

الملحق الرابع : حياة الطلبة في جامعة باريس لما كان دى فيترى
(حوالى ١١٨٠ — حوالى ١٢٤٠ م) .

الملحق الخامس : مرسوم البابا جريجورى التاسع إلى جامعة باريس
(سنة ١٢٣١ م) .

الملحق السادس : ترخيص بابوى بتأسيس جامعة أفينيون (سنة
١٣٠٣ م) .

المراجع ١٨٥—١٩٥

بيان الخرائط والروايات ١٩٧

محتويات الكتاب (القسم الأول) ١٩٩—٢٠٢

فهارس الكتاب (بآخر القسم الثاني)

نشأة الجامعات

في

العصور الوسطى

كلية المترجم

تحدثنا في القسم الأول من هذا المجلد عن اليقظات والنهضات التي شهدتها أوروبا في المصور الوسطى المبكرة ، والتي أثمرت بظهور الجامعات في القرن الثاني عشر. ولا بدعي لأنفسنا فيما قدمناه خلقا أو ابتكارا ، وإنما مجهدا متواضعا يتمثل في تسليط الأضواء على تلك اليقظات والنهضات الأولى التي ارتبطت بعضها بعدد من الشخصيات الحاكمة مثل الإمبراطور الألماني شارلمان والملك السكسوني الفريد ؛ بينما التصق البعض الآخر بحركات الإصلاح الديني المعروفة مثل كل من الإصلاح البندكتي والإصلاح الكلوني ؛ وانتمى عدد منها إلى تلك المدارس التي ألحقت بالمؤسسات الدينية . وظنى عن القول إن الصلة بين العلم والدين والأدب في تلك الفترة المبكرة كانت صلة قوية وثيقة ، إذ يعتبر كل منها متما للآخر ومرتبطا به وانعكاسا له . ذلك أن رجال الدين كانوا هم أنفسهم الفئة المثقفة المتعلمة التي أنشأت المدارس التابعة للمؤسسات الدينية التي كانت النواة الأولى لجامعات المصور الوسطى . فكانوا هم مؤسسونها وهم نظارها ومديروها ، وهم أيضا الذين خلفوا لنا العديد من الكتب والمؤلفات والبحوث والدراسات والمقالات في الفكر والأدب والفلسفة واللاهوت ، والتي ساعدت فيما بعد على ظهور النهضة العلمية الأولى المعروفة بنهضة القرن الثاني عشر ، تلك النهضة التي أدت إلى احتكاك الفكر الإنساني بين عدد من كبار المفكرين أمثال القديس برنارد وأف كليوفو الذي كان يمثل لفكرة الدينية القديمة المنزمنة والفيلسوف بطرس إيلارد صاحب الفكر الحر . وقد أدى هذا الاحتكاك على مسائل حيوية وجودية في التفكير والفلسفة إلى نشأة الجامعات التي أصبحت في العصر الحديث أساسا للتعليم العالي ، والتي تخرج منها الشباب المثقف المستنير .

كانت ، إذن ، نشأة الجامعات في الغرب ، وليدة تلك الجهود العلمية المستمرة المفضية عبر القرون الطويلة التي عاشتها أوروبا منذ انهيار الدولة الرومانية القديمة وبداية القرون الوسطى حتى القرن الثاني عشر . وكانت نشأة الجامعات ، أيضا ، ثمرة طيبة من ثمار تلك الحقبة الوسيطة من التاريخ ، انتقلت بأوروبا من عصر الجهالة والظلمات إلى عصر العلم والمعرفة .

ويعتبر كتاب « نشأة الجامعات » ، مؤلفه شارل هومر هاسكنز من المراجع الرئيسية التي ظهرت في هذا المجال حتى الآن (١) ، كما يعتبر هاسكنز نفسه من الرواد الأول الذين تصدوا للكتابة فيه . ولا بد للباحث إذا تعرض لهذا الموضوع من أن يشير إلى مؤرخين كبيرين كتبوا فيه هما : هاستنجر راشدال صاحب كتاب « جامعات أوروبا في العصور الوسطى » ، في ثلاثة أجزاء ، وشارل هومر هاسكنز مؤلف كتاب « نشأة الجامعات » . وإن امتاز الأول بالإفاحضة والإسهاب والدخول في الدقائق والتفصيلات ، فقد تميز الثاني بالتركيز مع تناول الخطوط الرئيسية المتعلقة بالموضوع تناولاً علياً موضوعياً شاملاً . وعلى هذا ، فلكل منهما مزاياه ، ولا يقضى أحدهما عن الآخر .

وإلى جانب كتاب راشدال وهاسكنز توجد مؤلفات وبحوث عديدة بالغات الأجنبية تناولت جانباً من تاريخ الجامعات أو زاوية من زواياه ، نذكر من بينها - على سبيل المثال - كتاب أ. س. ريت A. S. Rait عن الحياة في جامعات

(١) أنظر خريطة المؤرخين لويس جون بيتاو ويودور ا. عمن لكتاب هاسكنز في : Paetow, L. J., A Guide to the Study of Medieval History (London, 1931), pp. 298, 475 ; Haskins, G. H., The Rise of Universities (New York, 1960), p. viii.

المصور الوسطى، وكتاب ج. مكابي J. McCabe عن طالع الصور الوسطى، وكتاب أ. نورتون A. Norton عن تاريخ العلم والتعليم في العصر الوسيط، وكتاب ه. ديفيل H. Denifle عن بدايات جامعات العصور الوسطى، وهكذا. فنيها هي وغيرها معلومات طيبة تتعلق بالموضوع وتخدم جانباً من جوانب المدينة المتحدة^(١).

ولد شارل هومر هاسكنز مؤلف كتاب «نشأة الجامعات» الذي نقلنا بنقله إلى العربية في هذا المجلد، في بنسلفانيا عام ١٨٧٠ م وتوفي في كامبريدج عام ١٩٢٧ م عن ٦٦ عاماً أعضاها في حياة حافلة بالعمل الجاد المتواصل والانتاج العلمي الوفيع. درس اللغتين اللاتينية واليونانية وأجادهما بما يسر له أمر الاطلاع على الوثائق والمستندات المكتوبة بها والإفادة منها إلى أبعد حد. ويبدو هذا واضحاً في إنتاجه العلمي من كتب وبحوث ودراسات في نظم وحضارة القرون الوسطى. وتلقى هاسكنز تعليمه بجامعة جونز هوبكنز بأمريكا وباريس بفرنسا وبرلين بألمانيا. وقام بالمحاضرة والتدريس في العديد من الجامعات الأمريكية، مبتدئاً بجامعة جونز هوبكنز التي تلقى بها تعليمه، ثم جامعة ويسكونسن إلى أن استقر به المصير في جامعة هارفارد حيث عمل بها قرابة ٣٠ عاماً من ١٩٠٢ إلى ١٩٣١ م.

ولقد امتاز هاسكنز طوال حياته العلمية بقوة شخصيته وصفاء ذهنه وحدة ذكائه ونشاطه الدائب المنتد ومثابرته الجادة الهوفة على العمل وعزمته القوية

(١) أنظر قائمة المراجع للمدلل بها كل فصل من الفصول الثلاثة من هذه الترجمة، فقد تضمنت أهم ما ظهر في تاريخ الجامعات الأوروبية في العصر الوسيط من كتب وبحوث ودراسات.

التي لم تكن تعرف الكلل أو الللل ، فضلا عن قدرته الفائقة على حل المشكلات والمعضلات التي كانت تواجهه . وهو إلى جانب ذلك خفيف الظل ، حل الحديث ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، يعرف كيف يقنع مستمعيه بأرائه وأفكاره وكيف يخرج من المجادلات والمناقشات التي يشترك فيها منتصرا ظافرا . هذا ، وقد تخرجت على يديه أجيال عديدة من العلماء والباحثين في الحقل الأكاديمي الذين اقتنوا خطاه وساروا على مناهجه العلمي السليم ، ومن بينهم العالم تيودور أ. بمسن . وأصبحت له مدرسة كاملة من تلامذته وأصدقائه ومريديه تنتشر فروعها في كافة أنحاء عالم البحث في هذا القرن العشرين .

والمدقق المتعمق في إنتاج هاسكز يجد أنه وجه عناية خاصة إلى موضوعين رئيسيين في نظم وحضارة أوروبا في العصور الوسطى ، هما النظم في الشمال الفرنسي وتطور الحركة العلمية والفكرية في المجتمع الغربي الوسيط ؛ وله فيها مؤلفات ودراسات عديدة تعتبر مصادر ثقة يرجع إليها الباحثون والدارسون المتخصصون . ففيما يتعلق بالموضوع الأول صدر له في سنة ١٩١٨ م كتاب باسم « النظم التنويرية » وقد ظهرت له طبعة جديدة سنة ١٩٦٠ . ونشر له سنة ١٩٢٥ كتاب يحمل إسم « النورمان في التاريخ الأوروبي » . كما ظهر له في الموضوع الثاني أكثر من مؤلف منها كتابه « نشأة الجامعات » الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٣ وتلتها طبعات أخرى كانت آخرها طبعة سنة ١٩٦٠ م . وله أيضا كتاب يحمل عنوان « دراسات في تاريخ العلم » ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٤ والثانية سنة ١٩٢٧ ؛ ومؤلف باسم « نهضة القرن الثاني عشر » صدر سنة ١٩٢٧ ؛ ثم كتاب « دراسات في ثقافة العصور الوسطى » ظهر سنة ١٩٢٩ . ويضاف إلى ذلك العديد من البحوث والدراسات القيمة التي نشرت له في المجلات التاريخية الأمريكية

تذكر منها مقالاته « حياة الطلبة في العصور الوسطى كما تكشف عنها خطاباتهم ومراسلاتهم » ، و « جامعة باريس من واقع عظات القرن الثالث عشر » ، و « أدوات الطلبة وكتبهم » .

وإذا كان هاسكز وراشدال يعتبران من الرواد الأول الذين قصدوا الكتابة في هذا الموضوع الصعب في الخارج، فإن الإلصاف يقتضينا القول بأن الزميل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور يعتبر أول من ألف بالعربية كتاباً قائماً بذاته عن الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى، وهو يعتبر المؤلف الوحيد الذي ظهر بالعربية في هذا الخصوص. كذلك أرى الدكتور سعيد عاشور المكتبة التاريخية العربية بما زوده بها من تأليف في نظم وحضارة العصور الوسطى تضمنت فيما تضمنته فصولاً وأبواباً تخدم هذه الدراسة ، نذكر من بينها الجزء الثاني من كتاب « أوروبا العصور الوسطى » ، وقد تمر من المؤلف في الباب الخامس منه التعليم والمدارس والجامعات وتناول في الباب التاسع موضوع الآداب؛ وكذلك كتاب « المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية » الذي عالج فيه المؤلف الأساس العلمي المتين الذي قاصد عليه الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى عندما أقاد الغرب من المدينة الإسلامية عن طريق مراكز الإشعاع الثقافي المعروفة وقتذاك وهي الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا وبلاد الشام . وهناك أيضاً كتاب « النهضة الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة » الذي وضعه الدكتور عاشور بالاشتراك مع الدكتور محمد أييس، وبخاصة الباب الثاني الذي يبالغ النهضة الكارولنجية والباب الثالث الذي يقارن تاريخ النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر. وغنى عن القول إننا أقدنا فائدة كبرى من مؤلفات الدكتور عاشور، وبخاصة في القسم الأول من هذا المجلد وفي حواشي القسم الثاني منه .

وإلى جانب هذه المؤلفات العربية القيمة، يجد القارئ نقفاً وشذراتاً وأفضلاً أو بعض فصل في عدد قليل من الكتب العربية والمعرية في تاريخ العصور الوسطى

ونظمها وحضارتها . نذكر من بين الكتب المؤلفة « المجتمع الأوروبي في المصور الوسطى ، للدكتور ابراهيم احمد العدوى ، و « نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، للدكتور حسن حنفي حنين ، و « فلسفة المصور الوسطى ، للدكتور عبد الرحمن بدوي ، و « الثقافة والتربية في المصور الوسطى ، للدكتور وهيب ابراهيم سمعان ، و « تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ليوسف كرم .

ومن الكتب المخرجة نذكر كتاب « شارلمان ، تأليف هنري وليم ديفيد ترجمة الدكتور السيد الباز العريني ، وكتاب « تاريخ أوروبا في المصور الوسطى ، تأليف هربرت فشر ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريني والدكتور ابراهيم احمد العدوى ، وكتاب « تراث المصور الوسطى ، الذي أعرف على تحريره كرامب وجاكوب وقام بمراجعة الترجمة العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة ومحمد بدران ، وكتاب « عالم المصور الوسطى في النظم والحضارة ، تأليف جورج جوردون كولتون وقد قنا بنقله إلى اللغة العربية .

لملح يتضح مما سبق أنه لا يوجد كتاب مستقل قائم بذاته باللغة العربية في موضوع جامعات المصور الوسطى سوى مؤلف الدكتور سعيد عاشور الذي يسد ثغرة كبيرة في هذه الناحية . وعلى هذا فالكتاب الذي تقدمه لقراء العربية لأول مرة ، هو الآخر أول كتاب مغرب في تاريخ نشأة الجامعات الأوروبية في المصور الوسطى لواحد من كبار المؤرخين الأجانب المتخصصين في هذا الميدان .

وكتاب هاسكنز كان ، أصلاً ، عبارة عن سلسلة من المحاضرات ألقاها عام ١٩٢٣ في جامعة براون الأمريكية ، ثم جمعا في كتاب صدرت طبعته الأولى في نفس العام ، وتوالت بعد ذلك طبعاته خلال أعوام ١٩٥٧ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠ . وقد اعتمدنا في ترجمتنا على الطبعة الأخيرة ، وهي طبعة مذيبة ومتقنة .

يشتمل الكتاب على ثلاثة فصول كبيرة : الأول عن الجامعات المبكرة ، والثاني عن أستاذ المصور الوسطى ، والثالث عن طالب المصور الوسطى .

قدم المؤلف للفصل الأول بالحديث عن الجامعات باعتبارها من نتائج العصر الوسيط ، مبيناً أن معاهد العلم التي تعرف اليوم باسم « جامعات » إنما ترجع أصولها إلى القرن الثاني عشر عندما كانت الجامعة تسمى *Studium generale* أى المدرسة العامة ، بمعنى أنها المكان الذى يتلقى فيه الطلبة العلم . ثم يتناول بالبحث أصل كلمة « جامعة » ، *University* ، التي اشتقت أساساً من بعض العبارات الواردة في المراسيم المبكرة الخاصة بالجامعات مثل عبارة *Universitas magistrorum et scholarium parisiensium* ، وكذلك عبارة *Universia presentes litteras inspecturis* . ويماذج هاسكوز بعد ذلك مسألة التحديد الزمني لبدایات الجامعات المبكرة وما تارحوها من جدل ونقاش . وبعد هذه المقدمات ، ينتقل إلى الحديث عن أقدم جامعتين في الغرب وهما : جامعة بولونيا في الجنوب وجامعة باريس في الشمال . وكانت بولونيا تعتبر مركزاً هاماً لإحياء القانون الروماني والحفاظ عليه . وهنا يتعرض المؤلف في شيء من التفصيل لكل من القانون المدني والقانون الكنسي ، مشيراً إلى كبار المشرعين الذين ارتبطت أسماءهم بالنهضة التي صاحبها كلا القانونيين ، وكذلك قيام اتحادات الطلبة المختربين ونقابات الاساتذة في بولونيا والاسباب التي أدت إلى قيامها والنتائج المترتبة عليها .

ويماذج هاسكوز في هذا الفصل أيضاً موضوعين هامين ، أولهما الدرجات الجامعية وإجازة التدريس المرفوعة باسم *licentia docendi* التي كانت تتيح لحاملها الدخول في سلك أعضاء هيئة التدريس ، وثانيهما الامتحانات التي كانت تقدم للحصول على هذه

الدرجات العلمية وهي اليسانس والماجستير والدكتوراه ، علماً بأن درجة دكتور في الفلسفة Ph. D. degree لم تكن معروفة في جامعات المصور الوسطى.

وإذا كانت جامعة بولونيا هي أم جامعات الجنوب الأوروبي ، فلم يغفل المؤلف الإشارة إلى جامعة كانت لها شهرتها وكانت أسبق في الظهور من بولونيا ، وهي مدرسة الطب في سالرنو التي اكتسبت شهرتها مبكراً في القرن الحادى عشر ، والتي تربط لاسمها بإسم قسطنطين الإفريق Constantinus Africanus في النصف الثانى منه . وهي وإن كانت أقدم عهداً من بولونيا ، إلا أن جامعة بولونيا برتها وتفوقت عليها حتى ضدت جامعة نموذجية نهجت نهجها العديد من الجامعات الأخرى التي ظهرت فيما بعد .

وينقل هاسكز من بولونيا والجنوب الأوروبي إلى جامعة باريس التي كانت أول جامعات الشمال . فيتحدث عن تاريخها ولشأتها وتطورها التدريجى من المدرسة الكاتدرائية على أرض الجزيرة المحطة على السين ومدرسة القديسة جنيفيف ، إلى أن أخذت شكلها الجامعى المعروف ، وكذلك المراسيم والبراءات التأسيسية الخاصة بها التي تعرف باللاتينية باسم *Ius ubique docendi* ، والتي أصدرها البابوات والباطرة لصالح الجامعة المذكورة . ويشير مؤلف كتاب د نشأة الجامعات ، إلى مشكلة من أهم المشاكل التي واجهت الطلبة الأجانب الذين وفدوا من كل مكان لتلقى العلم في باريس ، وتعنى بها مشكلة تدبير المأوى للعند التغير من الطلبة الثرياء والتي اقتضت لإنشاء لول ويوت لهم ، وبخاصة الفقراء والمعدمين منهم . وقد تطورت هذه الفل ، مع الزمن ، إلى معاهد عليية مثل معهد السوربون نسبة إلى مؤسسة روبرت السوربونى . وتزايد عدد هذه المعاهد العلمية في باريس خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر زيادة واضحة ، وكانت تتمتع بمناطة

كليات جامعية «colleges». وفي ختام الفصل الأول يشير هاسكنز إلى ندرة المخلفات والبقايا المادية المدونة للجامعات المبكرة ، مبيناً أننا نحتفظ بمجرد ذكرى لها في الاحتفالات الأكاديمية والرأى والتقاليد والنظم الجامعية وما إليها.

ويتناول المؤلف في الفصل الثانى ثلاث نقاط رئيسية تتعلق أولاً بالدراسات والكتب الدراسية في الفترة المبكرة من العصر الوسيط . فيشير إلى الفنون الحرة ، وحركة إحياء التراث الكلاسيكى القديم ، ثم مناهج كلية الآداب والمواد التى كانت تدرس في كليات الدراسات العليا وهى اللاهوت والطب والقانون ، موضحاً أن جامعات العصور الوسطى كانت تغلور من المعامل والمكتبات لعدم الحاجة إليها وقتذاك . ويتطرق في النقطة الثانية لموضوع الروتين اليوى في جامعة العصر الوسيط ، من حيث طرق التدريس ووسائله ، وقاعات الدراسة ، والمحاضرات ومواضيعها ، والمنافسات والمجادلات ، والامتحانات ، مع توجيه النباة إلى عدد من الأساطلة المبرزين عن ذاع صيتهم من أمثال بطرس أبيلارد وبرنارد أوف كليرفو وجون أوف ساليسبورى وغيرهم . ويماج في ختام هذا الفصل النقطة الثالثة ، وهى تتضمن عدة موضوعات حيوية مثل المركز الاجتماعى لأساتذة العصر الوسيط ، ومدى تدخل السلطات الكنسية في حرية العلم والتعليم ، وممارسة الأستاذ الجامعى لواجبه الأكاديمى ، وحرية الفكر والتعبير عن الرأى والتعبود التى كانت تنقص لها ، ومدى تغفلز النفوذ الكنى فى جامعات العصر الوسيط .

وفي الفصل الثالث والأخير يتعرض المؤلف لطلبة العصور الوسطى ، فيشير إلى المصادر التى يمكن أن يستقى منها الدارس معلوماته عن حياتهم ، وهى سجلات المحاكم والروائع الجامعية وخطات المبشرين والحواليات وقصائد الشعراء ، تلك الوثائق والمستندات التى تلقى بعض الأضواء على حياة الصنخ والهب والمرح

الى انفس فيها بعض الطلبة ، و حياة البؤس والتعاسة والشقاء التي كان يحياها البعض الآخر . ثم هي تكشف عن مشاكل العديد من الطلبة ومشاكلهم وثوراتهم وتمردهم وعصيانهم. وهناك أيضا أدلة الطالب، والمقصود بها الكتيبات والمختصرات التي كان يحتفظ بها أو يرجع اليها لمواجهة شئون الحياة اليومية في محيطه الجديد ، من مأكّل ومشرب وملبس وماوى وخلافه ، وكذلك ما يتعلق بأداب المائدة وآداب الحديث والسلوك والإتيكيت والمعاملات ، مثل « قاموس الطالب » و « كتاب فن المحادثة » و « تقويم هايدلبرج » و « كتاب آداب المائدة » وكتاب « الإتيكيت وآداب السلوك » وما إليها . وكان الطالب المنترّب في حاجة شديدة إلى مثل هذه المختصرات الأولية لتكون له رفيقا ودليلا ومرشدا ، وإن بدت اليوم بالنسبة لنا سطحية وبدائية .

وفي أسلوب رائع وعرض متع بنّاز يتناول هاسكز بعد ذلك موضوع خطابات الطلبة وأشعارهم مينا كيف أنها تكشف عن حياتهم الجامعية في صدق ووضوح . وإذا كانت الوثائق والمختصرات السابق الإشارة إليها قد تضمنت إشارات مبشرة هنا وهناك تساعد على فهم بعض الجوانب في حياة الطلبة ، فإن مراسلات الطلبة وقصائدهم تزودنا بصورة نابضة بالحركة والحياة عن هذا المنصر الذي كان يمثل الكثرة الغالبة في جامعة العصر الوسيط ؛ ثم هي تعطينا ، في نفس الوقت ، فكرة طيبة عن مختلف المشاعر والأحاسيس والإنفعالات البشرية التي كانت تشمل في نفوسهم .

وكانت خطابات الطلبة ، في معظمها ، مجرد نماذج تعبر عن صوت المجموع وتكاد تخلو من المنصر الشخصي أو الفردي ، وتدور تقريبا حول موضوع واحد هو طلب المال ليتمكن الطالب من مواجهة أهواء المعيشة والإقامة في مركزه الملبى

الجديده، فضلا عن الوازم والضروريات الاخرى، وتكشف أيضا عن مختلف الحجج والأعذار التي كان الطالب يتعلم بها الحصول على النفود من الوالدين أو من الأهل والأقارب والأصدقاء . أما أشعار الطلبة فيمبر عنها الشعر الفنائى الجولياردى الذى يرجع إلى فترة زمنية محددة تقع بين عامى ١١٢٥ و ١٢٢٥ م . ويتحدث هذا الشعر عن الشراب والنساء والربيع والحب والحياة الساخبة المتحررة من كل القيود ، كما يهاجم الجهاز الكنسى البابوى فى أسلوب لاذع تهكى بسبب العيوب التي استشرت فيه وتغلغت فى كيانه . ويعرض هاسكز نماذج متممة من هذا الشعر تكشف عن الجاناب الأكثر مرحا والأشد طربا فى حياة الطالب، فهو يلهو يستمتع بالطبيعة وجمالها ويشرب حتى الثمالة ، وهو يتسكع فى الفوارج والطرفات مسببا المضايقات للبارة والأهالى ، أو يقضى وقت الفراغ داخل الحانات . وباختصار نراه وهو يستمتع بالحياة ومباحها وملذاتها وقد انغمس فيها حتى أذيه. ولكن هناك أيضا الطالب البائس المسكين وهو لا يكاد يجد ما يستر به جسده أو ما يقيه من البرد القارس أو حتى ما يمينه على مواصلة تعليمه ، فهو يلتمس الصدقة والإحسان لاستكمال دراسته ومواجهة مطالب الحياة الأخرى .

وإذا كانت الوثائق والمستندات والمراسلات والأشعار المشار إليها تتحدث - عادة - عن الطالب الذى يعيش فى ضياع والذي يمينا حياته الخاصة ويسمى إلى إشباع رغباته ونزواته بكل السبل والوسائل ، فهناك أيضا الطالب المثالى المجدد الرقود الذى كان يلقي التقدير والإعجاب والاحترام من الجميع . يقول هاسكز إن هذا الطالب كان موجوداً ويمثل قطاعا هاما من جمهور الطلبة . ولكن لما كان الإنتاج الأدبى للطلبة يمبر عن صوت المجدوع وليس صوت الفرد ، لذلك خلا هذا الإنتاج تقريبا من الإشارة إلى مثل هذا الطالب المجدد ، وإن كان هذا لا يمنع

من القول بأنه توجد تنف مبهمة في ثنايا وثائق العصر ومستنداته تلقى بعض الضوء عليه . فهو يستيقظ من نومه مبكراً ، ويحرص على حضور المحاضرات في مواعيدها ، ويواظب على الاستماع إلى أساتذته والاشتراك في المناقشات ، وهو يعيش أحيانا عيشة الكفاف كي يواصل تعليمه بهمة ولشاسط ويحصل على أعلا الدرجات العلمية ، وهو ، باختصار ، قد خلق للمعلم والعمل لا يثنيه عن ذلك شيء ، بل هو في سبيلها على استمداد التضحية بكل شيء .

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن الكتب والمراجع التاريخية التي ترجع إلى تلك الفترة من الزمن قد غلت تقريباً من الإشارة إلى طلبة العصور الوسطى ، ولم تكن تهتم إلا بالنواحي السياسية والحربية مع الإشادة بأعمال الأباطرة والملوك والحكام والشخصيات البارزة في المجتمع الأوروبي . ولم يكن يعنينا في قليل أو كثير الإشارة إلى حياة الشعب وكيف كان يعيش أو يفكر وما هي مشاكله وآلامه وآماله . وعلى هذا فإن الشعر الجولياردى ومراسلات الطلبة تلقى ضوءاً واضحاً على حياتهم العلمية والاجتماعية وتكشف عن مشاكلهم عما لا نجد في الوثائق والمصادر التاريخية ولا خلاف أن مثل تلك الأشعار والخطابات التي تتناول حياة الطلبة في العصور الوسطى وتصف مجتمعهم تطال في قيمتها الأصول التاريخية إن لم تتفوق عليها ، ذلك أنها حفظت لنا ما أحمل التاريخ تسجيله .

وبعد كل ما تقدم يعقد هاسكوت مقارنة طريفة بين طالب الأمتس وطالب اليوم وأوجه الشبه والخلاف بينهما ، فما يختلفان باختلاف الظروف والأزمان ، ولكنها يتشابهان - إلى حد بعيد - فيما يتعلق بقصتها مع العلم ونظرتها إلى الحياة ومشاكلها المشتركة من حيث المأوى والملبس والكتب والحاجة إلى المال ، وعلاقتها بالأمادة وبعضهم البعض ، ثم حياة اللهو والمرح والرمالة الطيبة والرغبة في اقتناء

العلم وتحصيل المعرفة . فضلا عن إرث تمتد متواصل من العرف الجارى والمعادات والتقاليد الجامعية عبر ثمانية قرون أو يزيد منذ نشأة أول الجامعات في القرن الثاني عشر حتى جامعة القرن العشرين .

لقد تركت تلك الجامعات المبكرة أعمق الأثر في الحياة والفكر في العصر الوسيط . ولعل أبلغ دليل على ذلك أنها أسهمت في إطلاق الفكر الحر من عقاله ، وأخرجت العديد من أساطين الأساطفة الذين شاركوا في تفجير ينابيع الثورة ضد الآراء والأفكار القديمة البالية ، والذين نادوا بالإصلاح في مختلف النواحي وعلى رأسها الناحية الدينية ، مما كان له أكبر الأثر في الخروج بأوروبا من عصر الظلام إلى عصر العلم ، والانتقال بها من العصور الوسطى بمثلها ومفاهيمها وقيمتها وفلسفتها إلى عصر النهضة الذي تميز بأوضاع ومبادئ جديدة مغايرة .

هذا عرض وتحليل لكتاب « نشأة الجامعات » ومؤلفه شارل هومر هاسكز . وبعد ، فقد اقتضى نقل الكتاب إلى اللغة العربية تزويده بكثير من المعلومات والحواشي والنفارس والروحات التي لم يتضمنها الأصل الإنجليزي ، حتى يبدو في شكل مناسب ومقبول بالنسبة للقارئ العربي . من ذلك المقدمة التي مهدنا بها لهذه الترجمة . كما زدونا الترجمة بعدد غير قليل من التعليقات والملاحظات في الحواشي ، وتمييز آ لها عن حواشي الأصل الإنجليزي ومضنا كلمة المترجم ، بين حاصرين بعد كل حاشية منها . ومعظم هذه التعليقات والملاحظات خاصة بالآعلام والأماكن والآثار والوقائع والأحداث الهامة والمصطلحات التاريخية . كذلك ذيلنا كل فصل من فصول الكتاب الثلاثة بقائمة بأهم المراجع الأجنبية الخاصة به ، مع نقد وتقييم للمراجع التي وجدنا أنها بحاجة إلى نقد أو تقييم . هذا ، وقد زدونا المتن بعدد قليل من المبارات القصيرة المركزة بقصد الإيضاح أو التبرير ، وتمييز آ لها عن

الأصل الإنجليزي المترجم فقد وضعنا كل عبارة منها بين حاصرتين ، هـذا بأن
هذه الزيادات في أضيق الحدود .

ونظراً لأنه لا يوجد في الأصل الإنجليزي بيان تفصيلي بمحتويات الكتاب
وخصائص كل فصل من فصوله الثلاثة ، ولا يوجد به أيضاً فهرس علمي مصنف
باسماء الأعلام والأماكن والآثار ، والمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها ...
فقد قمنا بتضمين ترجمتنا هذه للبيانات والفهارس المذكورة ، بالإضافة إلى عدد
من الصور والخرائط التي تبين حياة طلبة العلم في العصور الوسطى ، أما الخرائط
الإيضاحية والملاحق التي تشتمل على قصص ووثائق أصلية تتعلق بموضوع التعليم
والجامعات اتصالاً مباشراً ، فهي توجد بأخر القسم الأول من هذا المجلد .

واقه أسأله التوفيق والسداد ٩

موزيف نسيم يوسف

الاسكندرية في يوليو ١٩٧١

القسم الثاني

نشأة الجامعات

تأليف
ش. ه. هاسكتر

ترجمة
والقديم والتعليق
جوزيف نعيم يوسف

هذا القسم من المجلد هو ترجمة لكتاب :

C. H. Haskins, The Rise of Universities,
3rd printing, Ithaca, New York, 1960.
[Great Seal Books — A Division of Cornell
University Press].

طبقات الكتاب

في لغته الأصلية الإنجليزية

— كان أصلا سلسلة من المحاضرات التي ألقيت عام ١٩٢٣ م في جامعة براون ، وقد قامت الجامعة بطبعها في نفس العام .

— صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة ١٩٢٣ م (طبعة هنري هولت وشركاه) .

— أعيد طبع الكتاب في السنوات : ١٩٥٧ ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ (مطبعة جامعة كورنيل الأمريكية) .

مقدمة

بقلم

تيودور أ. ممسن

ولد شارل هومر هاسكنز في بلدة مينفيل Medville في بنسلفانيا في الحادي والعشرين من ديسمبر سنة ١٨٧٠ م . ويرجع الفضل إلى أساسه العلمي المتين الذي جعله يتقن اللغات القديمة والحديثة على السواء إتماماً تاماً ، فضلاً عن حله الواسع النزير ، وهو بعد في سن صغيرة . فأن بلغ الخامسة أو السادسة من العمر سقى أباه والده يعلمه اللغة اللاتينية ، ثم درس اللغة اليونانية بعد ذلك بفترة وجيزة وتخرج من جامعة جونز هوبكنز Johns Hopkins University وهو في السادسة عشرة من عمره . ودرس بعد ذلك في جامعتي باريس وبرلين حيث حصل على درجة الدكتوراه . ثم قام بالتدريس في جامعة جونز هوبكنز التي تعلم بها ، ولم يكن قد بلغ سن العشرين . وبعد أن أمضى هاسكنز اثني عشر عاماً في خدمة جامعة ويسكونسن University of Wisconsin ، دعت جامعة هارفارد عام ١٩٠٢ م حيث ظل يمحاضر بها حتى عام ١٩٣١ م ، عندما اضطرت حالته الصحية السيئة إلى التوقف عن العمل . وفي كامبريدج ، في الرابع عشر من مايو سنة ١٩٢٧ م وافته منيته .

لقد أصبح هاسكنز طوال فترة خدمته في جامعة هارفارد واحداً من أعظم رجالاتها . ولا يرجع الفضل في ذلك إلى المنصب الذي كان يشغله باعتباره عميداً لكلية الآداب والعلوم في الفترة من سنة ١٩٠٨ م إلى سنة ١٩٢٤ م فحسب ،

ولإنما يرجع أولا وقبل كل شيء إلى شخصيته القوية . وليس هناك شهادة موجزة
تتناول السمات الأساسية المميزة لشخصية هاسكز ، أفضل من كلمة التأبين التي
كتبها في ذكرى وفاته ثلاثة من أقرب الزملاء إليه ، وهالك نصها :

« إمتاز هاسكز بتعلمه وتفوقه في طريقة تدريسه للتاريخ باعتباره فنا من
الفنون الحرة أو علما من العلوم الإنسانية . كما ترك أثره على جميع الطلاب المبرزين
في التاريخ . وليس أدل على ذلك من أنهم جميعا قد تبلذوا على يديه ، وتلقوا
منهجا أو أكثر من مناهجه . وهو أيضا يمتاز بمقدرته على الجدل والمهاجاة داخل
قاعات الكلية ، وعلى فك العلامم وحل المسائل المعقدة بنفس السرعة التي كان
غيره يتخلص من مواجهتها . بدأ عمله في الكلية باعتباره رئيسا لها . ومع ذلك ،
لم تفره الدعوات المدينة التي تلقاها لشغل مثل ذلك المنصب . كان سريع الخطى ،
صاحب نكتة ، طر الحديث ، منرم براحة المشى لمسافات طويلة . وهو محبوب
من أصدقائه في النوادي التي كان يرتادها . ثم هو ، فضلا عن ذلك ، من أفضل
الأصدقاء ، شديد التدين والوقار . ومن أجل ذلك لم يلبث أن غدا واحدا من
أعضاء أسرة جامعة هارفارد الذين لم يكن يوسع الجامعة الاستغناء عنهم . وقد
خلف وراءه إسمًا يحظى بين مشاهير رجال تلك الجامعة » . (١)

لأن المواهب والقدرات التي كان هاسكز يتمتع بها بوصفه إداريا قديرا
ورجل عمل ، جعلت نفوذه يمتد خارج نطاق جامعة هارفارد . وطوال حياته

(١) مستقاة من كلمة التأبين التي كتبت بمناسبة وفاة هاسكز في مجلة Speculum ،
الجزء الرابع عشر ، سنة ١٩٣٩ م ، ص ٤١٤ . وهذه الكلمة بقلم ر . ب . بليك
R. P. Blako ، وج . ر . كوفمان G. R. Goffman ، وإ . ك . راند E. K. Rand

الحافلة بالعمل والنشاط ، قام هاسكنز بدور قيادى رائد فى العديد من الأجهزة والمؤسسات العلمية فى تلك البلاد ، ومن بينها الجمعية التاريخية الأمريكية ، وأكاديمية المصور الوسطى الأمريكية ، والمجلس الأمريكى لليناث العلمية . كما أدى فى نهاية الحرب العالمية الأولى خدمات جليلة إلى وفد السلم الأمريكى الذى اجتمع فى باريس ، بوصفه رئيسا للقسم الغربى من أوروبا .

لقد ركز هاسكنز اهتمامه فى دراساته العلمية الخاصة المتعمقة على فترة المصور الوسطى المتقدمة ، أى الفترة الممتدة من القرن الحادى عشر حتى القرن الثالث عشر .^(١) ويعتبر موضوع التنظيم فى شمال فرنسا من بين الموضوعات التى أبدى اهتماما مبكرا بها . وبعد بحوث ودراسات مضنية بالغة الدقة ، استقى مادتها من واقع الأرشيفات والسجلات التاريخية ، أصدر أخيرا فى سنة ١٩١٨ م مؤلفه المعروف باسم «النظم النورمانية» ، Norman Institutions ، الذى احتل مكانة كبيرة بوصفه عملا نموذجيا أصيلا فى تاريخ النظم الفرنسية والإنجليزية خلال تلك الحقبة من الزمن .

وأما الميدان الآخر الفسيح الذى اهتم به هاسكنز فهو تطور الحركة الفكرية والعلمية . وفى نطاق هذا الميدان وجه اهتماما خاصا إلى تاريخ العلم خلال القرون الوسطى المبكرة . وإن معرفة هاسكنز التامة بالمجموعات الكبرى للمخطوطات

(١) المقصود بذلك الحقبة الوسيطة من التاريخ الوسيط ، وهى تغطى القرون الحادى عشر والثاني عشر والثالث عشر التى تميزت بالكفاح المريع بين البابوية والإمبراطورية حول المسائل الملأية ، كما تميزت باستقرار أوروبا به فصول طويلة من الفوضى والاضطراب ، وقيام النهضة العلمية والفكرية والأدبية المبكرة التى مأت الجول لصور النهضة كما عرفه
[المترجم]

الأوروبية، قد مكنته من أن يستخلص - حتى زمنه - المادة الخام التي لم يستخدمها أحد من قبل . وهكذا استطاع أن يسلط أضواء جديدة تمام الجودة على المشاكل الكبرى العديدة المثيرة التي تناولها بالدراسة والبحث في عدد كبير من المقالات التي صدرت له . وقد جمع هاسكز أهم النتائج التي توصل إليها من دراساته ، والتي كرس حياته لها ، في مجموعتين من المقالات : المجموعة الأولى تحمل عنوان « دراسات في تاريخ العلم » *Studies in the History of Science* ، وقد صدرت طبعها الأولى سنة ١٩٢٤ م ، والطبعة الثانية سنة ١٩٢٧ م . أما المجموعة الثانية فهي تحمل لاسم « دراسات في ثقافة العصور الوسطى » *Studies in Medieval Culture* ، وقد ظهرت سنة ١٩٢٩ م . وإلى جانب هذه الدراسات التي تعالج موضوعا واحدا ، وضع أيضا نظرية عامة شديدة الإثارة في كتابه الممنون « نهضة القرن الثاني عشر » *The Renaissance of the Twelfth Century* الذي ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٢٧ م . وقد تألفت القراء على هذا الكتاب منذ صدوره حيث لقي رواجاً هائلاً .

ويتضح مما لاحظته أحد أصدقاء هاسكز وهوف . م . بويك F.M.Powieke أن « هاسكز آثر أن يكون مقرباً عند أفهام عامة الناس » (١) . ومن ثم تناول مضمون وجود النورمان في التاريخ الأوروبي ، في سلسلة من المحاضرات التي ألقاها في جامعتي هارفارد وكاليفورنيا . وقد نشرت المحاضرات المذكورة سنة ١٩٢٥ م تحت نفس العنوان . كذلك قام بتلخيص آرائه وجهات نظره فيما يتعلق بنشأة

(١) أنظر مقالة ف . م . بويك من هاسكز في مجلة : *English Historical Review*, LII (1937), p. 653.

الجامعات في ثلاث محاضرات ألقاها في جامعة براون سنة ١٩٢٣ م ، فقدم بذلك عملا احتفظ بثفوقه على أى إنتاج آخر فيما يتعلق بالمعلومات الحية النابضة التي أمدا بها .

وفي سنة ١٩٢٩ م صدر بمناسبة الاحتفال بالميد الأربعيني لبداية حياة هاسكنز العلمية ، مجلد ضخم يضم عدة مقالات في تاريخ العصور الوسطى ، وهي بقلم طلابه وتلامذته . ومن بين أولئك الكتاب نجد عددا غير قليل من طلاب العلم الذين أصبحت لهم شهرتهم في ميدان تاريخ العصور الوسطى . وإن الجوانب التي أولوها اهتمامهم الكبير ، فضلا عن عملهم المبدع الخلاق ، إنما يمكن أن الإلهام والتدريب اللذين تلقياها على يد أستاذهم .

ولما كان هاسكنز يعتبر مثالا نادرا لرجل تجسمت فيه صفات للنظم البارع ، وطالب العلم الأصيل ، والمدرس العظيم ، فإنه يمكن القول — دون مبالغة — كما جاء على لسان عالم فرنسي معروف في تاريخ العصور الوسطى ، وهو ف . جيون دى لونجره F. Jonon de Longrais ، بأن « شارل هومر هاسكنز يمثل — بحق — روح النهضة فيما يتعلق بالدراسات الخاصة بالعصور الوسطى في الولايات المتحدة الأمريكية » .

نيودور ، أ. محسن

جامعة كورنيل الأمريكية

كلمة الناشر

يعتبر بعض هذه المحاضرات التي ألقاها هاسكوز مطابقا لطبعة سنة ١٩٧٣ م ،
فيما حدا تعديلات بسيطة وطفيفة تفضل بعض المراجع الجديدة . وعلى أية حال ،
فقد ذيلت هذه الطبعة بمدد من الحواشي ، كما أُعيد النظر في بقية الحواشي الأخرى .
كذلك ذيل الكتاب بنبذة بأسماء الكتب والمراجع الخاصة بالموضوع (١) .

Great Seal Books

أحد أقسام مطبعة جامعة كورنل الأمريكية

(١) أقررنا أن يذيل كل فصل من فصول الكتاب الثلاثة بالمراجع الهامة الخاصة به ،
بدلا من تجميع المراجع كلها في آخر الكتاب . حسبا هو ولورد الأصل الإنجليزي . وقد قلنا ،
من ناحية ، إضافة العديد من المراجع التي لم ترد أصلا في الطبعة الإنجليزية [المترجم] .

الفصل الأول

الجامعات المبكرة

المكتبات :

الجامعة بمناها المعروف من نتائج العصر الوسيط - أوجه الخلاف بين جامعة الأوس وجامعة اليوم - جامعة القرن العشرين سلبية ودراسة جامعتي باريس وبولونيا في العصر الوسيط - غير معروف على وجه التحديد متى بدأت معظم الجامعات المبكرة - نهضة القرن الثاني عشر وأثارها - العلم والمعرفة في العصر الوسيط المبكر - الفنون السبعة الحرة - أثر الحرب في الحضارة الأوروبية .

بولونيا وجنوب :

تاريخ مدرسة الطب في سالنو - جامعة بولونيا مركز لإحياء القانون الروماني - أدريوس والقانون المدني - راهب جراثيان والقانون الكنسي - اتحادات الطلبة المتخرجين في بولونيا - أصل كلية جامعة ، وقطوعها - القيود التي عاشر الأستاذ الجامعي أسهرها - ه الأمم ، داخل المحيط الجامعي - نقابات الأساتذة - لاجازة التدريس والدرجات الجامعية - بولونيا مدرسة القانون المدني - جامعات الجنوب الأخرى .

باريس والشمال :

المدارس الكاثدرائية في باريس - بطرس أيلارد ونهضة الجامعة - البدايات الأولى لجامعة باريس - المراسم والبراءات الصادرة من السلطات الدينية والملكية لصالح جامعة باريس - حياة الطلبة في باريس - بيوت الطلبة والمعاهد العلمية - الطوائف والأمم والعراشات بينها - جامعة باريس نموذج لجامعات الشمال - جامعتا أكسفورد وكامبريدج - الجامعات الألمانية - الجامعات الأوروبية الأخرى .

تراث المصور الوسطى :

عظفت جامعات المصور الوسطى .. ليس لها مبان خاصة بها ، ولم تترك بقايا وآثارا مادية كافية ترجع إلى تاريخ مبكر .. الاستغالات الأكاديمية - الرى الجامعى - التقاليد والنظم الجامعية - جامعة المصور الوسطى جامعة ندرت نفسها العلم .

تعتبر الجامعات، شأنها شأن الكاتدرائيات والبرلمان، من نتاج القرون الوسطى. وما يبدو إلى الغرابة أنه لم يكن لدى الإغريق أو الرومان القدماء جامعات بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة حسب استخدامها خلال القرون السبعة أو الثمانية الماضية.^(١) لقد كانت عندم دراسات عليا، ولكن الألفاظ والعبارات لم تكن مترادفة. وكان من المسير التفوق على الكثير من عليهم في القانون والبلاغة والفلسفة. ولكن هذا العلم لم يكن، مع ذلك، منظمًا أو منسقًا في شكل معاهد عليية مثال ذلك أن معلما عظيما مثل سقراط^(٢) لم يكن يمنح ديبلومات أو إجازات عليية. فإذا جاء طالب مصري وجلس عند قدميه يتلقى العلم لمدة ثلاثة أشهر، له أن يطلب شهادة تتمثل في عمل ملبوس يتقدم به، وهو عبارة عن مبعث

(١) أوضح هذه الحقيقة المؤرخ جون لامونت لى مؤلفه، La Monte, J. L., *The World of the Middle Ages* (New York, 1949), p. 567. وفي هذا،
أفصح صحيح ما ذكره كل من السكاكين سولومون كاتز وفارلز نوريس كوكرين من وجود
جامعات في أوروبا في أواخر عهد الدولة الرومانية القديمة بالمعنى الحديث المفهوم. هنا الاصطلاح.
أنظر Katz, S., *The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe* (New York, 1960), p. 40 ; Cochrane, C. N., *Christianity and Classical Culture* (New York, 1937), p. 810. [المترجم]

(٢) سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ ق. م) هو أشهر مفكرى الإغريق وأعظم معلمى
البشرية على الإطلاق. وهو يعتبر من نتاج المجتمع الأبنى القديم. وهو أيضا الرجل الذى
حول مجرى الفكر البشرى دون أنه يكتب كلمة واحدة ودون أن ينادى بمذهب أو برأى ما،
وإنما من طريق الحديث فى شوارع أثينا وطرقاتها، نقله المدينة الى لم يتأخرها سوى مربيين
طيلة حياته توجه لهما لانتقال. أنظر من سيرته وماليه Kitto, H. D. F., *The Greeks* (Melbourne, 1954), pp. 32, 86, 126 ff., 153 f. ; Burgh, W. G. de, *The Legacy of the Ancient World*, 1 (London, 1955), pp. 164—170. [المترجم]

بمنازل محاوره سقراطية . ولم تبرز في العالم تلك الملامح الخاصة بالتعليم المنظم المألوف لنا تماما ، إلا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر فحسب . وهذا ما يمكن أن يقال أيضا عن كل تلك الأجهزة التعليمية المتمثلة في الكليات والمعاهد العلمية ، وفي مناهج الدراسة والامتحانات ، وكذلك ما يتعلق بموضوع التحاق الطلاب والاستعداد للامتحان ، والدرجات الأكاديمية . ونحن نعتبر ، فيما يتعلق بكل هذه الأمور ، ورثة جامعي باريس وبولونيا [في العصر الوسيط] ، وليس ورثة أئينا أو الإسكندرية [في التاريخ القديم] .

ولاشك أن التباين بين هذه الجامعات المبكرة وبين جامعات اليوم كبير ومائل للبيان . لقد كانت جامعات العصور الوسطى طوال فترة تكوينها خارا من المكتبات والمعامل والمتاحف ، كذلك لم يكن لها أوقاف تروفق عليها أو مبان خاصة بها . ويحتمل أنه لم يكن باستطاعتها مواجهة المطالب والاحتياجات الضرورية اللازمة . وقد وردت في أحد المراجع التاريخية لجامعة من أحدث الجامعات الأمريكية إشارة عفوية ذات طابع على ، مفادها أن جامعة العصور الوسطى « ليس فيها ما يدل على الوجود المادى الملئوس للجامعة ، هذا الكيان الذي نراه [في جامعاتنا] اليوم واضحا تمام الوضوح . »

لقد قامت جامعة العصور الوسطى ، وفقا لكلمات باسكييه (١) Pasquier

(١) هو اتيان باسكييه Etienne Pasquier (١٥٢٩ — ١٦١٥ م) من رجال الأدب وأحد المحققين الفرنسيين المشهورين . نشر في سنة ١٥٦٠ م الكتاب الأول من سلسلة « بحوثه عن فرنسا » Recherches de la France . وفي عام ١٥٦٥ م تراخ لصالح جامعة باريس في قصيتها ضد جامعة الجزويت وكسب القضية . وكان في تلك الأثناء يواصل كتابة « بحوثه » . ولباسكييه إنتاج غزير لم يتم حصره أو تجميعه أو نشره كله حتى الآن . وهو شاعر وأديب مجيد ، وتعتبر « بحوثه عن فرنسا » ، ومراسلاته ،

الرائعة التي ترجع إل زمن مضى « على أكتاف الرجال ، bâtie en hommes ؛ وإن مثل تلك الجامعة لم يكن لها مجلس يشرف على إدارة شئونها ، ولم تصدر نشرات ببرامجها ، ولم يكن بها اتحادات خاصة بالطلبة ، مالم تكن الجامعة نفسها — أساسا وبداءة — مجتمعا طلابيا أو جماعة من الطلبة (١) . وكانت الجامعة خلوا من الصحافة الخاصة بالمعاهد والكليات ، ومن التثقيبات والألعاب الرياضية ، كما كانت خالية من كافة « أوجه النشاط الخارجى ، وكان هذا هو العذر الرئيسى لخلو المعهد الأمريكى (٢) من مجالات النشاط الداخلى .

ومع أن أوجه الخلاف بين جامعات العصور الوسطى وجامعات اليوم واسعة عميقة ، إلا أن الحقيقة التي لا تزال ماثلة أمام أعيننا هي أن جامعة القرن العشرين إنما هي سليفة ووريثة جامعتى باريس وبولونيا في العصر الوسيط . فقد كانت هاتان الجامعتان هما الصخرة التي اقتطعنا منها ، والحفرة التي تقبنا فيها ، والمنهل الذي نهلنا منه . لقد ظل التنظيم الأساسى [للجامعة] كما هو دون أن يطرأ عليه أى تغيير ، كما ظل الامتداد التاريخى قائما متصلا . فهم الذين خلقوا التقاليد الجامعية

« خطبه ورمانياته هي أحسن إجابة النثرى على الإخلاق . أنظر مقالة « باسكييه » في دائرة المعارف البريطانية . (طبعة شيكاغو ، سنة ١٩٦٤) ، ج ١٧ ، ص ٣٠٦ [للترجم] .

(١) مثل جامعة بولونيا التي كانت تعتبر بحكم الظروف التي أحاطت بنفاتها جامعة طلبة ، بعكس جامعة باريس التي كانت جامعة أساتذة . وقد تدرس هاسكتز ذلك بعمق . من التفصيل فيها يند - أنظر عن هذا الموضوع أيضا كتاب المؤرخ جاك في جوف المنون « حضارة الغرب في العصور الوسطى » Goff, J.le, La Civilisation de l'Occident Médiéval (Paris, 1965), p. 113. [المترجم]

(٢) يقصد المؤلف في العصر الحديث [المترجم] .

المعروفة في العالم الحديث ، تلك التقاليد التي مراها في كافة معاهدنا العليا الجديد منها والتقديم ، والتي كان جميع رجال الجامعات والكليات على علم ودراية بها .

وتتناول هذه البحوث الثلاثة أصل تلك الجامعات المبكرة وطبيعتها وماهيتها بالدراسة . ويصالج البحث الأول موضوع النظم الجامعية ، أما الثاني فيتناول التعليم الجامعي ، بينما يتناول الثالث موضوع حياة طلبة الجامعة .

أخذ تاريخ الجامعات المبكرة ، خلال السنوات الأخيرة ، يشد إليه اهتمام طلاب التاريخ بصفة جدية . وكانت النتيجة أن خرجت معاهد العلم في المصرو الوسطى ، آخر الأمر ، من دائرة الأسطورة والخرافة حيث ظلت زمنا طويلا قابعة في الظلام [لا يكاد يحس بها أحد] . ونحن نعرف الآن ، بمناسبة الاحتفال بالعيد الالفى لتأسيس جامعة اكسفورد [الإنجليزية] ، أن إنشاء تلك الجامعة لم يكن من بين المآثر العديدة التي تنسب إلى الملك ألفريد ^(١) [السكسوني] . كذلك نعرف أن جامعة بولونيا لا ترجع إلى أيام الإمبراطور [الروماني]

(١) ألفريد الكبير هو من أشهر ملوك السكسون . كان حاكما على مملكة وسكس الإنجليزية Wessex (٨٧١ — ٩٠١ م) . وقد تعرضت البلاد لى عهده لإغارات الدانين على الجزيرة البريطانية والتي كان عليه هو وحققاته مواجهتها والحد منها . وحول سيرته وقوانينه وأعماله ، أظهر المراجع التالية :

Whitelock, D., The Beginnings of English Society : The Anglo-Saxon Period (London, 1954), pp. 7, 12, 38, 40, 43, 81, 109, 137, 215—217 ; Stenton, F.M., Anglo-Saxon England (Oxford, 1965), p. 246 ff. [المترجم] .

ثيودوسيوس^(١)، وأن جامعة باريس لم تكن قائمة في عصر شارلمان^(٢)، وإنما قامت بعد ذلك التاريخ بأربعة قرون على وجه التقريب. وفي الحقيقة، إنه من الصعوبة بمكان. حتى بالنسبة لعالم العصر الحديث، التحقق من أن هناك أشياء كثيرة لا يوجد مؤسس لها، كما أنه ليس هناك تاريخ محدد لبدايتها. غير أنها، رغما عن ذلك، قد تمت فحصب، بعد أن تأسست في بطل. وهؤلاء دون تاريخ قاطع محدد. وهذا يفسر السبب في أنه على الرغم من كل الدراسات التي أجراها كل من الآب ه. ديفيل^(٣) H. Denifle وهاستنجز راشدال^(٤) Hastings

(١) هو الإمبراطور ثيودوسيوس الأول المعروف بثيودوسيوس الكبير ومؤسس أسرة ثيودوسيوس في التاريخ البيزنطي. ويعد حكمه من سنة ٣٧٩ م إلى سنة ٣٩٥ م وفي السنة التي قُسم فيها دولته إلى قسمين مستقلين من بينها أحدهما شرق والآخر غرب، ولم يحكم ثيودوسيوس بمرده إلا بعد عام ٣٩٢ م. أنظر Runesman, S., Byzantine Civilization (London, 1948), pp. 82 f., 301; Diehl, Ch., Histoire de l'Empire Byzantin (Paris 1920), p. 6. [المترجم].

(٢) شارلمان أو غارل العظيم هو ابن بين الصغير وأول أباطرة الأسرة الكارولنجية، وقد اعتد حكمه من سنة ٧٦٨ م إلى سنة ٨١٤ م. أنظر عن ذلك هارتمان (ل. م.) وإباركلاف (ج): الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى مترجمة وتقديم الدكتور جوزيف ليم يوسف ط. ثانية (الاسكندرية ١٩٧٠)، ص ٣٦ وما يليها والمواضع ص ١٨٣ وما يليها [للمترجم].

(٣) Denifle, H., Die Entstehung der Universitäten des Mittelalters bis 1400, vol. I (Berlin, 1880), [لؤلأ]. والكتاب يتناول جامعات العصور الوسطى منذ بدايتها حتى سنة ١٤٤٠ م. [للمترجم]

(٤) Rashdall, H., The Universities of Europe in the Middle Ages, 2 vols. in 8 (Oxford, 1896). وقد ظهرت الكتاب طبعة ملحة في ثلاثة أجزاء (طبع أكسفورد، سنة ١٩٣٦ م). هذا، والإحالات التالية في مواضع كتاب هاستنجز راشدال، مستطاة من طبعة سنة ١٩٣٦ م.

Rashdall ، وعلما الآثار المحليين — فإن بدايات أقدم الجامعات لاتزال غامضة غير مؤكدة في أغلب الأحيان ، بحيث يجب علينا أن نقنع أحيانا بمعلومات عامة جدا (١) .

ونعتبر نشأة الجامعات بمثابة نهضة عليية عظيمة الشأن . وليس المقصود بذلك نهضة القرنين الرابع عشر والخامس عشر التي يطلق عليها — عادة — الاصطلاح المذكور ، أى «renaissance» . ولكن المقصود نهضة مبكرة عن ذلك ، وإن كانت معرفتنا بها أقل من الثانية ، مع أنها هى الأخرى لها أهميتها ودلائها ، وهى التي يطلق عليها المؤرخون الآن إسم «نهضة القرن الثاني عشر» (٢) .
وبقدر ما كانت المعرفة في القرون الوسطى المبكرة ضيقة محدودة في إطار الفنون السبعة الحرة (٣) ، لم توجد ثمة جامعات لأنه لم يكن هناك ما يدرس خارج إطار

(١) يقول المؤرخ سيدنى بينر أنه لا يمكن تحديد تواريخ فاطمة لأقدم ثلاث جامعات في الغرب ، وهى جامعات بولونيا وباريس وأكسفورد ، بينما تاريخ تأسيس جامعة كامبريدج مفكوك فيه وغير معروف على وجه اليقين . ويستطرد موضحا بأنه — كقاعدة عامة — يتم مثل هذا التحديد عندما كانت إحدى الجامعات تتلقى شكلا من أشكال الاعتراف الرسمي بها . أما عن الجامعات المتأخرة فقد قام الأحرار بتأسيسها ؛ وهى هذا يمكن تحديد تواريخ إنشائها بسهولة عكس الجامعات الأولى المبكرة . انظر Painter, S., A History of the Middle Ages (London, 1966), p. 489. [المترجم] .

(٢) يقول المؤرخ مارك بلاك إن كلمة « نهضة » هنا معنى حريا مجرد إحياء وليس الخلق أو الإبداع . انظر Bloch, M., Feudal Society, vol. I (London, 1967), p. 108. [المترجم] .

(٣) كانت هذه العلوم أو الفنون تنقسم إلى مجموعتين : المجموعة الثلاثية وتشمل النحو والبلاغة وفلسفة ، والمجموعة الرباعية وتشمل العلوم الأربعة وهى الحساب والهندسة =

هذه العناصر الجرداء التي تتناول الأجرومية أى قواعد اللغة [اللاتينية] والبلاغة والمنطق ، فضلا عن المعلومات السطحية البسيطة التي كانت لا تزال قائمة عن الحساب والفلك والمنحصة والموسيقى — تلك الفنون التي أدت دورها خلال مرحلة علمية [مر بها العالم الأوروبي الوسيط] .

وعلى أية حال ، فقد حدث أن تسرب إلى الغرب فيا بين عامي ١١٠٠ و ١٢٠٠ م سيل حرم من العلم والمعرفة الجديدين . وقد تسرب بعض هذا العلم عن طريق إيطاليا وصقلية ، ولكن الجانب الأكبر منه وصل إلى الغرب عن طريق العلماء العرب في أسبانيا بصفة خاصة . فظهرت أعمال أرسطو وإقليدس وبطليموس والبطالسة وأطباء الإغريق القدماء ، وكذلك علم الحساب الجديد ، وتلك التصور من القابون الرومان التي كانت مطوية في غياهب النسيان والتي بقيت مجهولة في دياجير القرون المظلمة . وبالإضافة إلى المسائل الأولية الخاصة بالمثلث والدائرة ، أصبحت أوروبا تمتلك تلك المراجع التي تحتوي على هندسة السطوح والمجسمات التي كان لها أكبر الأثر في المدارس والكتليات ، منذ ذلك الحين فصاعدا . وبدلا من العمليات الرياضية الصعبة المخضية التي كانت تستخدم فيها الأرقام الرومانية ، أصبح من الميسور اختصار الوقت عن طريق استخدام الأرقام العربية . فكم كان معنيا أن يفكر المرء كيف يستطيع أن يحل حل الفور مسألة بسيطة في الضرب

تتوالفك والموسيقى . أنظار كرامب (ج) وجاكوب (١) : تراث الصور الوسطى -
راجع الترجمة محمد بدوان والكتور محمد مصطفى زيادة - ج ١ (القاهرة ١٩٩٥ م) ،
ص ٣٨٦ - ٣٨٧ [المترجم]

أو القسمة يمثل تلك الأرقام الرومانية . (١) وقد حل محل يويثيوس (٢) Boethius ذلك العالم البارز من بين أساطين العلماء ، مدرس أوروبا في علم المنطق والعلوم العقلية والأخلاق . أما فيما يختص بالقانون والطب فقد استوعب الناس الآن العلم القديم برمته . وانطلق هذا العلم الجديد متفجرا خارج أسوار المدارس الكاتدرائية والديرة ، وخلق هذه الفئة من المثقفين المتملنين . كما اجتذب إليه من فرق قم الجبال وعبر البحار الضيقة ، الشباب المتلهف شوقا ، لكي يتعلم ويعلم ، على فراخ متفقه من أوكسفورد ، Oxford Clerk الشاعر تشوسر (٣) Chaucer في تاريخ متأخر . لقد اجتذب

(١) للزيد من المعلومات عن هذا الموضوع الملم ، أنظر سميد عبد الفتاح ماعودة المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية (القاهرة ١٩٦٣) ، وخاصة الباب الثالث الذي يتحدث عن مبادئ المدينة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي ، ص ٤٩ وما بعدها [المترجم] .
(٢) يعرف باسم أليكسيوس مانليوس يويثيوس Anicius Manlius Boethius ، ولد حوالي سنة ٤٨٠ م وتوفي في ٥٢٤ م عن ٤٤ سنة تقريبا . أنظر LaMonte, op. cit., pp. 80, 82, 197, 560, 572. من ٤٣-٤٠ م القسم الأول من هذا الكتاب [المترجم] .

(٣) هو الشاعر الإنجليزي جوفري تشوسر ، ولد حوالي سنة ١٣٤٠ م وتوفي سنة ١٤٠٠ م وله من العمر ٦٠ عاما . وبما يلبس إليه أنه أمد انجلترا بما كانت تنظر إليه منذ أيام الأنجلوساكسون ، ونفى بذلك الحق والإبداع الأدبي الذي يترجمها بله معاصروه في القارة الأوروبية . ومن أم أعماله وأشغها « قصص كاتربري » التي كانت قبل إتمامها . وطى الرغص من أن تشوسر لم يتحقق بالجامعة ، إلا أن دائرة مدارفه ومعلوماته كانت هائلة . كان متبحرا في فهم فرجيل واوليد وستاتيوس وكلوديان وغيرهم من كبار الكتاب القدماء ، كما اطلع على مؤلفات القديس جيروم والفيلسوف يويثيوس . أنظر عن ذلك Myers, A. R., England in the Late Middle Ages (London, 1958), pp. 85 f.,

العلم الجديد الشباب إلى باريس وبولونيا حيث وجدت تلك الاتحادات الجامعية التي زودتنا بأول وأفضل تعريف للجامعة باعتبارها مجتمع الأساتذة ومعلم طلاب العلم .

وفيما يتعلق بهذا المرض العام الخاص بالقرن الثاني عشر ، فليس هناك سوى حالة استثنائية واحدة ، ألا وهي جامعة الطب في سالرنو . ففي هذه المنطقة ، وعلى مسيرة يوم واحد إلى الجنوب من نابولي ، وفوق أرض كانت لمباردية في بادئ الأمر ثم أصبحت نورمانية فيما بعد ، وإن كانت لاتزال على اتصال وثيق بالشرق اليوناني - في هذه المنطقة كانت توجد مدرسة للطب ترجع نشأتها إلى تاريخ مبكر يعود بنا إلى أواسط القرن الحادي عشر . ويحتمل أن تلك المدرسة ظلت قائمة لمدة مائتي سنة بعد ذلك التاريخ ، وقد ضمت أكثر مدارس الطب شهرة في أوروبا . ففي مدينة هيبوقراط ^(١) هذه تم شرح وتفسير الكتابات الطبية لقدماء الإغريق ، وتطورت [الدراسة فيها] إلى مجال التشريح والجراحة ، بينما تركزت تعليمها في قواعد عامة شديده الانقصاب خاصة بطب الصحة الوقائي ، والتي لم تفقد بعد تمييزاتها ومدلولاتها مثل « إمش ميلا بعد المشاء » ^(٢) ، إل آخر مثل هذه المصطلحات وفيما يتعلق بالنظام الأكاديمي في

165 ; McKisack, M., The Fourteenth Century (Oxford, 1959), p. 529 ff. ; Huizinga, J., The Waning of the Middle Ages (London, 1955), p. 326. [المترجم] .

(١) نسبة إلى هيبوقراط الطبيب اليوناني المعروف الذي يعتبر أعظم رجال القرن الخامس في الطب . وللزيد من المعلومات عنه وعن كتاباته في مجال الطب ، انظر Kitto, op.cit., pp. 32, 188 ; Cochrane, op. cit., pp. 275, 428, 463. [المترجم] .

(٢) يقابلها عندنا المثل العامي الفاضح « اتعشى واتعشى » [المترجم] .

سارنو ، فلما نعرف شيئا عما كان سائدا هناك قبل عام ١٢٢١ م . وعندما قام [الإمبراطور] فريديك الثاني (١) في ذلك العام بتنظيم وتسيق درجاتها العلمية ، كانت هناك جامعات أحدث جدا من سارنو تقع في أقصى الشمال قد بزتها وتفوقت عليها فعلا بمراحل عديدة . وعلى الرغم من أهمية سارنو في تاريخ الطب ، إلا أنها لم تترك أى أثر يكشف عن نمو وتطور النظم الجامعية .

وإذا كانت جامعة سارنو تعتبر أقدم من حيث الزمن ، فإن جامعة بولونيا تمتاز بآلها من مكانة تميزها فيها يختص بتطور الدراسات العليا . وعندما كانت سارنو معروفة بأنها مجرد مدرسة للطب ، كانت [جامعة] بولونيا مهدا متشعبا الجواب ، ولو أنها تستحق الذكر باعتبارها مركزا لإحياء القانون الرومانى . وخلافا للفكرة العامة الشائعة ، لم ينتف القانون الرومانى من الغرب في القرون الوسطى المبكرة ؛ ولكن تأثيره كان قد تضائل إلى حد بعيد بسبب الغزوات الجرمانية [وما أحدثته من فوضى ودمار] . وقد ظل القانون الرومانى باقيا جنباً إلى جنب مع القوانين الجرمانية بوصفه القانون الذى اعتاد عليه الشعب الرومانى . ولكنه لم يمد معروفا عن طريق مؤلفات جستنيان القانونية العظيمة ، (٢)

(١) الإمبراطور فريديك الثاني هو ابن هنرى السادس وحفيد فريديك بولباروسا . امتد حكمه من سنة ١٢١٥ إلى سنة ١٢٥٠ م . وفيما يتعلق بسيرته وحكمه وأعماله ، أنظر Haskins, C. H., *Studies in Mediaeval Culture* (New York, 1929), pp. 124—147 ; LaMonte, op. cit., pp. 417—419, 476—477, 508—509. [المترجم] .

(٢) من الأعمال الخافذة للإمبراطور جستنيان (٥٢٧ — ٥٦٥ م) موسومته المعروفة باسم « مجموعة القوانين المدنية » التى أصدرها عام ٥٢٩ م ، ويصير إلى الواقع من

وإنما في شكل كتيبات بدائية أولية وكراسات نافية أخذ حجمها يتكثف ويتضاد مع الزمن حتى غدت لا حياة فيها . وقد اخضعت مجموعة «شرح القوانين» المعروفة باسم «الديجست» Digest ، وهي أهم قسم من «مجموعة القوانين المدنية» لجستيان Corpus Juris Civilis ، وذلك في الفترة الواقعة بين عامي ٦٠٣ م و١٠٧٦ م ، ولم يبق منها سوى مخطوطان إثنان فقط . وعلى حد قولي

أهم آثاره وألفه^١ . وقد وضعت هذه المجموعة على أساس تجميعات جريجوريانوس وهيرودجنيانوس وفيلودوسوس ، بالإضافة إلى قوانين الأباطرة المتأخرين . وثلاث كبار المشرعين القدماء . وتنقسم هذه المجموعة إلى ثلاثة أقسام : الأول ويتضمن الأحكام الإمبراطورية والمراسيم والقرارات والاستفتاءات القانونية الصادرة عن مجلس السناتو «Senatus Consulta» ، والثاني كتاب مختصر في أصول التشريع الروماني «Institutes» ، والثالث هو المعروف باسم «شرح القوانين» أو «الديجست» Digest ويتضمن القوانين المدنية بأكملها وعليها شروح الفراح والمفسرين لا وقد ظهرت في «شرح القوانين» أصالة جستيان الحقيقية ، إذ يذكر أكبر الوثائق التشريعية التي تمتع بها حكمه . وقبل موته بدأه بنشر جستيان ترجمة مختصرة لقوانينه باللغة اليونانية هربت باسم «القوانين الجديدة» «Novellae leges» تظهر فيها الروح المسيحية مندمجة في التشريعات الرومانية الوثنية القديمة . انظر من ذلك بينز (ن) : الإمبراطورية البيزنطية - ترمب الدكتور حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد (القاهرة ١٩٥٠) ، ص ٢٥٠-٢٥٦ ، راجع أيضاً : Runciman, op. cit., p. 74 f. ; Barker, E. (ed.), Social and Political Thought in Byzantium (Oxford, 1957), p. 75 f. ; Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State (Oxford, 1956), pp. 51 f., 69 f. ; Bailly, A., Byzance (Paris, 1939), p. 94 ff. ; Diehl, Ch. & Margais, G., Le Monde Oriental de 395 à 1081 (Paris, 1944), pp. 67, 84 ff.

ف. و. ميتلاند (١) F. W. Maitland « لقد بقي القانون الروماني بصورته بالغة ». هذا، بينما استمرت دراسة القانون، بنوع ما، إن كانت هناك بالفعل دراسات قانونية، باعتبارها مجرد صناعة يتلقنها الفرد كي ترشحه لمهنة المحاماة. وكان بقاؤها ماثلا في مسودات الوثائق كما لو كانت أحد أشكال فن البلاغة التطبيقية.

ومتأخرا في القرن الحادي عشر، ومع الارتباط الوثيق بحركة إحياء التجارة وحياة المدينة، قامت نهضة قانونية ترمز بدورها إلى نهضة القرن التالي [المعروفة بنهضة القرن الثاني عشر]. ويمكن تتبع هذه النهضة في أكثر من مجال في إيطاليا. وربما لم تحدث هذه النهضة في بادئ الأمر في بولونيا نفسها. غير أنها سرعان ما وجدت في بولونيا مركزا لها للأسباب الجغرافية التي جعلت من هذه المدينة، في الماضي كما هو الحال في الحاضر، نقطة التقاء لطرق المواصلات الرئيسية في شمال إيطاليا. فقد سمعنا قبل عام ١١٠٠ م بقليل عن أستاذ اسمه بيبو (٢)

(١) من الكتاب المحدث، له عدة مؤلفات وبحوث قانونية تتصل بالفترة الوسيطة من التاريخ، من بينها بحثه « لغة القانون الأنجلو فرنسية »، و « تاريخ القانون الانجليزي قبل عهد ادوارد الأول » الذي وضعه بالاشتراك مع ل. بولوك F. Pollock هذا، بالإضافة إلى ترجمته المشهورة لقسم الحاس بالمصور الوسطى من الجزء الأول من مؤلف أودو جيركا الذي يحمل اسم: Gierke, O., Das deutsche Genossenschaftsrecht, 4 vols., Berlin, 1868 - 1911. وقد ظهرت ترجمة ميتلاند الانجليزية تحت اسم: Gierke, O., Political Theories of the Middle Ages, trans. by F. W. Maitland, Cambridge, 1900. [المترجم]

(٢) اشتهر بيبو كمؤلف قانون في بولونيا؛ وهناك إشارات عديدة إليه وردت في أواخر القرن الحادي عشر. وقد امتاز بصيغته الفاعل في عام ١٠٧٦ م. أنظر وحيب إبراهيم سمان: =

Pepo باعتباره « ضوء بولونيا اللامع المشرق » . وحوالى عام ١١١٩ م تقابلنا صابرة لاتفينية هي Bononia docta أى « رجال بولونيا المثقفون » . وفي بولونيا ، كما هو الحال فى باريس ، يقف مدرس عظيم عند بداية تطورها الجامعى . وكان هذا المدرس الذى وهب جامعة بولونيا شهرتها رجلا يدعى ارنريوس (١) . وربما كان ارنريوس يتمتع بشهرة تفوق تلك التى كان يتمتع بها كبار اساتذة القانون فى القرون الوسطى ، على كثرة عديم . ولا يزال مكتبه ومقامه بتدريسه مثارا للجدل والمناقشة بين رجال العلم . ويبدو أنه قد حدد طريقة « شرح وتفسير » للنصوص القانونية على أساس الاستمالة الواضحة الشاملة بمجموعة القوانين المدنية [لجستينيان] بأكملها ، الامر الذى يعزىها عن تلك المختصرات المفصلة التى صدرت فى القرون السابقة . وبذلك فصل بصفه نهائية وقاطعة القانون الرومانى عن فن البلاغة ، وقام بتثبيته وتعزيز أركانه بوصفه موضوعا لدراسة متخصصة . وحوالى عام ١١٤٠ م ألف راهب من دير القديس فليس San Felice يدعى جراسيان (٢) Gratian كتابا باسم « القانون » Decretum ، أصبح المصدر الاصلى فى القانون الكنسى . وهكذا تميز عن علم اللاهوت بوصفه موضوعا مستقلا قائما بذاته خاصا بالدراسات العليا ، وتأكد

== الفتاة واثرية فى المصدر الوسطى (القاهرة: ١٩٦٢) ، ص ١٨٠ راجع أيضا : Painter, op. cit., p. 469 ; Rashdall, H., Universities of Europe in the Middle Ages, vol. I (Oxford, 1936), p. 113. [الترجم]

(١) المزيد من المعلومات عن ارنريوس ، انظر ماسبق ، ص ١٠٩-١١٢ من القسم الأول من هذا المجلد . [الترجم] .

(٢) حول جراسيان ، انظر ماسبق ، ص ١١١ - ١١٢ من القسم الأول من هذا المجلد . [الترجم]

تماما تفوق جامعة بولونيا كندسة للقانون .

وقد ظهر في ذلك الحين فريق من الطلاب معبرا عن ذاته في المراسلات والشرح . وحوالى عام ١١٥٨ م كان من الأهمية بمكان أن تتلقى إيطاليا من الإمبراطور [الألماني] فريديريك بارباروسا (١) براءة رسمية في شكل حقوق وامتيازات ، ولو أنه لم يرد في مثل هذه البراءة لاسم مدينة بالذات أو جامعة بعضها . وحوالى هذا الوقت أصبحت بولونيا ملاذا لبضع مئات من الطلبة الذين وفدوا إليها ليس من إيطاليا فحسب وإنما من وراء جبال الألب . ونظرا لأنهم كانوا مقربين عن أوطانهم ، وبجريد من وسائل الدفاع عن النفس ، فقد اتحدوا بقصد حماية أنفسهم والتعاون المشترك فيما بينهم . وكان هذا التنظيم بين الطلبة المغتربين ، أو الطلبة القادمين من وراء الجبال ، هو الخطوة الأولى في سبيل إنشاء الجامعة .

ويبدو من هذا الاتحاد أن الطلبة المغتربين قد نهجوا نهج النقابات التي كانت معروفة بالفعل في المدن الإيطالية . وفي الواقع كانت كلية د جامعة ، (٢)

(١) فريديريك بارباروسا هو إمبراطور الدولة الرومانية الغربية المقدسة ، حكم من سنة ١١٥٢ م إلى سنة ١١٩٠ م . وكان أحد زعماء الحملة الصليبية الثالثة التي قام بها الغرب الأوروبي بقصد الاستيلاء على بيت المقدس التي كان صلاح الدين الأيوبي قد استعادها سنة ١١٨٧ م . والمزيد من المعلومات عن عهده وأعماله وتاريخ حياته ، انظر : Machiavelli, N., Florence and the Affairs of Italy (New York, 1960), pp. 22 - 24; Cantor, N. F. (ed.), The Medieval World (New York, 1963), pp. 242 - 248. [المترجم]

(٢) من الأصل اللاتيني universitas أى اتحاد ، ومنها اشتقت الجامعة تسميتها ، فهي ليست سوى اتحادا من الأساتذة والطلاب ، انظر عن ذلك للراجع الأجنبية التالية : =

« university » ، تعنى ، أصلاً ، مثل هذا التجمع بوجه عام . وبمرور الوقت أصبحت هذه الكلمة تقتصر على نقابات الأساتذة والطلاب فحسب ، ونصبها باللاتينية « universitas societas magistrorum discipulorumque » ؛ بمعنى أن الجامعة هي مجتمع الأساتذة والطلاب . أما من الناحية التاريخية ، فإن كلية « جامعة » لا علاقة لها بكلمة « السكون » ، « universe » ، أو يد « كونية العلم والتعليم » ، « universality of learning » ، وإنما تدل على جماعة أو طائفة ، سواء أكانت من الحلافين أو التجارين أو الطلبة . ولقد نظم بولويما مثل هذا الاتحاد الذى كان يهدف أساساً حمايتهم من تمسف سكان المدينة ، ولمواجهة أجر السكون . وصرعان ماثرات فى الأفق ضروريات الحياة ومطالبها تبعاً لإقبال وتهاافت المستأجرين الجدد ، أى المستهلكين . وكان الطالب بمفرده قليل الحيلة أمام مثل هذا الاستغلال وتلك الانتهازية . أما إذا اتحد الطلبة فيما بينهم ، فإنه كان يوسعهم كبحج جماع سكان المدينة عن طريق التهديد بمغادرة المدينة جماعة كالأروا وجلا واحداً ، أو التهديد بالتوقف عن الدراسة . ونظراً لأنه لم يكن للجامعة مبان خاصة بها [تشد الطلبة إليها وتربطهم بها] ، فقد أصبحت لهم حرية الحركة والتنقل [من مكان إلى آخر] . ولدينا أمثلة عديدة مستمدة من واقع التاريخ مثل تلك الهجرات الجماعية [للطلبة] . ولذلك آثر سكان المدن تأجير غرفهم للطلبة الغريباء بأسعار أقل بدلاً من عدم تأجيرها على الإطلاق . ومن ثم ضمن

Goff, op. cit., p. 118 ; Coulton, G. G., *Medieval Panorama* = (New York, 1955), p. 894 ; Painter, op. cit., p. 468 f., LaMonte, op. cit., p. 568 ; Funck — Brentano, F., *Le Moyen Age* (Paris, [المترجم] 1922), p. 192.

التنظيمات الطلابية عن طريق تمثيلها القدرة على تحديد إمكانيات السكن وأسعار الكتب .

وبعد أن تغلب الطلبة على سكان المدينة ، استداروا إلى « أعدائهم الآخرين وهم الأساتذة » . وهنا كان التهديد عبارة عن مقاطعة جماعية . ولما كان الأساتذة يمشون ، في بادئ الأمر ، كلية على الرسوم التي يدفعها التلاميذ ، فقد كان لهذا التهديد أيضاً فاعليته . وكان الأستاذ مقيداً يعيش أسير مجموعة من الأنظمة والقوانين الدقيقة الصارمة التي تكفل للتلاميذ الذين يدرسون عليه ما يقابل المبلغ الذي يدفعه كل فرد منهم . وتذكر القوانين المبكرة (سنة ١٣١٧ م) أنه لا يجوز أن يتغيب أى أستاذ ولو ليوم واحد دون الحصول على إذن بذلك . أما إذا أراد مغادرة المدينة فيتمين عليه حينئذ أن يودع تأميناً ضماناً لعودته إليها . وإذا أخفق في ضمان حضور خمسة مستمعين لمحاضرة نظامية [يقوم بإقتنائها] ألزم بدفع غرامة كالأستاذ لو كان غائباً . ولإنها في الواقع ، محاضرة فقيرة جديداً تلك التي لا تضمن خمسة مستمعين لها . كذلك يتمين على الأستاذ أن يبدأ [المحاضرة] بمجرد أن يصدق النافوس ، وأن ينادر الفصل خلال دقيقة واحدة من النافوس التالي . ثم أنه غير مسموح له لإغفال جزء من المنهج الدراسي أثناء قيامه بالشرح والتفسير ، أو تأجيل موضوع صعب حتى نهاية الساعة المحددة . وعليه ، أيضاً ، إعطاء الدرس حقاً بطريقة منظمة . ويسرى هذا الوضع بالنسبة لكل فترة من فترات العام الدراسي . ولا يجوز لأى أستاذ أن يضيع السنة كلها في مقدمات ومراجع . وإن تحكماً من هذا القبيل يحمل على الاعتقاد بأنه قد سبقه تنظيم فعال لهيئة الطلاب .

هذا ، وقد سمعنا عن وجود اتحادين بل وأربعة اتحادات الطلبة كل منها يتكون من « أمم » nations ، على كل أمة رئيس . ولقد كانت بولونيا ، بكل

تأكيد ، جامعة طلبة . ولا يزال الطلبة الإيطاليون يطالبون بصوت لهم في الشؤون الجامعية . وعندما قلت (١) بزيارة جامعة بالرمو للمرة الأولى وجدتها وقد عادت توا إلى حالتها الطبيعية بعد إخلال بنظام الدراسة فيها ، حيث حلم الطلبة التوافد الآمالية للجامعة مطالبين بأن تعقد لهم امتحانات دورية [على فترات زمنية قصيرة] ، ومن ثم تكون أقل إلزاماً بأشتات الموضوعات [التي بدرسونها] . وفي العيد المئرى السابع للجامعة بادوا في مايو من سنة ١٩٢٢ م ، طاف الطلبة فعلاً في المدينة وقد أضوا برنامجاً يشتمل على مراكب واحتفالات ؛ فضلاً عما أثاروه من جلبة وضوضاء بالث من أكثر المناسبات هية ووقاراً . وقد قربت على ذلك تعظيم نوافذ أعظم قاعة في المدينة .

وبإبعاد الأساتذة عن « اتحادات » universities ، الطلبة ، كونوا هم أيضاً لأنفسهم « نقابة » خاصة بهم أو « اتحاداً » يمل شملهم ويوجد صفوفهم . . . وكان يشترط للالتحاق به صلاحيات وكفايات معينة يتم التأكّد منها عن طريق امتحانات تعقد لذلك ، بحيث لا يتسنى لأي طالب الانضمام إلى الاتحاد الخاص بالأساتذة إلا بموافقة ورضاه . ولما كانت القدرة على تدريس موضوع ما تعتبر في حد ذاتها اعتباراً طيباً لدى معرفة الطالب به ، فقد سعى الطالب للحصول على «إجازة التدريس» من أحد الأساتذة باقتزارها شهادة تقيّد تحصيله للعلم والمعرفة ، بصرف النظر عن العمل الذي سوف يشغله مستقبلاً . وقد أصبحت هذه الشهادة ، أى «إجازة التدريس» *licentia docendi* ، هى أقدم شكل لدرجة الجامعية . ولا تزال درجاتنا العلمية العليا تحفظ بهذا التقليد في كلمات مثل « ماجستير »

(١) المقصود بزيارة هاسكنز مؤلف الكتاب للجامعة بالرمو [المترجم] .

magister و«دكتور» doctor ، وهى كليات مترادفة فى معناها منذ البداية . هذا ، بينما توجد عند الفرنسيين «إجازة اليسانس» licencs . وكان من يحصل على درجة الماجستير فى الآداب يعتبر مؤهلا لتدريس الفنون الحرة ، بينما يعتبر الحاصل على درجة دكتور فى القانون مدرسا مفهودا له فى تدريس القانون . ويسمى الطالب العلوم المحصول على درجة عليية ، وهو يلقى بهذه المناسبة محاضرة احتفالية ، ويصاهر صراحة بعزمه على الاستمرار فى مهنة التدريس . وقد عرفنا ، بما سبق ، الدرجات الجامعية الأساسية فى جامعة بولونيا ، وكذلك للنظم الجامعية وما يتعلق بالموظفين الرسميين المروفين كالدير مثلا .

وبمرور الزمن ظهرت موضوعات دراسة أخرى مثل الفنون والطب واللاهوت . ولكن بولونيا كانت مدرسة رفيعة القدر للقانون المدنى . وهكذا أصبحت نموذجا لتنظيم الجامعة فى كل من إيطاليا وإسبانيا وجنوب فرنسا ، حيث كان لدراسة القانون دائما دلالتها ومفزاها فى المجالات السياسية والاجتماعية والأكاديمية . وأصبحت بعض تلك الجامعات ندا لجامعة بولونيا ، مثل كل من جامعة مونتسليه وجامعة أورليانز ، وكذلك المدارس الإيطالية القريبة من ديار الطلاب . وفى سنة ١٢٢٤ م أسس فريدريك الثانى جامعة نابول حتى ينسئ للطلاب فى عسكرته فى صقلية الالتحاق بمدرسة فى وطنهم تتبع حروب الجبلين الإمبراطورى بدلا من الذهاب إلى أحد مراكز حزب الجلف البابوى (١) فى الشمال . وقد تأسست جامعة بادوا التى ابتقت عن جامعة بولونيا قبل ذلك لتتاريخ بامامين . وفى عام ١٩٢٢ م فقط ، وكان ذلك بمناسبة الاحتفال بمرور سبعمائة عام على تأسيس جامعة

(١) حول حزب الجلف والجبلين ، أنظر كتاب LaMonte, op. cit., pp.

452- 453 — 444, 443, 433 — 431 [الترجم]

بادوا ، شاهدت (١) العدا . التقديم [بين الجامعتين] وقد خفت حدته بعد قبلة السلام الى منتحتها بادوا لمدير جامعة بولونيا وسط هتافات وصيحات الاستحسان الصادرة من قلوب عشرة ألف متفرج . وتكاد جامعة بادوا ، في وقتنا هذا ، تقف بصعوبة على قدم المساواة مع جامعة بولونيا ، وذلك على الرغم من أنه حدث في عصر متأخر أن قدم بورشيا Portia إلى بادوا لسيادتها في الدراسات القانونية ، وعلى الرغم من أن تلك الجامعة لاتزال تشع بظمة جاليليو (٢)

Galileo

هذا من بولونيا وجامعات الجنوب الأوروبي . أما إذا أردنا التعرف على أصل جامعات الشمال ، فيتمين علينا البحث عنه في مدرسة نورثام الكاتدرائية في باريس . فع بداية القرن الثاني عشر لم يعد التعليم في فرنسا والأراضي الرابطة قاصرا على الأديرة . بل كانت أنشط مراكزه في المدارس الملحقة بالكاتدرائيات (٣) ،

(١) أمي هاسكنز مؤلف هذا الكتاب [المترجم] .

(٢) جاليليو هو صاحب النظرية الفلسفية المعروفة التي أثبت بها أن الأرض ملهى إلا أحد الأجرام السماوية . وكانت النتيجة أن أداته السكينة اللاتينية واتجهت بالخرطقة . وكان من بين التهم التي وجهتها إليه أن نظريته هذه تتعارض مع ما جاء في العهد القديم من انه السكون ثابت لا يتزعزع . أظفر من ذلك كولتون (ج . ح) ، عالم المصور الوسطى في العظم والحضارة - ترجمة الدكتور جوزيف ديم يوسف - ط . ثانية (الاسكندرية ١٩٦٢) ، ص ٦٣ و ح . أ . راجع أيضا : Crombie, A. C., *Augustine to Galileo*, vol. I (London, 1961), pp. 4, 6, 18, 59 f., 116, 119 ; LaMonte, op. cit., p. 561. [المترجم]

(٣) أظفر المرحلة الخامسة بالراكز الفكرية في الغرب الأوروبي في القرن الثاني عشر ، ص ١٧٩ ، بآخر القسم الأول من هذا المجلد ، [المترجم] .

وأشهرها هي [منارس] كاتدرائيات لياج Liège وريمز Rheims ولون Laon وباريس وأورليانز وشارتر . وربما كانت أبرز تلك المدارس التي قامت بتدريس الفنون الحرة وأبعدها حينها هي مدرسة شارتر التي اشتهرت بأحد رجال القانون الكنسي وهو القديس ايف St. Ives ، كما عرفت بالمدرسين الذين ذاع صيتهم في الآداب الكلاسيكية والفلسفة مثل كل من القديس برنارد أوف كليرفو وتييري^(١) Thierry . وفي تاريخ مبكر يرجع إلى عام ٩٩١ م قام راهب من مدينة ريمز يدعى ريتشارد الرعي^(٢) Richer بشرح ما كابدته من مشقة وعضاء في رحلته إلى شارتر لدراسة حكم هيبوقراط وقواعده الذهبية .

• Aphorisms

ومع بدايات القرن الثاني عشر ترك لنا جون أوف ساليسبوري John of Salisbury رائد الدراسات الإنسانية في ذلك العصر ، بياناً بالأساتذة الذين ستتاح لنا الفرصة — فيما بعد — للاستنباط بهم والرجوع إليهم . وليس هناك اليوم مكان يمكن أن نتوقف عنده في سهوة ويسر أكثر من مدينة كاتدرائية ترمج إلى القرن الثاني عشر ، وهي مدينة هادثة مسالمة لاتزال كنيسة تها تسيطر عليها ولا تزال تشارك من حين إلى آخر ،

(١) يقول جون لاسوت إن الفيلسوف بيير وبرنارد كانا يقومان بتدريس الآداب الكلاسيكية في مدرسة شارتر التي كانت تعتبر أعظم مراكز الدراسات الانسانية في القرن الثاني عشر . وقد بلغت هذه الدراسات ذروتها في شخص جون أوف ساليسبوري . أنظر LaMonte, op. cit., p. 558. [الترجم] .

(٢) حول ريتشارد الرعي ، أنظر ماسبيق ، ص ٨٢ من القسم الاول من هذا المجلد [الترجم] .

« رامي السكندراتية حيث يمد سلالته ومأواه .
شبهاء في مدأة السكون كصخرة هادئة في قلب ظاب
ولد انحصر عنها المحيط في بطن ليرتكها على اليابس ،
♦ ♦ ♦ ♦ ♦ صابرة نائمة
من نخم الحياة العظيم الذي واجهته يوما .
وتصل إليها جلبة الرجال ، وكأنه حلم . » (١)

وفي ذلك الوقت ظلت السكندراتية ثابتة راسخة د بما تحتويه من صور
التدوين والملك المهداة إليها . وقد كفت عن أن تصبح مركزا ثقافيا من
الدرجة الأولى ، وألفت باريس التي تبعد عنها بحوالى خمسين ميلا ، بظلمها عليها ،
بحيث لم تصبح شارتر جامعة على الإطلاق .

وأما عن مزايا جامعة باريس فيرجع بعضها إلى عوامل جغرافية ، بينما يرى
البعض الآخر لعوامل سياسية باعتبارها عاصمة الملكية الفرنسية الجديدة . ولكن
تجدر الإشارة هنا إلى الأمر الذي تركه أستاذ كبير هو بطرس ايلارد (٢) . إن
هذا الشاب اللامع الأصيل ، مع إصراره على سياسة الفك والتشكك وفلة احترامه
للسلطة [الكنسية] ، قد اجتذب إليه أعدادا كبيرة من الطلبة أبناء حل وحيثا
ذهب للتدريس ، وسواء أكان ذلك في باريس أم وسط الأعراس والغابات .
ففي باريس كان مرتبطا بكنيسة دير القديسة جنيفييف Sainte-Genève

(١) المقصود كاندراية مدينة هاور [المخرج] .

(٢) حول بطرس ايلارد ، أنظر ماسبق ، ص ٩٩-١٠٤ و١٠٧-١٠٨ من القسم

الأول من هذا المجلد . [المخرج] .

أكثر من ارتباطه بالمدرسة الكاتدرائية [في نوردام] . وقد غدا التردد على باريس عادة مألوفة في أيامه . وهكذا أصبح له أثره الفعال فيما يختص بإنشاء الجامعة . ولقد كانت الجامعة بالمفهوم التشريعي ، هي الوليدة المباشرة للمدرسة كاتدرائية نوردام التي كان لرئيسها دون سواه سلطة التصريح بالتعليم في نطاق أبروشية باريس . وهكذا حافظ على سلطته في منح الدرجات الجامعية التي كانت أصلا في هذا المكان ، كما هو الحال في بولونيا ، شهادات يمنحها المدرسون . ولقد كانت المدارس المبكرة قائمة داخل نطاق الكاتدرائية في المدينة الأصلية القديمة المعروفة باسم جزيرة المدينة ، *Ile de la Cité* ، المؤدية إلى نوردام التي وصفها فيكتور هوجو [في القرن التاسع عشر] ، والتي كانت قد تهدمت منذ زمن بعيد . وبعد ذلك بقليل نجد أساتذة وطلاب علم يمشون في منطقة الجسر الصغير Petit-Pont الذي يربط المدينة بالنصف اليسرى لنهر السين . ولقد نسبت إلى هذا الجسر مدرسة كاملة للفلسفة تسمت بإسمه ، هي مدرسة بارفيونتاني *Parvipontani* . غير أن طلاب العلم مع بداية القرن الثالث عشر كانوا قد انتشروا على النصف اليسرى للنهر ، وقد عرف منذ ذلك الحين باسم « الحى اللاتيني » *Latin Quarter* في باريس (١) .

ولسنا نعرف على وجه التحديد متى كتف باريس عن أن تصبح مدرسة كاتدرائية ومتى أصبحت جامعة ، ولو أن ذلك كان بالتأكيد قبل نهاية القرن الثاني عشر . ومع ذلك تؤثر كل جامعة أن يكون لها تاريخ عديد لبدايتها تحتفل به . وعلى هذا فقد اختارت جامعة باريس عام ١٢٠٠ م [كبداية لها] ، وهو العام

(١) أنظر المراكز والمواقع المذكورة مبينة على خريطة « باريس في الصور الوسطى » وكذلك خريطة « باريس في عصر نيليب أوفسطين » ص ١٨١ ، ١٨٣ بآخر القسم الأول من هذا الكتاب . [المترجم] .

لوحة رقم (٥)



سجاة طلاب العلم في كاتدرائية نوتردام في باريس
في القرن الثالث عشر

الذى صدر فيه أول مرسوم ملهى خاص بنشأتها . ففى ذلك العام ، بعد أن قتل عدد من الطلبة بسبب صدام وقع بينهم وبين أهالى المدينة أصدر الملك فيليب اوجسطس (١) مرسوما رسميا نص على عقاب محافظ باريس مع الموافقة على إعفاء الطلبة وسخديمهم من تقديمهم للمحاكمة أمام القضاء العلماني . وهكذا بنشأ هذا المركز الخاص الذى تمتع به الطلبة أمام المحاكم التى لم تكن قد توقفت بعد تماما عن ممارسة نشاطها العلماني ، ولو أنها اختلفت بصفة عامة من وجه القانون . وكان الامتياز البابوى الأول المعروف باسم « مرسوم باريس » Parons scientiarum الصادر عام ١٢٣١م (٢) أكثر تحديدا . وقد صدر بعد أن توقفت الدراسة [فى جامعة باريس] لمدة عامين بسبب حالة الشعب والنوضى التى تسبب فيها لقيف من الطلبة وجدوا أن « الخرنذيب العلم حلوا مذاق » ، وقد اعتدوا على حارس الحانة وأصدقائه [حيث كانوا يحسبون النبيذ] . وقاموا هم بدورهم على يدى محافظ المدينة ورجاله . وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على روح الخصومة والخلاف [بين الطلبة والأهالى] التى أحرك القرن الثالث عشر بوضوح أن الشيطان يد فيها . وتأكيدا للإعفاءات الصادرة من قبل [لصالح جامعة باريس] ، قام البابا [جريجورى التاسع] بتحديد سلطة أمين الكاتدرائية فى منح درجة اليساس . واعترف فى نفس الوقت بحق الأساتذة والطلاب فى

(١) أنظر الترجمة العربية لرسوم فيليب اوجسطس فى الملحق الثالث ص ١٦٧ - ١٦٩
بآخر القسم الأول من هذا المجلد . [المخرج] .

(٢) ترجم المرسوم الى اللغة الانجليزية ل. ثورندايك أنظر L. Thorndike, University Records and Life in the Middle Ages (New York, 1944) pp. 85-89. [المؤلف] أنظر الترجمة العربية للرسوم فى الملحق الخامس ص ١٧٧-١٨٠ بآخر القسم الأول من هذا المجلد ، وهو المرسوم الذى أصدره البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١ م) . [المخرج] .

وضع الأنظمة والقوانين والتشريعات التي تستهدف تنظيم المحاضرات والمناقشات ومواضيعها ، فضلاً من تحديد الزى الواجب ارتداؤه ، بالإضافة إلى مسائل أخرى مثل حضور جنازات الأساتذة والمحاضرات التي يلقيها الحاصلون على درجة اليسانس . ولا بد أن مثل هذه المحاضرات كانت أكثر تحديداً من محاضرات أولئك الأساتذة الذين يحلفون بعلومهم في الهواء . وتضمنت هذه التنظيمات أيضاً تحديد أجور السكن ، مع العمل على كبح جماح الطلاب [إذا دعت الضرورة إلى ذلك] . فلم يسمح لهم بحمل السلاح ؛ كذلك لا يتمتع بالإعفاءات والبراءات المخصص بها الطلاب إلا أولئك الذين يترددون على المدارس بصفة منتظمة . فقد كان على الطالب أن يواظب على حضور محاضرتين في الأسبوع على أقل تقدير .

وجدير بالذكر أنه عندما لا ترد كلمة « جامعة » ، university ، صراحة في هذه الوثائق والمستندات ، فيمكن اعتبارها كما لو كانت قد وردت فعلاً . فقد كانت الجامعة باعتبارها هيئة ينتظم فيها الأساتذة قائمة بالفعل في القرن الثاني عشر . ونظرت حوالى عام ١٢٣١ م إلى اتحاد أو نقابة معترف بها ، لها خاتمتها الخاص . وقد كانت باريس ، على النقيض من بولونيا ، جامعة أساتذة . فقد كان ثمة أربع كليات يشرف على كل منها عميد ، وهذه الكليات هي : كلية الآداب ، وكلية القانون الكنسى مع مراعاة أن القانون المدني كان محرماً تدريس في باريس بعد عام ١٢١٩ م . والثالث هي كلية الطب ، والآخرى هي كلية اللاهوت . وكان أساتذة الآداب أكثر عدداً من أساتذة الكليات الأخرى ، وكانوا ينقسمون إلى أربع « أمم » ، nations ، هي : الأمة الفرنسية وتشمل الشعوب اللاتينية ، والأمة النورمانية ، والأمة البيكاردية وتشمل أيضاً الأراضي الواطنة ، وأخيراً الأمة الإنجليزىة متضمنة طلبة إنجلترا وألمانيا وشمال أوروبا وشرقها . وتقوم هذه

الأمم الأربع باختيار رئيس الجامعة وهو الشخصية الأولى فيها ، والمقصود بذلك المدير . ولا يزال رئيس الجامعة يلقب — عادة — بهذا الإسم في القارة الأوروبية ، على الرغم من أن فترة إدارته [للجامعة] كانت قصيرة ، إذ بلغت في عصر متأخر ثلاثة أشهر فحسب .

وإذا أمكن الحكم من واقع هذه الدقائق والتفاصيل التي حفظها لنا الزمن ، لوجدنا أن الأمم ، قد كرست الكثير من وقتها في بحث أوجه إنفاق المصاريف التي يتم تحصيلها من الأعضاء والموظفين الجدد ، أو — حسبما كانت تسمى — في سبيل شرب الفانوس حتى الجمالة عند منطقة السيفين على مقربة من الجسر الصغير ، أو تحته إشارة السيدة مريم العذراء في شارع سان جاك ، أو عند سوان وفالكون وشعارات فرنسا ، وللكثير من أمثال هذه الأماكن والبقاع (١) . وهناك دراسة تدل على العمق وسعة العلم في موضوع حانات باريس في المصور الوسطى ، مستقاة من واقع وثائق وسجلات الأمانة الإنجليزية دون غيرها . ويبدو أن تشريع الأمم ، المزيف قد شجع على إغارة الاحقاد والمنافسات بين مختلف الأنظار الممثلة في [جامعة] باريس ، بدلا من العمل على تهدئتها وتخفيف حدتها . وقد ترك لنا جاك دى فيتري (٢) Jacques de Vitry وصفا قليا رائعا

(١) أنظر هذه الأماكن والبقاع على الحرائط المذيل بها القسم الأول من هذا المجلد . [المرفج] .

(٢) ولد جاك دى فيتري حوالى سنة ١١٨٠م ، وطلب في العديد من المناصب الكنسية ، ومرة واحدة ما أصبح واحدا من الرجال المرموقين في زمانه . ويبدو أن تأثيره على الصليبيين الذين في القرن الثالث عشر كان لا يقل عن الأثر الذي تركه بطرس الناسك في القرن الثاني عشر مع بداية الحركة الصليبية ولا تزال خطبة وعظاته ومراسلاته باقية . وهي وإن كانت =

لهذه الملاحظات (١) .

يقول فيترى : « لقد كانوا [أى الطلبة] يتشاحنون ويتخاصمون ليس فقط بسبب بعض المناقشات ، بل أدت الخلافات والفوارق بين الأنظار أيضا إلى إثمارة النزاع والخصومات والاتحاد ، وإلى قيام العداء المستحكم فيما بينهم . وقد صدرت عنهم ، فى فترة وقلة حياء ، كافة أنواع الإهانات والسباب التى كانوا يراشون بها . فقد أكدوا أن الإنجليز سكارى ولهم ذبول ، أما أبناء فرنسا فهم متكبرون مخشون يعنون بأناتهم كالنساء . وقالوا إن الألمان سريعو الغضب

== لاثير اليوم الاحتمام السكان ، إلا أنها كانت فى ردهاتها تلقى الزواج والاحتفاء . وكان أول ما قام به فيترى هو التمييز بالحجة الصليبية ضد المرافعة الأليبيجين . وبعد ذلك كرس حياته للعمل من أجل غزو القبر المقدس ، وكانت تحذوه الآمال فى إعادة تأسيس مملكة اللاتين فى فلسطين . وقد كملت جهوده فى هذا المضمار بيمينه أسفلا على عكا سنة ١٢١٧ م . وفى السنة التالية صاحب فيترى الجيش الصليبي الذى توجه بقيادة جان دى برين صاحب عكا لحصار مدينة دمياط . ويقال إنه أخذ على عاتقه مهمة إدارة كافة العمليات العسكرية . ول عام ١٢٢٧ م غادر فلسطين الى أوروبا . وشغل عدة وظائف دبلوماسية منها وظيفة السكاردينالية ثم عين أسفلا على بيت المقدس ، فمثلا قياها فى فرنسا والمانيا وأخيرا بطريركا على بيت المقدس . واستكنه تولى ل ٣٠ أبريل سنة ١٢٤٠ قبل أن ينفذ بالاعمال مهام منصبه الجديد . انظر :

Vitry, J. de, The History of Jerusalem A. D. 1180. Translated from the Original Latin by A. Stewart (London, 1896), pp. III.

IV. — [المترجم]

(١) ترجم هذا النص إلى الإنجليزية د. س. مونرو ، أنظر Munro, D. C., The Mediaeval Student (University of Pennsylvania, Translations and Reprints, Philadelphia, 1899), p. 10 f. [المرفق] - أخطر الترجمة العربية لهذه القطعة فى الملاحق الرابع بآخر القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

ولأنهم يأتون المنكر والفحشاء في حفلاتهم . أما النورمان فلا وزن لهم إلا في المباهاة والمفاخرة الكاذبة . وأما أهل بواتيه فهم خونة ومغامرون دائماً . واعتبروا البرجنديين سفلة وأغبياء . كما عرف عن سكان مقاطعة بريثاني أنهم قوم هوائيون لا يثبتون على رأى ولا يقنون على حال ، وهم متقلبون وكانوا عملاً للتأديب بسبب مقتل [المملك] آرثر .^(١) وكان يطلق على اللبارديين البخلاء المحبون للبال الاشرار الجبناء . أما الرومان فهم متمردون مشاغبون مفقرون ؛ وأما أهل صقلية فهم قوم طغاة يشتهرون بالقسوة والعنف . ويمشق أهالي بربانت سفك الدماء وإفارة الفتن ، وهم أيضاً لصوص وقطاع طرق ومقتصبون . والفلسكيون هوائيون مترددون مسرفون نهمون ناعمون كالزبد كسالى . وبعد مثل هذه الشتمات والألفاظ البذيئة كثيراً ما كانوا يتصارفون بالأيدي .

والعهد college ، هو أحد مراكز العلم الجامعية الأخرى في باريس ،

(١) ظهرت شخصية الملك آرثر خلال الكفاح الطويل بين البريطانيين والسكسون ؛ وقد اختلفت آراء المؤرخين حولها ، وهل هي شخصية حقيقية أم أسطورية . وعلى أى حال ، يرى البعض أن آرثر هو بطل الجانب المطلوب في ذلك الكفاح . وقد ملأت شخصيته النفوس بالإعجاب ، وسمت قصته هي أعظم وأبقى ما خلفه السكسون في ثقافة والآداب الأوروبية ، كما خدمت مادة خصبية مماوها السكاب والمؤرخون الإنجليز في كتبهم وتآليفهم فيما بعد . وفي القرن الثاني عشر ألف الكاتب حورفى أوف مونماوث Geoffrey of Monmouth كتاباً باسم « تاريخ ملوك بريطانيا » تناول فيه قصة الملك آرثر التي أخذت منذ ذلك الحين طريقها في المؤلفات التاريخية . أهمل من ذلك راوس (١) : التاريخ الإنجليزي — الله إلى العربية الدكتور محمد مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٤٦) ، ص ١٩ و ٦٠ ؛ راجع أيضاً :

Trevelyan, G. M., A Shortened History of England (Dylebury, 1960), pp. 41, 44 ; Maurois, A., Histoire d'Angleterre (Paris, 1937), pp. 24, 38 . [المترجم]

ويرجع تاريخه إلى القرن الثاني عشر . وكان في الأصل مأوى أو مكاناً للإقامة أوقفت عليه الهبات والعطايا . وسرعان ما أصبح المعهد وحدة راسخة من وحدات الحياة الأكاديمية في كثير من الجامعات . وكان هدف المؤسسين لتلك المعاهد المبكرة هو العمل على ضمان المأكل والمأوى لطلاب العلم الفقراء الذين لا قدرة لهم على دفع المصروفات والرسم من حبيبهم الخامس (١) . بيد أنه مع مرور الزمن أصبحت تلك المعاهد مراكز عادية للحياة والتعليم ، وقد استوعبت داخل جدرانها الكثير من حركة النشاط الجامعي . لقد كان للمعاهد مبان وأوقاف ، في حين أن الجامعة لم يكن لها مبان أو أوقاف . وفي تاريخ مبكر كان يوجد في باريس معهد يرجع تاريخه إلى عام ١١٨٠ م ، وحوالي عام ١٥٠٠ م كان يوجد ثمانية وستون معبداً ، وظل هذا النظام قائماً حتى الثورة الفرنسية [سنة ١٧٨٩ م] ليخلف وراءه في يومنا هذا مجرد أنقاض المباني أو بعض الأسماء المحلية مثل السوربون ، وهو الذكرى الوحيدة لمعهد السوربون الذي أسسه معرف (٢) الملك القديس

(١) Rashdall, op. cit., I, p. 500. [المؤلف] أنظر أيضاً ما سبق

ص ١٢٦-١٢٨ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم]

(٢) معرف القديس لويس هو جوفرا دي باييه Geoffroi de Beaulieu ، وهو راهب دومينيكان وألف الملك الفرنسي في حملة على مصر وثق إلى جانبه في بلاد الشام بعد هزيمته على صفاء النيل . أنظر عن ذلك جوزيف نعيم يوسف : المدون الصليبي على مصر (الاسكندرية ١٩٦٩) ، ص ٩ ، والمدون الصليبي على بلاد الشام (الاسكندرية ١٩٧١) ، ص ١٦-١٧ ، راجع أيضاً Michaud, M., Histoire des Croisades, vol. VI, pp. 199, 208 f ; Molinier, A., Les Sources de l'Histoire de France, vol. III (Paris, 1903), p. 116. أما المعرف الآخر المذكور الفرنسي فهو روبرت السوربوني الذي ينسب إليه معهد السوربون ، وهو المقصود هنا طبعاً . انظر LaMonte, op. cit., p. 571 ; Funck-Brentano, op. cit., p. 202. [المترجم] .

لويس^(١) في القرن الثالث عشر الميلادي . وكان لكثير من الجامعات الاخرى في القارة الأوروبية معاهدها التابعة لها ، ومن بينها المعهد الاسباني القديم في بولونيا ؛ ولا يزال هذا المعهد قائما يعمل على إدخال البهجة والسرور إلى قلوب العدد الضئيل من الشيايب الأسباني الذي يقد إلى ساحته الهادئة . وما لاشك فيه أن الشكل الأخير للمعهد أو المدرسة الجامعة يتمثل في كل من اكسفورد وكامبريدج بالجزائر ، حيث تتضح فيها السمات المميزة تماما للحياة الجامعية . وقد انتقلت هذه المعاهد لنفسها — على سبيل المثال — حق القيام بواجب التعليم كله ، فضلا عن إشرافها على الحياة الاجتماعية للطلبة ، إلى أن غدت الجامعة مجرد هيئة أو جهاز لأداء الامتحانات ومنح الدرجات العلمية . ويرجع تاريخ أقدم البيوت العلمية مثل كل من بيت باليول Balliol وبيت هاوز (البيت البطرسى) Peterhouse إلى القرن الثالث عشر الميلادي .

لقد تمتعت باريس بمكانة رفيعة في القرون الوسطى باعتبارها مدرسة اللاهوت . ولما كان علم اللاهوت هو موضوع الدراسة الأسمى وقتذاك ، فقد أطلق على هذه المدرسة اسم « سيدة العلوم العليا » ، « Madame la haute science » ،

(١) هو الملك الفرنسي لويس التاسع حفيد ليليب أوغسطس ، حكم من سنة ١٢٢٦م حتى سنة ١٢٧٠ م . وقد اشتهر بحملاته الثلاث التي قام بها خلال حكمه : الأولى ضد مصر (١٢٤٨ - ١٢٥٠ م) ، والثانية ضد بلاد الشام (١٢٥٠ - ١٢٥٤ م) ، والأخيرة ضد تونس بعمال افريقية (١٢٧٠ م) . ومن الملك وسيرته وحملاته ، أنظر جوزيف نيم يوسف : المدونة الصليبي على مصر ، وخاصة ص ٣ وما يليها ؛ والمدفون الصليبي على بلاد الشام ، وخاصة ص ١ - ٤٣ ؛ راجع ايضا كودون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ١٣٩ و ج ٣ . [المترجم] .

وهذا يعني أنها كانت رفيعة القدر والمكانة باعتبارها جامعة . ولقد جرى القول
المأثور القديم وهو أن « البابوية كانت عند الإيطاليين ، والإمبراطورية عند
الألمان ، والعلم عند الفرنسيين » . وكانت باريس هي المركز المختار للعلم والتعليم .
وكان طبيعيا جدا أن تصبح باريس منبعا لجامعات الشمال ونموذجا لها . وقد
ابتهقت جامعة أكسفورد [الانجليزية] عن هذا المصدر الأصلي في أواخر القرن
الثاني عشر . ومثلها مثل جامعة باريس ، ليس هناك تاريخ محدد لتأسيسها . أما
[جامعة] كامبريدج فقد بدأت بعد ذلك بفترة . هذا ، ولا ترجع أى جامعة
من الجامعات الألمانية إلى ما قبل القرن الرابع عشر . ومن المسلم به أنها كانت
تقليدا لجامعة باريس . ومن ثم عندما أسس الكونت روبرخت ^(١) Ruprecht
جامعة هايدلبرج عام ١٣٨٦ م — إذ تأسست مثل هذه الجامعات المتأخرة في
تواريخ معلومة محددة — اشترط أن تكون إدارتها ونظمها وتنظيماتها مطابقة
للأسلوب والأوضاع التي جرت العادة بمراعاتها في جامعة باريس ، وهي جامعة جديدة
بأن ينتج نهجها . وبوصفها أيضا صنيعة باريس ، فقد عملت على اقتناء خطاها بكل
السبل الممكنة ؛ وكانت تشتمل على أربع كليات ، ونفى بذلك أربع أهم ومدير ،
فضلا عن الإعفاءات والبراءات المقررة للطلبة وخدمهم ، وكذلك خطاء الرأس
والسراويل لمختلف الكليات مثلما روى في باريس ، ^(٢) .

(١) لمزيد من المعلومات عن روبرخت ، أنظر . LaMonte, op. cit.; p. 621.

[المترجم]

(٢) أنظر الترجمة الإنجليزية في كتاب Henderson, E. F., Select Historical Documents of the Middle Ages (London and New York, 1892), pp. 262 - 266.

وبنهاية المصور الوسطى كان قد تم إنشاء مالا يقل عن ثمانين جامعة في مختلف أرجاء أوروبا. (١) ولم يمر بعضها طويلا، كما تمتع عدد كبير منها بأهمية علمية فحسب، رثمة جامعات أخرى، مثل جامعة سالنو، ازدهرت لتصبح بعد قليل في عالم النسيان. ولكن بعض هذه الجامعات يتمتع بتاريخ حافل متصل يمتد عبر قرون طويلة من الشهرة الواسعة والحسب الدائع، مثل جامعات باريس، ومونتبلييه، وبولونيا، وبادوا، واكسفورد، وكامبريدج، وفيينا، وبراغ، وليزيچ، وكويمبرا، وسالامنكا، وكراكاو، ولوفان. هذا، وقد اقتضت جامعات أوروبا الكبرى التي تأسست في فترة متأخرة مثل جامعات برلين، وشتراسبورج، وأدبره، ومانشستر، ولندن، خطى النماذج القديمة من حيث تنظيمها. أما في أمريكا فإن المعاهد المبكرة الخاصة بالتعليم العالي كانت نسخة مكررة من المعهد الانجليزى المعاصر لها، في وقت كانت فيه الجامعة في إنجلترا قد حجبها المعاهد التي كانت تتألف منها تلك الجامعة وقد ألقت بظلالها عليها. غير أنه عندما قامت أمريكا بإنشاء الجامعات في أواخر القرن التاسع عشر، انجذبت بعصرها نحو الجامعات الأوروبية، ومن ثم انغمست مرة أخرى في أعماق الإرث القديم. وكان ثمة إحساس لا يزال باقيا يتعلق بالتقليد الجامعى العام في العصر الكلاسيكى،

(١) توجد قائمة بهذه الجامعات في كتاب راشدال عن الجامعات، أنظر Rashdall, op. cit., I, XXIV. كذلك توجد خريطة خاصة بالمراكز التعليمية في بداية الجزء الثانى من الكتاب سالف الذكر، وخريطة أخرى في كتاب Shepherd, Historical Atlas (New York, 1911) p. 100. [المؤلف] وكنا هنا مزود بخريطة تفصيلية بالمراكز الفكرية في أوروبا في المصور الوسطى بآخر القسم الأول منه، أنظر أيضا الترخيص البابوى بإنشاء جامعة أفينيون سنة ١٣٠٣ م في المجلد السادس من ١٧٦-١٧٨ بآخر القسم الأول من كتابنا هذا [المترجم].

لأن مرسوم المعهد الرودى Rhode Island College الصادر عام ١٧٦٤ م يمنح « نفس الامتيازات والرتب والحريات والإعفاءات التي تتمتع بها المعاهد الأمريكية والجامعات الأوروبية . »

فأهو ، إذن ، ترانثا من بين أقدم الجامعات ؟ إن هذا التراث ، في المرتبة الأولى ، ليس مثلاً في مبان أو في أعمال هندسية . ذلك أن الجامعات المبكرة لم يكن لها مبان خاصة بها ، ولكنها كانت تستخدم في المناسبات قاعات خاصة أو السكنائى المجاورة . وقد تم متأخراً في عام ١٧٧٥ م بناء أول كنيسة معمودة في بروفدانس ^(١) Providence ، ليتسنى للجميع عبادة الله العلى العظيم ، فضلاً عن الشروع للتدريس فيها . ، وفي الحقيقة إن من يبنى الحصول على فكرة متكاملة عن الحياة في الجامعات القديمة ، لن يجد سوى عوفاً ضئيلاً فيما ظل منها باقياً [حتى اليوم] ، فلم تحفظ سائر مبانى آثار من جامعتها ، ولو أن كاتدرائيتها القديمة النادرة حيث يرتقد هيلدبراند ^(٢) في مثواه ، لا بد وقد شاهدت تفرج أجيال عديدة من الأهلئ الأدهئاء . وإننا نتطلع في قاعات جامعة بادوا ذات القباب العديدة ، إلى عصر النهضة وليس إلى القرون الوسطى . وحتى جامعة

(١) بروفدانس هي عاصمة الجزيرة الرودية Rhode Island بأزلايات المتحدة الأمريكية . وتتماز بأنها ميناء بحرى هام ومركز صناعى وتجارى مشهور . وهي مفيدة فوق ثلال ثلاثة تقع فوق أحدها الجامعة المعروفة باسم جامعة براون Brown University . أنظر مقال « بروفدانس » في دائرة المعارف البريطانية (طبعة هيكاجو ، سنة ١٩٦٤) ، ج ١٨ ، ص ٦٤٦ - ٦٤٧ . [المترجم]

(٢) المقصود البابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) الذى استقلت البابوية في عهده استقلالاً تاماً في الناحيتين الدينية والسياسية . وكان راهباً من أصل توسكانى اسمه هيلد برانه . وفي عهده بدأ الصراع العنيف بين الإمبراطورية والبابوية أيام الإمبراطور

بولونيا ، التي أخرجت رجال بولونيا المثقفين ، ^(١) والمعروفة بأبراجها المائلة وقبواتها المشبعة بالرطوبة ، لم تترك هي الأخرى أية بقايا مادية تكشف عن هندسة بناء جامعتها قبل القرن الرابع عشر . وإن أقدم الآثار التذكارية لاساتذة القانون بها والتي تم جمعها وحفظها الآن في متحف البلدية ، إنما ترجع إلى ذلك التاريخ . ^(٢) كذلك لم تحتفظ كل من جامعتي مونتبلية وأورليان بأية آثار ترجع إلى هذه الفترة من الزمن . وأما باريس التي لم تكن تمنى دائما بماضي تاريخها الحافل ، بوصفها اليوم أن تقدم لنا كنيسة القديس جوليان المسكين Saint-Julien-le-Pauvre حيث كانت تمقد اجتباكات الجامعة في معظم الأحيان ، ما لم تدخل في الاعتبار ، كما يجب أن يكون ، الكاتدرائية الكبرى في المدينة القديمة التي أقيمت منها الجامعة أصلا . ^(٣) ولم يبق من النار البطرسية (بيتر هاوس) ، وهي أقدم معهد علمي في كامبريدج ، سوى جزء من أقدم مبانيها . وإن أعظم أثر في جامعة كامبريدج وهو الكنيسة الصغرى في كينجز كوليدج King's College ، إنما يرجع إلى أواخر القرن الخامس عشر . وتؤكد جامعة أكسفورد أكثر من غيرها من الجامعات الأخرى ، أحقق الأساس بالاستمرار والترابط بين حاضرها وماضيها القديم . فها هي أكسفورد في عصر

== الألفين حتى الرابع حول المسائل المالية . انظر من ذلك Runciman, S., A History of the Crusades, vol. I (Cambridge, 1954), p. 198 f. ; Daniel - Rops, L'Eglise de la Cathédrale et de la Croisade (Paris, 1952), p. 541 f. [المترجم]

(١) هذه ترجمة المصطلح اللاتيني Bononia doctis ، والمقصود لهما بولونيا . [المترجم]

(٢) أي القرن الرابع عشر [المترجم] .

(٣) المقصود كاتدرائية نورث دام [المترجم] .

مضى أرنولد (١) Matthew Arnold «لها هيبتها واحترامها ، بديعة للغاية ... وقد انطبعت في أعماق الضمور والوجدان وهي في موقعها ، وانتشر ضوء القمر ليلا حداثتها ، بينما تهمس أبراجها بآخر مفاتيح وسحر القرون الوسطى » . ومع ذلك ، فنيا يتعلق بمبادئ المبدأ الحقيقية ، فإنها تتضمن المعنى والمضمون أكثر مما تفنى القرون الوسطى نفسها . هذا ، ولا ترجع مبادئ جامعة ميرتون Merton الحالية ، وهي التي اتخذت شكل المعهد العلبي في أكسفورد ، إلى أبعد من سنة ١٣٠٠ م . ولا يوجد في أي مكان آخر الكثير من البقايا والآثار التي ترجع إلى القرن الرابع عشر . وإن أجماد جامعة أكسفورد وعظمتها مثل مكتبة بودليان Bodleian وبرج مجدالين Magdalin وقاعة كنيسة السيد المسيح — كل هذه الخلفات ترجع إلى عصر متأخر عن ذلك بكثير ، وهو عصر أسرة تيودور ، (٢) وذلك عن طريق التقدير الحسابي البسيط بالنسبة للآزمنة الحديثة . وعندما نقول ياله من أثر يرجع إلى العصور الوسطى ، فإنما نعني — عادة — أنه يرجع إلى عهد أسرة تيودور فحسب .

ولا يمكن استمرار الجامعات في المظهر أو الاحتفالات الأكاديمية ، وذلك على الرغم من المناسبات التذكارية العارضة مثل تسليم الدرجات العلمية عليها

(١) مضى أرنولد (١٨٢٢ - ١٨٨٨) شاعر وأديب وفقيه إنجليزي معروف عاش في القرن التاسع عشر . وهو ، أيضا ، من كبار رجال التعليم في زمانه . له إنتاج وثير ومشهور في مجال الأدب والفكر ، فضلا عن تفاعله الهامة في شؤون العلم والتعليم والتي تضمنت عاليا المهام التعليمية الرسمية التي ترسل إليها أهمية كبيرة . انظر رسالة « أرنولد (مضى) » في دائرة المعارف البريطانية (طبعة شيكاغو ، سنة ١٩٦٤) ، ج ٧ ، ص ٤٦٦ وبعدها .

[المرجع] .

(٢) حكمت أسرة تيودور الإنجليزية من سنة ١٤٨٥ م إلى سنة ١٦٠٣ م . [المرجع]

خاتم الجامعة أو مشفوعة بقبلة السلام، أو مثل تحديد مواعيد الامتحانات بواسطة الساعة الزجاجية التي شاهدها قائمة في جامعة كويمبرا Coimbra البرتغالية . ويحمل الزى الجامعي بعض العناصر التقليدية حيث يعتبر الزى اليومي كما هو الحال في جامعات أكسفورد وكامبريدج وكويمبرا . وفي أمريكا خرج أجدادنا على هذا التقليد . ويعتبر الزى الرسمي الشائع في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم وهو غطاء الرأس والروب أَمْراً من آثار جامعة البانيا الحديثة أكثر مما هو من عطلات جامعة باريس أو جامعة بولونيا في العصور الوسطى . ولقد تغيرت الأزياء حتى التي كانوا يتزونها في منازلهم القديمة . ويقول راشدال (١) إنه « من المحتمل أن الرداء الجامعي في جامعة أكسفورد اليوم لا يماثل زى العصور الوسطى » . ولم يعرف طالب جامعة بادوا في العصر الوسيط شيئاً يشبه موكب الاحتفالات المتنوعة الذي طاف شوارع المدينة في صيف العام الماضي . (٢) ولو قدر لروبرت السوربون (٣) Robert de Sorbon أن يمشي اليوم لاحتارته الدهشة عند رؤية مثل هذه الأنماط والتماذج لتلك الأروبة الفخمة الزاهية التي لا تمت إلى العصور الوسطى بصلة ، والتي وجدت مكانة في مسرح القاعة الكبرى بجامعة السوربون عندما تسلم الرئيس ويلسون Wilson الدرجة الفخرية من الجامعة المذكورة في عام ١٩١٨ م .

Op. cit., vol. III, p. 391 f.

(١)

(٢) لما كانت أولى طبقات هذا الكتاب بهذه الأصلية ترجع إلى سنة ١٩٢٣ م ،

فلابد أن هاسكتز يقصد صيف عام ١٩٢٧ م [المترجم] .

(٣) دوبرت السوربون هو معروف لويس التاسع ملكه فرنسا ومؤسس أشهر المعاهد

الباريسية وهو معهد السوربون الذي شيد سنة ١٢٥٨ م لسكني يتيم فيه ١٦ طالباً تخصصوا

في دراسة اللاهوت ، وكان كل أربعة منهم يمثلون أمة من الأمم . وأخذ هذا المعهد يستـ

ولكننا ، مع ذلك ، نحمد التقاليد الجامعية واضحة تماما في أنظمة [جامعات
المصور الوسطى] . فنجدها : أولا ، في اسم الجامعة نفسها باعتبارها مجتمعا
من الأساتذة وطلاب العلم يقود المسيرة العامة للعلم والتعليم . ولن نجد عالم العصر
الحديث الذي يتميز بالفردية شيئا آخر يستمضيه به عن مثل هذا الاتحاد الذي
هو من سمات وخصائص المصور الوسطى . ثم أن الإحاطة بطائفة من الأمور
التي استقرت بصفة نهائية فيما يختص بموايد المحاضرات والموضوعات التي يتم
الامتحان فيها في امتحان يؤدي بدوره إلى الحصول على الدرجة العلمية - كل هذه
للمسائل تحصلنا لنذكر إلى أي حد هي مطابقة لكثير من الدرجات العلمية مثل درجة
الليسانس أو البكالوريوس باعتبارها مرحلة تؤدي إلى الأستاذية ، ثم درجتى
الماجستير والدكتوراه في الآداب أو القانون أو الطب أو اللاهوت . وتأتي بعد
ذلك التكميات وهي أربع كليات أو أكثر ، بمصناتها وكبار موظفيها مثل الرؤساء
والمدبرين ، وذلك بصرف النظر عن البيوت الجامعية [التي انخفضت بالتدريج صفة
المعاهد العلمية] حيث لا تزال مثل هذه البيوت الخاصة بإيواء الطلبة باقية .

وإن الجوانب الرئيسية في التنظيم الجامعي واضحة لا تحصى ، الظن فيها ، وقد
تم تناقلها من السلف إلى الخلف دون انقطاع وفي اتصال مستمر . وظلت باقية
أكثر من سبعمائة سنة . وللمسألة أن يقول : أي شكل من الحكومات قد مرر إلى
مثل هذا المدي ؟ ومن المحتمل جدا ألا يكون ذلك هو فصل الخطاب ، فليس

بذلك يتسع وزداد عدد الطلاب المقيمين فيه . وقد أحصى روبرت اسمه لشم الدراسات
الأدبية بجامعة باويس التي يعرف الآن باسم الموربون . أظن ، LaMonte, op. cit., p. 571. ، ولقد زيد من المعلومات عنه ، أظن : في المرجع ، ص ٥٧٢ - ٥٧٤ ، وكذلك
ص ٢١٢ و٢١٥ و٢١٦ من هذا الكتاب . [الترجمة] .

هناك شيء في هذا العالم [الذي نعيش فيه] يسير دون توقف . غير أن هذه الأنظمة كانت شديدة الصلابة والثبات وصالحة لاستخدامها والإفادة منها . ثم أنه من الممكن أيضا إساءة استخدامها . مثال ذلك جامعة برايس Bryoe's University التي تشتمل على كلية « تتألف من مسر جونسون ومنى » ، أو « الجامعات الرائدة الإحدى عشر » التي تتميز بوضع خاص في وسط الغرب الأوروبي . وفي أزمان متباعدة كان النقد يوجه إلى الجامعات إما لتمايلها وترغفها ، وإما لتكريس كل وقتها وجهدها لعمليها ، وإما لكونها شديدة السهولة شديدة القسوة ، ولقد بذلت جهود فعالة في سبيل إصلاحها عن طريق إلغاء شروط الالتحاق بها ، أو التناضح عن الأمور التي لا تؤدي مباشرة إلى الحصول على لقمة العيش . غير أنه لم يقسن الحصول على بديل الجامعة في صميم عملها الذي يشتمل على تدريب طلاب العلم ، والحفاظ على التقليد القائم على الدراسة والبحث . وتكون عظمة جامعة «المصور الوسطى» ، حسبما يقول راشدال (١) في أنها نذرت نفسها العلم ، ولم تختف «عظمة الإلهام» بعد من هذا العالم . واقد قيل «إن جامعة المصور الوسطى هي المدرسة في روحها الحديثة» . وسيكشف الفصل التالي كيف استطاعت الجامعات المبكرة القيام بأعباء هذا العمل الكبير .

بعض المراجع للنقل الأول

(أولا)

مراجع عامة عن جامعات العصور الوسطى والمداخل إليها.
١ - المدارس التابعة للمؤسسات الدينية

- Aspinwall, W.B., *Les écoles épiscopales et monastiques de l'ancienne province ecclésiastique de Sens du VIe au XIIe siècle*. Paris, 1904.
- Clark, J.M., *The Abbey of St. Gall*. Cambridge, 1926.
- Clerval, A., *Les écoles de Chartres au moyen âge du Ve au XVIe siècle*. Chartres, 1895.
- Doren, R. Van, *Etude sur l'influence musicale de l'abbaye de Saint-Gall (VIIIe au XIe siècle)*. Louvain, 1925.
- Giesebrecht, W., *De litterarum studiis apud Italos*, 1845.
- ولكتاب جيز برشت ترجمة باللغة الإيطالية تحمل اسم :
- Giesebrecht W., *L'istruzione pubblica in Italia nei primi secoli del medio evo*. An Italian translation by C. Pascal. Florence, 1895.
- Graham, R., "The Intellectual Influences of English Monasteries between the Tenth and Twelfth Centuries," *Trans. Royal Historical Society, New Series*, XVII (1903), pp. 23-64.
- Joynt, M., *The Life of St. Gall. A Translation of the Work of Walafried Strabo with an Introduction on the History of the Abbey of St. Gaul and its Library*. London, 1927.
- Rhoumeau, C.S. de, *L'abbaye de Saint-Léonard de Ferrières, ordre de Saint-Benoît, diocèse de Poitiers*. Paris, 1926.
- Loew, E.A., *The Beneventan Script : A History of the South Italian Minusculæ*. Oxford, 1914.
- Maitre, L., *Les écoles épiscopales et monastiques de l'Occident depuis Charlemagne jusqu'à Philippe Auguste*. Paris, 1866.

- Ozanam, A., "Des écoles et de l'instruction publique en Italie aux temps barbares," Documents inédits, 1850.
- Salvioli, G., L'istruzione pubblica in Italia nei secoli VIII, IX, X. Florence, 1896.
- Specht, F.A., Geschichte des Unterrichtswesens in Deutschland von den ältesten Zeiten bis zur Mitte des 13 Jahrhunderts. Stuttgart, 1885.

٧ - الخلفية الثقافية لجامعات العصور الوسطى

- Delhaye, P., "L'organisation scolaire au XIIIe siècle," *Traditio*, V (1947), pp. 211—268.
- Ferguson, W.K., *The Renaissance in Historical Thought*. Boston, 1948.
- أنظر بصفة خاصة الفصل الخامس عشر من الكتاب المذكور .
- Haskins, C.H., *The Renaissance of the Twelfth Century*. Cambridge, Mass., 1928.
- Panofsky, E., "Renaissance and Renaissances," *Kenyon Review*, VI (1944), pp. 201—234.
- Paré, G., Brunet, A. & Tremblay P., *La renaissance du XIIIe siècle: Les écoles et l'enseignement*. Paris and Ottawa, 1933.
- Powicke, F.M. (Pub.), *Ways of Medieval Life and Thought*. London (n. d.)

ويضمن هذا الكتاب عدة مقالات سبق لفرعنا سنة ١٩٤٩ ، ومن أهمها المقالات الأربع التالية :

- ١ - « بولونيا ، باريس ، أكسفورد : ثلاث مدارس جامعة » (ص ١٤٩ - ١٧٩) .
- ٢ - « بعض المشكلات في تاريخ جامعة العصور الوسطى » (ص ١٨٠ - ١٩٧) .
- ٣ - « جامعة العصور الوسطى في الكتيبة والمجتمع » (ص ١٩٨ - ٢١٢) .
- ٤ - « أكسفورد » (ص ٢١٢ - ٢٢٩) .

٣ - جامعات العصور الوسطى بصفة عامة

Denifle, H., Die Entstehung der Universitäten des Mittelalters bis 1400, vol. I. Berlin, 1885.

كان ديفيل يمتزم لإتمام هذا العمل الكبير في خمسة أجزاء ، ولكنه توفي عام ١٩٠٤ دون أن يحقق أمته .

D'Tracy, S., Histoire des universités françaises et étrangères, vol. I : Moyen Age et Renaissance. Paris, 1933.

Rashdall, H., The Universities of Europe in the Middle Ages, A revised edition edited by F.M. Powicke and A.B. Emden. 3 vols. Oxford, 1936.

ويعتبر كتاب راشدال المؤلف الرئيسى فى جامعات العصور الوسطى ، ولا فى منه لمصنف لهذا الموضوع ، وبخاصة ما يتعلق بجامعة أكسفورد وسياة الطلبة .

Schachner, N., The Mediaeval Universities. New York, 1938.

Thorndike, L., University Records and Life in the Middle Ages. New York, 1944.

وهو يشتمل على أقيم مجموعة متضمنة المادة الأساسية الأصلية عن الجامعات مترجمة إلى اللغة الإنجليزية .

(ثانيا)

لجامعات الإيطالية

١ - جامعة بولونيا

Calcaterra, Cl., Alma mater studiorum : L'Università di Bologna nella storia della cultura e della civiltà. Bologna, 1948.

ويعتبر هذا الكتاب من أحدث ما كتب عن تاريخ جامعة بولونيا.

Classani, G., Dell'antico studio di Bologna e sua origine. Bologna, 1888.

Cavazza, F., Le scuole dell'antico studio bolognese. Milan, 1896.

Chartularium Studii Bononiensis; Documenti per la storia della
Università di Bologna dalle origini fino al secolo XV. (since 1907).

Chiappelli, L., Lo studio bolognese nelle sue origini e nei suoi rapporti
colla scienza pre-irmeriana. Pistoia, 1888.

Fitting, H., Die Anfänge der Rechtsschule zu Bologna. Leipzig,
1888.

Ghirardacci, C., Della historia di Bologna. 2 parts. Bologna, 1596,
1657.

Hessel, A., Geschichte der Stadt Bologna von 1116 bis 1290. Berlin,
1910.

Malagola, Cl., I rettore delle Università dello studio bolognese.
Bologna, 1887.

Malagola, Cl., Monografie storiche sullo studio bolognese. Bologna,
1888.

Ricci, Cl., I primordi dello studio bolognese : nota storica. Bologna,
1888.

Sarti, M. & Fattorini, M., De claris archigymansii bononiensis
professoribus a saeculo XI usque ad saeculum XIV. 2 vols.
Bologna, 1888—1896.

وعلى الرغم من قدم هذا الكتاب ، إلا أنه لا يزال يحتفظ بقيمته .

Sedgwick, H.D., Italy in the Thirteenth Century. 2 vols. Boston,
1912.

أنظر ما كتبه المؤلف عن جامعة بولونيا في الجزء الأول من كتابه (الفصلان ١٦ - ١٧) .

Sorbelli, A., Storia della Università di Bologna : Il medioevo.
Bologna, 1940.

ويعتبر هذا الكتاب ، هو الآخر ، من أحدث ما كتب في تاريخ جامعة بولونيا .

Studi e Memorie per la storia della Università di Bologna. (since 1907).

Universitatis Bononiensis Monumenta. (since 1932).

Zaccagnini, G., La vita dei maestri e degli scolari nello studio di
Bologna nei secoli XIII e XIV. Geneva, 1926.

٢ — جامعة سالرنو (١)

- Kristeller, P.O., "The School of Salerno : Its Development and Its Contribution to the History of Learning," Bulletin of the History of Medicine, XVII (1945), pp. 138—194.
- Harrington, J., The School of Salernum. Reprinted by F.H. Garrison. London, 1922.
- وقدم لكتاب هارينجتون الكاتب فرنسيس ر. باكارد Francis R. Packard بكلمة لامت بذات أهمية .
- Hartmann, F., Die Literatur von Früh-und Hoch Salerno. Leipzig, 1919.
- Renzi, S. de, Storia documentata della scuola medica di Salerno. 2nd ed. Naples, 1857.

٣ — جامعة نابولي

- Schipa, M., La fondazione dell'università di Napoli e l'Italia del tempo. Naples, 1924.
- Torraca, F. & Others, Storia dell'università di Napoli. Naples, 1924.

٤ — مدرسة بافيسا

- Mengozzi, G., Ricerche sull'attività della scuola di Pavia nell'alto medio evo. Paris, 1924.

٥ — الجامعة الإيطالية في العصور الوسطى

- Coppi, E., Le università italiane nel medio evo, 3rd ed. Florence, 1886.

(ثالثا)

الجامعات الفرنسية

١ — جامعة أفينيون

- Caillot, R., L'université d'Avignon et sa faculté des droits au moyen âge (1303—1503). Paris, 1907.
- Marchand, J., La faculté des arts de l'université d'Avignon. Paris, 1897.

(١) تم تخطيط الأستاذ أخيرا حل مدرسة سالرنو بفصل الدراسات التي قام بها كل من جيياكوزا Giacosa وسودوف Sudhoff وللامته .

٢ — جامعة اورليانز

Himbenet, J. E., Histoire de l'université de lois d'Orléans, Paris, 1833.

٣ — جامعة باريس (١)

Allain, E., "L'université de Paris aux XIII^e et XIV^e siècles," Revue du clergé français, IV (1895), pp. 193—206, 308—322.

Aspinwall, W.B., Les écoles épiscopales et monastiques de l'ancienne province ecclésiastique de Sens du VI^e au XII^e siècle. Paris, 1904.

Bonnerot, J., "L'ancienne université de Paris, centre international d'études," Bulletin of the International Committee of Historical Sciences, I, Part V, no. 5 (1928), pp. 661—682.

Boulay, C.E. du (Buleans), Historia universitatis parisiensis a Carolo Magno ad nostra tempora. 6 vols. Paris, 1663—73.

قام بنقد كتاب بولاي الكاتب أ. فرانكلين في مؤلفه الممنون :

"Franklin, A., Les sources de l'histoire de France. Paris, 1877."

Boyce, G.C., The English-German Nation in the University of Paris during the Middle Ages. Bruges, 1927.

ويعتبر مؤلف بريس من أحسن ما كتب عن نظام « الأمم » في جامعة باريس في العصور الوسطى .

Budinsky, A., Die Universität Paris und die Fremden an derselben im Mittelalter. Berlin, 1876.

Crevier, J.B.L., Histoire de l'université de Paris depuis son origine jusqu'en l'année 1600. 7 vols. Paris, 1761.

Delague, R., L'université de Paris (1224—1244). Paris, 1902.

Denifle, H. & Chatelain, E. (eds.), Chartularium Universitatis Parisiensis. (since 1889).

Denifle, H. & Chatelain, E. (eds.), Auctarium Chartularii Universitatis Parisiensis. (since 1893).

ويتضمن هذان الكتابان المادة الأصلية المتعلقة بنظام « الأمم » في جامعة باريس .

(١) الحاجة ماسة إلى وضع مؤلف جديد عن تاريخ جامعة باريس في العصور الوسطى .

Desmaza, C., *L'université de Paris, 1200—1875 : La nation de Picardie; les collèges de Laon et de Preles; la loi sur l'enseignement supérieur*. Paris, 1876.

Douarche, A., *L'université de Paris et les jésuites (XVI^e et XVII^e siècles)*. Paris, 1888.

ويتم هذا الكتاب لتاريخ جامعة باريس في العصور الوسطى .

Dubarle, E., *Histoire de l'université de Paris*. 2 vols. Paris, 1844.

Féret, P., "Les origines de l'université de Paris et son organisation aux XII^e et XIII^e siècles," *Revue des questions historiques*, LII (1892), pp. 337—390.

وقد جعل ب. فريه المقالة الثالثة مقدمة لإنتاجه الفني المحدث :

"Féret, P., *La faculté de théologie de Paris*. 4 vols. Paris, 1894—97.

Follenay, Abbé P. de, *Notice historique sur l'école épiscopale de Notre-Dame de Paris*. Paris, 1878.

Gross, C., "The Political Influence of the University of Paris in the Middle Ages," *American Historical Review*, VI (1900—1901), pp. 440—445.

Halphen, L., "Les débuts de l'université de Paris," *Studi medievali*, VII (1929), p. 152 ff.

Halphen, L. & Others, *Aspects de l'Université de Paris*. Ed. by J. Calvet. Paris, 1949.

، P. Glorieux ، و ب. جلوريه ، *الكتاب هذه مقالات عامة بأقلام ل. هالغن ، و*

، و ج. دوپون - فريه ، G. Dupont-Ferrier ، و ج. لبراس ، و

س. ساماران C. Samaran .

Lacombe, G., *Prepositini cancellarii parisiensis (1206—1210) opera omnia*, I, *La vie et les oeuvres de Prévostin*. Kain, 1927.

Liard, L., "La vieille université de Paris," *Revue de Paris*, May, 1908, pp. 85—110.

Luchaire, A., *L'Université de Paris sous Philippe-Auguste*. Paris, 1889.

Mackay, D.L., "Le système d'examen du XIII^e siècle d'après le De conscientia de Robert de Sorbon," Mélanges Ferdinand Lot (Paris, 1925), pp. 491—500.

Powicko, F.M., Stephen Langton. Oxford, 1928.

Richomme, Cl., Histoire de l'université de Paris. Paris, 1840.

E. Dubarle، مجرد عرض مختصر لمؤلف ديبارل

Thurot, Cl., De l'organisation de l'enseignement dans l'université de Paris au moyen âge. Paris, 1850.

لا يزال كتاب ثورو — على الرغم من قسمة — من أحسن ما كتب عن جامعة باريس .

Valois, N., Guillaume d'Auvergne, évêque de Paris. Paris, 1880.

٤ — جامعة بروفانس

Bolin, F., Histoire de l'ancienne université de Provence (Aix) 1400—1793, d'après les manuscrits et les documents originaux. Aix, 1892.

٥ — جامعة تولوز

Barbot, E.J., Les chroniques de la faculté de médecine de Toulouse du XIII^e au XIX^e siècles. 2 vols. Toulouse, 1905.

Gadave, R., Les documents sur l'histoire de l'université de Toulouse et spécialement de sa faculté de droit civil et canonique (1229—1789). Toulouse, 1910.

Saltet, L., "L'ancienne université de Toulouse," Bulletin littéraire ecclésiastique, 1912 ff.

٦ — جامعة السوربون

Barran-Dirigo, L. & Bonnerot, J., La Sorbonne : six siècles de son histoire par l'image. Paris, 1928.

Bonnerot, J., La Sorbonne : sa vie, son rôle, son oeuvre à travers les siècles. Paris, 1928.

Chambon, F. (ed.), Robert de Sorbon, De conscientia et de tribus dietis. Paris, 1903.

- Franklin, A., *La Sorbonne : ses origines, sa bibliothèque*. Paris, 1875.
Gréard, O., *Nos adieux à la vieille Sorbonne*. Paris, 1893.
Longuemare, P. de, *Notes sur quelques collèges parisiens de fondation normande aux XIIIe, XIVe et XVe siècles*. Rouen, 1911.
Meric, E., *La Sorbonne et son fondateur*. Paris, 1888.

(رابعا)

الحاميات الإنجليزية

١ — جامعة أكسفورد

- Boase, C.W., *Oxford*. London, 1887.
Brodrick, G.C., *Memorials of Merton College*. Oxford, 1885.
Brodrick, G.C., *A History of the University of Oxford*. London, 1894.
Emden, A.B., *An Oxford Hall in Mediaeval Times, Being the Early History of St. Edmund Hall*. Oxford, 1927.
Headlam, C., *Oxford and Its Story*. London, 1912.
Lang, A., *Oxford : Brief Historical and Descriptive Notes*. London, 1890.
Little, A.G., "The Franciscan School at Oxford in the Thirteenth Century," *Archivum Franciscanum Historicum*, XIX (1926), pp. 803—874.
Lyte, H.C.M., *A History of the University of Oxford to 1530*. London, 1886.
Mallet, C.E., *A History of the University of Oxford*, Vol. I : *The Mediaeval University and the Colleges Founded in the Middle Ages*. London & New York, 1924.
Percival, E.F. (tr.), *Foundation Statutes of Merton College, 1270, with Subsequent Ordinances, from the Latin*. London, 1887.

- Salter, H.E., "The Medieval University of Oxford," *History*, N.S. XIV (1929), pp. 57—61.
- Vallance, A., *The Old Colleges of Oxford : Their Architectural History*. London, 1912.
- Vaughan, E.V., *The Origin and Early Development of the English Universities to the Close of the Thirteenth Century*, University of Missouri, Studies, Social Science Series, II, No. 2, 1908.
- Willard, J.F., *The Royal Authority and the Early English Universities*. Philadelphia, 1902.
- Wood, A.A., *The History and Antiquities of the University of Oxford*. Ed. by J. Gutch. 2 vols. Oxford, 1792—86.

٢ — جامعة كامبريدج

- Ball, W.W.R., *The King's Scholars and King's Hall*. London, 1918.
- Cooper, C.H., *Memorials of Cambridge*, 3 vols. Cambridge, 1884.
- Cooper, C.H., *Annals of Cambridge*, 5 vols. Cambridge, 1842—1908.
- Gray, A., *Cambridge and Its Story*. London, 1912.
- Gray, A., *Cambridge University : An Episodical History*. London 1926.
- Mullinger, J.B., *University of Cambridge from the Earliest Times to the Royal Injunction of 1535*, Vol. I. Cambridge, 1873.
ولا يزال هذا الكتاب حتى اليوم هو المرجع الأساسي عن جامعة كامبريدج .
- Mullinger, J.B., *History of the University of Cambridge*. London, 1883.
- Willis, R. & Clark, J.W., *The Architectural History of the University of Cambridge and of the Colleges of Cambridge and Eton*, 4 vols. Cambridge, 1886.

(خامسا)

للجامعات الألمانية

١ — جامعة أرفورت

Benary, F., Zur Geschichte der Stadt und der Universität Erfurt am Ausgang des Mittelalters. Gotha, 1919.

٢ — جامعة فيينا

Aschbach, J., Geschichte der Wiener Universität im ersten Jahrhundert ihres Bestehens. 3 vols. Vienna, 1865—1888.

٣ — جامعة هايدلبرج

Stöbber, E., Geschichte der medizinischen Facultät der Universität Heidelberg, 1368—1920. Heidelberg, 1926.

Thorbecke, A., Die älteste Zeit der Universität Heidelberg (1368—1449). Heidelberg, 1886.

٤ — الجامعات الألمانية بصفة عامة

Döllinger, J. v., Die Universitäten sonst und jetzt. Munich, 1867.

ولهذا الكتاب ترجمة بالغة الإنجليزية تحت اسم :

"Döllinger, J.v., The Universities New and Old. Oxford, 1867."

Kaufmann, G., Die Geschichte der deutschen Universitäten. 2 vols. Stuttgart, 1888, 1896.

(سادسا)

للجامعات الأسبانية

Arteaga, E., Esperabé, Historia de la universidad de Salamanca, Vol. I. Salamanca, 1914.

Braga, T., Historia da universidade de Coimbra. 4 vols. Lisbon, 1892—1902.

ويتناول الجزء الأول منه الفترة المبكرة من تاريخ جامعة كويمبرا ، التي تمتد من سنة ١٢٨٩ إلى سنة ١٥٥٥ م.

Fuente, V. de la, Historia de las universidades, colegios y demás establecimientos de enseñanza en Espana. 4 vols. Madrid, 1884—89.

Reynier, G., La vie universitaire dans l'ancienne Espagne. Paris, 1902.

ويتناول هذا الكتاب — أساسا — تاريخ جامعة سالامنكا .

(سابعاً)

الجامعات الأوروبية الأخرى

Delannoy, P., L'université de Louvain. Paris, 1915.

Essen, L. van der, Une institution d'enseignement supérieur sous l'ancien régime : l'université de Louvain (1425—1797). Brussels & Paris, 1921.

Essen, L. van der, & Others, L'université de Louvain à travers cinq siècles : études historiques, Brussels, 1927.

Noël, L., Louvain : 1891—1914. Oxford, 1915.

الفصل الثاني

أستاذ العصور الوسطى

الدراسات والكتب الدراسية :

الفنون السبعة الحرة - الكتب الدراسية في الفترة المبكرة من التاريخ
للموسيقى - حركة إحياء التراث الكلاسيكي في القرن الثاني عشر : صحتها
ثم خيوها - الاهتمام بالمنطق والقانون والبلاغة وغيرها من الدراسات
المستجدة - أرسطو ومقولاته - فن تدوين المكاتبات والرسائل وأهميته -
لم تعرف جامعات العصر الوسيط المعامل ، ولم يدرس فيها التاريخ
والعلوم الاجتماعية - مناهج الآداب - صعوبة دراسة اللاهوت - دراسة
الطب - الدراسات القانونية ومجموعة قوانين جستنيان المدنية ، - أهمية
دراسة القانون الكنسي - مرسوم جراشيان ولواحقه - الكتب المدرسية
والمراجع العامة - عدم الحاجة إلى المكتبات الجامعية .

التعليم والامتحانات :

أساتذة المعصور الوسطى وميكانيكية العلم والتعليم - بطرس إيلارد -
جون أوف ساليسبورى - برنارد أوف كليرفو - أساتذة النحو والمنطق
والعلوم الكلامية - طريقة التدريس وأسلوبه - قاعات الدراسة والمحاضرات -
الامتحانات .

النظام الجامعي والمخرجات .

المركز الاجتماعي لأساتذة العصر الوسيط - مفهوم العصر الوسيط
عن الحقيقة وحرية الفكر والتعبير عن الرأي - الاجتهاد العقل وموقف
السكنيسمة اللاتينية منه - الفلسفة واللاهوت ، ومدى التدخل في حرية العلم
والتعليم .

نتناول في الفصل السابق جامعة المصور الوسطى باعتبارها نظاماً من الأنظمة ؛
ونتناولها الآن بصفتها مركزاً ثقافياً. ويتضمن هذا الفصل عرضاً لمناهج الدراسة في
الجامعة ، وطرق التدريس فيها ، وأحوال أساتذتها وحياتهم. ويلاحظ أن عنصر
الاستمرار الذي يتضح تماماً في الأنظمة والقوانين ، نجده في الغالب أقل وضوحاً
بالنسبة لنحوى التعليم ومضمونه. ومع ذلك فإن الاتصال هنا غير منقطع ؛ ثم إن
أوجه الخلاف بين جامعات المصور الوسطى والأحوال السائدة في الجامعات الحديثة
أقل مما نظن أو نعتقد .

هذا ، ويتضمن الأسس التي ارتكز عليها التعليم في المصور الوسطى المبكرة -
حسب رأينا - ما يطلق عليه اسم القنون السبعة الحرة ، ثلاثة منها هي الإجمورية
والبلغة والمنطق وتكون ما يعرف باسم « المجموعة الثلاثية » *trivium* . أما القنون
الأربعة الباقية فهي الحساب والهندسة والفلك والموسيقى وتعرف باسم « المجموعة
الرابعة » *quadrivium* ، وكانت المجموعة الأولى هي الأكثر أصالة ، وهما يبدأ
الطلاب دراسته. بينما تعتبر المجموعة الثانية أساسية بما فيه الكفاية. وفي فترة انحلال
العلم والتعليم القديم كان عدد هذه القنون محدوداً ، وكذلك كان الحال بالنسبة لمضمونها
الذي كان يخضع لمقاييس ثابتة. وقد وصلت هذه الآراء والأفكار برمتها إلى المصور
الوسطى بصفة خاصة في مؤلف وضعه شخص يدعى مارتيانوس كاپيلا (١)
Martianus Capella ، وهو يرجع إلى أوائل القرن الخامس الميلادي . وقد تم
صنط المعرفة في الفترة المتأخرة من العصر الكلاسيكي القديم حتى غدت جافة يابسة

(١) من رجال العلم المروثين في تلك الحقبة من الزمن ، ولغزير من المعلومات عنه ،
أنظر كتاب LeMonte, The World of the Middle Ages, pp. 81, 84.
أما أيضاً ما سبق ، ص ٤١ و ٤٥ و ٤٧ من القسم الأول من هذا الجلد . [المترجم] .

بما يتلائم والمدارك المحدودة وقتها . وكانت هذه العصور تعد كذلك دون وعى منها للأزمة التالية تلك الرزم الصغيرة المناسبة التي اعتبرت بمثابة القربان المقدس الذي يقدم للشرفين على الموت *vintionum* ، وذلك خلال الأيام العاصفة من العصور المظلمة . وكانت تلك المعرفة كلها تهريبا موجودة في عدد قليل من النصوص المختارة التي انتقل عن طريقها علم العالم القديم إلى العصر الوسيط . وبلغت الثقة في هذه السكتيات درجة كبيرة حتى أن قائمة بأسماء تلك التي كانت تستخدم في أى عصر تمدا بفهرس دقيق يكشف عن اتساع دائرة المعرفة ، كما يكشف عن طبيعة التعليم في حد ذاته . وكان ذلك العصر هو عصر الكتاب بكل ما فيه من تقدير للكتب الأصلية الموثوق بها ، وقد نهج في تعليمه نهج الكلمة المكتوبة .

١ كانت الكتب الدراسية في المدارس الديرية والكاتدرائية في الفترة المبكرة قليلة العدد وبسيطة في محتوياتها ، وبخاصة كتب أجرومية اللغة اللاتينية وقواعدها لكل من دوناتوس *Donatus* وبريسكيان *Priscian* (١) ، بالإضافة إلى عدد من كتب

(١) دوناتوس وبريسكيان من المتخصصين في أجرومية اللغة اللاتينية ، عاش أولهما في القرن الرابع بينما عاش الثاني في القرن الخامس . وقد تركا لنا عددا من المؤلفات في أجرومية اللغة اللاتينية ، وهي تتضمن القواعد الأساسية لهذه اللغة مع شرح وتفسير لها بالهديد من المصطلحات من أمثال: الكتاب اللاتين القدامى أمثال: قرجيل ومورايموس وأوفيدس وهيسرون وجوفينال وسالوست وغيرهم . ويكفي القول بأن الاقتباس من هؤلاء الكتاب في مؤلفات كل من دوناتوس وبريسكيان جعل أسماءهم ، إذ لم يمكن كتاباتهم أيضا ، مأودة لأجيال عديدة من الطلبة في مدارس العصور الوسطى ، أنظر عن ذلك *LaMonte, op. cit., pp. 75, 82, 572 ; Painter, A History of the Middle Ages, p. 467. [الترجمة]*

القراءة الأولى . وهذا ما يمكن أن يقال أيضا بالنسبة لسكتيات يوفيموس^(١) Boethius في المنطق والحساب والموسيقى ، فضلا عن كتاب صغير في البلاغة وآخر في المبادئ الأولى في علم الهندسة ، وبجمل علم الفلك الذي وضعه بيده الورد^(٢) Bede . ولم يكن هناك قطعا مؤلفات يونانية . وقد أخذت هذه

(١) عن يوفيموس ولذا نحتاجه ، أنظر ما سبق ، ص ٤٠-٤٣ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

(٢) ولد بيده سنة ٦٧٣ م وتوفي سنة ٧٣٥ م عن ٦٢ عاما . وهو أحد تلامذة بيسكوب ، وقد تفتت على يديه وقرأ تأليفه الدينية والعلمية التي كان قد أحضرها معه من روما عند مقدمه إلى إنجلترا . وقد جعلته هذه الثقافة فوق مستوى معاصريه وشكركم ، وأصبح يمثل خلاصة النتاج الفكري لرب أوروبا في الفترة الواقعة بين زوال الحضارة الرومانية القديمة عقب غزوات البرابرة وإبسام النهضة الكارولنجية بإحياء الامبراطورية الرومانية أيام شارلمان . والمعروف أن بيده قضى حياته في أحد الأديرة الإنجليزية وهو دير جاورو منكبا على القراءة والدراسة والتحصيل وتربية التلاميذ . وامتاز بحاسة تاريخية أصيلة لم تكن مبرورة في هذا الزمن المبكر، حيث لم يكن من السهل التمييز بين الحقيقة التاريخية والأساطورة الخيالية . وقد ألف كتابا عاما في التاريخ الكنسي للأمة الإنجليزية تناول فيه تاريخ الجزيرة وعلمها في العصر السكسوني والنفار المسيحية فيها . وما يذكر أن كتابه هذا تضمن بعض الآراء الجديدة فيما يخص تقديم الجنس البشري عن طريق العلم والدين . ويصير بيده - بحسب أول مفكر إنجليزي حر استطاع أن يخرج من ظلمات الصور الوسطى وأن يتحدث إلى العالم المبدئي موضوعات حتى متنوعة وفي دقة ووضوح كبيرين . أنظر من ذلك نظير حسان سمداني : تاريخ إنجلترا وحضارتها في الصور القديمة والوسطى (القاهرة ١٩٥٨) ، ص ٤٣ ، ٤٨ و ٤٩ . راجع أيضا : Woodward, E. L., History of England (London, 1957), pp. 25, 26; Whitelock, The Beginnings of English Society, pp. 11 - 16 ; Stenton, Anglo - Saxon England, pp. 10 f., 18 ff., 23 f., 185 ff. . أنظر أيضا ما سبق ، ص ٥١-٥٥ من القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

المجموعة الضخمة من الكتب في مختلف الفنون في القو والازدياد ، ويرجع الفضل في ذلك إلى نهضة القرن الثاني عشر التي أضافت إلى الحصيلة والمعرفة العديدة في الغرب كتاب الفلك لبطليموس Ptolemy وكل أعمال اقليدس Euclid وعلم المنطق لأرسطو (١) . هذا ، ونجد في نفس الوقت أنه تحت فرع الأجرومية — أي قواعد الفن — كان ثمة دافع قوي نحو قراءة وتعلم اللغة اللاتينية القديمة .

وتستحق حركة إحياء التراث الكلاسيكي هذه الذكر ، خاصة وأنهما ليست معروفة بالقدر الكافي . وقد تركت في المدارس الكاتدرائية مثل مدرسة شارتر ومدرسة اورليانز حيث لاحت روح الدراسات الإنشائية في شكل دراسة متقدمة الحماس للكتاب القدسي ، وفي إنتاج الشعر اللاتيني الذي يمتاز حقا بجودته الفائقة ، وقد ذكر علماء الدراسات الإنشائية المتأخرين أن بعض كتابات أسعد ارثلك الشراء وهو الأسقف هيلبرت أوف ليان (٢) Hildebert of Le Mans كانت خاطئة غير صحيحة بالنسبة للتراث الحقيقي القديم . . غير أن هذه الحركة اللاحقة الخاصة بإحياء التراث الكلاسيكي القديم لم تتمر طويلا ، فقد تم القنواء عليها وهي لا تزال في بدايتها نتيجة انتصار المنطق والدراسات التي تتميز بأنها

(١) ثم ثلاثة من علماء العصر الكلاسيكي القديم ، أولهم بطليموس الإغريقي وله نصوص في علم الفلك ، وثانيهم أقليدس وهو من علماء الرياضة ، وثالثهم أرسطو . أنظر من ذلك LaMonte, op. cit., pp. 288 f., 480, 560, 572. [الترجم]

(٢) هيلبرت أوف لاواردن أسقف ليان والذي أصبح بعد ذلك رئيس أساقفة نورز . وهو من كبار المحققين لآثار الكلاسيكي القديم ، ومن أنشأته مدرسة شارتر الفرنسية التي اشتهرت بتدريسها لفنون السبعة الحرة وبخاصة الأجرومية والبلاغة . أنظر من ذلك Painter, op. cit., pp. 447 f., 467. [الترجم] .

عملية أكثر من التراث القديم مثل القانون والبلاغة . وفي أواخر القرن الثاني عشر تناول جون أوف ساليسبورى^(١) رجال المنطق المعاصرين له بالذم والقدح ، كما هاجم معلوماتهم السطحية غير المنتمية في الآداب . ولقد اختفت الدراسات الأدبية اختفاء تاما في سياق الدروس الجامعية في القرن الثالث عشر . وعندما رجع شاعر فرنسي يدعى هنرى داندلي Henri d'Andeli حوالي عام ١٢٥٠م لصيدته المجهدة ، معركة الفنون السبعة « Battle of the Seven Arts » ، كانت الدراسات الكلاسيكية قد تقادم عليها الهدم وهي تحارب في معركة خامسة ضد الدراسات المستجدة المستحدثة ، وتعتبر عن ذلك إحدى القصائد التي جاء فيها :

المنطق أعجبه إليه الطلبة ،

أما الاجرومية فقد تنافس طلابها .

• • • • •

لقد تعالى القانون المدني في أبهة ،

وسار القانون الكنسي متفاعلا ،

والإنسان يصعدان كالة الفنون الأخرى .

وإذا كان إهمال كل من الآداب الكلاسيكية القديمة والآداب الشعبي يعتبر من الملاحم المثيرة للدهشة في سياق الدروس الجامعية في دراسة الفنون ، فثمة حقيقة ماثلة ومثيرة للفرابة هي الأخرى ، ونعني بها التركيز على المنطق أو علم اللسان . وكانت أقدم الأنظمة والقوانين الجامعية ، ألا وهي قوانين جامعة باريس الصادرة

(١) حول جون أوف ساليسبورى ، أنظر ، ماسبي ، ص ١٠٦ و ١٠٧ من القسم الأول

من هذا المجلد . [المترجم] .

عام ١٢١٥م، تنص على الرجوع إلى كل مؤلفات أرسطو في المنطق . وقد ظلت تلك المؤلفات خلال القرون الوسطى بمثابة العمود الفقري في مجموعة مواد الفنون المختلفة ، بحيث كان بوسع [الشاعر الإنجليزي] تشوسر Chaucer أن يتحدث عن دراسة المنطق باعتبارها أمراً ملازماً للمواظبة على الحضور والاستماع داخل الجامعة^(١). وهذا صحيح إلى حد ما ، لأن المنطق لم يكن مجرد موضوع كبير جدير بالدراسة وقائم بذاته فحسب ، ولكنه يفض إلى الموضوعات الأخرى باعتباره طريقة وأسلوباً ومنهجاً . فاضفى على الفكر في العصر الوسيط ريتنا مميّنا وطابعا مبرزاً . وقد أصبح علم القياس المنطقي والمناظرات والمحاورات ، ووسائل إدارة دقة النقاش ، سواء أكان ذلك في صالح رسالة يمينها أم ضدها — أصبح كل هذا هو المظهر المقلد لذلك العصر فيما يتعلق بالقانون والطب كما هو الحال بالنسبة للفلسفة واللاهوت . وكان المنطق المعنى ، بلا شك ، هو منطق أرسطو . وصرح أن ما تلا ذلك دراسة الأعمال الأخرى لهذا الفيلسوف التي تتابع الواحد منها تلو الآخر ، بحيث وجدنا أيضاً مواداً مثل علم الأخلاق Ethics وعلم الميتافيزيقيا أى ما وراء المادة Metaphysics ، تدخل ضمن مناهج الدراسة في جامعة باريس في عام ١٢٥٤ م . فحنلاً من مختلف المقالات والرسائل التي تتناول العلوم الطبيعية التي كان محرمًا على الطلبة دراستها في بداية الأمر : وقد غدا أرسطو في نظر

(١) استشهد المؤرخ هاسكنز في كتابه بيت من الشعر قاله جوفري تشوسر باللغة الإنجليزية القديمة، وهو "That un-to logik hadde longe y - go" وترجمته "ظل (أى الطالب) مدة طويلة يدرس المنطق " . وهذا البيت هو لبيت رقم ٢٨٦ من مقدمة تشوسر للنص كاتربري المروفة [المترجم] .

[الشارح الإيطالي] داتشي الجيجيري^(١) ، أستاذًا لأهل العلم والمعرفة ، ويرجع الفضل في ذلك إلى منتهاجه الشامل وعلمه الفزير ومعرفته الواسعة . ولما كان أرسطو هو دأب المعرفة المستمدة من المطالعة في الكتب ، وعيميد الشراح والمفسرين ، فليس هناك كاتب آخر غيره يمكن أن تلجأ إليه المصور الوسطى التي كانت تقدر الكتاب المدرسي وتحترم العرف الجاري فيما يتفق بالفكر السائد . وقد تم شرح وتفسير المذاهب والأفكار التي بدت خطراً على العقيدة ، مثل عدم فناء المادة ، أي أزليتها وخلودها . كما تم عن طريق هذا الفيلسوف الوثني إبتداع أساليب ومذاهب لما قدرها ووزنها في علم اللاهوت . وقد توارت عن الأنظار كل الأفكار ذات الطابع الأدنى عندما أصبح كل شيء يعتمد على الجدل والمحااجة دون سواهما^(٢) .

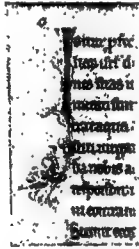
(١) ولد هاتشي سنة ١٢٦٥ م وتول سنة ١٣٢١ م ، وهو من أعظم المبافرة الذين أنجبهم المصور الوسطى ، ولنا نعرف الكثير من سنى حياته الأولى ، وكل ما نعرفه أن وطأة الحرمان التي فاسحا في الصغر قد تركت آثارها في مؤلفاته ومنها كتابه «الحياة الجديدة» وملحسته التصريف الائمة والكوميديا الإلهية ، وقد انكب داتشي على الدراسة والاطلاع ، كما طبع فيلسفة أوما الأكوزي وتاريخ أوروصيوس وملاحم فرجيل وستاتبوس . وهو يعتبر بمثابة لمركزة النهضة العلمية التي كانت أهدانا بها المصور الوسطى بمنحها وفلسفتها وأنكارها وبداية عصر جديد بأفكار وبادي جديدة مغايرة ، ولقى بذلك عصر النهضة . أنظر من ذلك Burckhardt, J., The Civilization of the Renaissance (London, 1944), p. 49 f.; Conlton, Medieval Panorama, p. 207 ff.; Hay, D., The Italian Renaissance in Its Historical Background (Cambridge, 1961), pp. 55 ff., 74 ff. [الترجم]

(٢) قيا يخلق بأثر أرسطو والنهضة الأرسطالية الجديدة ، ولها يخص بهم الترجمة والنتقال التراث اليوناني إلى أوروبا المسيحية ، أنظر عبد الرحمن بدوي: فلسفة المصور الوسطى (القاهرة ١٩٦٢) ، ص ٨٧ - ٩٢ . [الترجم]

وإذا كانت دراسة آداب اليونان والرومان القدماء قد اقتصرت على نماذج ومنتخبات من الكتب المختصة لإيضاح قواعد اللغة ، فقد كان مصير البلاغة مختلفاً بعض الشيء ، ويرجع السبب في ذلك إلى تطبيقاتها العملية . ولم تتميز الحياة الثقافية في القرون الوسطى بالمقدرة التلقائية الذاتية أو الطاقة الواسعة غير المحدودة في مجال التعبير الأدبي . وفلعل من الذين تمتعوا بمقدرتهم على الكتابة ، وعدد أقل من أولئك الذين كان يوسعهم تحرير خطاب ما . وأما الكتاب المحترفون ومسجلو العقود الذين قام على عاتقهم العبء الأكبر فيما يتعلق بتدوين المراسلات في العصر الوسيط ، فقد ربطوا بين فن تدوين الرسائل في ذلك العصر وبين فن البلاغة التقليدي الشائع المستقر . وكانت المدارس والدواوين هي المكان الذي يتعلم فيه الفرد كل ما يتعلق بتحرير المراسلات وغير ذلك من الأعمال الرسمية . هذا ، وقد تنقل العديد من الأساتذة الذين كان يطلق عليهم باللاتينية لفظة *dictatores* من مكان إلى آخر وهم يقومون بتدريس هذا الفن القيم ، الذي كان رجال الدين في أمس الحاجة إليه ، والذي كان مناسباً للربان ومشرفاً على البابين ، ، حسبما جاء على لسان أحد رجال البلاغة .

وحوالى القرن الثالث عشر وجد مثل هؤلاء الأساتذة أماكن لهم في بعض الجامعات ، وبخاصة في إيطاليا وجنوب فرنسا . وقد أطنوا عن بضاعتهم بأسلوب يمكن مقارنته بالمطالب التي يقتضيها سير العمل في العصر الحديث من حيث كونه مختصراً وعملياً ، وبدون إضاعة الوقت حيثما في الحديث عن كتاب العصر الكلاسيكي الذين يفوقونهم . بل يجب أن يكون كل شيء جديداً سريعاً جاهزاً في أى لحظة ، ومعدداً للتطبيق والاستخدام في نفس اليوم إذا اقتضت الضرورة . ومن قبيل ذلك

أن أستاذاً في [جامعة] يولوييا أخذ يستغف بدراسة شيشرون^(١) ، قائلاً بأنه
لم يكن يوسمه أن يتذكر أنه قرأ له ، وأخذ يعد بتدريب تلاميذه على كتابة
لوحة رقم (٦)



خطاب مزخرف

وبلاحظ أن النساخ كانوا يزخرفون بعض الخطابات
وبخاصة بداية الصفحات وبعدها مما يجعل على
قراءتها . وكان يستخدم اللون الأحمر عادة في زخرفتها .
[عطوبة لائنية برقم ١٦ ٧٤٣ - ٤٦ بالمسكبة
الأهلية بباريس] .

(١) حول شيشرون وسيرته وأعماله ومدى تأثير العصر الروماني به ، انظر المرجع
Cochrane, Christianity and Classical Culture, p. 38 ff.; التالية
Barrow, R.H., The Romans (Aylesbury & London, 1955), pp.
24, 69 ff., 155 ff. et sqq.; Wheeler, M., Rome Beyond the Imperial
Frontiers (London, 1955), p. 15; Carcopino, J., Daily Life in
Ancient Rome (Aylesbury, 1956), pp. 88, ٤0, 80, 1 20 f. et sqq.
[المترجم] .

الرسائل بكافة أنواعها ، وتحرير المستندات الرسمية التي كان يطلب من مسجل القود والسكرتارين وقتذاك تحريرها . وقد منحصر أمثال هؤلاء المعلمين ، كما سنرى في الفصل التالي ، في تدوين خطابات الطلبة ، وبخاصة الالتماسات التي تكشف عن الخدق والبراعة واللباقة من أجل الحصول على المال من الوالدين . ومرعان ماوضح للبيان فائدة اولئك المدرسين والحاجة العملية إليهم . ويقول أحد الكتاب « لنتخذ لنا مبحثاً اليوم مفاده أن تلميذاً فقيراً ناهياً يدرس في جامعة باريس في حاجة إلى أن يكتب إلى والدته في طلب المصاريف الضرورية ، ، أفلا يكون كل مستمع إليه واثقاً من أنه قد عثر في هذا المكان على أقل تقدير على « بغيته ومضاته المنشودة التي يسمى إليها ؟ » .

هذا ، وقد يستدعى أيضاً أستاذ البلاغة لكتابة مشروع لائحة الجامعة على قرار المنشور الدوري الصادر عام ١٢٢٩م بمعرفة أساتذة جامعة تولوز الجديدة، الذي أوضح تفوقها على جامعة باريس ، حيث يقوم اللاهوتيون بالتدريس من فوق المنابر وإلقاء الخطب عند أركان الشوارع . أما المحامون فإنهم يجدون جستنجان ، والأطباء يرفعون من قدر جالينوس^(١) . وهذا مايمكن أيضاً أن يقال بالنسبة لأساتذة الأجرومية والمنطق والموسيقين بآلائهم الوثيرة . أما

(١) اتركز الطب أساساً وفضلاً على أعمال جالينوس التي وصلت إلى العالم اللاتيني من طريق جيرار السكريموني Gerard of Cremona الذي فاض سيته في الثلث الأخير من القرن الثاني عشر ، وافته توفى سنة ١١٨٧ . وقد قام جيرار بترجمة حوالي ٧١ كتاباً مرفوفاً في الطب والملك والرياضيات وغيرها ؟ انظر من ذلك LaMonte, op. cit., pp. 559, 561, 572.

في باريس فقد حرم إلقاء محاضرات عن كتب الفلسفة الطبيعية ، وانخفضت الأسعار ، بينما الجهور ودود متضامن . وأصبح الطريق الآن مهداً باقتلاع جذور الهرطقة^(١) التي حلت عليها أرض تفيض لبنا وعسلا ، وتربع باخوس [إله الخمر] على عرش حقول الكرم ، بينما جلست سيرس Ceres [إلهة الحنطة والحرافة] في الحقول مستمتعة بالجو الهادي ، الذي يتوق إليه كبار الفلاسفة في ظل حرية تامة يتمتع بها كافة الأساتذة والطلاب . فن بوسه مقارمة مثل هذه الدعوة الصادرة من الجنوب ؟

وعلى الرغم من تذييل الأجرومية والبلاغة إلى مرتبة ثانوية ، وعلى الرغم من أن الدراسات الخاصة بالمجموعة الرباعية لم تلق سوى النذر اليسير من العناية والاهتمام—إلا أن مواد الفنون كانت أساساً دروساً في المنطق والفلسفة مضافاً إليهما العلوم الطبيعية بالقدر الذي يكفي لاستيعاب دكتب أرسطو في الطبيعة ، ، وذلك عن طريق أسلوب المطالعة المدرسية المتبع في العصور الوسطى . وكانت الجامعات نخالية من المعامل ، وظلك هكذا حتى نهاية العصور الوسطى بفترة طويلة . كذلك لم تعرف الجامعات مواد التاريخ والعلوم الاجتماعية إلا في فترة متأخرة . وكان استخدام الشدة هو القاعدة المتبعة فيما يتعلق بالتمرين والتدريب على مجموعة قليلة من الكتب عليها آثار الإبهام واضحة من كثرة الاستخدام وتقليب الصفحات . هذا ، وتؤدي دراسة الفنون ، عادة ، إلى الحصول على

(١) حول حركات الهرطقة في العصور الوسطى ، أنظر . A. S. Turberville, Mediaeval Heresy and the Inquisition (London, 1920), pp. 18 ff , 145 ff. ; Coulton, G. G., The Inquisition (London, 1929), p. 5 ff. [المترجم] .

درجة الماجستير خلال ست سنوات ، بينما يحصل الطالب على درجة البكالوريوس في فترة ما أثناء دراسته الجامعية . وكان الحصول على براءة الجامعة في الآداب يعنى الإعداد العام للدراسة المتخصصة اللازمة دو عالم اللاهوت والمألوفة لإعداد المحامين والأطباء . وهذا تقليد سليم لاغبار عليه ، لم يوجه إليه العالم الأمريكى إلا اهتماما ضئيلا للغاية .

وخلافا للفكرة الشائعة ، فقد كان طلبة اللاهوت قليل العدد بسببيا في جامعات المصور الوسطى ، لأن التدريب والتمرس على المسائل اللاهوتية التى تتيح لصاحبها الدخول في سلك الكهنوت لم يأتيا إلا مع حركة الإصلاح الدينى المضادة .^(١) وكانت شروط الالتحاق صعبة قاسية ، كما كان منيع الدراسات اللاهوتية نفسه طويلا . أما الكتب فكان ثمنها باهظا . حقا لقد كانت هذه الكتب في مجموعها هى الكتاب المقدس ، وكتاب الجمل Sentences لبطرس اليباردى .^(٢) وكان الكتاب

(١) حول حركة الإصلاح الدينى المضادة Counter-Reformation ، أنظر Cragg, G.B., The Church and the Age of Reason (Bristol, 1960), pp. 99 f., 212, 257, 262. [المترجم] .

(٢) هو تقليد ايبيلارد ، وقد ابع مذهب باستخدام المنطق . وكان يغفل وظيفة أسقفية باريس ، وقد قام بنشر تعاليم أستاذه ومبادئه التى ضمنها له كتابه المعروف باسم « كتاب الجمل » الذى غضا مصدرا رئيسيا في دراسة علم اللاهوت في الفترة الباقية من العصر الوسيط . ويثير بطرس اليباردى - بحق - أول قادة الفكر الفلسفى النقدي في المصور الوسطى . أنظر كسولتون : عالم المصور الوسطى في النظم والحضارة (الترجمة العربية) من ٢٢٤ و ح ١ . راجع أيضا ، ماسبي ، ص ١٠٣ و ح ١ من القسم الأول من هذا المجلد ، [المترجم]

المقدس خلال القرون الوسطى يتألف من عدة مجلدات ، وبخاصة عندما تلحقه شروح وتعليقات . وكان نسخ هذه المجلدات باليد عملية معنية باهظة التكاليف . وثمة طالب طموح في جامعة اورليانز كان بحاجة إلى المال لشراء الكتاب المقدس والبدء في دراسة علم اللاهوت ، نصحه والده بقوله إنه من الأفضل له أن يتجه نحو مهنة تدر عليه الربح ، وإنه في أحسن الظروف عليه أن يمار بالشكوى إلى رؤساء جامعة باريس من أن الطلبة يدرسون علم اللاهوت في سن متأخرة ، الأمر الذي يجب أن يكون « توأم شبابهم » .

وبالمثل كان الطب يدرس في الكتب وبخاصة في مؤلفات جالينوس وهيبوقراط ، مع ترجمة العرب لها وشروحاتهم وتعليقاتهم عليها ، ومن بين هؤلاء الطبيب العربي ابن سينا (١) الذي تبوأ المسكنة الأولى [في جامعات الغرب] بعد القرن الثالث عشر . وفي الحقيقة كان ابن سينا شديد الارتباط بالشرق ، لأنه متأخرا

(١) اختلف ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨ م / ٩٨٠-١٠٣٧ م) بالطب وبرع فيه منذ صباه ، ترك عدة مؤلفات في هذا الميدان ، من بينها « القانون » وهو موسوعة من خمسة كتب ضمنها كل ما يتعلق بالطب ، ولم يترك بابا إلا طرقه وأفاض فيه . وإلى جانب « القانون » كتب عدة رسائل في الطب مثل رسالة في الأدوية الطبية ، وأخرى في النبض ، وعالقة في الفولنج ، وغير ذلك . وله أيضا أراجيز طبية ، منها « الأرجوزة في الطب » التي تبلغ ألف بيت اختصر فيها التعاليم الطبية . ولعل أشهر تأليفه على الإطلاق هو « القانون » الذي يعتمد على كل ما يحتاج إليه الأطباء ، فكان بذلك أم مرجع في البصر الوسيط ، وأصبح يدرس في جامعات الغرب . وقد قام جيار الكريغوني بترجمة « القانون » في ملطلة إلى اللغة اللاتينية . كذلك ترجمت له رسالة « الأدوية الطبية » في القرن الثالث عشر و « الأرجوزة في الطب » . وبكفي أن جامعات أوروبا اتخذت « القانون » مرجعا أساسيا لتعليم الطب . وكانت جامعة بولونيا هي أول من اعترف به رسميا كمرجع في تدريس الطب في القرنين

في عام ١٨٨٧ م كان غالبية الأطباء المواطنين في عاصمة الفرس د لايرفون عن
الطب شيئا سوى طب ابن سينا ، (١) وإذا استثنينا بعض التقدم الذي أحرزه
علما التشريح والجراحة في عدد من مدارس الجنوب [الأوروبي] مثل بولونيا
ومونتبلية ، فلم تحض جامعات العصور الوسطى جديدا إلى المعرفة الطبية ،
لأنها لم تمكن من بين موضوعات الدراسة التي تتلائم ومنهجهم السائد من حيث
التسك بحرفية اللفظ والقياس المنطقي (٢) .

== الثالث عشر ، حيث أنفتحت في تلك الجامعة عام ١٢٦٠ م كلية العلوم ، ومنذ ذلك الحين
بدأ « القانون المدني » يتزو جامعات أوروبا ومدارسها حتى أصبح يمثل نصف المقررات
الطبية في سائر الجامعات الأوروبية . وأواخر القرن الخامس عشر - وظلت موسوعة « القانون »
هذه تتربع على عرش الجامعات حتى أوائل القرن السابع عشر عنه مولد الطب القائم على
المنهج العلمي الحديثة . أنظر أحمد نؤاد الاحوان : ابن سينا (القاهرة ١٩٥٨) ، ص
٢٧-٣٠ رابع أيضا صفحات ٣١ - ٣٣ و ٨٣ - ٨٤ من نفس الكتاب ، وكذلك
Rosenthal, E. I. J., *Political Thought in Medieval Islam* (Cam-
bridge, 1958), pp. 4 f., 19, 89, 116, 118, 129, 143 - 167 et sqq. ;
Hitti, P. K., *History of the Arabs* (London, 1964), pp. 367-368
et sqq. ; Arnold, T. & Guillaume, A. (eds.), *The Legacy of
Islam* (London, 1952), pp. 254 - 260, 350 - 354 et sqq. ; Mahmud,
[الترجم] S. P., *The Story of Islam* (Karachi, 1959), pp. 118, 128.

Drowne, E. G., *Arabian Medicine* (1921), p. 98. (١)

(٢) قامت النظرية الكانوليكية في العصور الوسطى حول عصمة الكتاب المقدس من
الخطأ ، والتسك بالملئى الحرفي للأحداث وقبول الأوصاف كما وردت في الكتاب المقدس
من حيث حرفيتها وفي أمقى مباحها . وعلى هذا كان الاتجاه نحو الرتبة أو الاجتهاد والتفسير
على نمطه الناس بالملئى الحرفي للأحداث شيئا لثانيا في العصر الوسيط . وقد عبر عن ذلك ==

أما فيما يتعلق بدراسة القانون فتعتبر « مجموعة قوانين جستنيان المدنية » المعروفة باسم Corpus Juri Civilis هي أساس التعليم كله ؛ ذلك أن القانون المؤلف في أوروبا في العصور الوسطى لم يكن على الإطلاق موضوعا لدراسة جامعية ، وكان الكتاب الرئيسي في هذا الصدد هو « شرح القوانين » أو الديجست ، Digest الذى يلخص ذروة ما بلغه علم القانون الرومانى . وقد أدت سيادة أساتذة القانون المدنى في العصر الوسيط في كتاب « شرح القوانين » إلى شهرتهم وتفوقهم . لقد أتوا بالمصادر المتعلقة بمجموعة القوانين المدنية كلها حيث تنازلوا كل جملة أو عبارة واردة فيها بالشرح والتعليق في عناية وتدقيق . وبذلك أمطروا الثام عن عقلية قانونية تمتاز بصفاهاً ودقتها ، على غرار الفلاسفة المدرسين في القرون الوسطى . وبعد كل ما تقدم ، فإن « القانون إنما هو شكل من أشكال الفلسفة المدرسية في العصر الوسيط » . غير أنه إذا كان الأسلوب المدرسى في الفلسفة قد خفف من قيمته في كثير من جامعات العصر الحديث ، إلا أن أعمال المنسرين والشراح التى ترجع إلى العصر الوسيط لا تزال باقية ، وفى ذلك يقول راشدال (١) : « يمثل العمل في مدرسة بولونيا في كثير من النواحي والمجالات أروع وأفضل ما أنتجه الفكر الأوروبي الوسيط . وتمتاز عقلية العصور الوسطى ، في الحقيقة ، باستمداد طبيعى ينم عن الرغبة في دراسة تراث قانونى موجود بالفعل

== غير صير لاهوتى من مؤيدى الفكرة الكلية ولهذا هو القديس توما الأكوينى (١٢٢٠-١٢٧٤م) . أنظر كوتون : عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٦٠-٥٨ .
[المترجم] .

والعمل على التوسع فيه . وإن اقتصر معرفة تلك العقيدة بالماضى وبالعالم المادى المحسوس لم يكن ، بحال ، عاقما أو حاجزا أمام سيادة علم يننى بكل بساطة بملاقات العمل وأمور الحياة اليومية . لقد اعتبر المشرعون والقانونيون بمجموعة جستليان مصدر ثقة يرجعون إليها . وكانت هذه أيضا هى نظرة اللاهوتيين إلى الكتابات المتعلقة بالقانون الكنسى والآباء الأول . وكذلك اهتم الفلاسفة بمؤلفات أرسطو التى كان من نعم الحياة أن حصلوا عليها بلفتها الأصلية . وكان المطلوب أن تكون تلك المؤلفات فى متناول القهـم فحسب ، وأن تكون الترجمة مطابقة للأصل بحيث يمكن الرجوع إليها والعمل على استكمالها ... وربما كانت أعمال أولئك الرجال هى الثمار الوحيدة التى حققها العلم خلال العصور الوسطى . هذا ، ويمكن أن يرجع إليها فى العصر الحديث الأستاذ المتخصص فى أى فن من الفنون لقيمتها التاريخية فحسب ، أو لجرد الأمل فى العثور على آراء وأفكار لها قدرها ووزنها ، أو لاحتياك الحصول على حلول للمسائل موضع الشك ، أو بسبب الصعوبات والمشاكل التى لا تزال تواجه طلاب العلم فى العصر الحديث ونمـسك بتلابيبهم .

وقد كان القانون الكنسى وثيق الصلة بالقانون المدنى . كما كان ، لأسباب عديدة ، ضروريا لحصول الدارسين على درجة دكتور فى كلا هذين الفرعين Doctor utriusque juris ، ^(١) أو كما نقول دكتور فى القانونين المدنى والكنسى ، J.U.D. ، أو دكتور فى القانون ، LL.D. ^(٢) ولقد أذن اللاهوتيون القانون الكنسى بوصفه عملا د مدرا الربح ، ، Inorative ، مما

(١) ترجمتها بالعربية « دكتور فى كلا القانونين » ، والمقصود بذلك القانون المدنى والقانون الكنسى [المترجم] .

(٢) أصلها باللاتينية legum doctor [المترجم] .

أدى إلى انصراف الطلبة عن العلم الحقيقي الأصل الذى يؤدى بهم إلى المناصب الكنسية الرقيقة . وما أن حل القرن الثالث عشر حتى غدت كنيسة المصور الوسطى جهازا إداريا واسع النطاق بحيث احتاج إلى عمالين لتولى شؤنه . وكان أمام أى إنسان متفقه فى القانون الكنسى ومدرّب تدوينا حسنا ، فرصة طيبة لبلوغ أعلى المراتب [الدينية] . (١) ولا غرابة فى أن القانون الكنسى قد اجتذب إليه العلمويّن والأقرباء بل والكسالى أيضا ؛ إذ قيل إن الطلبة الكسالى فى باريس كانوا يراغبون على حضور المحاضرات التى يلقيها أساتذة القانون الكنسى فى منتصف النهار أكثر من مواظبتهم فى المناهج الأخرى التى كانت تبدأ فى الساعة السادسة صباحا . وكان الكتاب المدرسى النموذجى فى القانون الكنسى هو مرسوم جراسيان Decretum of Gratian ، مضافا إليه أوامر وقرارات ومراسيم الباباوات اللاحقين ، وبخاصة المجموعة الكبرى التى أذاعها [البابا] جريجورى التاسع فى عام ١٢٣٤ م على الجامعات الرئيسية [فى الغرب] (٢) . وكانت الأساليب

(١) وردت هذه الآيات باللاتينية و الأصل الإنجليزى من كتاب هاسكنز (أنظر ص ٢٧ ح ٣) الذى نقلها بترجمته و هذا القسم من المجلد ، هو :

Sic heredes Gratiani
Student fieri decani,
Abbatas, pontifices.

وترجمتها « وحتى يملئوا المناصب الكبرى ويصبحوا رؤساء وهدى أديرة وأحياء ، عليهم أن يدرسوا أولئك الذين جاءوا بعد جراسيان » [المترجم] .

(٢) كان البابا جريجورى التاسع قد أمر فى عام ١٢٣٤ م بأعداد مجموعة رسمية جديدة للراسم البابوية نهضت باختيارها امتدادا لنشاط المصحح الكنسى جراسيان . وقد أضيفت مجموعات أخرى جملة خلال القرن الرابع عشر . وكان آخر الباباوات فى القرون الوسطى الذى أمر بذلك هو البابا يوحنا الثانى المعروف فى سنة ١٣١٧ م . أنظر كوتون : عالم المصور الوسطى فى التنظيم والحضارة (الترجمة العربية) ، ص ٢٥١ . ولتزيد من الملهوآت من جراسيان ومرسومه أنظر ، سابقا ، ص ١١١-١١٢ من القسم الأول من هذا المجلد [المترجم]

المتبعة في دراسة هذه النصوص هي نفس الأساليب المتبعة في دراسة النصوص المتعلقة بالقانون المدني . وقد تمت مجموعة المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالقانون الكنسي التي ترجع إلى أخريات القرون الوسطى ، وكذلك الشروح والتفسيرات بالهوامش التي وُمدت الإنجيل والدكاترة المقام بالاهلية والاستحقاق ، وفقا لقول [الشاعر الفارسي] ذاتي الجيدى .

وفيما يتعلق بالكتب المدرسية والمراجع العامة المطلوبة في كافة هذه الموضوعات ، فقد أخذت الجامعة على عاتقها ضمان تزويد سريع تتوفر فيه الكفاية والدقة مع الثمن الزهيد ؛ ذلك أن تنظيم عملية تجارة الكتب كان من أقدم الامتيازات الجامعية وأكثرها أهمية . ونظرا لأن الكتب كانت بامطة الثمن ، فقد كانت — عادة — توجر مقابل ثمن معلوم يحسب بعدد الملازم في كل كتاب ، وذلك بدلا من اقتنائها . وقد كانت عملية بيع الكتب — في الحقيقة — مقيدة بقيود شديدة بهدف الحد من احتكار الأسعار ، فضلا عن الحيلولة دون تسربها خارج المدينة . وترجع أقدم تعريف للكتب في باريس إلى حوالى عام ١٢٨٦ م . وقد أقيمت فيها أسعار تأجير مائة وثمانية وثلاثين كتابا مختلفا . ويمرور الزمن أخذ كثير من الطلبة يتهافون على اقتناء الكتب لأنفسهم ، كأن يقتنوا — مثلا — الكتاب المقدس أو بعض أجزاءه على أقل تقدير ، أو يحصلون على جزء من كتاب « شرح القوانين » المعروف بالديجست ، وربما يشترون « العشرين كتابا المظلمة بالقانون الأسود أو الأحمر » الوارد ذكرها في قصيدة الشاعر توماس المصنفة « متفقه من أكسفورد » Oxford clerk . وسواء أكان الطلاب يستأجر الكتاب أم يمتلكه ، فقد كانت حركة الإمداد والتزويد واسعة ذات شأن . ومن بين آثار [جامعة] برولونيا أثر يمثل الطلبة وأمام كل منهم

كتاب . وطالما أن كل نسخة من هذه الكتب كانت تكتب باليد ، فقد كانت الدقة أمرا له أهميته الكبرى . وكان يوجد في الجامعة مراجعون ومصححون لهذا الغرض ، حيث يقومون في فترات دورية بفحص كافة الكتب المدة للبيع في المدينة . وكانت جامعة بولونيا ، فضلا عما تقدم ، تمون برصيد دائم من الكتب الجديدة ، استجابة للرضية التي أبدت ومفادها أنه يجب على كل أستاذ أن يحول نسخة من محاضراته ومناقضاته إلى مكاتب النسخ لنسخها . وكانت الكتب الرئيسية في القانون واللاهوت هي الثمرة الطبيعية لتلك المحاضرات الجامعية . هذا ، وبناء على عملية طلب التزويد التي كانت مركزة إلى حد بعيد في الجامعات ، وليس مما يثير الدهشة أو الغرابة أن تصبح تلك الجامعات هي المراكز الرئيسية لتجارة الكتب وأعمال النسخ كما يتبين علينا أن نقول . وطالما كان يوسع الطلبة استئجار الكتب التي هم بحاجة إليها ، فقد غدت الحاجة إلى المكتبات أقل مما كنا نظن في بادئ الأمر . وكان طبيعيا جدا ألا توجد مكتبة في جامعة العصر الوسيط لفترة طويلة من الزمن . غير أنه ، بمرور الوقت ، كانت الكتب تعطى للطلبة ليطلعوا عليها ويفيدوا منها . وغالبا ما كان ذلك في شكل هبات موقوفة على الكليات الجامعية ، حيث يمكن استعارتها خارجيا أو الاطلاع عليها في الداخل . وحوالي عام ١٣٣٨ م كان كنالوج مكتبة السوربون ، وهي المكتبة الرئيسية في باريس ، يضم ١٧٢٢ مجلدا ، ولا يزال عدد كبير منها موجودا في المكتبة الأهلية في باريس ، بينما تحتفظ كثير من معاهد أكسفورد وكلياتها بكتب ومصاحف كانت مكتباتها تقتنيها في المصور الوسطى .

وإذا ما تركنا الكتب وبدأنا نتحدث عن الأساتذة فإتينا نلاحظ منذ أول وهلة أن المصور الوسطى قد أنجبت الكثير من الأساتذة الممتازين المرموقين .

وكانت ميكانيكية العلم والتعليم ووسائل تنظيمها لاتزال ، إلى حذما ، بسيطة ؛ فلم تكن تحوى شيئا فوق الطاقة . وعلى الرغم من ارتباطها الوثيق بالنصوص التي تدرس ، فقد كان هناك مجال واسع النطاق للعلم يبرز فيه شخصيته . وهكذا أصبح الكوين Alain ، قبل قيام الجامعات بوقت طويل ، هو الروح المحركة لإحياء العلم والتعليم في بلاط الإمبراطور شارلمان وفي المدرسة الديرية في مدينة تورن الفرنسية . كما أمار جربرت الرمي (١) Gerbert of Rheims الذي جاء بعده بقرنين من الزمان دحشة معاصريه لإفادته الحاذقة الباردة من تراث اليونان والرومان القدماء فيما يتعلق بدراسة البلاغة وعلم البيان ، وكذلك لتقديرته على تدريس علم الفلك بطريقة ماهرة إن دلت على شيء . فإذما تدل على ذكاء خارق ، حتى بدت كما لو كانت « ألجية » . (٢) هذا ، ومن العصر الذي بدأت فيه البذور الأولى للجامعات أمكن الحصول على فكرة واضحة ، إلى حذما ، عن بطرس ابيلاود (٣) كاستاذ ويملا حجرة الدراسة بمهو مشوق خلاب . ، فهو جسر مبتكر ، لأمع الفكر ، لاذع الجدل ، يمثل حيوية ونشاطا ، فضلا عن أنه كان قادرا على

(١) ليا يعقل بكل من الكوين وجربرت الرمي ، انظر ماسبق ، ص ١٨ و ١٩ و ٥٤ و ٥٥ .
٦١-٦٢ و ٦٤ و ٦٧ و ٧١-٧٢ و ٧٥ و ٧٧ و ٨٣ و ١١٤ و ١٥٥ من القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

(٢) Richer of Reims, Histor., III, co. 45-54. هذا ، و يوجد مقتطفات مترجمة إلى اللغة الانجليزية في كتاب هـ . تايلور Taylor, H. O., The Medieval Mind (Cambridge, Mass, 1925) [المؤلف] وكتاب تايلور طبعه جديدة تقع في جزئين (طبع نيويورك ، سنة ١٩٥٩) [المترجم] .

(٣) حول الفيلسوف بطرس ابيلاود وكتاب « تم ولا » ، انظر ماسبق ، ص ٩٩-١٠٤ من القسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

إزالة عقول المجادين من الناس فيدفعهم إلى الضحك . « وتبدو طريقته المنظمة التي عرضها في كتابه « نعم ولا ، » Sic et non ، شاملة لعناصر التأييد والجلل بهدف تنفيذ وإثبات أو نفي ودحض قضايا ومسائل معينة ، وهي طريقة سرعان ما سار على منوالها جراثيان Gratian صاحب كتاب « التوفيق بين القوانين الكنسية المتعارضة » ، Concord of Discordant Canons ، ومعرزاً إليها بكتاب « المختلق الجديد » لأرسطو . وبذلك أصبحت هي الطريقة السائدة في المنهج المدرسي للقديس توما الأكويني ^(١) St. Thomas Aquinas ، وظلت

(١) نرى من توما الأكويني (١٢٢٥ — ١٢٧٤) أنه اتبع في سلك الزهبان الدومينيكان ولم يكن قد تجاوز المدرسين من السر . وقد خلفه على البرث السكون العظيم (١٢٣٩ — ١٢٨٠م) ، وتتل بين مدن إيطاليا وفرنسا لك أن أصبح أستاذاً في جامعة باريس وهو في سن الحادية والثلاثين ، له مؤلفات عديدة ضمنها كراهه وألكاره منها كتاب « شرح الأحكام » ورسالة « في الوجود والاهية » اعتمد فيها على كل من ابن سينا وابن رشد ، وكذلك « شرح الأسفار الإلهية لـ يونانيسوس » و« المجموعة الفلسفية » و« المدرج على أرسطو » ورسالة « في وحدة العقل ودأ على الرشدين » وأخرى « في أزلية العالم ودأ على المنعمرين » ثم كتابه الضخم المعروف باسم « المجموعة اللاهوتية » التي حرص عليه مؤلفاته السابقة . أنظر يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط (الذاكرة ١٩٥٧) ، ص ١٤٤ — ١٧٧ ؛ كولتون : عالم المصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٥٨ و ١ و ٦٣ و ٧٢٥ وما يليها . أنظر أيضاً Downs, N. (ed.), Basic Documents in Medieval History (New York, 1959) p. 116. هنا ، ويوجد عرض ممتاز لسيرة توما الأكويني وفلسفته ومؤلفاته « المجموعة اللاهوتية » بقلم فريدريك هير F. Heer وفريدريك كوبلستون F. Copleston وإيه جيلسون E. Gilson في كتاب : Landmarks (eds), Baker, D. N. & Fasel, G. W. (eds), Landmarks in Western Culture, vol. I (New Jersey, 1968), pp. 249 — 282.

[الترجم]

تفرض نفسها على الفكر لمدة أجيال تالية . وهكذا كانت هذه الطريقة على أيدي
أيلارد ومن جاءوا بعده بمثابة قوة دافعة لحدة الذكاء ، وهى طريقة تتعارض
على طول الخط مع منهج « نعم ولا » كما وضعه مؤلفه ، بحيث لم تترك مجالاً في
مناياها لحل وسعد . لأن التفكير بهذا الأسلوب — حسبما أوضح ريمان Reman —
يؤدى ، عادة إلى اكتشاف الحقيقة .

ولتكوين فكرة صورية حديثة عن مذهب القرن الثانى عشر ، لا نحتاج ما هو
أفضل من المقطعات التى يصف فيها جون أوف ساليسبورى رحلته
Wanderjahre التى استغرقت عدة سنوات في فرنسا في الفترة الواقعة بين عامي
١١٢٦ و ١١٤٧ م ، وبصفة خاصة جولاته في كل من باريس وشارتر (١) . ولما
كان جون قد تعلم أصول المنطق على يدي أيلارد ، فقد ظل تحت تأثير اثنتين من
المدرسين لهذا الفن ، أحدهما كثير الفكر والتشكك في الدقائق والتفاصيل متعلق

(١) هذه المقطعات ، مترجمة إلى الإنجليزية في كتاب بنوا « صور من تاريخ الفكر
في العصور الوسطى » تأليف ر.ل. بول ، أنظر Poole, R. L., Illustrations of
History of Mediaeval Thought, 2nd ed. (London, 1920), pp.
208 — 212. وكذلك في كتاب « قراءات في تاريخ التعليم » تأليف أ.و. نورتن
أنظر Norton, A.O., Readings in the History of Education
(Cambridge, Mass., 1909), pp. 28-34.

وقد تناول ر.ل. بول هؤلاء الأساتذة بالدراسة والتدقيق والتحليل في مقال عنوانه
« أساتذة المدارس الجامعة في باريس وشارتر في عصر جون أوف ساليسبورى » ، ثم أعاد
مطبعه في كتابه الذى يحمل لاسم « دراسات في علمي السكرولوجيا والتاريخ » ، طبع
الكامبريدج سنة ١٩٣٤ م ، أنظر

Poole, R. L., " The Masters of the Schools of Paris and Chartres
in John of Salisbury's Time, " English Historical Review,
XXXV (1920), pp. 321 — 342 ; idem, Studies in Chronology
and History (Oxford, 1924), pp. 223 — 247.

السان يميل إلى الانقباض والإيجاز ويدخل في الموضوع مباشرة ؛ أما الآخر فهو حاذق ، ذو دعاء ، غزير المادة ، مبينا أنه ليس في الإمكان إعطاء إجابات بسيطة . وبعد ذلك ذهب أحدهما إلى بولونيا ولى ما كان يقوم بتدريسه ، حتى أنه عند عودته توقف عن ذلك النوع من التدريس . ، وعندئذ توجه جون أوف ساليسبورى إلى شارتر ليتعلم النحو وقواعد اللغة على يدى كل من وليم أوف كونس (١) William of Conches ، والقديس برنارد أوف كليرفو . وهنا آثار الأسلوب الإنسانى في تدريس الآداب ، وهو أسلوب واثق متين ، إعجاب جون الشديد ، إذ أنه دراسة متقنة للآداب تتضمن استظهار بعض المقطوعات المختارة وتعلم النحو عن طريق الانشاء وتقليد الناذج الممتازة ، إلى جانب زيادة لارحة فيها للمحسنات اللفظية المستعارة . تلك هى الصفات التى جعلت القديس برنارد ، أغزر مصدر للآداب في غالة (٢) في العصر الحديث . ، وعند عودة جون أوف ساليسبورى إلى باريس بعد غيبة دامت اثنتى عشرة سنة ، وجد زملاءه القدامى على نفس الحال حيث هم من قبل ، وفى نفس الموقع الذى تركهم فيه . ويبدو وكأنهم لم يصلوا إلى تحقيق هدفهم فى شرح وتفسير القضايا والمسائل القديمة مثار البحث والجدل ، كما أنهم لم يضيفوا شيئا جديدا على الإطلاق إلى تلك القضايا ، وما زالوا تحت إبحاء تلك الأهداف التى كانت مصدر إلهامهم فيما مضى (٣) . وهم لم يحرزوا تقدما إلا فى مسألة واحدة فقط ، وهى أنهم بدأوا

(١) قام وليم أوف كونس بتدريس التراث الكلاسيكى القديم بمدرسة هارور التى كانت تسمى أعظم مركز لتدريس العلوم الإنسانية فى القرن الثانى عشر . وقد بلغت هذه الدراسات ذروتها فى شخص جون أوف ساليسبورى . انظر LaMonte, op. cit., p. 558. [الترجم].

(٢) انصوب بذلك فرنسا [الترجم] .

(٣) أى أنهم طاولوا كما هم وحيث هم دون ان يقدموا خطوة واحدة إلى الأمام . [الترجم] .

يتجاهلون الاعتدال والمثابرة . فلم يعودوا يعرفون التواضع ، بل تفاخروا في هذا
التجاهل إلى درجة بدأ أن شفاء منه أصبح ميتوسا فيه . واستطرد جون قائلا :
« وهكذا أكسبت الخبرة نتيجة واضحة هي أنه بينما يساعد المنطق والعلوم
اللسانية [أى الكلامية] الدراسات الأخرى ، إلا أن هذه الدراسات إذا ظلت
منفردة قائمة بذاتها فإنها تصبح عقيدة جذباء لاحياة فيها ولا تبرز أحصاق النفس
لنقدم ثمارا فلسفية جديدة اللهم إلا نفس الأفكار التي يمكن التوصل إليها من أى
مصدر آخر » .

وأما مدرسو القرن الثالث عشر الذين يتحدثون عن أنفسهم أكثر من اللازم
هم أساتذة النحو والمنطق والعلوم الكلامية ، من أمثال بوكومباينو
Buoncompagno في بولونيا ، وجون أوف جارلاند (١) John of Garland

(١) جون أوف جارلاند هاجر الإنجليزي وأستاذ في علم النحو ، ولد حوالي سنة ١١٩٥ م
وتوفي حوالي سنة ١٢٧٢ م . وقد ترك إنتاجه أثره في تطور لابلغة المصو والوسطى . وقد في إنجلترا
من أسرة صربية ، ودرس في أكسفورد على أستاذ يدعى جون أوف لندن ، ثم ذهب إلى باريس
حوالي عام ١٢٠٢ م لمواصلة دراسته ، وتلمذ هناك على يدى ألين دي ليل Alain de Lille ،
ولم بعد ذلك بالتدريس في باريس حتى عام ١٢٢٩ م حيث ذهب إلى جامعة تولوز الجديدة .
ومن تأليفه في الأجرومية وقواعد اللغة ونرا كيبها كتاب « ملخص الأجرومية » المعروف باسم
« Compendium grammaticae » وكتاب « التركيبات القوية » « Liber de
constructionibus » وله أيضا قاموس لنوى لايتنى باسم « Dictionarius » اسمه
ت . رايت T. Wright عام ١٨٥٢ م . وكذلك مؤلف باسم « كتاب السلوك المدرسى »
« Morale scholarium » تناول فيه موضوعات شتى مثل السلوك العام وآداب المائدة
والفضية ودفاع البابا ضد رذيلة السيمونية ، وقد قام بتمهده له ج . بيتاو L. J. Pactow
في عام ١٩٢٧ م ، وأمدت الناشر في مقدمته لكتاب بنيتة عن حياة جارلاند ومؤلفاته .
أنظر مقالة « جون أوف جارلاند » في دائرة المعارف البريطانية (طبعة شيكاغو) سنة
١٩٦٤) ، ج ٩ ، ص ١١٤٦ [المترجم] .

في باريس ، وبومس أوف بروفانس Ponce of Provence في اورليانز ،
ولودويكو أوف أكويليا Lorenzo of Aquileia في نابولي ، بل وفي كل مكان
تقريبا . وسوف نتعرف جيدا على كتاباتهم المنتفعة الجرفاء في مجالات أخرى .
ولعل أهمها مايقصه علينا أودوفريدوس ^(١) Odofredus في محاضراته عن
كتاب « الديجست القديم » ، Old Digest ، في بولونيا . فيقول : « فيما يختص
بطريقة التدريس فقد راعى الدكائرة ، القدامى والحديثون ، وبخاصة أستاذي
الشخصي ، الأسلوب التالي ، وهو نفس الأسلوب الذي سوف أتبعه . سأذكر ،
أولا ، بمختصرات لكل فصل من فصول الكتاب قبل البدء في دراسة النص .
ثانيا ، سأعليكم بيانا واضحا ومفصلا قدر الاستطاعة عن فحوى ومضمون كل
قانون وارد في الكتاب . ثالثا ، سأقرأ النص مستهدفا من وراء ذلك تصحيحه .
رابعا ، سأكرر باختصار فحوى القانون خامسا ، سأضع حولا المتناقضات الظاهرة
«ضيفا إلى ذلك أية مبادئ قانونية عامة يمكن استخلاصها من تلك النبد المقتطفة ،
وهي التي تعرف - عادة - باسم « القواعد » Brocardica ، وكذلك أية فوارق واختلافات
أو مسائل حرجية quaestiones ذات نفع وفائدة قد تنشأ عن القانون هي وحولها
على قدر ما تمكنتي العناية الإلهية . هذا ، وإذا بدأ أن قانونا ما يستحق الإعادة
بسبب أهميته أو صعوبته ، فسأعظم فرصة إعادته في إحدى الأمسيات ، لأنني
سأتناول هذه المسائل بالنقاش والمجادلة مرتين في العام على أقل تقدير . وستكون

(١) هو مؤرخ اخبارى عاش في أواسط القرن الحادى عشر (١٠٧٦م) . ولقد زيد من
المعلومات عنه ، أنظر . LaMonte, op. cit., p. 575. وكذلك وعيب ابراهيم سمان :
« التفانوة التربوية في المصنوع الرسولى » ، ص ١٨٠ . [المترجم]

المنافسة الأولى قبل عيد الميلاد ، والآخرى قبل عيد القيامة إن شتم ذلك .

ويستمر أودوفر يدوس قائلا : « وسأبدأ دائما بكتاب « شرح القوانين القديم » في عيد القديس ميخائيل الذي يقع في السادس من أكتوبر أو بعد العيد بشمانية أيام ، وانتهى منه تماما — بعون الله ومشيئته — مع كل شيء مألوف أو غير مألوف ، حوالى منتصف أغسطس . وسأتناول الكتاب المتضمن زبدة الشرائع والأحكام Code (١) دائما بعد حوالى اسبوعين من عيد القديس ميخائيل ، وانتهى — بعون الله — بكل ماهو مألوف وما هو غير مألوف ، حوالى أول أغسطس . وقد اعتاد الدكائرة ، فيما مضى ، ألا يلقوا محاضرات عن الفصول التي هي فوق مستوى إدراك الطلبة ومفهومهم ، ولكن سوف يستفيد من جميع الطلبة حق البلاء والمستجدون لأنهم سيستمعون إلى الكتاب بأكمله ، ولن يحذف منه شيء البتة كما كان متبعنا هنا فيما مضى . وهكذا ، سيكون بوسع الجهلة الإفادة من شرح القضية ومرض النص . أما الطلبة الأكثر تقدما فسيكونون بالآخرى أكثر تعلما ، وسيكون بمقدورهم التظلم على الآراء المتعارضة والمسائل المويضة المثيرة للجدل . وسأناو عليكم كل الشروح والتفسيرات ، وهذا ما لم يمارسه أحد من قبل . ثم تعقب ذلك نصيحة عامة تتعلق باختيار الأساتذة وطرق التدريس ، يتلوها عرض عام لكتاب « شرح القوانين » المعروف باسم « الديجست » .

ويفتتح أودوفر يدوس هذا المنهج بقوله : « والآن ، أيها السادة ، قد بدأنا واقتبنا ، وقرأنا هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، كما تعلمون أنتم يامن واظبتم

(١) المقصود بمجلة أحكام جنيلان [المترجم] .

على حضور هذا الدرس . وإنما تتقدم بالشكر إلى الله وإلى أمه السيدة العذراء
وجميع قديسيه . ومن التقاليد القديمة المتبعة في هذه المدينة أنه عندما ينتهى كتاب
مايقام قداس دينى من أجل الروح القدس ، وهو هيلدسميد ، ولذلك يجب الأخذ
به . ولما كان من المتبع أن يتحدث الدكاترة عند الانتهاء من دراسة كتاب ما عن
خططهم المقبلة ، فسأخبركم بحاجب منها ، ولستنى لن أطيل عليكم الحديث .
وأوقع أن ألقى في العام القادم محاضرات هادئة بأسلوب قانونى حسن كما كنت
أفعل دائماً . ولستنى لن أقوم بإلقاء محاضرات فوق العادة (١) ، لأن الطلبة
لايدفون بسخاء . فهم يرغبون في التعلم ولستنى لا يريدون دفع اثنى ، وذلك
وفقا للمثل السائر : الرغبة في اقتناء المعرفة مع الامتناع عن الدفع . وليس لدى
ما أقوله لكم أكثر من ذلك ، سوى أن استودعكم مسمولين ببركة الله ورحمته ،
راجيا منكم المواظبة على حضور القداس الدينى . (٢)

هذا ، وبالرغم من أن المحاضرة الرسمية (٣) كانت لها أهميتها في تلك الأيام
الغابرة التي كانت فيها السكتب قليلة العدد والتي لم توجد فيها معامل ، إلا أنها لم

(١) أى محاضرات ذات قيمة كبرى . [المترجم] .

(٢) انظر من ذلك MS. Lat. 4489 Paris, Bibliothèque Nationale, f. 102; F. G. von Savigny, Geschichte des römischen Rechts im Mittelalter (Heidelberg, 1884), III, pp. 264, 541, 558; cf. also Rashdall, op. cit., I, p. 218. هذا ، وطبقا لما ورد في الطبعة المتبعة
لنفس الكتاب (ص ٢١٩ ح ٣) ، يخضع أن د هذه المدة كتبها بالقل أحد تلاميذه
أودونيدوس ويدهى بطرس بروجوسى Petrus Peregrini الذى كان يعمل مدرسا
في اورليانز .

(٣) يقصد النظامية [المترجم] .

تكن [إطلافاً الوسيلة الوحيدة للتدريس . وإن استعراضاً شاملاً للتدريس بالجامعات
[في المصور الوسطى] ليجتاح إلى أن نضع في الاعتبار تلك المحاضرات السريعة
السطحية ، أو « غير المألوفة » ، التي ألقى كثير منها خريجون بدرجة البكالوريوس
فحسب . وكذلك تلك المراجعات والإعادات التي كثيراً ما ألقيت في بيوت
الطلبة أو في الكليات في فترات المساء ؛ ثم تلك المحادثات التي تمتد التجربة النهائية
القاسية التي كانت تقام علناً لمناقشة رسالة التخرج (١) .

ولقد زالت منذ وقت طويل حجرات الدراسة التي كانت تلقى فيها هذه
المحاضرات . فإن لم يجد الأستاذ حجرة ملائمة في بيته ، فقد يجد نفسه مضطراً
لأن يستأجر قاعة في مكان مناسب مجاور له . وفي باريس كانت معظم هذه
القاعات تقع في شارع واحد يطل على الضفة اليسرى المسماة فيكوس سترامينيوس
Vicus Straminens أو شارع دي فوار Roe de Fouarre المشهور
باسم شارع دانتى ويبدو أنه سمي كذلك بسبب الأرضية التي كانت مغطاة بالقش
الذي كان الطلبة يجلسون عليه عندما يكتبون مذكراتهم . أما في [جامعة] بولونيا
فقد كانت حجرات الدراسة — إلى حد ما — أحسن حالا . وقد كتب بوكومبانيو
Buoncompagno عام ١٢٣٥ م يصف قاعة محاضرات نموذجية هادئة ونظيفة
تطل بوافئها على منظر بديع خلّاب ، وقد خطى جدرانها طلاء أخضر ، ولا
توجد فيها تماثيل أو صور تصرف انتباه الطالب عن متابعة المحاضرات . وكان
مقعد الأستاذ مرتفعاً كما يرى الجميع ويراه الجميع في نفس الوقت . وقد رتبت مقاعد
الطلبة دائماً حسب « الأعم » التي ينتمون إليها وفقاً لشهرة الطالب وسميته والعلبة

(١) المصود أمعان التفرج [المترجم] .

لحق ينتمى إليها . ويضيف بوكومبايو إلى ذلك قولا له دلالة ومفراه وهو :
، لم يكن لي مثل هذا البيت على الإطلاق ، ولا أعتقد أن مثل هذا البيت قد بني في
وقت ما . ، وإن كل ما نعرفه من حقائق عن حجرة الدراسة في جامعة بولونيا
مستقاة ، أساسا ، من الآثار والصور المصغرة لأساتذة القرنين الرابع عشر
والخامس عشر ، والتي يظهر فيها الأستاذ جالسا معتدلا أمام مكتب تحت مظلة
مثبتة على قاعدة مرتفعة ، بينما جلس الطلبة أمام أدرج مستوية أو مائلة السطح
وقد وضعت عليها كتبهم مفتوحة . وكان أمام الأساتذة ، سواء أكانوا أساتذة
طب أو قانون ، مجلد مفتوح بصفة دائمة .

ويظهر طابع الامتحان النهائي عملا أحسن تمثيل في [جامعة] باريس حيث
وصفه عالم الأخلاق البشوش روبرت السوربون ^(١) Robert de Borbon
مؤسس معهد السوربون في كتابه [الذي ألفه باللاتينية] المسمى « الضمير ،
De Conscientia » ، وذلك عندما قارن مقارنة لما مفراه بين امتحان التخرج
لنهای والديوثة الأخيرة . وقد اتخذ روبرت من طموح أيوب موضوعا له
لأن « خصمه وغريمه قد ألف كتابا » . ثم حدد بجل تناوبته وفقا لما هو سائد في
عصره . فيبدأ بقوله إنه إذا قرر شخص ما الحصول على إجازة الليسانس
lisentia legendi من باريس ، لا يمكن إغناؤه من أداء الامتحان كما كان الحال
بالنسبة لكثير من العظماء وعلية القوم الذين نالوا هذه الإجازة بصفة شخصية
تقديرا لهم وكراما . فكتيرا ما أخطر رئيس الجامعة أو شخص يكون موضع
تقنه الطالب بالكتاب الذي سيبحث فيه . والطالب اللاحق الضعيف حقا هو

(١) حول روبرت السوربون والمهد إلى ينسب إليه ، أنظر ماسق ، ص ٢١٢

و ٢٦٦ ح ٢ و ٢٧٧ ح ٣ من هذا القسم من المجلد [المترجم]

الذى يهمل الكتاب بعد معرفته به ، ثم يقضى وقته فى دراسة كتب أخرى غيره .
وإنه كذلك للطالب أحمق مفتون ذاك الذى يفضل فى دراسة كتاب « الضمير »
الذى ستمتحن فيه جميعا دون استثناء فى اليوم الآخر .

وفوق هذا وذاك ، فإنه إذا حرم رئيس الجامعة شخصا ما من أداء الامتحان ،
فيجوز إعادة امتحانه بعد معنى عام . ومن الممكن إقناع رئيس الجامعة بالراجع
عن قراره إذا ماتوسط الطالب المعارف والأصدقاء ، أو إذا قدم الطالب الهدايا
أو أدى الخدمات المناسبة لأقارب المدير والمتمتحنين الآخرين . هذا ، بينما سيكون
الحكم فى الدينونة الأخيرة نهائيا لدرجة فيه ، ولن تفيد الثروة ولن ينفع النفوذ .
كذلك لن يكون لادعائه الهجرى بمقدرته كواحد من رجال الدين أو من
العلمانيين أو بدرايته بكل أنواع الجدل والسفسطة — لن يكون لسلك هذا أى
أمر فى سحب قرار الدينونة الأخيرة . ثم أنه إذا فشل أى طالب أمام
رئيس جامعة باريس فلن يعرف هذا الحقيقة سوى خمسة أو ستة أشخاص فحسب ،
ولن يدوم فشله بل سيول بمرور الوقت ، بينما يمدح الله ، وهو الديان الأعظم ،
الإنسان الخاطىء بالدليل والبرهان ، فى جامعة كاملة حقا ، وأمام العالم أجمع .
كذلك لن يهمل رئيس الجامعة الطالب المرشح للحصول على إجازة التدريس ،
ولكن فى الدينونة الأخيرة سينال المذنب عقابه بضربه بقضيب من حديد من
وادی يهوشافاط (١) Jehosaphat وبطول الجحيم وعرضه . (٢) ولن يستطيع

(١) نسبة لى يهوذا بن آساف ملك يهوذا فى أوائل القرن التاسع قبل الميلاد وحول
سيرته وأخباره وملوكته وحروب ، أنظر الكتاب المقدس — العهد القديم — سفر الملوك
الأول : ٢٢ ، وسفر أخبار الأيام الثانى : ٢٠ . [المترجم] .
(٢) هذه الأفكار الخاصة بالدينونة واليوم الآخر والجحيم وألوان المذاب التى يلغاها
المذهب ، تناولها المؤرخ جورج جوردون كوتون فى كتابه « عالم المصور الوسطى » فى
شبه من التفصيل والتحليل والتدقيق . أنظر كوتون : « عالم المصور الوسطى فى التنظيم والحضارة
(الترجمة العربية) » ص ٥٥ — ٦٦ [المترجم] .

أن تفكر مثل الأولاد الكسالى في مدارس الأجرومية عندما يتهبون من هباب يوم السبت مدعين المرض أو التئيب بدون أضرار أو لكونهم أقوى جسمانيا من الأستاذ ، أو تعزى أنفسهم مثلهم بما معناه أننا بعد كل هبوبا وعشنا نستحق الضرب بالسياط . وامتحان رئيس الجامعة أيضا اختياري ، فهو لا يلزم شخصا ما بضرورة الحصول على الدرجة الجامعية ، بل ينتظر رغبة الطلاب أنفسهم . وقد يشعر أيضا بتقل مطالبهم المتلاحقة في عقد الامتحانات لهم .

ثم أنه في دراستنا لكتاب ضميرنا ووجداننا ، يجب ان نغيب باولئك الطلاب الذين يسمون بالحصول على إجازة الياس ، فيقتصدون في المأكول والمشرب ويثابرون أيضا على دراسة الكتاب الأوح الذي يستمدون له ، ويبحثون في كافة المراجع التي تتعلق به ، ويستمعون فقط إلى الأساتذة الذين يحاضرون في هذا الموضوع ، حتى لتجد أنه من السير عليهم إخفاء حقيقة استعدادهم للامتحان عن زملائهم . ولا يمكن أن يكون إعدادهم للامتحان حصيلة خمسة أيام أو عشرة ، بل هو ثمار جهد سنوات عديدة ؛ هذا في حين أنه يوجد كثيرون ممن لا يقضون يوما واحدا أو حتى ساعة واحدة في التأمل فيما اقترعوه من خطايا وذنوب . وفي يوم الامتحان ينال رئيس الجامعة الطالب قائلا : « بماذا تهيب يا أخى عن هذا السؤال ؟ وماذا تقول بالنسبة لهذا الأمر أو ذلك ؟ » وسوف يكفى الرئيس بمعرفة محصلة الطالب للألفاظ الموجودة في الكتب دون فهم أو إدراك لمعناها ، وذلك خلافا « للديان الأعظم » الذى يستمع إلى كتاب ضميرنا من أوله إلى آخره دون أخطاء . هذا ، بينما يطالب رئيس الجامعة الطالب بسبع أو ثمان قطع فحسب من الكتاب الذى سيتمعن فيه ، ويعتبر الطالب ناجحا إذا استطاع الإجابة عن ثلاثة أسئلة من أربعة . وثمة فارق آخر هو أن رئيس

الجامعة لا يقرأس دائما الامتحان بصفة شخصية ، وذلك حتى يتمكن الطالب الذى يشعر بالرهبة أمام حله النذير أن يحيد الإجابة أمام الاساتذة الذين ينيبهم المدير عنه . ولا يمكن فى هذا المجال أن نذكر شيئا عن الإجماع العام للبحث أو الرسالة التى يتقدم بها الطالب من جميع الحاضرين^(١) ، وهو الإجراء الأخير الهام الذى لاتزال الجامعات الألمانية تأخذ به حتى اليوم .

وكان يوجد فى جامعة بولونيا فى بادىء الأمر امتحان صارم رهيب ، يؤديه الطالب أمام عدد من الدكاترة وقد أقسم كل منهم أن يامل الطالب المتقدم للامتحان ، كما لو كان ابنه الشخصى . ثم يلبح هذا الامتحان امتحان آخر على وصفه أحد الطلاب فى خطاب له بعث به إلى ذويه حيث يقول : « دخلوا قرب أشودة جديدة وامتدحوه بالصنج والطبول . ونموا بالدغرى ذات الزين المال لآب [إنكم قد أجاد المناقشة التى حضرها جمع غفير من الاساتذة والطلبة ، وأجاب كذلك عن كل الأسئلة دون الوقوع فى أية أخطاء ، ولم يستطع أحد أن يتغلب على مجادلاته . وفننلا عن ذلك ، فقد أقام مأدبة فاخرة شرفها الأغنياء والفقراء ، ولم يحدث أن أقيمت مثلها من قبل . ولقد بدأ [إنكم الطالب] فى الوقت المناسب بإلقاء المحاضرات التى أحبها الجميع ، حتى لقد مهر الطلبة حجرات الدراسة الأخرى ، وتوافدوا جماعات يملأون حجراته . ، ويحدثنا أيضا نفس هذا الشخص البليغ عن طالب فاضل لم يستطع أن يفعل شيئا أثناء المناقشة ، بل جلس على كرسيه كمنزلة ، بينما أطلق عليه الحاضرون لفظ « حاخام » ، وذلك على سبيل التهكم والسخرية . وقد قدم فى وليته طعاما لا يشجع على تناول المشروبات ، واضطر إلى استئجار عدد من الطلبة لحضور فصوله والاستماع إليه .

(١) يقصد المصنفين . [الترجم]

وعندما تتناول المركز الاجتماعي لأساتذة المصور الوسطى ، يجب علينا أن ننظر إليه في ظل نظام اجتماعي لمصر يختلف عن مصر الذي نعيش فيه . حيث ربما نجد أن أقرب الأمور إلى ظروفنا في مصر الحديث ما كان سائدا في مدن إيطاليا ، حيث يوجد الدليل في المصور الوسطى ، كما هو الحال الآن ، على ذلك المركز الممتاز الذي كان يتمتع به العديد من أساتذة الطب والقانون المدني . وكثيرا ما وصل علماء اللاهوت وأساتذة القانون الكنسي إلى رتب ومراكز رفيعة في الجهاز الكنسي ، مثل وظائف الأسقفية والكاردينالية . وإن أولئك الذين وصلوا إلى أعلا المراتب والدرجات السامية من بين الفلاسفة ورجال اللاهوت كانوا قطعا أساتذة في الجامعات ، من أمثال توما الأكويني وألبرت العظيم ^(١) Albertus Magnus وبونافنتورا ^(٢) Bonaventura — هذا الرجل من الدكارة الذين كان يغلب عليهم الطابع الملائكي . فكان لا يمكن التغلب عليهم أو دحض آرائهم وحججهم ، كما كانوا ذوي حنق ومهارة ودعاء ، ومعرفين

(١) حول ألبرت العظيم (١١٩٣ - ١٢٨٠ م) أنظر نصر (١٠١٠) : تاريخ أوروبا في المصور الوسطى — ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور السيد الباز العريش والدكتور إبراهيم أحمد المدوي — ج ٧ (القاهرة: ١٩٥٧) ، ص ٢٦٩ ؛ راجع أيضا Stone, D., *France in the Sixteenth Century* (New Jersey, 1969), p. 16; Calmette, J., *Le Moyen Age* (Paris, 1948) , p. 601. [المترجم]

(٢) كان القديس بونافنتورا (١٢٢١-١٢٧٤ م) ساعرا ثوما الأكويني . وهو من جماعة الإخوان الترنيسكان ، وكان رئيسا لهذه الجماعة والسكاتب الرسمي لسميرة القديس فرانسيس الأسيسي . وهو — بلا شك — أبرز الإخوان الترنيسكان وأكثرهم فعلا في علم اللاهوت . ونجد مثلا واضحا لذلك في تلميحاته على كتابات جفرس المباردي . انظر من ذلك LaMonte, op. cit., p. 586. — ولزيادة من المعلومات عن حياته ومنهجه ، أنظر عبد الرحمن بدوي : فلسفة المصور الوسطى ، ص ٩٤-١٢٨ . [المترجم]

العالم أجمع . وعلى الرغم من أنهم كانوا ينتمون إلى جماعة الإخوان القوميين^(١) أو جماعة الإخوان الفرنسيين^(٢) ، إلا أن هذا لم يعدم عن العالم الديوى سوى هذا جزئيا .

وإذا كان مركز الاساقفة الاجتماعى واحترامهم لأنفسهم يتضمن أيضا

(١) مؤسس جماعة الإخوان القوميين هو القديس الأسبانى دومينيك St. Dominio . وكان تأسيس هذه الجماعة سنة ١٢١٥ م بهدف مكافحة تيار الهرطقة القديس ظهورى الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية وخارجها فى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادى . ومن مبادئهم الوعد والإرشاد بين الناس حتى اشتهروا أيضا باسم الإخوان المبشرين . ووجه القديس قريب بينهم وبين الإخوان الفرنسيين فى العقائد وطريقة الحياة والامتياز بالعالم الخارجى : انظر عن ذلك Baldwin, M. W., *The Medieval Church* (New York, 1958), p. 60 f.; Painter, op. cit., p. 318 ff. [المترجم] .

(٢) مؤسس جماعة الإخوان الفرنسيين هو القديس فرنسيس الأسيسى (حوالى ١١٨١ - ١٢٢٦ م) ، وهو يعتبر من الشخصيات البارزة التى أسهمت فى تطور حركة الفسخر وتحرر الروح والنفس البشري فى الحقبة الوسيطة من التاريخ . ولم يكن هدف أعضاء هذه الجماعة التى أسسها والى انتمت إليه البقاء فى أديرتهم لأداء فرائض العبادة والصلاة فحسب ، وإنما السعى إلى الأرض الوعد والتغيير وتعليم الناس ، مع التفكير والاكتفاء بالكفاف من العيش القديس يمكنهم الحصول عليه بالكسب والعمل اليدوى إذا كان ذلك متوفرا أو بالتسول إذا لم يكن هناك سبيل لكسب : انظر فسر : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ج ١ (القاهرة ١٩٥٠) ، ص ٢٣٤ وما بعدها . Heer, F., *The Medieval World : Europe 1100 — 1850* (London, 1962), p. 79 ff.; Downs, op. cit., p. 139 ff.; cf. also Monnier, L. le, *Histoire de Saint François d'Assise*, 2 vols., Paris & Lyon, 1906. وبخاصة الجزء الأول ص ١٣٤ وما بعدها و١٧٦ وما بعدها و٢١٧ وما بعدها والجزء الثانى ص ١ وما بعدها و٨٩ وما بعدها من الكتاب المذكور [المترجم] .

إدارتهم لشئون الجامعة حبا يؤكد دعاة الإصلاح ، فقد كان العصر الوسيط هو العصر الذهبي لسلطة الأساتذة ومهنتهم . فلقد كانت الجامعة نفسها مجتمعا للأساتذة أكثر منها مجتمعا للطلبة . ولما لم تكن لها في ذلك العصر أوقاف أو هيئات توقفت عليها لها وزنها وقيمتها ، فلم يوجد بها مجالس وكلاء أو فيمين ، كما لم يكن ثمة نظام بمائل نظام إشراف الدولة [على الجامعة] كما هو معروف الآن في أوروبا وفي أجزاء عديدة من الولايات المتحدة . ولم تكن هناك ، إطلاقا ، إدارة جامعية بالمفهوم الحديث من هذا الاصطلاح . وكان الأساتذة يستنفدون جل وقتهم في اجتماعات الجامعة المختلفة . لقد كانت الجامعة مستقلة بذاتها إلى حد ما ، وكانت لها شخصيتها التي تتمتع بكل احترام وتقدير . وبذلك لم تتعرض لبعض عيوب نظام يسمح للوكلاء والقيمين أو نواب الملك بالتحدث عن أساتذة الجامعة كما لو كانوا « رجالهم المأجورين » . وأما عما إذا كانت حرية الأستاذ تستبرح مكمولة في ظل هذا النظام ، فهذا موضوع آخر . فلقد كان لمهنة الأساتذة القدرة على ممارسة سلطة تامة في نطاق عملهم ، وإن لم تمتد سلطتهم إلى حد السيطرة على الرأي والتحكم فيه . ولم يكن تحكم الزملاء إلا نوعا من « تحكم الجار الذي يعيش في البيت المجاور » ، وهو ما يبدو أن العالم لم يستطع أن يتجنبه أو يتعاشاه .

تبقى بعد ذلك مسألة حرية الفكر بالنسبة للأستاذ وحقه في أن يقوم بتدريس الحقيقة كما يراها هو ، وهي التي أصبحت تطلق عليها الحرية العلمية . فن الواضح أن الكثير يعتمد فيما يتعلق بهذا الخصوص على مفهومنا للحقيقة . فإذا كانت الحقيقة شيئا تتوصل إليه عن طريق البحث ، فلا بد أن يكون البحث حرا من القيود . ولكن إذا كانت الحقيقة شيئا قد كشفت المصادر الثغاب عنه من قبل ،

فن الواجب تنازلها بالشرح والتفسير فحسب . وليس هناك مدعاة القول بأن الأمر الثاني كان هو مفهوم المصور الوسطى عن الحقيقة ووسائل تدريسها . وكان الرأي السائد ، أن الإيمان يسبق العلم ويحدد أبعاده ويصف أحواله ، . (١) وقد قال أنسيلم (٢) Anselm « إني أؤمن لكي أفهم ، ولكن لا اقتنى المعرفة كي أحصل على الإيمان » ، (٣) وبناء على ذلك ، إذا كان العقل حدوده وعلاقاته ، فراجع العقل أن يكون متواضعا . فقد قال البابا جريجورى التاسع (٤) « لا تتركوا أساتذة جامعة باريس وطلابها يبدون كفلاسفة ، ولكن دعوهم يصاهدون في سبيل الإيمان » ، هذا ، وتكشف كثير من القصص والروايات التي لها دلالتها عن أخطار النظرية الفكرية والاعتداد على العقل فحسب ؛ إذ تسلط الأضواء على أساتذة قدروا مكانتهم ومراكزهم بسبب غيلائهم وغرورهم . فتجد إتيان دي تورناي Etienne de Tournay ، بعد أن أثبت عقيدة الثلاث « بكل وضوح وبطريقة يبدو فيها التناقض والانسجام وبكاثوليكية خالصة » ، يؤكد أنه يمكنه بكل سهولة وبكل بساطة أيضا هدم هذا الإثبات . وكانت مسيحية المصور

Alsop, J. B., Manual of Universal Church History (١)
(Cincinnati, 1876), II, p. 733.

(٢) حول أنسيلم وأفكاره ، أنظر ماسبي ، ص ١٩ و ١٠٤ - ١٠٥ و ١٠٧ من الاسم الأول من هذا المجلد [المترجم] .

(٣) وهو بذلك يجبر من وجهة نظر الكنيسة اللاتينية في المصور الوسطى ، وهي أن العقيدة والإيمان يسبقان الفكر والعقل [المترجم] .

(٤) شغل جريجورى التاسع الكرسي البابوي من سنة ١٢٢٧ م إلى سنة ١٢٤١ م ، وهو القديس صومر سومة المعروف لصالح جامعة باريس سنة ١٢٣١ ، وله آراء وأفكار فيما يتعلق بسيادة الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية [المترجم] .

الوسطى المستقيمة تنظر شذوا إلى مجرد الاجتهاد العقلي ، ذلك لأن الكثير من منافقات المدارس الجامعة لم تود إلى أية نتيجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد اتضح أن العقل الذى يفكر فى أمر ما بحرية تامة ، قد يقع بسهولة فى المحرقة . لذلك أقامت كنيسة المصور الوسطى [فى الغرب] نوعا خاصا من المحاكم عرفت باسم محاكم التفتيش مبهتها اكتشاف أمر البدع والمحرقات وإدانتها ومعاقبة مبتدعيها ^(١) .

هكذا كانت الأحوال السامة للأساتذة . لماذا كان ، إذن ، الموقف على حقيقته ؟ كانت الحرية ، فى الواقع ، مكفولة بوجه عام ، فيما عدا ما يتعلق بالفلسفة وعلم اللاهوت . لقد كان الأساتذة يتمتعون بحرية تامة فى إلغاء المحاضرات والمنافسات فى القانون والطب والنحو والرياضيات . ولم يصادفوا أية مناعب لأنه لم تكن توجد مشاكل اجتنابية يفهمها الحديث ، كذلك لم يكن تدريس العلوم الاجتنابية كما هو الحال الآن . وبقدرة معرفتنا لم يدان أى أستاذ فى المصور

(١) لقد طاق المصلحون والمراعاة الدينيون فى الغرب العلم الكثير من صنوف الاضطهاد والتنكيل ، وبخاصة خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلاد . فقد امتازت هذه الفترة بظهور محاكم التفتيش الدينية خلال بابوية كل من جريجورى التاسع والوست الرابع ، والى كانت تنزل بمن محبوم حوله شبهة المحرقة أو الخروج عن تلاميذ الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية على صنوف التعذيب . انظر فى ذلك Bell, M. I. M., A Short History of the Papacy (London, 1921), p. 171 ; Turberville, op. cit., pp. 145 ff. راجع أيضا على مظهر : محاكم التفتيش (القاهرة ١٩٤٧) ، ص ٤٩ وما بعدها . [الترجمة] .

الوسطى لانه بشر بحرية التجارة أو حرية استخدام الفضة (١) أو الاشتراكية (٢)، أو ما إلى ذلك من أمور. وفوق هذا وذاك، بينما كان من الجائز أن تحرق حلنا الرسائل والمقالات الفردية كما كان يحدث في العصر المتأخر للإمبراطورية الرومانية، إلا أنه لم توجد رقابة منظمة على الكتب قبل القرن السادس عشر.

وننقل الآن إلى الحديث عن الفلسفة واللاهوت. لقد كانت للمشكلة تكن، بطبيعة الحال، في علم اللاهوت. أما الفلسفة فقد كانت حرة طليقة غير مقيدة

(١) اعتبرت كنيسة الصور الوسطى الصجارة عملا مردولا وكسبا غير حلال، ولهذا لاومتها وحاربتها دون رفق أو هوادة. وكان الربح الناتج منها، في نظرهما، خطرا على الحياة الروحية، وقد لاقى وقع التجار تحت طائلة القوانين الكنسية. وما يقال عن الصجارة يقال أيضا عن الربا، وهو إقراض المال مقابل فوائد. وكان الربا، في نظر الكنيسة، خطيئة مميعة باعتبارها هو الآخر محرما صراحة في الكتاب المقدس. وكان هذا هو موقف كثير من البابوات والمفكرين واللاهوتيين من هاتين للكنسيتين، من أمثال البابا جريجوري التاسع والقدوس توما الأكويني. ولكن مع ظهور التجارة النامية في أوروبا اعتبارا من القرن الثاني عشر، وما ترتب على ذلك من ظهور مفكلات الربح والربا التي أصبحت مسألة حياة أو موت بالنسبة لحرية الصجارة، استعصى الأمر البحث عن وسائل وحلول توفق والأوضاع الجديدة التي طرأت على المجتمع الغربي في أواخر القرون الوسطى، وأصبح الاتجاه الغالب هو التساهل والتسامح والتخفيف في وقت كانت فيه أوروبا تمر بفترة تغير وانقلاب من العصر البسيط إلى عصر النهضة، وفي وقت كان فيه كل شيء في تغير تدريجي مستمر. أنظر كولتون: عالم العصور الوسطى (الترجمة)، ص ٢٨٧ - ٣٠٣؛ راجع أيضا Pirenne, H., *Economic and Social History of Medieval Europe* (London, 1961), p 14 f., 28 f. [المترجم].

(٢) حول الاشتراكية في المسيحية، أنظر كولتون: عالم العصور الوسطى (الترجمة العربية)، ص ٢٨٨ و ٢٩٤، ج ١، ص ٣١٦ و ٣١٧ [المترجم].

طالما لم تمس المسائل اللاهوتية . هذا من جهة ، ولكن من جهة أخرى كانت الفلسفة مبيأة تماما لأن تمس المسائل اللاهوتية وتعرض لها ، وكانت الحرب قائمة بصفة متقطعة طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر بين اللاهوت المسيحي والفلسفة الوثنية ممثلة في مؤلفات أرسطو . وقد بدأها بطرس إيلارد عندما حاول تطبيق منهجه المنطقي على البحث اللاهوتي ، واستمر الحال على هذا المنوال عندما شجع معاصره جيلبرت دي لا بوريه (١) Gilbert de la Porrée على الابتكار من استخدام منطق أرسطو في التلؤلؤ في المسائل اللاهوتية . وفي نهاية القرن الثاني عشر كانت العقول قد تشربت تقريبا هذا المنطق الجديد ، New Logic . ثم جاءت بعد ذلك كل من الفلسفة العقلية (٢) والفلسفة الطبيعية لأرسطو مع تعليقات العرب عليها . وقد كانت دراستها ممنوعة رسميا في جامعة باريس في عامي ١٢١٠ م و ١٢١٥ م . وفي عام ١٢٣١ م طلب البابا (٣) أن «تفحص [هذه الأفكار] وتظهر من كل شك في أي خطأ وارد بها » . ولكن في عام ١٢٥٤ م أصبحت هذه الدراسات جزءا من المنهج الدراسي في الآداب . ولم يتم تصحيحها أو تنقيتها ، وإنما أصبحت مسارة لمفهوم الإيمان المسيحي . وبعد ذلك بجيل كانت هناك ابتكاسة بظهور الرشدية (٤) Averroism ، مؤكدة مذهب أرسطو في المادة وهم فنانها وتعميد الأجرام السماوية لما يحدث على الأرض

(١) جيلبرت دي لا بوريه يعتبر من أبرز تلامذة الفيلسوف بطرس إيلارد ، ولد أدبني بالمطبعة بسبب الآراء الفكرية التي نادى بها ، انظر LaMonte, op. cit., p. 566 [الترجم]

(٢) وتعرف أيضا باسم ميثافيزيقيا ، أي علوم ما وراء المادة [الترجم] .

(٣) هو البابا جريجوري التاسع [الترجم] .

(٤) نسبة إلى ابن رشد ، وحول الرشدية اللاهوتية وأثرها في الغرب أنظر عبد الرحمن

بدوي : فلسفة المصور الوسطى ، ص ١٦١-١٦٥ [الترجم] .

من أفعال . ولقد أذن أسقف باريس في عام ١٢٧٧ م مائتين وتسعة عشر خطأ لهذه الجامعة (١) ، وهو نفس الأسقف الذى ابتهر الفرصة لإعلان أسفه لإقحام طلبة الآداب أنفسهم فى المسائل اللاهوتية . وخلال هذه الفترة كانت آراء أوسطو وأفكاره كلها تعلم وتدوس فى [جامعة] باريس . كما استخدم ثوما الأكوينى طريقته فى بناء صرحه الضخم لعلم اللاهوت المدرسى . وقد اختص آخرون بتأمل فلسفى واسع النطاق ، وكان باستطلاعهم عندما تواجههم المتاعب إنقاذ أنفسهم بالالتجاء مرة أخرى إلى المذهب القائل بأن ما يصدق فى الفلسفة قد لا يصدق فى اللاهوت ، وأن العكس هو الآخر صحيح .

هذا ، وفيما يتعلق بموضوع حرية التعليم ، فقد أطلعت على جميع المستندات الخاصة بالقرن الثالث عشر المحفوظة فى دار الأرشيف والسجلات فى باريس Paris Chartularium ، ولم أشر على ما هو جديد خلاف ما ذكرت من حاجة ومجادلات عظيمة . فى عام ١٢٤١ م فحص رئيس الجامعة وأسئلة اللاهوت بها مجموعة من عشر غالفات وأداؤها ، وهى عبارة عن سلسلة من المقالات والقضايا المويصة المجردة التى تتعلق بإثبات جوهر الطبيعة الإلهية والملائكة والمقر الفعلى للأرواح المجددة فى العالم الآخر ، سواء أكان ذلك فى السماوات العليا أم فى السماء السفلى . ويبدو أن أستاذا يدعى ريموند Raymond كان قد سجن عام ١٢٤٧ م لأخطاء ثبت عليه ، وذلك وفقا للشورى التى أبدأها أسئلة اللاهوت . كما حرم أستاذ آخر يدعى جون دى بريسكان John de Brescan من حقه فى التدريس بسبب أخطاء مبيتة فى المنطق « بدت أقرب

(١) وهى مقالات كان يتم فحصها وإعلان طابعها من إجماع وعائلة لدين [المرجع] .

ما تكون إلى الهرطقة الأديوسية .^(١) وبذلك اختلطت الموضوعات المتعلقة بطبيعتي المسيح اللتين وضع حدودهما الآباء [الأول في المسيحية] (٢).

(١) نسبة إلى كاهن سكندري يدعى اديوس Aëtius، وقد انفجرت بدعته إلى ما وراء الحدود المصرية داخل الامبراطورية الرومانية الشرقية وخارجها ، وبين الأمم الجرمانية بصفة خاصة ، وتخلص بدعته ل أن المسيح مخلوق وهو يشبه الله الأب ، ولكن طبيعته تختلف عن طبيعة الأب الذي كان موجودا قبله ، غير أن عمل الأب اتبى خلق الابن بنفسه من روحه القدس في المذراء مريم ، وهذا الابن خلق العالم . وقد تصدى لأديوس في المجمع المسكوني الأول الذي عقد عام ٣٢٥ م في مدينة نيقية تحت رئاسة الإمبراطور قسطنطين الكبير أنثاسيوس السكندري الذي أصبح فيما بعد بطريركا على الاسكندرية ، وحدث حجاج اديوس حتى قرر المجمع خلقا نظريته وحرمان اديوس من الكنيسة واعتبار حركته هرطقة . انظر من ذلك Chadwick, H., *The Early Church* (London, 1969), pp. 129 f., 188 ff.; Stanley, D., *Lectures on the History of the Eastern Church* (London, 1924), pp. 180, 148, 155 ff. [المترجم]

(٢) كان ذلك في المجمع المسكوني الرابع المعروف بمجمع خلقيدونية الذي عقد عام ٤٥١ م بدعوة من الإمبراطور البيزنطي مارسيان (٤٥٠—٤٥٧ م) ، فنظر والبحث في مسألة الطبيعتين والهيكلين والطبيعة الواحدة والمفئة الواحدة للمسيح . وكانت هذه المسألة تدور وقتها من أخطر المسائل التاريخية . وقد أخذ الحزب الأورثوذي فيها بالقول الأول ، بينما ظل الحزب المصري محافظا على مبدأ الطبيعة والمفئة الواحدة بالرغم من انحياز أغلبية المجمع للرأي الآخر . ويلاحظ أن النزعات السياسية اتخذت مكانا لها وراء الجدل الديني لأول مرة في تاريخ هذا المجمع وما أسفده من عالم وقرارات أثارت موجة من الجدل والمخاللات المذهبية التي احتز لها كيان العالم المسيحي بنف. انظر من ذلك Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, pp. 55, 59, 72, 96 f.; Baynes, N. H. & Moss, H. St. L. B. (eds.), *Byzantium* (Oxford, 1953), pp. 99 ff., 215 ; Bury, J. B., *History of the Later Roman Empire*, vol. II (New York, 1958), pp. 65, 357 ff. [المترجم]

وحال عام ١٢٥٥ م كانت باريس تغل غليانا بسبب ما أطلق عليه اسم « الإنجيل الخالد » (١) *Eternal Gospel* . وهو عبارة عن رسالة تتضمن رؤيا رمزية تتلها بمهد جديد الروح يبدأ في عام ١٢٦٠ م ، وهو للعام الذي يجب أن يبطل فيه العمل بالعهد الجديد ويمزج البابا وهيئة رجال الدين . وعندما اعتنقها بعض الأفراد التقدميين من جماعة الإخوان الفرنسيين ، أصبحت هذه العقائد مجالا لصراع طويل مع الجماعات الرهبانية التي من مبادئها التسول في طلب الصدقة والإحسان ، ولكن دون الوصول إلى نتائج حاسمة قاطعة . وفي عام ١٢٧٧ م وصل إلى باريس منشور يحتوي على ثلاثين مخالفة في الآداب أداهاها جامعة أكسفورد ليس باعتبارها هرطقة ، وإنما لأنها كانت تكفي لمرور الأستاذ الذي يقوم بتدريسها . ولكن عندما نحمد الأساتذة في الجامعات يلفون حالات الإسم ونهايات الأفعال في اللغة اللاتينية (٢) [أي عندما يتحدثون بصيغة الغائب] ، فإمنا نسمع بمطف أكثر نحو الطلاب السيئ الخطأ أكثر من إشفاقنا على الأساتذة الممزولين أنفسهم . وإن هذا ليدكرنا بالتمريف الحديث للحرية العلمية بأننا « من حق الفرد أن يعبر عما يفكر فيه ، ولكن دون التفكير فيما يقوله شخص ما » .

(١) هو عبارة عن سفر رمزي من أسفار العهد الجديد يتميز بشوئه الهديد ، وقد وضعه هضس يدهي يوحنا اللاهوتي من جزيرة باتموس في عهد الإمبراطور دوميتيان Domitian ، وفيه يدهي كآيه أنه يكلف من مستقبل المسيحية بدد زوال ملكة المسيح الدجال . أتلركولون : عالم الصور الوسطى في النظام والمشاراة (الترجمة العربية) ، ص ٥٥ وح ٢ . [المخرج] .

(٢) كأن يقول باللاتينية *ego currit, tu currit* ، أي بصيغة الغائب ، و ترجمتها « أنا يجرى ، أنت يجرى » ، وهكذا . وذلك بدلا من التصريف المادى وهو « أنا أجرى *ego curro* » و « أنت تجرى *tu curris* » ، وهكذا [المخرج] .

هذه هي الأئمة المحوطة فقط فيما يتعلق بالتدخل في حرية التعليم عندما ينوص الفرد في زوامة التأملات اللاهوتية ، وكان ذلك في أكثر فترات تاريخ العلم حيوية ونشاطا . وهنا يجب أن نقرر أنه كان يوجد قدر كبير من الحرية الحقيقية . ولقد نارت كل المصاعب والمشاكل تقريبا كما كان يستمر مرطقة تسمى المسائل اللاهوتية ، أو إفراطا في التطفل في المسائل والأمور اللاهوتية من جانب أولئك الذين كان ينقصهم التدريب والتمق في علم اللاهوت . وأما أولئك الذين ارتبطوا بوظائفهم ارتباطا وثيقا ، فيبدو أنهم قد تركوا شأنهم بصفة عامة . وكما أجاب المشرح العظيم كوجاس (١) في القرن السادس عشر عندما سأله إن كان على المذهب البروتستانتي أم المذهب الكاثوليكي ، فرد بأن هذا الأمر ليس من اختصاصهم (٢) . وحتى فيما يتعلق بمجال الدراسات اللاهوتية والفلسفية الذي كان موضع رعاية أكثر من غيره ، فن المشكوك فيه أن وجد الكثيرون أنفسهم وقد ضيق الخناق عليهم . ولم يشعر الناس بالقبول المتعلقة بحرية إبداء الرأي مثلما نصح بها الآن ، بعد أن تقبلوا مبدأ سيادة القانون باعتباره نقطة البداية [في أي أمر من الأمور] . فلا يعتبر هذا الحاجز عائقا بالنسبة لأولئك الذين لا يوردون الخروج منه . وإن العديد من الحواجز والعقبات التي كانت تبدو غير عملة في عصر زاد فيه الشك والإلحاد ، لم يشعر رجال العلم في

(١) هو المشرح والقانوني المعروف جاك كوجاس (١٥٧٠ - ١٥٩٠ م) .
والتميز من المعلومات عنه أنظر . Stone, op. cit., pp. 186 , 188, 169.
[المترجم] .

(٢) وباللاتينية : « Nihil hoc ad edictum praetoris » ، وترجمتها الحرفية : « إن هذا ليس من اختصاص السيد الرئيس » . [المترجم] .

ظلها بأنها حواجز أو موانع . فهو حر من يشعر فيها بينه وبين نفسه بأنه حر
طليق .

وعلاوة على ذلك ، فمن السهل على أولئك الذين اعتادوا على التناقضات الواسعة
والنفجوات العميقة في وجهات النظر المتباينة في العالم الحديث ، أن يكونوا صورة
زائفة غير حقيقية عن تطابق الفكر واتسافه في العصر الوسيط . فلم تكن الفلسفة
المدرسية ذات طابع واحد ، وإنما كانت متعددة الجوارب والزوايا كما يذكرها
مؤرخوها على الدوام . ولقد ثارت المنازعات واحتدم الجدل والنقاش بين
المدارس المختلفة . وكانت الخلافات في الآراء سادة حثيفة ، مثلما كانت بين
الإغريق القدماء ، أو كما هو الحال في عصرنا الحالي . وإن بدت الاختلافات في
معظم الأحيان عقيمة عديمة الأهمية والجدوى أو غير حقيقية لمن ينظر إليها من
بعد ، إلا أنه بوسمنا أن نضعها في قالب حديث . وذلك ، على سبيل المثال ،
بالإنحاء إلى المشكل القديم الخاص بطبيعة التصورات الكلية التي فرقت بين الإسميين
Nominalists والواقعيين Realists في المصور الوسطى . فهل الكليات هي مجرد
أسماء ، أم أن لها وجود جدى مستقل عن تحققها ؟ (١) وقد يبدو الأمر برمتة
سفيا إذا اعتبرنا المسألة مسألة منطق فحسب ، ولكنه مثير حقا بمجرد أن يصبح

(١) المصود بذلك مهككة الكليات ، ومفادها هل توجد الكليات من حيث هي
خارج الذهن ، أم هل توجد داخل الذهن ، أم أنها لا توجد على الإطلاق ، وتوجد الجزء
فحسب ؟ وقد كان على رأس الإسميين وليام أوكهام ومندسته وعلى رأس الواقعيين توما
الأكويني ومندسته [المرجع] .

مسألة حياة . ذلك أن جوهر حركة الإصلاح الديني (١) يكن بدون شك فيما إذا كنا ننظر إلى الكنيسة من وجهة نظر إسمية أم من وجهة نظر واقعية . وتعتمد المشكلة الرئيسية المتعلقة بالسياسة ، إلى حد كبير ، على وجهة النظر الإسمية أو الواقعية للدولة . ولا شك أنه في سبيل وجهتي النظر الخاصتين بهذه المشكلة مات الملايين من الناس « بطريقة فظة » وبدون وعى ، وفي معظم الحالات وهم غير مدركين لنقاط الخلاف العميقة للسلطة السياسية التي حاربوا من أجلها ، ولكنهم مع ذلك يفهمونها عندما يعبر عنها بشكل ملوس متناسك ، وذلك بوضع مصلحة الدولة فوق مصلحة الأفراد .

وهكذا ، كثيراً ما عالج أستاذ الصور الوسطى الاهتمامات والمصالح الإنسانية الدائمة في زمنه وبأسلوبه الخاص ، عندما شجذ عقول الناس وأبقى على التقليد العلمي المتصل حياً متقدماً .

(١) المقصود بذلك الحركة اللوثرية في القرن السادس عشر نسبة إلى زعيمها مار틴 لوتر الذي نادى بالخروج على كل ما أصبحته الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية من تعاليم وأكدار في وقت كانت فيه هذه الكنيسة قد فقدت سيطرتها العالمية وذلك حينها وقدسيها وأخذ الناس ينفضون من حولها وينفككون فيها بسبب الانحلال الذي دب في كيانها . وقد كان لهذه الثورة البروتستانتية المأروضة آثارها في قيام ما عرف في تاريخ الكنيسة الرومانية باسم حركة الإصلاح الكاثوليكي في القرن السادس عشر ، والتي أعادت إلى الجبال الكنس البابوي في الغرب بعض ما كان له من مكانة وهيبة في بداية المسيحية . انظر من ذلك Mackie, J. D., *The Earlier Tudors* (Oxford, 1966), p. 387 f. et seq.; Vidler, A. R., *The Church in an Age of Revolution* (London & Beccles, 1968), pp. 215, 289, 258; Cragg, *The Church and the Age of Reason*, pp. 93 ff, 101, 108, 212, 215, 228 f. f. المترجم] 276 [

بعض المراجع للفصل الثاني (١)

- Arts, F.B., *The Mind of the Middle Ages, A.D. 200—1500: A Historical Survey*. New York, 1954.
- ويتضمن كتاب د. ب. آرثر قائمة متنازة بالمراجع المتعلقة بالفكر في العصور الوسطى .
- Bolgar, R.R., *The Classical Heritage and Its Beneficiaries*, Cambridge, 1954.
- Boyce, G.C., "American Studies in Medieval Education," *Progress of Medieval and Renaissance Studies*, XIX (1947), pp. 6—30.
- Breen, Q., "The Twelfth-Century Revival of the Roman Law," *Oregon Law Review*, XXIV (1944—1945), pp. 244—287.
- Castiglioni, A., *A History of Medicine*. New York, 1941.
- Cavazza, F., *Le scuole dell'antico studio bolognese*. Milan, 1896.
- ويشتمل كتاب د. كافانزا أفضل ما كتب من حبرات الدراسة في جامعة العصور الوسطى .
- Chambon, F. (ed.), *Robert de Sorbon's De consuetudine*. Paris, 1903.
- Crombie, A.C., *Augustine to Galileo : The History of Science, A.D. 400—1650*. London, 1952.
- Cribberley, E.P., *Syllabus of Lectures on the History of Education, with Selected Bibliographies*. New York, 1902.
- يتضمن كتاب أ. ب. كريبلي قائمة مفصلة بالمراجع المتعلقة بالتعليم .
- Drane, A.T., *Christian Schools and Scholars*. New York, 1909.
- Duhem, P., *Le système du monde de Platon à Copernic*. 5 vols. Paris, 1913—1917.
- Eckstein, F.A., *Lateinischer Unterricht*. Leipzig, 1882.
- Eckstein, F.A., *Lateinischer und griechischer Unterricht im Mittelalter*. Ed. by H. Heyden. Leipzig, 1887.

(١) أنظر قائمة المراجع المائل بها الفصل الثامن من كتاب كولتون (ج.ج.): *عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة وتعليق د. جونيف ليم يوسف - ط ٢ ثانية (الإسكندرية ١٩٦٧)* ، ص ٢٣٨ - ٢٤٦ ، فهي تتضمن مراجع في تاريخ الحضارة والثقافة في العصر الوسيط بعامة ، ومراجع متخصصة في حرية الفكر وفي الحياة العقلية ، بما تحسول من العلم والتعليم وتقناك .

- Gilson, E., *History of Christian Philosophy in the Middle Ages*. New York, 1955.
- Grabmann, M., *Geschichte der scholastischen Methode*. 2 vols. Freiburg, 1909—1911.
- Grabmann, M., *Mittelalterliches Geistesleben, Abhandlungen zur Geschichte der Scholastik und Mystik*. 3 vols. Munich, 1926—1936.
- Graves, F.P., *A History of Education During the Middle Ages and the Transition to Modern Times*. New York, 1910.
- Haskins, C.H., *Studies in the History of Mediaeval Science*. Cambridge, Mass., 1927.
- Haskins, C.H., "The Early 'artes dictandi' in Italy," *Studies in Mediaeval Culture* (Oxford, 1929), pp. 170—192.
- Haskins, G.L., "The University of Oxford and the 'ius docendi'," *English Historical Review*, LVI (1941), pp. 281—292.
- Higbet, G., *The Classical Tradition*. New York & London, 1949.
- Laisner, M.L.W., *Thought and Letters in Western Europe, A.D. 500—900*. London, 1957.
- Leach, A.F., *Educational Charters and Documents, 598—1909*. Cambridge, 1911.
- Leach, A.F., *Some Results of Research in the History of Education in England with Suggestions for Its Continuance and Extension*. Oxford, 1915.
- Liebeschuetz, H., *Medieval Humanism in the Life and Writings of John of Salisbury*. London, 1950.
- Masius, H., *Die Erziehung im Mittelalter*. Stuttgart, 1892.
- Monroe, P., *Syllabus of a Course of Study on the History and Principles of Education*. New York, 1911.
- ويتضمن مؤلف هـ. مولرو قائمة بالمراجع الخاصة بالتعليم .
- Monroe, P. (ed.), *A Cyclopaedia of Education*. 4 vols. New York, 1911—13.

Norton, A.O., *Readings in the History of Education : Mediaeval Universities*. Cambridge, Mass., 1909.

ويشتمل كتاب أ.أ. نورتون على دراسة قيمة من كتاب ه. لم ولا : الفيلسوف بطرس أبيلارد.

Pactow, L.J., *The Arts Course at Medieval Universities with Special Reference to Grammar and Rhetoric*. Urbana, Ill., 1910.

Pactow, L.J. (ed. & tr.), *Henri d'Andeli's La bataille des VII arts*. Berkeley, Cal., 1914.

Paulsen, F., *Das deutsche Bildungswesen in seiner geschichtlichen Entwicklung*. Leipzig, 1906.

Poole, R.L., *Illustrations of the History of Mediaeval Thought and Learning*. London, 1920.

Post, G., "Alexander III, the 'licentia docendi', and the Rise of the Universities," *C.H. Haskins Anniversary Essays*. (Boston, 1929), pp. 255—277.

وتبحث ج. بوست في مقالته من : إجازة التدريس في الجامعة .

Post, G., "Master's Salaries and Student-fees in the Mediaeval Universities," *Speculum*, VII (1932), pp. 181—198.

هنا نناول في هذه المقالة موضوع المصروفات الجامعية ومربيات الأساتذة .

Post, G., Giocarinis, K. & Kay, R., "The Medieval Heritage of Humanistic Ideal : 'scientia domini Dei est, unde vendi non potest'," *Traditio*, XI (1955), pp. 195—234.

Richardson, H.G., "Letters of the Oxford dictatores," *Oxford Historical Society, n.s.*, V (1942), pp. 329—450.

Riesman, D., *The Story of Medicine in the Middle Ages*. New York, 1936.

Sandys, J.E., *A History of Classical Scholarship*, Vol. I. Cambridge, 1921.

Sarton, G., *Introduction to the History of Science*, 3 vols. Baltimore, 1927—1948.

Schmid, K.A., *Enzyklopädie des gesamten Erziehungs- und Unterrichtswesens*. Ed. by W. Schrader, 10 vols. Gotha & Leipzig, 1876—87.

- Sikes, J.G., Peter Abailard. Cambridge, 1932.
- Smith, D.E., History of Mathematics. Boston & New York, 1923—1925.
- Specht, F.A., Geschichte des Unterrichtswesens in Deutschland von den ältesten Zeiten bis zur Mitte des 13 Jahrhunderts. Stuttgart, 1885.
- Taylor, H.O., The Mediaeval Mind. 2 vols. New York, 1959.
 ويصير كتاب هـ. أ. تايلور من المراجع العامة التي تتميز بأهميتها البالغة فيما يتعلق بموضوع العلم والتعليم في المصور الوسطى. هذا ، وقد اعتمد شارل هورس هاسكنز في كتابه « نشأة الجامعات » على الطبعة الرابعة من مؤلف تايلور ، وهي طبعة كامبريدج سنة ١٩٢٥ .
- Taylor, W.J., A Syllabus of the History of Education. Boston, 1909.
- Thorndike, L., History of Magic and Experimental Science. 6 vols. New York, 1923—1941.
- Vinogradoff, P., Roman Law in the Middle Ages. Oxford, 1929.
- Watson, F. (ed.), An Encyclopaedia and Dictionary of Education. 4 vols. London, 1921—22.
- Webb, C.C.J., John of Salisbury. London, 1932.
 ويصير مؤلف ووب من أفضل ما كتب عن جون أوف سالسبوري حتى الآن .
- Wieruszowski, H., "Ars dictaminis in the Time of Dante," *Medievalia et Humanistica*, I (1948), pp. 95—108.
- Wieruszowski, H., "Arezzo as a Center of Learning and Letters in the Thirteenth Century," *Traditio*, IX (1953), pp. 321—391.
- Wulf, M. de, History of Mediaeval Philosophy, Vol. I, trans. from the 6th French ed. by E.C. Messenger. New York, 1952.

الفصل الثالث

طالب المصور الوسطى

مصادر معلوماتنا عن طالب المصور الوسطى :

المصورات التي تكتنف معالجة موضوع حياة الطالب في المصور الوسطى - مصادر معلوماتنا عنه : سجلات المحاكم ، الدوايح الجامعية ، الخوليات ، صفحات الميثرين ، قصائد الشعراء - أهمية هذه المصادر في الكشف عن حياة الصنخب والبراق التي انغمس فيها بعض الطلبة ، وحياة البؤس والشقاء التي كان يعيشها البعض الآخر .

كتاب الطالب :

قاموس الطالب - دليل الطالب - كتاب فن المحادثة - تقويم هايدلبرج - بعض المختصرات الأولية للسلوك والآداب - كتيب في فن الحديث والمجاملات وكيفية قضاء الطالب يومه الدراسي - كتابا التأديب وآداب المائدة - كتاب الإتيكيت وآداب السلوك .

مخاطبات الطلبة ومراسلاتهم :

رسائل الطلبة تسلط الأنوار على ظروف الحياة الجامعية - معظمها مجرد نماذج صماء وقوالب جامدة - خلوها من المنصر الشخصي أو الفردي - طاب المال مؤأخية الطالب الأولى ، - مختلف الحجم والأحزاب التي يتعامل بها الطالب للحصول على المال من الأمل والأقارب .

أشعار الطلبة وقصائدهم :

الطلبة المنجولون - الجوليارديون والشعر الثنائى الجولياردى - المواضيع التي يتناولها هذا الشعر : الحزن ، النساء ، الحياة المنطلقة للثائرة ، الهجاء ، التهنيت على الجهاز الكفى البابوى - تحميم الشعر الجولياردى والشعراء الجوليارديين ، ونماذج من أشعارهم .

خاتمة :

حياة الطالب المثالي المجد الوقور ، ومدى كشف شمر العصر وثائقه
عنها - أهمية الوثائق والمستندات المتعلقة بالجانب التعليمي في الجامعة
في الكشف عن حياة الطالب - الكتاب الجامعي - الإلتحاق الأدنى للطلبة
يمر عن صوت المجموع وليس صوت الفرد - أوجه الشبه والخلاف بين
طالب الأمس وطالب اليوم .

لقد قال الأساتذة أكثر من مرة « تعد الجامعة مكانا مريحا للضايقة لو أنها لم تكن الطلبة . » وإذا كنا قد تحدثنا حتى الآن عن الجامعات من وجهة نظر الأساتذة ، فقد جاء دور الحديث عن الطلبة . وسواء اعتبرنا هؤلاء شرا لا بد منه ، أو نظرنا إليهم باعتبارهم السبب الرئيس في وجود الجامعة ، فن المؤكد أننا لا نستطيع تجاهلهم أو أن ننقض الطرف عنهم . فلم تكن جامعة المصور الوسطى كتيبة من الضباط ، بل كانت « مجتمعا من المدرسين والدارسين » ، أو من الأساتذة وطالبي العلم . لذا يجب أن نوجه عنايتنا إلى هذا الناصر الثاني الأكثر عددا .

لقد بدا طالب المصور الوسطى في صورة أكثر غموضا من مدرسيه ، لأنه كفرد أقل وضوحا ولفتنا للنظر . وعلى هذا يجب أن ننظر إليه في مجموع الطلبة . وفعلنا من ذلك ، فإن المجتمع الطلابي يختلف اختلافا بينا من حيث الزمان والمكان ، ومن هنا تبدو العموميات والخصائص في هذا الصدد صعبة . لا ينطبق على حصر ما أو جامعة بذاتها ، قد لا ينطبق على المصور والجامعات الأخرى . ويمكن القول إننا إذا نظرنا إلى الجامعات الأمريكية التي تشتهر أحدث عهدا من غيرها ، نجد الاختلافات شاسعة بين طلبة جامعة هارفارد في القرن السابع عشر وبين طلبة جامعتي وليم وماري في القرن الثامن عشر وجامعة كاليفورنيا في القرن التاسع عشر وجامعة كولومبيا في القرن العشرين . فمن المستحيل ، إذن ، أن نعطى صورة صادقة مما استطعنا جمعه بدون تمييز من المصادر المختلفة المتنوعة . ويبدو أننا لا نستطيع أيضا أن نصف حياة الطالب في العصر الوسيط وصفا دقيقا ما لم ندرس ظروف كل جامعة من جامعات هذا العصر دراسة زمنية كرونولوجية . ولم يحاول أحد معالجة هذا الموضوع الأولى معالجة متسقة منظمة .

وليس أمامنا الآن أكثر من أن نشير إلى المصادر الرئيسية التي استقينها معلوماً لنا ، وما تلقينه من أعضاء على حياة الطالب .

وقد استغلنا ، لحسن الحظ ، أن نحصل على كمية وافرة من المادة التي تعالج شئون الطلبة بطريقة مباشرة تقريباً ، وذلك من الشذرات المتناثرة [في المصادر والأصول] التي خلقتها لنا العصور الوسطى . فهناك ، أولاً ، سجلات المحاكم التي احتفظت من وقت إلى آخر بنبذة حية معبرة عن الحياة في العصور الوسطى ، وذلك ضمن التفاصيل الجوهرية لحوادث الاضطراب والشغب البسيطة والإساءات المتكررة الحدوث . مثال ذلك قضية الطالب البولوني الذي هوجم في قاعة الدرس بسيف محدد ، الأمر الذي ترتب عليه إلحاق أضرار بالغة وخسارة فادحة بأولئك [الطلاب] الذين تجمعوا للاستماع إلى محاضرة دكتور في القانون رفيع التقدر عظيم المكانة . ومثال آخر ذلك الطالب الذي هاجمه أحد الكتبة في عام ١٢٨٩م في الشارع أمام قاعة المحاضرات ، فأصابه بمرح في رأسه نتيحة قذفه بحجر ، فتفجر الدم بغزارة من رأسه ، بينما قدم زميلان لمساعدته مقدمين المنح له قائلين : « هيا .. أضربه .. أضربه .. » وما أن وقعت الجريمة حتى ولوا الإذبار . وهكذا تروى ملفات المدعين العموميين في أكسفورد الكثير عن أعمال العنف الدموية التي وقعت في المدينة ، وكذلك حوادث الشغب والفوضى بين طلاب الجامعة . هذا ، ويكشف السجل الذي نشر حديثاً لعامي ١٢٦٥ و ١٢٦٦ م كيف شرع طلبة بولونيا بهمة في الحصول على المال بالاتجاه إلى الاقتراض أو بيع الكتب الدراسية .

وهناك بطبيعة الحال ، لوائح الجامعة والكتليات التي تثبت الأمور المنوعة والمحرمة ، والقرارات الموقفة على الخلفات ، والتي تنظم كذلك موضوعات المناقشة ، وتحدد شكل ولون غطاء الرأس والأرواب ، تلك الملابس الجامعية

التي كان الطلبة يرتدونها ، والتي تبدو لنا اليوم من غلطات المصور الوسطى ، والتي بدت في شكل حديث تماما عندما اتفقت في وقتنا هذا طابعها الأمريكي المعروف . كذلك حرصت تلك اللوائح على أن تتضمن المسائل القانونية الهامة ؛ ومثال ذلك المادة التي تحرم على طلبة أى كلية جامعية قذف الكنيسة بالحجارة ، أو العقوبات المتدرجة في جامعة ليبريج التي كانت توقع على الطالب الذي يتناول شيئا ليقتذف به أستاذه . ويستوى في ذلك من يقتذف أستاذه ولا يصيبه ومن يقتذف ويحدث به إصابة تلحق به الضرر . وكثيرا ما يتوقف كتاب الحوليات عند سرد رواياتهم عن أعمال الملوكة والأمراء ليقصروا شيئا عن الطلبة ومصرفاتهم ، ولو أنهم ذكروا انقيادهم ، كما تفعل الصحف الحالية التي خلفتهم في العصر الحديث ، على ثورات عصيان الطلبة وأعضائهم الخارجة على القانون ، أكثر من توجيه انتباههم إلى الروتين اليومي المستمر للحياة الأكاديمية .

وبأى بعد ذلك دور مبشرى العصر ، فقد كان الكثيرون منهم أساقفة أيضا ، وقد تضمنت عظامهم الكثير من التليجات عن حادات الطلبة ومطابعهم . واستطيع أن نتخذ من مبشرى باريس في هذا العصر دليلا كافيا على عدم صحة الوم القائل بأن جامعة المصور الوسطى قد كرست نفسها لدراسة الإنجيل والتربية الدينية ، هذا إن كنا بحاجة إلى دليل آخر بالإضافة إلى ما تقدم . يقول أحد هؤلاء المبشرين ، إن قلب الطالب كان مترخفا في حياة الوحل ، متعلقا بالديويات ووسائل إشباع رغباته منها . « لقد كان الطلاب » كثيرى التناغم والتشاحن حتى أنهم لم يعرفوا السلام . وأينا ذهبوا وحيثا حلوا ، وسواء أكان ذلك في باريس أم في أورليانز ، فقد كانوا يلقون أمن البلد الذي يحملون به ، كما كانوا يلقون راحة زملائهم ، حتى أن الجامعة نفسها لم تسلم منهم . « وتجمل الكثيرون منهم في الشوارع والطرق وهم مسلحين مهاجمون المواطنين ويقتسمون المنازل ويهينون

النساء موجعين لمن ألفاظ الشتائم والسياب . وكان النزاع والحصام يشور بينهم من أجل السكلاب والنساء وأمور أخرى عديدة . فكانوا يقطعون الأصابع يسيروهم أو بالسكاكين التي يحملونها في أيديهم ، ويندفعون دون أن يسمي شيء قمة رءوسهم الخليفة ، حيث ينغمسون في صراعات لا يستطيع الفرسان المسلحون صدها أو دفعها . ويسرع مواطنوهم من الطلبة إلى مجدهم ، وسرعان ما نجد أننا يأكلها من الطلبة مشتركة في المعركة . وهكذا نجد مبهري باريس يصفون لنا الحالة السائدة في الحى اللاتينى ، فيميطون الثام من الكثير من أنشطة الطلبة المختلفة المتعددة الألوان . فلنسمع صيحاتهم وأغانيتهم التي يتغنون بها في الفوارع على دقوفهم وقيثاراتهم . وهالك أغنية تقول :

الوقت يضى ،
ولم أعمل شيئا .
الوقت أزل ،
ولم أعمل شيئا .^(١)

ونجدنا نسمع « شتائمهم وألفاظهم البذيئة » ، وصفيرهم ، وصفيقهم ،

(١) وليس هذه الأبيات بالفرنسية القديمة :

Li tens s'en veit,
Et je n'ei riens fait ;
Li tens revient,
Et je ne fais riens.

Gf. Haskins, C. H., The Rise of Universities (New York, 1960), p. 68 ; Funck — Brentano, F., Le Moyen Age, p. 195 .

[الترجم]

لوحة رقم (٧)



طالبان بالمالان ويتناقضان

[نُحت على قبر بدير القديس دليس بئرلما]

وصيحات [صبايهم المدوية عند الاستماع إلى الطلقات والمناقضات . وتراهم وهم
يسخرون من جارة لفسرها المستعار ، أو يخرجون ألسنتهم ، ويكثرون اللبارة
ويفحسون لهم بوجوههم . كما نرى الطالب وهو يدرس عند نافذة حجرته
يتحدث عن مستقبله مع زميله في الغرفة . وتراه أيضا وهو يستقبل والديه عند
زيارتهم له ، أو عندما يرحاه زملائه أثناء مرضه ، أو عندما يرقل الزمائم
في جنازة أحد الطلبة . كذلك تراه عندما يزور أحد زملائه من الطلبة ، ويطلب
منه زيارته قائلا له : « لقد قت بزيارتك ، والآن فلتنفضل عندي
في داري . »

وهكذا نجد جميع الفاذج بمثلة . فهناك الطالب الفقير الذى لا صديق له سوى القديس يقول (١) ، وهو يحاول الحصول على صدقة يقدمها له أحد الناس ، أو يحصل على راتب زعيد بحمل المساء المقدس أو بنسخ الكتب للآخرين بخط جميل غير دقيق . وقد نجده فقيرا معدما لا يستطيع شراء الكتب أو الرفاء بمصاريف دراسة أحد مناهج العلوم اللاهوتية . ومع ذلك فهو ، عادة ، متفوق على من هم أحسن حالا منه ، من أقرانه الذين لديهم وفرة من الكتب التى لا يلقون عليها نظرة واحدة على الإطلاق . وهناك أيضا الطالب المتيسر الذى يملك إلى جانب كتبه ومكتبه شمعة تحرق حجرته وفرشا وثيرا مريحاً تملوه مرتبة ماعمة وعليه أغطية تدل على الثرف الذى يعيش فيه ، ونجده يقف تحت عوامل الإغراء وينفسس فى اللولع الذى اشتهرت به الصور الوسطى بارتدائه الثياب الفاخرة تحت زيه الجامعى وضطاء الرأس ، وفى حجرته أيضا دولاب الملابس البسيط - تلك الأمور التى حددتها الوازع الجامعية .

وإلى جانب الطلبة البؤساء والمتيسرين ، نجد أيضا الطلبة الكسالى والمتسكمين

(١) كان القديس يقول St. Nicholas أسقفا على ميرا Myra فى ليسكيالى عهد الإمبراطور الرومانى دقلديانوس . وهو محل تقديس الإغريق واللاتين على السواء ، وسفر عند التربين باسم سانتا كلوز Santa Claus . ويقع عيده فى السادس من ديسمبر من كل عام . وقد اضطهد وعذب بسبب عقيدته وظل فى السجن حتى عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير الذى تميز بالنساج حيال المسيحية وأتباعها . ويقال أنه حضر بمج بقية المسكونى القدى عند سنة ٣٢٥ برئاسة الإمبراطور قسطنطين ، وإن كانت لا توجد أدلة كافية على ذلك . انظر مقالة يقول (القديس) فى دائرة المعارف البريطانية (طبعة سنة ١٩٦٤) ، ج ١٦ ، ص ٤١٦ ، وكذلك Grump & Jacob, Legacy of the Middle Ages, p, 147.

[المرجع] .

الطائفتين الذين لا هدف لهم يسعون إليه ، وهم يهجرون مدرسا ويتضمنون إلى مدرس آخر ، أو وهم ينتقلون من مدرسة إلى أخرى . فهم لا يستمعون إلى مناهج تامة كاملة أو إلى محاضرات منتظمة . كما نجد آخرين لا يهتمهم سوى أن يطلق عليهم اسم طلبة وهم ينعمون بالدخل الذى يتقاضونه فى فترة التحاقهم بالجامعة ، فيذهبون إلى حجرة الدراسة مرة أو مرتين فحسب كل أسبوع ، ويفضلون اختيار المحاضرات الخاصة بالقانون الكنسى التى تسمح لهم بوقت كاف النوم فى فترة الصباح . ويتناول كثير منهم الكمك فى الوقت الذى يجب أن يتواجدوا فيه فى الدراسة ، أو يندم ينطون فى النوم فى حجرات الدراسة نفسها ، ثم يمضون بقية وقتهم فى الشراب فى الحانات أو بناء الحصون فى أسبانيا *Castella in Hispania* . وعندما يحين الوقت لمخادرة باريس يعودون إلى آبائهم ومعهم المؤلفات الضخمة المجلدة بمجلد السجول ذات الهوامش العريضة والأخلفة الحمراء الجميلة ليظهروا لدورهم مقدار علمهم . وبذلك يندم يعودون إلى آبائهم بأحمال مليئة بالحكمة وعقول خاوية منها . ويتساءل المفسر قائلا : « أى معرفة هذه التى قد يسرقها الصوص وتلتهمها الفيران والعناء ويعطبها الماء وتأتى عليها الفيران ؟ » ثم يقدم لنا مثلا عندما يسقط جواد الطالب فى النهر حاملا كل كتبه معه .

وهناك أيضا عدد من هؤلاء الطلبة لا يعودون إلى أوطانهم بالمرة ، بل يستمرون فى الاستمتاع بحقوق غباء بئار دخولهم ومعاشاتهم وحقوق أثناء العطلات عندما يعودوا لأغنياء مع خدمهم راكبين جيادهم والفقراء مترجلين إلى أوطانهم تحت شمس محرقة ، يبقى كثير من المتسككين فى باريس عما يؤدى إلى إلحاق الضرر بهم وبالمدينة نفسها . وعطينا أن نتذكر أن باريس فى العصور الوسطى

لم تكن « أم العلوم » التي لا تبارى فحسب ، بل كانت أيضا مكانا لترفيه الحسن والزماله الطيبة ومختلف المتع والمباهج ، كما كانت ملاذا مفضلا ليس فقط للشغوفين بتحصيل العلم بل أيضا للكهنة الريفين في عطلاتهم . ولذا فليس مما يدعو إلى الغرابة أو الدهشة أن يمد طلاب العلم أحيانا فترة إقامتهم دون مرور ، أو يتباكون عند رحيلهم عنها بمبارات أكثر بلاغة من المعتاد .

ولم يغفل شعراء العصر شأن الطلبة . ومن بين هؤلاء الشاعر [الفرنسى] وليم روتيف ^(١) Guillaume Rutebent الذي يعطينا صورة عن باريس في القرن الثالث عشر تشابه تلك التي زدنا بها الوعاظ الدينيون . هذا ، بينما نجد جان دى هوتفيل ^(٢) Jean de Hauteville في القرن السابق له يصور تماسه

(١) عاش وليم روتيف في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي (١٢٤٥ — ١٢٨٥ م) . ونراه في إنتاجه الشعري يسخر سخرية مبررة من الجهاز الكنسى الباطى الذى دب فيه الفساد . حتى إحدى قصائده يهاجم الفكرة الصليبية قائلا في سراحة عامة أنه من الحماقة والغباء أن يخاطر الإنسان في أوروبا في حرب تتسم بالطابع الدينى خارج بلاده مادام يوسمه أحد يحصل بألف في وطنه وهو بين أهله وصغيرته ، وأن يعيش في نعمة ويسر وسلام . أنظر جوزيف نيسم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى ، ط ٢ ، ثانية (الاسكندرية ١٩٦٧) ، ص ٩٨-٩٩ و ٣٠٥ و ٣٣٦-٣٣٧ ؛ جوزيف نيسم يوسف : العدوان الصليبي والرأى العام الفرنى (الاسكندرية ١٩٦٨) ، ص ٤٩-٥٠ . أنظر أيضا Masson, G., *Medieval France* (London, 1888), p. 96 f. [المترجم] .

(٢) جان دى هوتفيل شاعر نورمانى عاش في أواخر القرن الثاني عشر ، وقد ألف قصيدة بالغة اللاتينية سداسية الوزن تعرض فيها لمخالفات العصر اقدس عاش فيه وبخاصة جشع وتكالب أصحاب الدوجات الماليا في السلك الكنسى . انظر من ذلك Larousse de XXe siècle, t. IV (Paris, 1931), p. 168. [المترجم]

الطالب الفقير المتأخر الذي يقع في سبات عميق وهو متكبد على كتبه ، كما يجرو
 نيجل (١) Nigel العلية الإنجليز الذين يتلقون العلم في باديس في شخصية
 حار (٢) يدعى برويلوس Brunellus ، والذي أشار إليه [الشاعر الإنجليزى
 المعروف] تومس بلسم « دون بيرتل » (٣) « Dawn Burnell » . فهو يقص
 علينا كيف أنه أمضى هناك سبع سنوات يدرس دون أن يتعلم كلمة واحدة .
 وفي نهاية المرحلة ينتق تماما كالخار مثليا كان يفعل في بدايتها ، ثم يترك المكان
 في آخر الأمر وقد اتخذ قرارا أن يصبح راميا أو أسقفا . وإن أفضل وصف
 يتنازل بدقته لحياة طالب هو وصف تومس الذي لا يوجد مثيل له لطالب علم
 من أوكسفورد Oxenford خاوى الوفاض رث الثياب غير متعلق بمطام
 الدنيا ، فهو يقول :

كان يفضل أن يكون مند مقفلة فراهه
 محزون كتابا مجلدة مجلدة سوداء أو حراء

(١) تلمذ نيجل على أنسيلم أوف لون Anselm of Lon ، وأصبح أسقفا على
 ايل El سنة ١١٣٣ م ، وتوفي سنة ١١٦٦ م . أنظر مقالة « نيجل » في دائرة
 المعارف البريطانية (طبعة ١٩٦٤) ، ج ١٦ ، ص ٤٣٧ [المترجم]

(٢) كان الخار يرمز منذ عهد الإفرنجي القديس إلى الأساطير والأمثال القديمة إلى
 بلاهة الذهن والجهل والفناء . ومن هنا جاءت تعبيرات وحكم وأمثال عديدة . انظر من ذلك
 Murray, J. A. H. (ed.), A New English Dictionary on Historical
 Principles, vol. I (Oxford, 1888), p. 498. [المترجم]

(٣) جاء ذكر هذه الشخصية في قصيدة بعنوان « مظلم من أوكسفورد » Oxford
 clerk ، والمقصود بلفظة « دون بيرتل » الأستاذ الخار ، وذلك تيمنا على العلية الخلق
 الأغنياء . [المترجم]

من كتب أرسلطو وفلسفته ،

يفضلها عن الثياب الثمينة وآلات الطرب المرحية .

.....

وكان حديثه عادة يدور حول فضائل الخلق ،

ومجد لذة في الله يصلح ، كما كان يجد لذة في أن يعلم . (١)

ولكن ، بعد كل ما تقدم فإن أحدا لا يعرف عن حياة الطالب أكثر من الطلبة أنفسهم . ولذا أود أن أقتبس من المصادر الأدبية التي كتبها الطلبة في المصور الوسطى ، أو من تلك التي كتبت عنهم . وإن ما خلفوه من تراث علمي يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أنواع هي : كتاب الطالب ، وخطاباته ، والشعر الذي كان يقرئه . ولنبدا في التأمل فيها على التوالى .

أما عن « كتاب الطالب » في المصور الوسطى الذي يتضمن النصائح والمشورة ، فهو لا يتطلب الوقوف طويلا أمامه . فثمة مقالات رسمية عن كل

(١) وفيما يلي نس الأبيات المذكورة بالإنجليزية القديمة :

For him was lever have at his bedden heed
Twenty bokes, olad in blak or reed,
Of Aristotle and his philosophye,
Than robes riche, or fithole, or gay sautrye

.....

Souninge in moral vertu was his speche,
And gladly wolde he lerne, and gladly teche.

أنظر . Haskins, op. cit., pp. 65-66. - وهذه الأبيات قلما تنوثر في مقدمته
لنص كاتربري ، وهي كلها تدور حول طلبة العلم في العصر الوسيط الذين يدورون في دائرة
الدين . وأرقام أسطر هذه الأبيات في مقدمة نصي كاتربري هي ٢٩٣ - ٢٩٦ و ٣٠٧ .
[المترجم] . ٣٠٨

واجبات الطلبة ، وقد تميزت بما اعتاد عليه العقل في الدراسة في العصور الوسطى .
ولكن النصائح والتوجيهات التي احتوتها ما هي إلا نصائح وتوجيهات تتميز
بعموميتها الشديدة ، ويمكن تطبيقها من عصر إلى آخر . وكان يوزعها الأمانة
الملبوسة التي تحمل صفات العصر تنبض بالحياة باعتبارها مصادر ذات فائدة
في الكشف عن الحياة الجامعية .

وثمة نموذج أكثر أهمية وإقناعا من كتاب الطالب ، ألا وهو د قاموس
الطالب ، الذي يدين بوجوده إلى متانة مركز اللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الدولية
السائدة في دوائر العلم والتعليم في القرون الوسطى . فقد كانت المحاضرات
والكتب الدراسية المقررة مكتوبة كلها باللغة اللاتينية . وأكثر من ذلك ، كان
الطلبة ملزمين باستخدام اللاتينية في أحاديثهم ومحادثاتهم . وقد وضعت هذه القاعدة
لحد من التخاطب ، وحتى تكون دافعا لهم على تحصيل العلم في ذات الوقت . وكان
يتم تنفيذها بتوقيع العقوبات على المخالفين وبواسطة عشرين كان يطلق عليهم لفظ
« ذئاب » .

هذا ، والطالب المستجد ، أو ذو المنقار الأصفر كما كان يطلق عليه في
الأحاديث الخاصة بالعصور الوسطى ، قد يجد نفسه غير مزود بما يحمله مفهوم
في مجتمعه الجديد . ونفسيرا له فقد أعد له أستاذ من جامعة باريس في القرن
الثالث عشر يدهي جون أوف جارلاند^(١) John of Garland كتابا بالمقررات
اللغوية التي تساعد على وصف مختلف الأشياء . وقد تم تبويبه حسب الموضوع ،
كما تم تخصيص أجزاء كبيرة منه للأشياء التي يراها الطالب أثناء تجواله في شوارع

(١) حول جون أوف جارلاند ، انظر ماسبيس ، ٣١٤ و ١ من هذا الكتاب [المخرج] .

باريس . (١) وهكذا ، يقود الكتاب قارئه من حى إلى آخر ، ومن حرفة إلى أخرى ، ومن مكتبات بارنوتتردام Parvis Notre — Dame الدواجن القائم في الشارع الجديد المجاور إلى موائد الصياغة وحوائث الصاغة عند الجسر الكبير وإلى صانعي الأقواس عند بوابة القديس لئازر (٢) . ولم يغفل المؤلف فئات العمال Ouvrières التي يحتل جدا أن يتعرف إليها الطالب . فهناك السروجية وصانعو التفازات والفراء ، وهناك أيضا الإسكافيون والصيادلة ، الذي قد يستخدم الطالب سلمهم وبضائعهم جميعا . هذا ، إلى جانب مكتبته والشموع وأدوات الكتابة التي تعتبر من مستلزمات دراسته . وكان للطلاب صلات كثيرة مستمرة يباينهم الطعام والشراب الذين انقشروا وكلاؤهم يمرضون بضائعهم بلجاجة وإلحاح ونشاط في شوارع الحى اللاتين وبين أزقة ودروبه ، وهم يقدمون السلع الرخيصة للطلاب وندمهم . كما وجد باعة التبيذ الجائلون يصيحون ملنين عن حيناتهم لمختلف أنواع الاثربة التي توجد في الحمامات . وثمة بائعو الفسافة يذعنون الطلبة في الحس والجرجير والكريد والكثري والتفاح الأخضر . وفي الليل كان هناك باعة فطائر الحلوى بسلالم المنطاة بمثابة وهم يبيعون الرقاق والكثافة والمحفيات التي كانت رحانا مالوفا بين الطلبة في مباريات الترد التي كانوا يلعبونها . وكان من عادتهم أن يدلوا بالسلال التي يربونها من

(١) وهو أشبه ما يكون بكتب الأداة التي يستخدمها السياح في العصر الحديث [المترجم] .

(٢) هذه الأماكن والباقى عدة على خريطة « باريس في عصر فيليب أوغسطس » ، وكذلك خريطة « باريس في العصور الوسطى » . بآخر القسم الأول من هذا المجلد . [المترجم] .

نوالدهم عندما يستطيع أحدهم إلقاء الرمية ، المخطوطة في لعب الزردوى
« ستة » . وكان لدى صائغى الطير والحلوى pâtisseries كثير من السلع الدسمة
التي تتناسب مع أذواق الطلبة كالكعك المحشو بالبيض والجبن وقطاع لحم
الخنزير ولحم الدجاج والثمايين المتبل بالقليل . وكثيرا ما لجأ خدم الطلبة إلى
الشوامين rotisseurs ليس فقط للحصول على اللحم والأوز والطيور الأخرى
المشوية على سياخهم ، بل أيضا للحصول على لحم البقر والخنزير والضأن النيء
والمثل بالشوم وبعض الصلصات المركزة . ولكن مثل هذا النوع من الطعام
لم يكن الطلبة الفقراء الذين دفعهم أكياس نفودهم الفارغة إلى تناول الكرشنة
وأنواع السحق المختلفة التي قد تذهب بسببها بسهولة معركة تزدى إلى دبح
الجوارين أنفسهم على أيدي الطلبة الحافقين الساخطين .

وتذكر هذا التاموس الذي يحتفظ به الطالب إلى كتاب من نوع آخر وهو
« كتاب في فن المحادثة » . وكانت هذه الطريقة لتعلم اللغات الأجنبية طريقة
قديمة ، فهي من عطلات مصر القديمة ، وهناك شواهد على ذلك . وما زالت مثل
هذه الكتب توقع في شباكها السائح النافل غير الحذر الذي يعد العدة لزيارة
أوروبا ، كأن يذهب مثلا إلى مدينة أوليندورف Ollendorff . ويبدو أن هذه
الطريقة قد هيات لكتتاب المصير الوسيط المتأخر فرصة استثنائية لربط تعلم اللغة
اللاتينية بالنظام الأكاديمي السام . وقد تركت لنا آثارا وعطافات من المدرسة
والجامعة على السواء . يمكن تصنيها ومطالمتها .

ولن أمتع هذه الكتب المدرسية هو الذي يحمل عنوان « كتاب الطلاب
الذين يمتزمون الانحياز بالجامعات الطلاية والإفادة منها » . وبينما الكتاب
في شكله العام قد صمم لطلبة جامعة هايدلبرج [الألمانية] في سنة ١٤٨٠ م ،

إلا أنه أمكن تكييفه بإجراء بعض التعديلات الطفيفة عليه ليناسب أى جامعة من الجامعات الألمانية ، حتى أننا نستطيع أن نطلق عليه اسم «تكوين هايدلبرج» . وقد رتبت فصوله الثمانية عشرة بهدف إعداد الطالب من شهادة الثانوية العامة إلى الدرجة الجامعية . ثم أنه يزوده بمعلومات عن كثير من الموضوعات التى لا أهمية لها . فمتدما يصل الشاب [إلى الجامعة] يقيد لاسمه ويذكر أن والديه يتمتعان بظروف طيبة معقولة ، وأنه قد حضر الدراسة وتلقى العلم . ثم إذ به يجابه بالتقاليد الألمانية التى تسبب إزهاجا له ، فهى تعتبر الطالب حيوانا قدرا له قرون وأنياب لابد وأن يقتلها زملاؤه الفضوليون الذين يستمعون أيضا إلى اعترافه بآثامه وخطاياها ، ثم يلزمونه بإقامة عشاء جيد كفاية له . وبعد ذلك يبدأ دراسته بحضور ثلاث محاضرات يوميا ، ويتعلم كيف يناصر الإسمية nominalism ضد الواقعية realism (١) وكيف يقف مع مسرحيات تيرانس Terence الكوميديّة ضد القساون ، ويناقش مزايا الجامعات المختلفة ويؤمن الطعام ويوح الجملة السائدة فى المدن الجامعية . ثم يجده يتشاحن

(١) فيما يتعلق بالإسمية والواقعية ، انظر ما سبق ص ١٠٥ وح ٢ و ٣٣٥ من هذا الكتاب .

[لترجم] .

(٢) هو بوبليوس ترنتيوس افرو Publius Terentius Afer ، ولد حوالى سنة ١٨٥ ق م وتوفى حوالى سنة ١٥٩ ق م . وهو يعتبر أعظم كتاب الرومان وكاتب المسرحيات الكوميديّة بعد بلاتوس Plautus . ومعلوماتنا عن سيرته وحياته مستقاة مما ذكره عنه سوتونيوس Suetonius (ق ٢ م) . ونعرف أنه ولد فى قرطاجنة ، ثم ذهب إلى روما كبديع لى منزل السناطور ترنتيوس لوكانوس Terentius Lucanus القديم لى تعليمه وتحريره من رقة اليهودية . وقد نجح ترانس فى اكتساب صداقة عدد من النبلاء الرومان الذين أدوا له مساعدات جليّة . وله العديد من المسرحيات وأولاهامسرحية باسم =

مع زميله في الحجرة لأنه وجد كتاباً موضوعاً في غير مكانه ، أو وهو يندفع
عند سماع أول رنين لنافوس تناول الغذاء حيث يبدأ الحديث بين الطلاب عن
القيمة الغذائية للحم البقري والقول ، ومجده أيضاً وهو يسير في الحقول بينما عن
التناقض الجامعي متقبها طريق الفلاسفة المشهور الذي اجتذب إليه الأجيال العديدة
من شباب هايدلبرج . ومجده يقابل الملاحظات [مع زملائه] بالغة اللاتينية
عن الطيور والاسماك أثناء نهماله . ثم يجد بعد ذلك المناظرات والمحاورات
النصيرية ، مثال ذلك طالب العلم الذي يخالف اللوائح فيقتضى بقوداً ويسبها
[إل من اقترحها منه] ، أو الطالب الذي يقنع في شرك الحب ثم يفيق منه ،
أو ذلك الذي يذهب لصباح راهب يطعم بالدين مقرط السمعة وهو
يخط ، أو يشاهد الحوارة والمشعوذين أو يتابع المباريات بين الفرسان في ساحة
السوق . ومنه يعرف أيضاً أن أيام الفجر (١) آتية ، فهو يحس بها تدور في
رأسه . وأخيراً يظهر له والده بأن الوقت قد حان للحصول على درجته الجامعية

== اندريا « Andria » . وقد توجه بعد احتاج أكثر مسرحياته وهو في سن الخامسة والعشرين
إلى الشرق ، ولم يعد ثانية إلى الغرب . وما يذكر أن الفلسفة اللاتينية التي كتب بها تيرانس
والتي تميزت بسهولة وبساطتها ، فضلاً عن الثقة الأخلاقية التي تبدو واضحة في مسرحياته ،
جعله من الكتاب المضامين في العصور الوسطى . هذا ، وقد لعبت هروميت Roswitha
الراعية في دير جاندوزهايم في القرن العاشر تيرانس في ست مسرحيات كوميدية مسيحية
الطابع . انظر مقالة « تيرانس » في قائمة المساريف البريطانية ، ج ١ (طبع شيكاغو ،
Blakeney, E. H., A Smaller أيضاً ٩٤٨ - ٩٤٧ ؟ راجع أيضاً Classical Dictionary (London, 1925), pp. 522-523. [الترجم] .

(١) يطلق عليها لفظ « dog — days » ، وهي تسع بين أواخر يوليو ونهاية
سبتمبر من كل عام ، أي فيما بين تموز وأيلول [الترجم] .

ليعود إلى وطنه . وعندئذ يمتريه القلق والاضطراب ، « فقد واظب على عدد قليل من المحاضرات ، ، وعليه أن يقسم أنه قد حضر بانتظام ، وهو لم يبدل الكثير من الجهد . وقد تعرض لمداوة كثير من الأساتذة ، وبنيت أساتذته من دخول الامتحان لأنه يخشى عار الرسوب ولكن عادته في هذه المحاوره يؤكد له باقتباس مناسب من أوفيد^(١) ، بأن توزيع الهدايا بحكمة وحذر قد يفعل الكثير . فما هي إلا قروش يستطيع بها كسب عطف الجميع . ويطلب منه الاتصال بأهله لإمداده بمبالغ أكثر ، ثم يدهو أساتذته إلى ولاية فاخرة . فإن عاطفهم معاملة حسنة فلن يخشى النتيجة . وهكذا تلقى هذه النصيحة ضرواً عجيباً على مستريات العصر التربوية . ويبدو أنها كانت عادة متبعة ، لأن الكتاب ينتهي بمجموعة من نماذج دهوات الأساتذة للولائم والتمائم الجاهلية التي تسبقها .

فإذا كان طلبة الجامعة قد احتاجوا لمثل هذه المختصرات الأولية السلوك والآداب ، فن الواضح أنه كان لها في المدارس الأدنى من الجامعات مجالاً رحباً

(١) أوفيد شاعر لاتيني ولد سنة ٤٣ ق. م من أسرة عظمى إلى الطبقة المتوسطة . درس الخطابة ، واستكمل تعليمه في أثينا ، ثم سافر إلى صقلية وآسيا . وقد عاش في عصر الإمبراطور أوغسطس وتجمع بهطفه ورواه . ثم تولى سنة ٩ ق. م إلى منطقة البحر الأسود ، وربما كان ذلك بسبب قصيدة غرامية له تسمى «فن النزل» أو بسبب علاقته الغرامية بمجوزيا إزينة أوغسطس . وتوفي في الثلاثين سنة ١٧ م وله من العمر ٦٠ عاماً . ولأوفيد أعمال كثيرة متعددة وبالية . انظر مقال أوليفر في كتاب Warrington, J, Everyman's Classical Dictionary (London, 1969), p. 376; Barrow, The Romans, pp. 119, 121; Carcopino, Daily Life in Ancient Rome, pp. 116, 171, 178, 219. [المترجم] .

فسيما ، حيث اتفقت طابعا شعريا باللغة اللاتينية يتطبع بسرعة في ذاكرة التلميذ .
ويبدو أن مثل هذه السكتيات المدرسية الأولية كانت شائعة في مدارس المدن
في ألمانيا في أواخر القرن الخامس عشر ، ولقى أبرز أهميتها بما فيه الكفاية
المؤرخون الحديثون المعنيون بالتعليم الثانوي . ففي أثناء مراحلهم من مدينة
إلى أخرى ، مثلهم في ذلك مثل الطلبة المتجولين (١) في عصر سابق ، أصبح هؤلاء
الأولاد الألمان في حاجة ملحة لمراعاة أصول الأخلاق والتقواعد العامة في آداب
السلوك ، مع العمل على توريدهم بها . وكانت بداية الحكمة عند الطالب تتمثل
في تذكر الحقائق وطاعة الأستاذ . وكان على الطالب مراعاة سلوكه وتصرفاته
في الكنيسة ، وأن يرفع صوته أثناء الترانيم والتراتيل (٢) . وكان الحضور الإلزامي
إلى الكنيسة والترنيم مع زمرة المرتلين يعتبر من السمات المألوفة لهذه المدارس .

(١) يقصد الشعراء المتجولين في بروكس جنوب فرنسا والمروفين بإسم التروبادور
Troubadours ، وكذلك الشعراء المروفين بإسم التروفيير Trouvères في الشمال .
وقد ظهرت أسماء التروبادور في أواخر القرن الحادي عشر ، وهي مأخوذة من الفصحى العربية
الأندلسية التي عرف بالفنل الرقيق والرفاء الباك . ويرى كثير من المؤرخين أن تروبادور
أصلها لفظ عربية هي « دور طرب » ثم قدمت الصلة إلى الموصوف فأصبحت « طرب دور »
وأخيرا حُرقت إلى « تروبادور » كما حدث بالنسبة لكثير من الألفاظ العربية التي وجدت
مكائنا في اللغات الأجنبية . أنظر سعيد طاعور : المدينة الإسلامية وأثرها في الحضارة
الأوربية ، ص ٧٢ وما بعدها ؛ كولتون : عالم المصور الوسطى في الظلم والحضارة (الترجمة
العربية) ، ص ١٣٥ . راجع أيضا ، Crump, C. G. & Jacob, E. F. (eds),
The Legacy of the Middle Ages (Oxford, 1951), pp. 190, 405 ;
Coulton, Medieval Panorama, pp. 207, 208 ; wallon, H., Saint
Louis (Tours, 1879), p. 364 ff .

(٢) المقصود بذلك المردات . [المترجم]

وعلى الطالب، أيضا، الاحتفاظ بالكتب نظيفة، والمبادرة بدفع مصاريف المدرسة. كذلك يجب عليه غسل الوجه واليدين في الصباح؛ أما الحمامات فكان لا يوررها بدون الحصول على إذن بذلك، ولم يكن مسموحا للفتيان بالانزلاق على الجليد أو اللعب بكرات الثلج. وكان يوم الأحد هو اليوم المخصص للهو. وكان اللعب في فناء الكنيسة فقط حيث وجب على الفتیان عدم لعب الترد أو كسر الأحجار من الجدران أو إلقاء أى شيء على الكنيسة. وكانت اللاتينية هى اللغة التى يتحدثون بها، سواء أثناء اللعب أو فى البيت.

ويوجد كتيب آخر يرجع إلى القرن الخامس عشر، وهو أكثر تفصيلا وأحسن تنظيما مما سبق، ومحفوظ فى نسخة خطية توجد بالمكتبة الأهلية فى باريس (١). يقول مؤلفه: «لما كان سخف الشباب وغباؤهم لا يمكنهم من التقدم فى معرفة اللغة اللاتينية اللهم إلا من الوجهة النظرية فحسب»، لذلك فقد أعد المؤلف لمساعدتهم مجموعة من النماذج التى تتضمن العبارات وأساليب الحديث التى يكثر الطلبة من استخدامها. وهى تبدأ بذكر ما يتعلق بالمعاملات فى الحياة المدرسية، وأن طاعة الأستاذ وتبجيله هما بداية الحكمة. فيجب على الفتى أن يتعلم كيف يقدم التحية لأستاذه، وكيف يستأذنه عند الانصراف، ثم كيف يستذر عن الخطأ الذى ارتكبه، وكيف يدعو أستاذه لتناول الغذاء أو المشاء مع والديه. ويوجد نحو ستة نماذج من مثل هذه العبارات. كذلك يتعلم كيف يستطيع الإدلاء بالإجابات الصحيحة لأولئك الذين يخبرون معلوماته «حتى لا يبدو غيبيا أبلها أمام والديه». فإذا سأله الأستاذ مثلا «أين كنت هذه الليلة الطويلة؟»، فليبه أن يكون على

استعداد ليس فقط بأن يدعى أنه كان يقاسى من صداع لم يستطع تجنبه أو أنه لم يستطع الاستيقاظ في الميعاد، بل عليه أيضا أن يعبر عن أسباب التأخير المروقة جيدا للصبي القروى، كأن يقول إنه كان يتولى أمور البيت، أو إنه كان يرعى الماشية، أو إنه كان متوطا بتقديم ماء الشرب للحواد، أو إنه قد احتجرت لحضور حفل زفاف أو لجمع الكرم أو كتابة الفواتير، أو تحضير الجملة وتقديمها للضيوف وهى التى اعتاد الصبية الألمان على عملها .

وفى المدرسة بعد التزود بالغذاء الروحى فى درس ترايم الصباح، يأقى الغذاء الجسدى . فقد كان هذا يقدم، عادة، بعد ساعات الدراسة «لأن قوة الفعالية المتقدمة القادرة على الإبداع يعوقها» — عادة — الامتلاء والشبع الحديث .
وأثناء الحديث فى فترة الغذاء أو أثناء اللعب فى الفناء كان الطلبة يميلون إلى التخلل عن المصطلحات اللاتينية والتحدث باللغة الأم . وكان الذى يتحدث اللغة الألمانية ينتمى الأستاذ الحازم بلفظ «الحمار» (١) رمزا للحمق والجهل البالغين . ويحاول كل من يحمل هذا اللقب جاهدا أن يثبته عن نفسه ليلقب به آخر، وهكذا . ويأخذ الحوارج بين الطلبة والأستاذ الشكل التالى : يقول أحد الطلبة متسائلا بالألمانية : « من الذى يريد أن يشتري قلبا ؟ » ويرد آخر بالألمانية كذلك : « أما أريد أن أشتري قلبا . » فيعقب الأستاذ باللاتينية : « أنت إذن الحمار » ، ويستطرد قائلا : « آه .. يالك من أحمق غي ! » (٢) وكان المنحية يعرض على

(١) أظن ، ما سبق ، ص ٣٥٣ ح ٢ من هذا الكتاب . [المترجم]

(٢) ونس الحوار كما ورد فى كتاب هاسكنز كالآتى : « Wer wel ein Griffel kouffe[n] ? » « Ich wel ein Griffel kouffen. » « Tecum sit asinus. » « Ach, quam Falsus es tu ! », cf. Haskins, op. cit., p. 73. [المترجم]

الذى خدعه أحيانا أن يلتجئ بعد صلاة المساء ، وهنا يبدأ هزر تمود طيه طلبة المدارس حيث يتبارى فيه الطالبان . ولما كان التصارب بالكات ممنوعا في المدرسة ، فقد تعلم الفتيان كيف يتحدثون عن عداؤهم وخصوماتهم ، وكيف يدربون شكاياتهم في حوار باللغة اللاتينية . ويبدأ الحديث كالآتي : « لقد كنت خارج المدينة بعد أن حل الظلام ، ولعبت مع العلبانيين يوم الأحد ، وذهبت السباحة يوم الإثنين ، وتفتيت عن صلاة الصباح واستغرقت في النوم أثناء القداس » . ثم يشكو قائلا : « أستاذنا المجل .. لقد لطخ هذا الفتى كتابي وهو يصيح ورأى أين ذهبت وهو يسبني ويلعنني . »

وبالإضافة إلى المجادلات الرسمية ، كان الطلبة يتناقشون في الأحداث الجارية مثل معركة في الشارح ، أو زفاف ابن عم ، أو الحرب المتوقع نشوبها مع دوق سكسونيا ، أو الوسيلة التي يمكن الوصول بها إلى إرفورت Erfurt في ألمانيا حيث يقتوى أحدهم الذهاب هناك عندما يبلغ السادسة عشرة من العمر للدراسة في الجامعة . وكانت التجربة القاسية التي يماني منها الطالب في يومه الدراسي هي سؤال الأستاذ له في النحو اللاتيني الذي يصل إلى حد الأحاجي والألغاز ، وذلك عندما يأتي الدور على كل طالب لسؤاله « auditio circuli » . وكان على التلاميذ أن يتلوا على أستاذهم ما حفظوه من تكوينات وتصاريف . فيبدأ الكسالي في الارتعاش عندما تحين ساعة الدرس . وكان الطلبة يتمنون ألا يحضر الأستاذ قائلين : « عنده ضيوف » ، و « لكن سيتركونه في الوقت المناسب » ، و « قد يذهب إلى الحمامات » ، و « لكنه لم يمض على ذهابه إليها منذ آخر مرة أسبوع كامل » . ثم يقولون : « ها هو قد حضر » . أذكر اسم القط فإذا به

ينط ، (١) ويرتكن الطالب المرتجف في النهاية على أمنيته الوحيدة بأن يجلس
بحرار طالب يمد بأن يلقته .

وعندما ينتهي التسميع غاييا ويلقى الأستاذ الدرس ، يبدو البشر على وجوه
الطلاب لاقتراب ساعة العودة إلى المنزل . فينغمسون في حديث فارغ ، سحذفه
من هنا خشية أن يكون وسيلة للإساءة ، وعلى أية حال ، يخفف احتدام الجدل
بين الطلبة ، والذي يسبق انصرافهم ، من حالة البهجة والمرح فيما بينهم . وهي
عبارة عن مناقشة د حادة حامية من أجل النصر ، حتى يضمن أحدهم الفوز ،
بينما يحتفظ الآخر بقلب د الحار ، asinus حتى اليوم التالي .

وبعد انتهاء اليوم الدراسي يذهب الفتيان للعب في فناء الكنيسة . والألعاب
التي جاء ذكرها هي الأطواق والبل على ما يبدو والكرة ، ويكون ذلك في قرة
الصوم الكبير . وثمة نوع آخر من اللعب الذي يدخل فيه الحساب . ويميز المؤلف
هنا بين الأطواق التي ترمى والأطواق التي تدحرج ، وهي عبارة عن كرات من
الخشب أو الحجر . ولكن لب الموضوع سرعان ما يصبح أمرا شديدا العمق
بالنسبة لقدرة الطالب في اللغة اللاتينية ، وفي غمرة هذا الموضوع يصل الكتاب
إلى نهاية فجائية مبتورة .

وكان كتاب الطالب يتناول في بعض نماذجه موضوعا يعالجه نوع آخر من
كثيرات الصور الوسطى ، وهو كتيب عن الأخلاق وآداب السلوك ويحمل عنوان

(١) وهو نفس المتن العامي الفائع عندنا في العربية وفي معظم اللهجات الأوروبية

« كتاب الأدب » ، « The Book of Urbanity » ، أو « كتاب آداب المائدة » ،
« The Courtesies of the Table » ، إلى آخر مثل هذه المسميات . ولقد
حظيت هذه الكتيبات بشعبية كبيرة اعتبارا من القرن الثالث عشر فصاعدا .
ومع ذلك ، لم يصل أى من هذه الكتيبات في صفه إلى ما وصل إليه كتاب
« الإتيكيت » ، أو كتاب « آداب السلوك الحديث » ، الذى يتميز بدقته وإحكامه .
فالملك الذين لم يحسنوا استخدام السكين والشوكة لا يمكنهم أن يحسنوا التفاعل
الاجتماعى . وعلى هذا فإن قراء كتيبات المصور الوسطى كانوا لا يزالون يتعشرون
وهم يظنون الخطوات الأولى فيما يختص بآداب السلوك . فقد ورد فيها : اغسل
يديك في الصباح ، وإن كان لديك متسع من الوقت فاغسل وجهك أيضا . واستخدم
منشفة المائدة ومنديلك ، وتناول الطعام بثلاثة أصابع ، ولا تزدرد الطعام
ازدردا . ولا تكثر من الضجيج أو التشنج عندما تجلس إلى مائدة الطعام ،
ولا تحصلق في جارك أو في طبقه ، ولا تنلقد الطعام ، أو تنظف أسنانك بسكينك .
وإن مثل هذه القواعد في الآداب وغيرها من القواعد التى لا تزال تعتبر من
المبادئ الأولية في أصول الإتيكيت ، كانت من المبادئ العامة التى ورد ذكرها في
هذا العصر باللغات اللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية . وكانت
لا تزال في المهد ، ولكنها كانت دائما مكتوبة بالعصر [ليسبل استذكرها] . وكانت
تضاف إليها بين وقت وآخر لمسة من لمسات العصر . مثال ذلك : نظف النظام
بسكينك ولكن لا تكسرهما ، وعندما تكون قد انتهيت منها إلقها في سلة المهملات أو
على أرضية الحجرة !

وإذا كانت مراسلات طلاب المصور الوسطى قد حفظت لنا التفاصيل
الحقيقية العارضة ، فليس هناك ماعز أفضل منها لإمدادنا بصورة حية نابضة من

ظروف الحياة الجامعية . ولكن العصر الوسيط كان بالنسبة لنا ، لسوء الحظ ، من بعض النواحي والوجوه ، عصر النماذج والأشكال والقوالب المختلفة فيما يتعلق بكتابة الخطابات ، مثلما هو الحال في غير ذلك من الأمور . ولم يكن تدوين خطاب ما ، في نظر الناس ، تعبيرا عن مشاعر الفرد وأحاسيسه ومجاربه أكثر من كونه عملية نسخ بضعة لخطاب شخص آخر بعد إدخال التعديلات الضرورية عليه ليناسب الظروف الجديدة . وإذا كان الخطاب قد احتوى شيئا جديدا أو مسألة شخصية ، فلم تكن هناك فرصة كبيرة للحفاظ عليه ، طالما أنه لن يكون ذا قيمة أو فائدة لمن يأتي بعد ذلك مستقبلا من كتاب الخطابات ، « فبقدر ما كان يمتن بالشكل بقدر إهماله للنحوى والمضمون » . والنتيجة ، إذن ، أن مئات من خطابات الطلاب التي وصلت إلينا في عثوبات العصور الوسطى قد جاءت في صورة مجموعات نماذج وأشكال أو خطابات كاملة خلعت غالبيتها من العنصر الشخصي أو الفردي . ومن أجل هذا كانت تلك المراسلات تمكس المظاهر والسمات الأساسية والعامة للحياة الجامعية بأمانة وإخلاص أكثر من أى شيء آخر .

وكان طلب المال هو أبرز هذه العناصر وأوفرها في مراسلات طلاب العصور الوسطى. (١) وقد كانت أغنية الطالب الأولى هي طلب المال ، كما يقول والد متعرج في خطاب له باللغة الإيطالية . ويستمر الخطاب : « ليس هناك خطاب على الإطلاق لا يتضمن طلب التفرود » . وكان كيفية ضمان هذه الحاجة الأساسية

(١) انظر في هذا الموضوع الكتاب التالي ، Farck — Brentano, op. cit.

١. 196 p. [الترجم .]

لحياة الطالب ، بلا شك ، واحدة من أهم المشاكل التي واجهت طالب المصور الوسطى . وكان أمام الطالب كثير من التاذج التي وضعها أصحاب البلاغة أمامه ليثبتوا بها المزايا العملية لفنهم . وكانت هذه الخطابات على وجه العموم موجهة إلى الوالدين ، وفي بعض الأحيان كانت توجه إلى الإخوة والأعمام والأخوال وإلى رعاة الطلبة من رجال الدين . وثمة أحد التاذجين التي تضمنها العُلاّب كان يحتوي على اثنتين وعشرين ذريعة مختلفة للتقرب من رئيس الشّامة في هذا الموضوع الحساس . ففي المادة يعلن الطالب أنه في مثل هذا المركز الملئ سعيده وفي حالة جيدة ، وإنّما هو في حاجة ملحة إلى المال من أجل شراء الكتب والوفاء بالمصاريف الأخرى الضرورية . وثمة مثال من أكسفورد بالتجسّر يطلب عليه الطابع الفردي خلاف غيره من مراسلات العصر ، وهو مكتوب بلغة لاتينية رديئة على غير العادة ، وفيه يقول كاتبه :

د تحية وسلاما من فلان إلى سيده الموقر فلان . قد كتبت هذا لأحيطك علما أنّي أدرس في أكسفورد بمثابة لا حذ لها . ولكن المال يقف ، إلى حد بعيد ، صبة كاداء في سبيل تقدمي ، لأنه قد مضى الآن شهران منذ أن أنفقت آخر درهم أرسلته إلى - إن المعيشة في المدينة باعظة التكاليف ، وتستلزم مطالب عديدة - فليّ أن أستاذ مسكننا لإقامتي ، وأن أشتري بعض الضروريات والمستلزمات ، وأن أفى بما تتطلبه أمور أخرى كثيرة لا أستطيع تحديدها بالتفصيل الآن . ومن أجل ذلك أتيس من أبوتكم ، بكل احترام وبما يدفعكم به العطف الإلهي ، مساعدتي لكي أتمكن من إتمام ما قد بدأته بداية حسنة ، لأنه يجب أن تعلم أنه بدون

سيرس (Ceres) [إلهة الحنطة والحرث] وباخوس (Bacchus) [إله الخمر]
لا يستطيع أبولو (Apollo) [إله الشعر والموسيقى والطب] أن ينمو ويحيى ،

فإذا كانت يد الوالد تمسكه ، وجدت ثمة أسباب خاصة لحته على الدفع ، كان
يقول له إن المعيشة في المدينة تكلف كثيراً كما كانت المدن الجامعية دائماً ، أو إن
تكاليف المعيشة كانت مرتفعة بصفة استثنائية بسبب شتاء قاس أو حصار تعرضت له
المدينة أو نتيجة نقص في المحصول أو بسبب المدد والتفرد عادي للطلاب ، أو أن
الرسول الأخير الذي أوفده إليه قد سلبت منه النقود أو ول بها هارباً ، ولم يعد
بوسع الإبن أن يقترض من زملائه أكثر من ذلك ، أو أن يقترض من
اليهود (٢) ، وهكذا . وكانت آلام الطالب وعنه مصورة بلغة مثيرة مشفوعة
بالتأسات عديدة . ووجهة إلى كبرياء الوالدين وعجبهم . ففى بولونيا نسمع عن
الرجل الخفيف الذى لابد للشاب أن يشق طريقه وسطه وهو يتسول من باب إلى باب
صانحاً : « يا أيها السادة الطيبون » (٣) ، ثم يعود إلى بيته خالى اليدين . وفى أحد
النماذج النسائية يكتب طالب من أعماق السجن حيث الخبز اليابس الجاف ، وماء
الشرب وقد اختلط بالدموع ، والظلام الدامس وقد بلغ من حلكته أنه يمكن

(١) هي إلهة زحل . [المترجم] .

(٢) حوله الخمر عند قدماء اليونان والرومان . [المترجم] .

(٣) اشتهر يهود أوروبا في العصور الوسطى بالتجارة وإفراش السال للناس بالربا

فاحش . [المترجم] .

(٤) المقصود طلب الصدقة والإحسان ، أى التسول للوفاء بمطالب الحياة في محيطه

الدمى الجديد . [المترجم] .

الإحساس به . وهناك طالب آخر يقول في خطاب له إنه يريد على الفصح بدون خطأ ، وينذهب بدون حذاء أو قيص ، ويأكل ما لا يستطيع ذكره . وهي قصص ابتدعت وصممت لتوجه إلى أخت له ، وهو يطلب ردا على الخطاب [الذى بحث به إليها] ومعه مائة قطعة من التورنوا الفرنسى sous tournois وزوجان من الملابس وعشرة أذرع من قماش فاخر ، وأن ترسل هذه الأشياء كلها دون علم زوجها . وهناك موجز مركز عبوك للطالين من شارتر بفرنسا : « لقد قنا بشرح عدد قليل من الكتب ، ولكننا مدينون بالمال . »

وكان الرد المناسب على مثل هذه الطلبات ، بالطبع ، خطابا رقيقا يفيض بالحب ويشق على مشاركة الشاب وانكباؤه على العمل ، ومع الخطاب حوالة مالية بالمبلغ المطلوب . وفي بعض الأحيان ينصح الراسل الطالب بالاعتدال في مصروفاته ، قائلا له إنه كان من الواجب عليه أن يعيش مدة أطول بالمبلغ الذى كان قد تسلمه من قبل ، كما يجب عليه أن يتذكر حاجات أخواته ومطالبهم ، وكان الواجب أن يعرف والديه بدلا من معارضة ابتزاز النقود منها ، إلى آخر هذه العبارات . ويعترف والد أحد أولئك الطلبة - وهو يقتبس من هوراتيوس (١) -

(١) هوراتيوس أو سورس هاجر لائى وقد سنة ٦٥ ق . م ، وكان أبوه من الأحرار ، وقد تلقى تعليمه في روما في مدرستها لها شهرتها وصيتها الدافع . وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره انتقل إلى أثينا لدراسة الشعر والفلسفة اليونانية . وقد حضر معركا فيليبس سنة ٤٢ ق . م ، ثم قتل عائدا إلى روما . واسترعت قصائده نظر الشاعر المعروف لرجيل بما سهل له أمر التغرب من الإمبراطور اوجسطس . ومن أعماله المتبقية قصائده في النقاد الاجتماعى ، وهي في قالب من السخرية والنهسكم . وهناك أيضا قصائده الذاتية . وقد توفي هوراتيوس سنة ٨ ق . م عن ٥٧ سنة . أنظر من ذلك المراجع الأجنبية التالية

Horace — بسبب عجز كرمه عن إصطاء اثار . وكثيرا ما يحدث أيضا أن يكون الولد أو العم قد بلّثه تقارير سيئة عن الطالب الذي يجب عندئذ أن يكون مستعدا لإنكار مثل هذه الوشائيات في منخط وحسب ، وهي التي يستبرها من تلقين أهدائه الذي لا أساس له من الصحة . وهالك مثال يكشف عن الغوم والتنميف الأبوى مأخوذ من مجموعة متممة [من المراسلات] تمرى إلى متعلقة فرائض كواتيه^(١) — Franche Gonté :

« يبحث من يزاسون Besancon بفرسا إلى إبنه ج الذي يقيم في مدينة اورليانز ، بتحياته مقروبة بالخاس والنيرة الأبوية . وهكذا مكتوب إن السكول في عمله هو أيضا أخ للبلدر المتلاف . فلقد اكتشفت حديثا أنك تعيش حياتك ملوها النسق والسكل ، وأنتك تفرغ الإباحة وظلة الحياء والاطلاق على التقيد والمحافظة ، وتفضل اللعب على العمل ، وتعرف على التقيارة بينا الآخرين منهمكون في دراساتهم . وعلى هذا فإنك لم تقرأ سوى مجلد واحد في القانون ، بينما قرأ زملاؤك الذين هم أكثر منك كدا واجتهادا العديد من الكتب . لذلك فقد قررت أن أبهيك هنا بأن ترجع كلية عن طريقك الفاسدة المابتة التي تتسم باللامبالاة حتى لا يدعوك أحد بعد ذلك بأهلك مضنياع . وهكذا يتحول العار الذي لحق بك إلى سمعة حسنة طيبة . »

Warrington, op. cit., p. 282 f. ; Barrow, The Romans, pp. 24, 84 — f., 115 et sq. ; Carcopino, Daily Life in Ancient Rome, pp. 116, 155 et sq. [المترجم] .

(١) فرائض كواتيه متعلقة بمجدها من العيال القويون ومن المشرق الأبراس وسويسرا

ومن الترب هوفية بريجنديا ومن ناحية الجنوب كل من برس Bressa وبجي Bugey [المترجم]

ونجد في التلّاج المحفوظة في بروفاس بقرمسا مدرسا يكتب لوالده طالب بأنه يينا ابنه الطالب يتقدم في دراساته ، إلا أنه طائش شرس بوما ، ولكن يمكن تقويمه بالنصح والعظة الحكيمة . وبالطبع فقد طلب الأستاذ ألا يعرف الطالب أن هذا النعير قد نقله هو إلى والده . لذلك كتب الوالد إلى ابنه يقول :

« لقد علمت من مصدر معين جدير بالثقة ، وليس عن طريق أستاذك مع أنه ما كان يجب عليه أن يخفي عنى مثل هذه الأمور ، علمت أنك لا تدرس في حجرتك ولا تسلك في المدارس كما يجب أن يفعل الطالب الجيد . ولكنك تلبس وتتجول هنا وهناك وتصحى أستاذك ، وتنغمس في الرياضة وفي بعض الأفعال الشائنة التي لا أهم الآن بتوضيحها في خطابي . » ثم يجمع ذلك بالنصح المعتاد الذي يهدف إلى التنعيم والإصلاح .

ثم نجد غلامين في اورليانز يصفان وصولهما إلى هذا المراكز العلى قائلين :

« نحية وطاعة بنوية من الإيتين م . وس . إلى والديهما المزيدين المحترمين السيد م . مارتر *M. Martre* وزوجته السيدة م . لقد حررنا هذا لتعيطكما طما أننا ، بفضل الله ورحمته ، نتمتع بصحة جيدة في مدينة اورليانز ، وأنا نكرس أنفسنا كلية للدراسة ، وأن نرى ونتفهم كليات كاتو ^(١) *Cato* . وإله لما

(١) المخصوص هنا كاتو الأكبر ، ولد في ٢٣٢ ق . م وتوفى في ١٤٧ ق . م من ٨٥ سنة . وهو سيماسي رومانى سرورف أهتمك في الحرب البونية الثانية في الحملات ضد اثينيوس الثالث ملك سوريه ، كما ساهم في الحياة العامة ، وكان من الداعمين إلى تدمير قرطاجنة . وهو =

يستحق الثناء أن يتعلم الإنسان شيئاً ، فنحن نقيم في سكن مريح ، على مقربة من المدارس وعلة السوق ، حتى نستطيع أن نذهب إلى المدرسة يومياً دون أن تبطل أقدامنا . كما أن لنا رفاقاً طيبين يعيشون معنا في نفس المنزل ، وهم متقدمون جداً في دراساتهم ، ولهم عادات ممتازة ، وهذه ميزة تقدروا حق التقدير ، لأنه كما يقول صاحب المزامير " طوبى للرجل الذي لم يسلك في مغفرة الأثام " (١) .

ولم يستطع مثل هؤلاء الشباب الانتهاء من حياتهم العلمية بسرعة . وكانوا يطلبون ، مرة بعد أخرى ، إذناً بأن تمد لهم فترة دراساتهم . وقد نلّص الحرب ، وقد يموت الآباء والإخوة ويتطلب الأمر تقسيم التركة ، ولكن الطالب يرسل دائماً في طلب تأجيل العودة . فهو يرغب في أن تطول خدمته في علة بالاس Pallas ، . وعلى أية حال ، لا يستطيع الطالب الرجول قبل عيد القيامة ، لأن أساتذته قد بدأوا برامج هامة من محاضراتهم . وقد يستندى طالب من

== فضلاً عن ذلك ، خطيب مفوه كتب من الحياة الريفية ، وله مؤلفات تاريخية لم تصلنا .
أنظر Warrington, op. cit., p. 181 ; Cochrane, Christianity and Classical Culture, pp. 80, 82 ff., 87; Barrow, op. cit., pp. 61 ff., 162 ; Carcopino, op. cit., pp. 50, 64, 84 et seq.

(١) أنظر العهد القديم — زمزمير — المزمور الأول: العهد الأول . ووجدت بالذكر أن هذه الفكرة توجد في سفر المزامير على امتداد إسقاطاته ، وبخاصة الإسحاق الأول حيث يفرق داود النبي صاحب المزامير بين الرجل الصالح البار والرجل الطالح الهرير .
[المترجم] .

سينيا (١) Siena العودة إلى وطنه كي يتزوج من سيدة شديدة الفتنة والإغراء .
فيجب بأنه يعتبر هجره لتعزية العلم في سنيل امرأة ضربا من الحماقة والغباء ، لأن
الشخص قد يستطيع الحصول على زوجة في أى وقت ، ولكن العلم إذا افتقده
مرة ، فلن يستطيع استعادته أو تعويضه .

ومع ذلك ، فإن وقت الرحيل لا بد وأن يأتى آخر الأمر . وحينئذ تكون
مشكلة الطالب الكبرى هي المال لنفع المصاريف اللازمة للتقدم للامتحان ؛ وكان
يطلق على هذا المشروع وتخاذك الولية التي تقام بمناسبة العودة . وعلى هذا
يلتمس طالب من جامعة باريس من صديق له أن يوضح لوالده أنه طالباً أن
سذاجة عقل أى فرد من العامة لا تستطيع إدراك مثل هذه الأمور ، كيف أنه
في النهاية بعد دراسة طويلة لا يعترض طريقه شيء سوى المال اللازم لإعداد
المأدبة التي تقف عقبة في سنيل حصوله على درجته العلمية . فن أورليانو يكتب
د . بوتيريل D. Boterel إلى أقاربه الأعضاء في مدينة تورز قائلاً إنه منهمك في
دراسة المجلد الأخير في القانون ، وعند الفراغ منه سيكون بوسعه التقدم لتيل

(١) سينيا مدينة ومركز أسقفية توسكانيا بإيطاليا ، وبها جامعة تأسست سنة ١٢٠٣ م
تقتصر على كتيبي القانون والطب . وهي مدينة يرجع تاريخها إلى آدم المصور ، وقد كانت
مستعمرة رومانية زمن الإمبراطور أوغسطس . أما المدينة الحالية فهي ترجع برمتها إلى
المصر الوسيط . وكانت مركزاً أسقفياً منذ القرن السابع الميلادي ، وربما قبل ذلك التاريخ .
هكذا ، ويرتبط تطور تاريخ سينيا ارتباطاً وثيقاً بنمو الكنيسة اللاتينية وازدياد نفوذ
الأسقفية بها . انظر مقالة « سينيا » في دائرة المعارف البريطانية ، ج ٢٠ (طبع شيكاغو ،
١٩٦٤) ، ص ٦٢٠ — ٦٢٣ [المترجم] .

درجته الجامعية إذا ما أرسلوا إليه مبلغ مائة جنيه فرنسي (١) لتغطية المصاريف اللازمة. هذا ، وقد ذكرنا شيئا عن التقدم للامتحان في بولونيا في الفصل السابق (٢).

وإذا كانت خطابات الطلبة ومراسلاتهم قد امتدت طوال العصور الوسطى المتأخرة ، فقد كانت الأشعار التي قرنها طلبة العصور الوسطى ، أو بالأحرى أفضلها ، على العكس من ذلك . إذا اقتصرنا على فترة زمنية قصيرة نسبيا ، تشمل على وجه التقريب السنوات الواقعة بين عامي ١١٢٥ م و ١٢٢٥ م ، تلك الفترة التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالطابع الكلاسيكي لنهضة القرن الثاني عشر . وكان هذا الشعر ، إلى حد بعيد ، هو نتاج طلاب العلم المتجولين في هذا العصر . لقد كان من نتاج طلبة لا يزالون يدرسون ومن طلبة سابقين ومن أساتذة كذلك ، وهم الذين كانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى سعيا وراء العلم ، وما زالوا مستعدين للغامرات أبعد من ذلك . وهم طلاب علم بالإسم فحسب ، ولكن حياتهم بعيدة كل البعد عن حياة البحث والجرى وراء العلم . يقول المؤرخ ج . أ . سيموندز J. A. Symonds : « إنهم يمدون عن أوطانهم ولا يشعرون بأية مسؤوليات ، جيوبهم فارغة وقلوبهم خاوية ، وهم مهملون يمشون عن المتعة ،

(١) يطلق عليه بالفرنسية livre ، وهو العملة التي كانت متداولة في فرنسا وقتذاك قبل استخدام الفرنك الفرنسي . وكانت هذه العملة تعرف أيضا باسم « تورو » Tournois نسبة إلى مدينة تورز . أنظر Grande Encyc. , Art. France, Tournais, vol. XXXI, Numismatique, vol. XVII, p. 1141 & Art. Tournais, vol. XXXI,

p. 247. [الترجم]

(٢) أنظر ، ماسبي ، ص ٣٢٢ من هذا الكتاب وما بعدها . [الترجم]

ويحيون حياة متحررة شائنة ، ، ويكتب راهب من رهبان القرن الثاني عشر قائلاً : « إنهم متجادون على التجوال حول العالم ، يزورون جميع مدنه حتى يصيبهم الجنون من فرط تعلمهم . فهم في باريس يدرسون الفنون الحرة ، وفي أورليان يدرسون التراث الكلاسيكي القديم ، وفي سالزو يتعلمون الطب ، كما يدرسون السحر في طليطلة . ولكنهم لا يحدون في أى مكان حراسة تتعلق بأداب السلوك والأخلاق ، وعلى أية حال ، فقد كان شمال فرنسا هو مقرهم الرئيسى حيث المركز الخاص بالنهضة الأدبية الجديدة .

ويمكن القول بأن هؤلاء الطلبة المتجولين قد اتخذوا لأنفسهم اسم « الجوليارديين » Goliardi ، إشارة إلى التلميح المبهم إلى جولييات Goliath الفلسطينيين^(١) ، ولهذا السبب عرف شعرهم بوجه عام باسم الشعر الجولياردى .

(١) جولييات أو جليات أو جولييس هو أحد الحاربين الفلسطينيين المعروف بضمانته وقوته الخارقة . وقد تمكن داود النبى ، وهو بعد غلام صغير نحيل الجسم ضعيف البنية ، من منازلة هذا العملاق والتغلب عليه ، في حين أن أحداً من كبار بنى إسرائيل لم يجرؤ على منازلته خوفاً من قوته وبسلحه . أنظر تفاصيل القصة في العهد القديم - صموئيل - أصحاح ١٧ . هذا ، ويختلف المؤرخ سيدنى بينتر مع هاسكنز حول شخصية جولييات ، إذ يرجع أنه شخصية خرافية أسطورية لعبت دوراً بارزاً في الشعر الجولياردى ولا ظل لها من الحقيقة التاريخية . ويتحدث بينتر عن الشعر الجولياردى قائلاً أنه من إنتاج عدد من طلاب العلم المتجولين الذين ينتمون إلى الدرجات الدنيا الصغرى في سلك الكهنوت ، ويرجع أنهم كانوا من طلاب الجامعة . ويضيف أن أعضاها تمثل بهجة ومرحاً وتحدث عن الحب والعراق ، وكانت هذه القصائد مكتوبة باللغة اللاتينية وتبدو فيها الروح الدنيوية الدامية لدى التنصت بالحياة ومباحها وملذاتها . وهى ، بذلك ، تبرز عن سيطرة لم تترك طويلاً ، بدا فيها الاهتمام واضحاً بالأدب اللاتينى الذى ميز القرن الثانى عشر ويعتبر من أبرز خصائصه .

أنظر Painter, A History of the Middle Ages, p. 447 f ; LaMonte,

The World of the Middle Ages, p. 556 f. [الترجم]

ويعزى هذا الإنتاج الشعري ، في معظمه ، لأشخاص مجهولين ؛ ولو أن البحث الحديث (١) استطاع تمييز شخصيات كتاب معينين من مؤلفي هذه المجموعة الشعرية ، وبصفة خاصة هيوج Hugh كاهن أورليانز الذي عاش حوالي عام ١١٤٢ م والمعروف بالرئيس ، وكذلك شخص آخر يسمى أركيويت (٢) Archpoet . وكان هذا الشاعر لاذعاً مامراً شديد الخدق ، كما كان شائناً دليلاً إلى أبعد حد ، حتى لقد اشتهر لعدة أجيال « بأنه الشاعر المرتجل المدهش الذي لو كان قد تحول قلبه إلى حب الله لاحتل مكانة كبيرة في الأدب اللاهوتي ، ولأنه أتبع إنسان في كنيسة الله . » وكان أركيويت موجوداً ، في الغالب ، في إيطاليا فيما بين عامي ١١٦١ م و ١١٦٥ م حيث كان يحيا « حياته الخاصة » خلال فصل الربيع والصيف . ولكن عندما يمين وقع الحريف يعود إلى حياة التسول طالباً قميصاً أو عباءة من رئيسه الديني وهو رئيس أساقفة كولونيا . ثم يطلب منه رئيسه أن ينظم له ، في مدى أسبوع واحد ، ملحمة شعرية في مدح الإمبراطور .

(١) لقد أُنكِن تمييز شخصية اثنين من هؤلاء الشعراء ، أولها هيوج الأورليانز المعروف باسم الرئيس Primate وذلك بفضل الدراسات التي قام بها العالمان L. Delisle و W. Meyer ؛ وثانيها هو الشاعر أركيويت المعروف بأبي الشعراء وذلك بفضل البحوث التي أجراها العالمان B. Schmiedler و M. Manitius [المترجم] .

(٢) هو أحد ورجال الدين بمدينة كولونيا بفرنسا حوالي عام ١١٦٠ م . هنا ، وفيه تحدث تلك المجموعة الشعرية النسائية في وقت من الأوقات إلى شخص يدعى والتر ماب Walter Map الذي يحتل أن يكون قد كتب جانباً منها . ولكن مما لا شك فيه أنه لم يكن مؤلف المجموعة كلها . أنظر من ذلك L. Delisle, op. cit., p. 557. راجع أيضاً هارتمان وباراسلاف : الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى (الترجمة العربية) ، ص ٢٢٠ و ٢٢٤ و ٢٢٥ [المترجم] .

ورهب [الشاعر] قائلا بأنه لا يستطيع الكتابة بمدة غاوية ، وإن نوع شعره
يعتمد على نوع شعره ، وبعض قوله :

و أنا أفرس الشعر مثلبا أحسن النبيذ . (١)

ولابد أن شاعرنا قد وجد في بعض الأحيان النبيذ الجيد ، لأنه نظم قصيدة
المدرسة كلها تعتبر أروع قطعة أدبية شعرية له ، وهي تحمل اسم « إعراف أحد
الجولياردين » ، *Confession of a Goliard* ، وقد تضمنت وصفا لا ينسى
للمفرجات المشتعلة في بافيا [بإيطاليا] ، حيث يجد فيها مسرات الحانات وملذات
ومباهجها . يقول الشاعر :

في الحانة المانة أوث ،

هذا هو ما سمعت عليه .

فليكن النبيذ قريبا من هني ،

منسما تنهي الحياة .

وتجمل الملائكة يصيرون ،

بخاصة ملوؤها السرور ،

« إنصح هذا السكر يارب في علاك

نوبة ومنفرة ؟ » (٢)

(١) ونسب قوله باللاتينية ، « *Tales versus facio quale vivum hibo* »

— cf. Haskins, op. cit., p. 88. — والمقصود أنه يريد الشن هل الشعر الذى يقرنه

[المترجم] .

(٢) هذه الأبيات من قصيدة تحمل اسم « إعرافات جوليات » ، وهي شعر — بدون

هك — من أحسن معاصر الجولياردين وأدق انتمالاتهم وأجاسيمهم . وأفضل ترجمة

لها باللغة الإنجليزية توجد في كتاب سيموندز ، *Symonds, J. A., Wine, Women, and Song, Chatter and Windus, 1925.*

وتمت ترجمة أخرى لقصيدة المذكورة —

بلم السكانية هيلين وادل *Helen Waddell* في كتابها من الأغاني اللاتينية في العصر

الوسط . [المترجم] .

ومع أن الشعر الجولياردى قد كتب باللغة اللاتينية ، إلا أنه تغلغل من نظام الوزن القديم ليستخدم القافية والحركات في الشعر الجديد . ومع ذلك ، فإن أفضل الترجمات الحديثة له ، مثل ترجمة جون أدينجتون سيموندز John Addington Symonds التي أخذت عنها ، تفشل في إعطاء الوزن والنغم والأساليب الموسيقى القصيدة بلغتها الأصلية . فقد كان مؤلفوها يعرفون أساطير اليونان والرومان القدماء ، وبخاصة كتابات أوفيد الذي نهج الشاعر نهجاً بمرية وبدون قيود ، بهدان تم نسخها في كلوية مزمنة. (١) هذا ، والجواب الأكبر من الشعر الجولياردى كلاسيكى في نظراته الوثنية الصريحة للحياة . فألته هم فينوس Venus [إلهة الحب والجمال] وباخوس [إله الخمر] ودشيريوس Decius أيضاً وهو إله الرد . وكانت مواضع العامة تدور حول الحب والخمر والربيع والحياة في الطريق المثلث ونحت السماء الزرقاء . وكانت روحه المبهمة هي الاستمتاع الشديد في هذه الحياة الدنيا ، أى المتعة والبهجة والحياة من أجل الحياة. (٢) وهذا هو ما يجده القارئ في إنتاج شعراء اليونان والرومان القدماء ، أو في تلك الأخوية العنانية التي ترجع إلى عصر متأخر ، والتي مازال عالم الدراسة والبحث يستر بها ويحافظ عليها ، وفيها يقول الشاعر :

« يطربنا وينشينا أننا الآن شباب . » (٣)

(١) نسبة إلى جامعة كلوى النورية • [المترجم] •

(٢) أى الاستمتاع بالحياة وتجيدها في شتى صورها ومظاهرها [المترجم] •

(٣) وباللاتينية « Gaudemus igitur iuvenes dum sumus » of. Haskins, op. cit., p. 85.

وعلى العموم ، فقد كان العصر الجولياردى من النوع غير الشخصى ، أى الذى لا يهتم بفرد ما ، ولم يمدنا سوى بتفاصيل قليلة عن أى مكان بالذات . ولكنه كان يمس الجانب الأكثر مرحا والأشد جذالة وطربا من حياة طلاب العلم فى العصر الوسيط . كما يلقى الضوء على حياة أولئك الطلاب الذين لا يتميزون بسيرة حسنة أو سمعة طيبة . وإن هذا الطراز من الحياة الذى يشقه أولئك المتشردون المستهترون ، بقواعده التى لاتتمتع بقواعد على الإطلاق ، موصوف هنا أمام الناس من كل الفئات والأذواق . فهم أشخاص يقومون من أومهم متأخرين ، أو هم مفامرون طروبون يصبون اللبر والمثمة . وإن أى فرد من جماعة الجوليارديين لا يملك أكثر من سترة واحدة على ظهره ، ولذلك فهم ينتقلون من مدينة إلى أخرى مستغلين الناس لإمدادهم بالمال . وهناك بعنة آيات من الشعر تطابق ما جاء فى خطابات الطلبة بهذا الخصوص :

أنا سعى مجهول أطلب العلم ،

خلقت لعمل العاق والمزن ،

ولى كثير من الأحياء يدفنى

انفرد إلى الجفون ،

والأدب والمرنة

كم كنت أتمنى أن أظل أكتبها ،

لولا الحاجة لقرضى

الى تجماعى أنوقف من طلب العلم .

لهذه الملابس البالية التى تكسوفى ،

كم هى وقيمة ومزقة •

وكم هابت من اللبر

بعد أن نكأتى القلب .

ولما أستطيع الذهاب إلى الكنيسة
وأرثم لك تسبيحا كما يجب ،
فيقولني القديس وصالوات المساء
مع أتي أحييا بمن .

آه . . أنت يا مغفرة وطهارة
إني استعطفك بمحبة
أن تساعدني أنا البائس المحتاج
وأكيذا سوف تكافئك السبا .

اتبه الآن
كما تنبه إلى القديس مارين . (١)
وأكنى مرى الحاج
ثم ادع له عند القرائ .

فلينقل الله روحك
إلى سلام أبدي .
ولكن سمادة القديسين من نصيبك
في ملكوته الأعلى .

(١) كان القديس مارين St. Martin (حوالي ٣٣٠ - ٣٩٧ م) أسقفا على مدينة
تورز ، ويعتبر أبا الرهبنة في خالو ومن أكثر القديسين في أوروبا الغربية تقيلا واحتراما .
ولممن أبوين وثنيين واعتنق المسيحية في سن مبكرة ، وقد خدم في عياله في الجيش الروماني ،
ويروي تلميذه ومؤرخ سيرته سولبيكيوس سلفيروس Sulpicius Severus قصة اعتناقه
المسيحية عند ما طلب إطفاءه من المجندة بعد أن أصبح من جنود المسيح . هذا ويقع عيد
القديس مارين في الحادي عشر من نوفمبر من كل عام . انظر Taylor, The Clamical
Heritage of the Middle Ages, pp. 11 n. ٤, 282 n. ٤ انظر أيضا رسالة
مارين (القديس) في دائرة المعارف البريطانية (طبعة سنة ١٩٦٤) ، ج ١٤ ، ص ٩٨٥
— ٩٨٦ . [الانرجم]

ويهي الإخوة بعضهم بعضاً في الحانات الجانية يمثل هذه الأهنية التي تقول :

نحن في تموانا

طروين مسرعين .

تارا ، تتلوا ، يبنو ؟

نأكل حتى تتله الجلود

ونفرب في وفار .

تارا ، تتلوا ، يبنو !

ونسطح حتى تتزق منا الجيوب

وليس الأسال على الجلود .

تارا ، تتلوا ، يبنو !

نهدو إلى الأبد

ونجرح بطرانة جهنية .

تارا ، تتلوا ، يبنو !

وتستمر القصيدة على هذه الطريقة إلى آخرها .

ونحمد وصفا للسكري المتجمين مما ، في قصيدة أخرى ، تقول أياها :

البعض ينامر والبعض يهرب ،

والبعض يمش دون أن يفكر .

ومن يد أولئك الذين يسيرون المصطب والضجيج ،

تجرده البعض من الماطنة والسترات .

والبعض ينم غلايس من ناعم الريش ،

والبعض لا يملكه شروى تدير .

فليس هناك من أحد ينفى غزو الموت ،

ولسكن الجميع يتبارون في الممراب .

ثم هم يثربون منتهكين حرمة الدين ، مرة من أجل جميع المساجين والأمرى ، وثلاث مرات من أجل الأحياء ، ومرة رابعة من أجل جميع المسيحيين ، وخاصة لأولئك الذين رحلوا عن هذا العالم وهم على الإيمان بأقون ، وهكذا حتى الجرعة الثالثة عشرة التي تكون من أجل أولئك الذين يسافرون برا أو بحرا . ويعقب ذلك احتساء متواصلا للمرة الأخيرة من أجل كل من الملك والبابا . وينبر مثل هذا الشر تمبرا صادقا عن عصر د الشراب واحتساء الخمر ، .

ولما كان الشر الجولياردى شرا يتحدث عن الخمر والنساء ، فقد احتوى فدرا كبيرا من التهمك والمجاء . ولما كان هذا الشر يخاطب أيضا جمهورا يالف الكتاب المقدس والطقوس الكنسية ، فقد كان مؤلفوه يعبرون بطريقة هزلية عن أى أمر من الأمور الجدية ، كالإنجيل وترايم العذراء ، والمراسم الخاصة بالقداس ، كما هو الحال فى قصيدة تعرف بإسم د قداس السكرى ، 'Drinkers' ، Mass ، وأخرى بعنوان د كتاب صلوات القمارين ، Office for Gamblers . ثم أن إحدى القطع الشعرية الممتازة عبارة عن ذم وهجاء فى البابوية وتحمل اسم د الإنجيل يقابل وزنه من النضة ، - The Gospel according to Mark ، of silver ، وما هذه القصيدة إلا إحدى المحجمات المريعة على روما ، وهى تصور ظفرسة وعناد وجشع طبقة كبار رجال الدين ممثلة فى شخصية الأسقف جولياس Golias the Bishop . وكانت وجهة النظر هذه ، بصفة عامة ، هى وجهة نظر الكنيسة ذوى المراتب الدنيا ، وبخاصة المنصر المتجول غير المنظم الأكثر حرية وانطلاقا الذى ارتاد للمدارس والطرقا ، وهو منصر المشعوذين أو الجوليجيرس jongleurs الذين ينتهون إلى السلك السكهنوى وكانت مثل هذه المواضيع مألوقة للتشريع الكنسى منذ القرن التاسع الميلادى .

وإن شعرا من هذا النوع يخالف تماما المفاهيم والأفكار التقليدية في العصور الوسطى، حتى أن بعض الكتاب أنكروا شخصيته الوسيطة . فيقول أحدهم « إنه ينتمى إلى العصور الوسطى من الناحية الزمنية فحسب » ، بينما يجد فيه الآخرون علاقة وثيقة بروح عصر النهضة أو حركة الإصلاح الدينى . وقد يكون أكثر ملائمة لروح التاريخ أن يجعل دائرة أفكاره من القرون الوسطى أكثر اتساعا وشمولا حتى تتمشى مع حقائق الحياة فى تلك القرون . فلم يكن الجليارديون إيسابيين قبل عصر النهضة ، ولم يكونوا مصلحين قبل حركة الإصلاح الدينى ، وإنما كانوا — بكل بساطة — رجالا من العصور الوسطى الذين كتبوا لومهم فحسب . فإن كانت كتابات هؤلاء الشماليين ، وبخاصة طلاب العلم الفرنسيين ، تبدو وكأنها تنبؤ باقتراب عصر النهضة فى إيطاليا ، فربما أمكن القول بأن عصر النهضة قد بدأ مبكرا ، وأنه لم يكن لإيطاليا خالصا كما هو مفروض أن يكون . وإذا كان قارضو الشعر الجولياردى أكثر طمائية ، بل ديبين أكثر مما يجب أن نتوقع ما يكون عليه طلاب العلم ، فيجب أن يكون معلوما أننا سوف نتوقع شيئا مختلفا ومغايرا . فى الشعر الفنائى ، كما هو الحال فى الملاحم والدراما ، تتلم الآن الشيء الكثير عن التداخل بين العالمين الديوى والكسبى ، الذى لم يند يفصل بينها مثل تلك القواصل والحواجر الجافة المحسكة التى ابتدها الخيال فى فترة متأخرة عن هذا العصر . وسواء أكانت روح الشعراء الجوليارديين ديوية أم دنيئة ، فقد كانوا بلا شك إيسابيين . لقد عاشوا الحياة وأحسوا بها إحساسا قويا ، ثم كتبوا ما عرفوه وما أدركوه .

ويجىء بعد ذلك دور إصناف الطلبة وإعطائهم حقيمتهم بكلمة من المنصر الأقل تطفلا ، ومعنى بذلك الطالب المجد . ويقول هاستنجر راشداك (١) : ليست

هناك سجلات تاريخية وحوليات تتحدث عن الطالب الفاضل . ، ولم يكن مثل هذا الطالب في كل المصور ملقنا للأنظار أو ملحوظا بالقدر الذي كان عليه زملاؤه المندفعون للمتهورون . ولذلك فإن طالب العلم المثالي الذي يستمع إلى المحاضرات الدينية لم يكن له لون ظاهر مميز ، وإنما كان مطيحا محترما متحسنا لتلقى العلم ، مواظبا على المحاضرات ، جريئا في المناقشات ، متبصرًا في دروسه حتى أثناء زعماته المسائية على شاطئ النهر . والطالب المثالي في دراسة الكتب في مختلف الفنون هو ذلك الذي يتدرب على ما جاء بها من تعاليم ويمارسها . والطالب النجودجي في الآداب قد وصف نفسه كشخص كرس حياته تماما لدراسة العلم ، ولو أنه يصره المال إلى حد ما .

أما عن الطالب الذي يقرض الشعر الجيد ، فلم يوجد مثل هذا الشخص ؛ فلم يكن شعر الطالب دكله يتعلق بالخر والعريدة والعشق والنزل ، ، وغير ذلك من المسائل الديوية (١) ، ولكن الكثير منه كان كذلك . ويجب هنا ألا يبعث عن الجانب الأكثر وقارا وجدية في الحياة العلمية . ويقول جان دي هوتفيل Jean de Hauteville عن طالب العلم المسكين المتأثر بأنه يمثل جانبا كبيرا من الطلبة ، ولكنه لم يتخلف لنا مجموعة كبيرة من الشعر . وتنعكس أعمال الطالب الجيد انعكاسا ممتازا أثناء دراسته . ويبدو جده واجتهاده أحسن ما يكون في مذكراته وجدله ومناقشاته .

كذلك كانت الوقائق والمستندات المتعلقة بالجانب التعليمي في الجامعة ، هي الأخرى ، مصدرا للكشف عن حياة الطالب . فقد لوحظ أن الاتحادات

الجامعة الطلاب في أيامنا هذه كانت أكثر خصبا في تذكر مصراعات الطلبة أكثر مما هي إنجاز العمل اليومي المنوطة به . فالصبي المجتهد في يومنا هذا لا يخالف هذه النطوط الرئيسية مثلما كان يفعل زميله في الماضي ، ولم ير أحد أنه من المناسب إنتاج مسرحية أو قصة سينمائية تبين ملامح وسمات الطالب المجد . ومع ذلك ، فإن كل شخص على معرفة بالجامعات المعاصرة يعلم تماما أن الطلاب الجاد يمثل قطاعا كبيرا من الطلبة ، وقد وضع بصفة قاطعة أن الصبرة والخصيت اللذين يتمتع بهما ينكس أثرهما عليه في فترة تالية من حياته . وقد كان هذا هو الوضع القائم في العصور الوسطى .

هذا ، وقد أصر طلبة القانون في جامعة بولونيا على أن يحصلوا من أساتذتهم من العلم نظير المال الذي يدفعونه لهم . وكانت الامتحانات التي وصفها روبرت السوربون تحتاج إعدادا جيدا . ولم يكن الحصول على مهنة أو عمل هو وحده الدافع المحرك للدراسة في جامعة العصور الوسطى ؛ بل كانت هناك حماسة شديدة لاقتناء المعرفة ومناقشة العديد من المسائل العقلية . وقد كانت الجامعات الكبرى ، على الأقل ، نابضة بالحياة الفكرية ، بالإضافة إلى قدسية العلم والتعليم ، التي دعت في فترة مبكرة تلامذة أيلارد للتوجه إلى البرية ، وأن ينشأوا لأنفسهم أكراعا حتى يقتاتوا من علمه وكلامه . وكانت كتب العصور يكتبها — إلى حد كبير — أساتذتها ، وكان الطلبة حتى تصفحها والنظر فيها أثناء إعدادها . وهكذا كانوا ينهلون العلم من منبته . وفي ذلك الوقت ، كما هو الحال الآن ، كانت السمة الأخلاقية الجامعة تعتمد على قوة كيانها الفكرى وجديته .

وإذا أمعنا في النظر في مجموعة المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالطلاب على وجه الإجمال ، نجد أن الظاهرة البارزة والخفية للأعمال في نفس الوقت هي

ساجتها إلى كيان شخصي مستقل. فتمه الكتاب المدرسي *Manuale Scholarium* ، الذى أعد ليستخدمه جميع الطلبة الذين يؤمّون الالتحاق بالجامعات . وقد أعدت الرسائل والخطابات ، بصفة عامة ، لتناسب رغبات أى طالب يحتاج إلى المال والملابس والكتب . وحتى القصائد التى يحق لنا أن نتوقع أن نرى فيها تعبيراً عن الإحاسيس الفردية ، كان لها نفس الطابع العام الذى يميز الجانب الأكبر من شعر المصور الوسطى . فقد كان معظمها يسر عن صوت المجموع وليس عن صوت الأفراد .

وفى نفس الوقت يجب أن نتذكر أن هذه الخاصية التى تميز بها الإنتاج الأدبى للطلاب ، وإن كانت تسلب منهم شيئاً ، إلا أنها تزيد من القيمة التاريخية لهذا الإنتاج . إذ يتناول المؤرخ النواحي العامة أكثر مما يبالغ الجوابب الخاصة ؛ ثم يجب عليه أن يبنى معرفته عن طريق التجميع للمعنى والمقارن للمعاني الفردية التى يبلغ من قلتها وعدم تجانسها أنها لا تسمح بإصدار تسميات سليمة . وعلى أية حال ، ففياً يتعلق بسجلات الطلاب هذه التى تم التنقيب فيها من أجلهم ، نجد أنها بالشكل الذى وصلتنا فيه قد فقدت على أيدي الطلاب أنفسهم كل ما هو على أخص أو استثنائى . وأصبحت تمثل خبرة وتجربة قرون عديدة فى حياة الطالب ، وذلك فى ضوء طبيعة وكنه المعلومات التى وصلت إلينا ، وهى غير ما كان يأمل المؤرخ نفسه .

هذه هى الناحية الإنسانية العريضة التى تضاف على إنتاج طلاب المصور الوسطى أهمية خاصة بالنسبة لعالم اليوم . ففى مادتها ، إن لم تكن فى شكلها وإطارها العام ، تماثل ما هو كائن فى كل من جامعتى هارفارد *Harvard* وييل *Yale* اليوم ، مثلاً كانت بالنسبة لجامعتى أكسفورد وباريس فى المصور الوسطى .

فإن المناظرات والمناقشات والمجادلات باللغة اللاتينية ، ووحل بولونيا ، والسيارة عند الجسر الكبير في فرنسا — كلها تنتمي بوضوح إلى العصور الوسطى ، ولا صلة لها بمصرنا هذا . ولكن المال والملبس والسكن والمدرسين والكتب وحياة البهجة والمرح والزراعة الطيبة — كل هذه كانت ولا تزال موضع الاهتمام في كل زمان ومكان .

ولقد قال أحد أساتذة التاريخ ، ذات مرة ، إن الصعوبة الكبرى في تدريس التاريخ تكمن في إقناع التلاميذ بأن أحداث الماضي لم تحدث كلها في القصر . فالعصور الوسطى عصور سحيقة جدا ، وفي بعض النواحي تبدو بالنسبة لنا أكثر بعدا من العصور القديمة . ومن الصعب أن ندرك أن الرجال والنساء هم — بمد كل ما تقدم — نفس البشر ونفس الآدميين في الماضي وفي الحاضر . ويجب علينا أن نتذكر دائما أن العوازل الرئيسية الجوهرية في تطور الإنسان وتقدمه قد ظلت كما هي من عصر إلى آخر ، ويجب أن نظل هكذا طالما استمرت الطبيعة البشرية والبيئة والظروف الطبيعية باقية على ما هي عليه . فقد كان وجه الشبه بين طالب العصور الوسطى وخلفه طالب العصر الحديث ، فيما يتعلق بقصته مع العلم والحياة ، أكثر مما نظن أو نفترض . وإذا كانت الظروف المحيطة به تختلف عن تلك التي تحيط بطالب اليوم ، إلا أن المشاكل كانت — إلى حد بعيد — واحدة . وإذا كانت سيرة طالب العصر الوسيط أسوأ من سيرة زميله في العصر الحديث ، إلا أن طموحه كان نشطا للغاية ، ومناقشاته ومبارياته سامية شديدة بائنة العنف ، ورجسته في التعلم جادة لموجة متقدمة إلى أقصى حد . وكانت المحصلة العلمية بالنسبة له ، كما هو الحال بالنسبة لنا ، تعنى عضويته في مدينة الآداب التي لا تبنى بالأيدي ، وإنما هي « مجموعة طلاب العلم القديمة الجامعة » .

بعض المراجع للفصل الثالث (١)

Allen, P.S., *Modern Philology*, V, pp. 423—476, VI, pp. 3—43 (1907 & 1909).

وهو يشمل على المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالعصر الجولياردي .

Allen, P.S., *Medieval Latin Lyrics*. Chicago, 1931.

Bahlmann, P. (ed.), *Mitteilungen der Gesellschaft für deutsche Erziehungs- und Schulgeschichte*, III (1893).

وتقام ب. بالمان بشر القوانين والوائح المتلفة بالطلية
في الجزء الثالث من كتابه المذكور (ص ١٢٩ - ١٤٥) .

Bernard, E., *Les Dominicains dans l'université de Paris*. Paris, 1883.

Burke, R.B., *Compendium on the Magnificence, Dignity, and Excellence of the University of Paris in the Year of Grace 1517* (by, Robert Goulet). Philadelphia, 1928.

Fuchs, P., "Student Life in Paris During the Middle Ages," *Living Age*, CXCXCIX (1926), pp. 682—685.

Gabriel, A.L., *Student Life in Ave Maria College, Mediaeval Paris History and Chartulary of the College*. Notre Dame, Ind., 1935.

Ghellinck, J. de, *L'essor de la littérature latine au XII^e siècle* Brussels & Paris, 1946.

أنظر ، بصفة خاصة ، الجزء الثاني من الكتاب المذكور (ص ٢٧٠ - ٢٨٤) .

Glizelli, S., "Les contenance de table," *Romania*, XLVII (1921), pp. 1—40.

ونجد في الكتاب المذكور دراسة طيبة من كتب الطالب وأدواته الدراسية .

Gratien, "Les Franoiscaines à l'université de Paris : notes et documents," *Studes franciscaines*, January, 1912.

Haskins, C.H., "Life of Mediaeval Students as seen in their Letters," *American Historical Review*, III (1897—98), pp. 203—229.

(١) حول المصادر الأدبية المكتوبة الخاصة بالعصر الجولياردي والشعراء الجولياردين ،

Paetow, L.J., *A Guide to the Study of Medieval History*. أنظر
(الترجم) (London, 1931), pp. 484 ff., 489—493.

Haskins, C.H., "The University of Paris in the Sermons of the Thirteenth Century," *American Historical Review*, X (1904), pp. 1-27.

ويمكن ، أيضا ، الاطلاع على المؤلفين السابقين الاكر في كتاب :
هاسكينز : دراسات في ثقافة العصور الوسطى ، ص ١ - ٧١ (بالانجليزية) .

Haskins, C.H., "Manuals for Students," in his *Studies in Mediaeval Culture*, pp. 72-91.

Haskins, C.H., *Studies in Mediaeval Culture*. Oxford, 1929.

Hewitt, W.T., "University Life in the Middle Ages," *Harper's Magazine*, XCVI (1898), pp. 945-955.

Hilka, A. & Schumann, O., *Carmina Burana*. Heidelberg, 1930.

وتشتمل هذه الطبعة على النصوص الأصلية للشعر الجولباردي مع التعليق عليها .

Holmes, U.T., *Daily Living in the Twelfth Century : Based on the Observations of Alexander Neckam in London and Paris*. Madison, Wis., 1932.

Kilbro, P., *The Nations in Mediaeval Universities*. Cambridge, Mass., 1948.

ويعتبر هذا الكتاب من أحسن ما كتب عن نظام « الأمم » في جامعات العصور الوسطى .

Kilbro, P., "Scholarly Privileges : Their Roman Origins and Medieval Expressions," *American Historical Review*, LIX (1954), pp. 543-567.

Langosch, K., *Hymnen und Vagantenlieder*. Basel, 1954.

ونجد فيه معلومات لا بأس بها عن كل من هيجو واركبويت ، أنظر بصفة خاصة صفحات

٢٩٢ - ٣٤٠ .

Luchaire, A., *Social France at the Time of Philip Augustus*, translated by E.B. Krehbiel. New York, 1912.

ورجعتنا ، بصفة خاصة ، الفصل الثالث من الكتاب المذكور الذي يتحدث فيه المؤلف عن حياة الطلبة في العصور الوسطى .

Mandonnet, P., "De l'incorporation des Dominicains dans l'ancienne université de Paris," *Revue Thomiste*, IV (1896), p. 156 ff.

Manitius, M., *Geschichte der lateinischen Literatur des Mittelalters*, Vol. III. Munich, 1931.

أنظر ، خاصة ، صفحات ٩٦٣ - ٩٨٤ من كتاب م. مانيتيوس .

Milburn, J.B., "University Life in Mediaeval Oxford," Dublin Review, CXXIX (1901), 72—97.

يقابل ج.ب. ميلبورن في مؤلفه بالعرض الرسائل العلمية Epistolae academicae التي قام د. النسي H. Anstey بنشرها في جزئين (طبع أكسفورد سنة ١٩٠١) وهي تلخ الضوء على الحياة الجامعية في القرن الخامس عشر.

Moireau, A., La journée d'un écolier au moyen âge. Paris, 1889.

Munro, D.C., "The Mediaeval Student," University of Pennsylvania, Translations and Reprints, Vol. II, No. 3; Philadelphia, 1889.

Monrou, P., Thomas Plattier, 1499—1582, and the Educational Renaissance of the Sixteenth Century. New York, 1904.

Norton, A.O., Readings in the History of Education: Mediaeval Universities, Cambridge, 1909.

Pactow, L.J. (ed.), John of Garlande's Morale Scholarium. Berkeley Cal., 1927.

Pegnes, F., "Royal Support of Students in the Thirteenth Century," Speculum, XXXI (1956), pp. 454—462.

Perrod, M., Maître Guillaume de Saint-Amour : l'université de Paris et les ordres mendiants au 13 siècle. Paris, 1895.

وقد نقد الكاتبان ماندونيه Mandonnet وفيلدر Felder مؤلف م. بيروود نقداً عنيفاً.

Perrod, M., Etude sur la vie et sur les oeuvres de Guillaume de Saint Amour (1202—1272). Louv-la-Saunier, 1902.

ويبدو أن هذا الكتاب عبارة عن طبعة جديدة لكتاب م. بيروود المنشور في باريس سنة ١٨٩٥.

Raby, F.J.E., A History of Secular Latin Poetry in the Middle Ages. Vol. II. Oxford, 1934.

Rait, R.S., Life in the Mediaeval University. Cambridge, 1912.

وتجذب في هذا الكتاب عرضاً طيباً لحياة الطلبة في جامعات المصور الوسطى، ويحتشد فيه المؤلف على الفصل الأخير من كتاب «جامعات المصور الوسطى» لراشدال.

Schmeller, J.A., Carmina Burana. Breslau, 1894.

يتضمن كتاب ج.أ. شمير أفضل مجموعة من الشعر الجولياردى، وهي مجموعة متنازة فريدة في نوعها.

Seyblot, R.F. (tr.), The Manuale Scholarium. Cambridge, Mass., 1921.

وهو عبارة عن ترجمة مع التعليق عليها.

- Seyblot, R.F., *Renaissance Student Life, a Translation of Paedologia of Petrus Mossellanus*, Urbana, 1927.
- Shackford, M.H. (ed.), *Legends and Satires from Mediaeval Literature*, Boston, 1913.
- ويشتمل هذا الكتاب على قصيدة الشاعر الفرنسي وليم روتيف W. Rutebief من القرن الثالث عشر يتكلم فيها على طالب في جامعة باريس ، والقصيدة مترجمة إلى الإنجليزية تحت عنوان « أغنية جامعة باريس » (ص ١٢٥ - ١٢٧) من الكتاب المذكور .
- Stäsmlich, H., *Die lateinische Vagantenpoesie des 12. und 13. Jahrhunderts als Kulturercheinung*, Leipzig, 1917.
- Symonds, J.A., *Wine, Women, and Song*, London, 1884.
- ويتضمن كتاب ج. أ. سيموندز أفضل تراجم الشعر الجولباردي باللغة الإنجليزية .
- The Septicentennial Celebration of the Founding of the Sorbonne College in the University of Paris, Chapel Hill, N.C. 1953.
- Thompson, J.W., "Goliardi," *Studies in Philology*, XX (1923), pp. 83—98.
- وقد قامت جامعة كارولينا الشمالية بنشر هذه الدراسات القيمة التي تتعلق بأصل كلمة « جولباردي » ومشتقاتها .
- Waddell, H., *The Wandering Scholars*, London, 1934.
- Waddell, H., *Mediaeval Latin Lyrics*, London, 1948.
- يعتبر كتاب ه. وادل على تراجم الإنجليزية الشعر الجولباردي .
- Webster, H., *Historical Selections*, Boston, 1929.
- من المصادر الرئيسية التي أشارت إلى حياة الطلبة في العصور الوسطى (أنظر ص ٧٩ - ٦٠٤) .
- Weingart, M. (ed.), *Statuta vel Precepta Scholarum*, Metten, 1894.
- Whicher, F., *The Goliard Poets*, Cambridge, Mass., 1949.
- يتضمن هذا الكتاب ، هو الآخر ، تراجم الإنجليزية الشعر الجولباردي .
- Wright, T., *A Volume of Vocabularies*, Vol. I. London, 1837.
- يتضمن كتاب ت. رايت قاموس جون أوف جارلاند (ص ١٢٠ - ١٣٨) .
- Wyngaert, A. van den, "Querelles du clergé séculier et des ordres mendiants à l'université de Paris au XIII^e siècle," *la France franciscaine*, V (1922), pp. 257—281, 369—397; VI (1923), pp. 47—70.

بيان اللوحات

صفحة

- لوحة رقم (٥) حياة طلاب العلم في كاتدرائية نوتردام في باريس
٢٥٩ في القرن الثالث عشر [كاتدرائية باريس] .
- لوحة رقم (٦) خطاب مرخوف . [مخطوطة لاتينية رقم ١٦
٢٦٩ ٧٤٣ - ٤٦ بالمكتبة الأهلية بباريس] .
- لوحة رقم (٧) طالبان يطلان و يتناقشان [نحت على قبر بدير
٣٤٩ القديس ديمس بفرنسا] .

الذى خدعه أحيانا أن يلتحقا بعد صلاة المساء ، وهنا يبدأ هزور تعود طلبة المدارس حيث يتبارى فيه الطالبان . ولما كان التضارب باللكم عنوعا في المدرسة ، فقد تعلم الفتيان كيف يتحدثون عن عداءهم وخصوماتهم ، وكيف يلترنون شكاياتهم في حوار باللغة اللاتينية . ويبدأ الحديث كالآتي : « لقد كنت خارج المدينة بعد أن حل الظلام ، ولعبت مع العلباين يوم الأحد ، وذهبت للسباحة يوم الإثنين ، وتنبهت من صلاة الصبح واستترفت في النوم أثناء القداس » . ثم يشكو قائلا : « أستاذنا المجل .. لقد لطح هذا الفتى كتابي وهو يصيح ورأى أينما ذهبت وهو يسبني ويلتقي » .

وبالإضافة إلى المجادلات الرسمية ، تكن الطلبة يتناقضون في الأحداث الجارية مثل معركة في الفارج ، أو زفاف ابن عم ، أو الحرب المتوقع نشوبها مع دوق سكسونيا ، أو الوسيلة التي يمكن الوصول بها إلى إدفورت Erfurt في ألمانيا حيث ينتوى أحدهم الذهاب هناك عندما يبلغ السادسة عشرة من العمر للدراسة في الجامعة . وكانت التجربة القاسية التي يعاني منها الطالب في يومه الدراسي هي سؤال الأستاذ له في النحو اللاتيني الذي يصل إلى حد الأحاسي والألغاز ، وذلك عندما يأتي الدور على كل طالب لسؤاله « anditio circuli » . وكان صلي التلاميذ أن يتلوا على أستاذهم ما حفظوه من تكوينات وتصاريف ، فيبدأ الكسالي في الارتماش عندما تحين ساعة الدرس . وكان الطلبة يتمنون ألا يحضر الأستاذ قائلين : « عنده ضيوف » ، و « لكن سيتركوه في الوقت المناسب » ، و « قد يذهب إلى الحمامات » ، و « لكنه لم يعض على ذهابه إليها منذ آخر مرة أسبوع كامل » . ثم يقولون : « ها هو قد حضر » . أذكر لسم فقط فإذا به

محتويات الكتاب القسم الثاني

صفحة

كلمة المترجم ٢١٨-٢٠٥

مقدمة بقلم تيودور ١٠ عمن ٢٢٩-٢٢٥

الفضيل الأول الجامعات المبكرة

٢٨٦-٢٣٣

مقدمات :

الجامعة بمعناها المعروف من تاج مصر الوسيط — أوجه
الخلاف بين جامعة الأمس وجامعة اليوم — جامعة القرن
العشرين سلسلة وورثة جامعتي باريس وبولونيا في مصر
الوسيط — غير معروف على وجه التحديد متى بدأت معظم
الجامعات المبكرة — نهضة القرن الثاني عشر وآثارها — العلم
والمعرفة في العصر الوسيط المبكر — للفنون السبعة الحرة —
أثر العرب في الحضارة الأوروبية .

بولونيا والمجنوب :

تاريخ جامعة العلب في سالنو — جامعة بولونيا مركز
لإحياء القانون الروماني — إرنريوس والقانون المدني —
الراهب جراثيان والقانون الكنسي — اتحادات الطلبة

المختبرين في بولونيا — أصل كلية د جامعة ، وتطورها —
القيود التي عاش الأستاذ الجامعي أسيرها — د الأمم ، داخل
المحيط الجامعي — نقابات الأساتذة — إجازة التدريس
والدرجات الجامعية — بولونيا مدرسة للقانون المدني —
جامعات الجنوب الأخرى .

باريس والشمال :

المدارس الكاتدرائية في باريس — بطرس ايلارد ونشأة
الجامعة — البدايات الأولى لجامعة باريس — المراسيم
والبراءات الصادرة من السلطات الدينية والملكية لصالح
جامعة باريس — حياة الطلبة في باريس — بيوت الطلبة
والمعاهد الملكية — الطوائف والأمم والصراعات بينها —
باريس نموذج لجامعات الشمال — جامعتا أكسفورد
وكامبريدج — الجامعات الألمانية — الجامعات الأوروبية
الأخرى .

تراث العصور الوسطى :

مخلفات جامعات العصور الوسطى — ليس لها مبان خاصة
بها ، ولم تترك بقايا وآثارا مادية كافية ترجع إلى تاريخ
مبكر — الاحتفالات الأكاديمية — الزى الجامعي — التقاليد
والتنظيم الجامعية — جامعة العصور الوسطى جامعة نلت
نفسها للعلم .

الفصل الثاني

أستاذ العصور الوسطى ٢٨٧-٢٤٠

الدراسات والكتب الدراسية :

الفنون السبعة الحرة — الكتب الدراسية في الفترة المبكرة
من التاريخ الوسيط — حركة إحياء التراث الكلاسيكي في القرن
الثاني عشر : صحتها ثم نبوغها — الاهتمام بالمنطق والقانون
والبلاغة وغيرها من الدراسات المستجدة — أرسطو
ومؤلفاته — فن تدوين المكاتبات والرسائل وأهميته — لم
تعرف جامعات العصر الوسيط المعامل، ولم يدرس فيها التاريخ
والعلوم الاجتماعية — أهمية دراسة الآداب — صعوبة دراسة
اللاهوت — دراسة الطب — الدراسات القانونية وبمجموعة
ه قوانين جستنيان المدنية ، — أهمية القانون الكنسي —
مرسوم جراشيان ولواحقه — الكتب المدرسية والمراجع
العامية — علم الحاجة إلى المكتبات الجامعية .

التعليم والامتحانات :

أستاذة العصور الوسطى وميكانيكية العلم والتعليم — بطرس
أيلارد — جون أوف ساليسبورى — برنارد أوف كليرفو —
أستاذة النحو والمنطق والعلوم الكلامية — طريقة التدريس
وأصوله — فاعات الدراسة والمحاضرات — الامتحانات

١ / النظام الجامعي والحريات :

المركز الاجتماعي لأساتذة المعسر الوسيط — مفهوم المعسر
الوسيط عن الحقيقة وحرية الفكر — الاجتهاد العقلي وموقف
الكنيسة منه — للفلسفة واللاهوت ، ومدى التدخل في حرية
العلم والتعليم .

الفصل الثالث

طالب العصور الوسطى ٣٩٢-٣٤١

مصادر معلوماتنا عن طالب العصور الوسطى :

المعريات التي تكتنف معالجة موضوع حياة الطالب في
العصور الوسطى — مصادر معلوماتنا عنه : سجلات المحاكم ،
الروائع الجامعية ، الحوليات ، عظات المبشرين ، قصائد
الشعراء - أهمية هذه المصادر في الكشف عن حياة الصنم
والهو التي كان يحياها بعض الطلبة ، وحياة البؤس والشقاء
التي كان يحياها البعض الآخر .

كتاب الطالب :

قاموس الطالب - دليل الطالب - كتاب فن المحادثة - تهويم
هايدلبرج - بعض المختصرات الأولية للسلوك والآداب -
كتيب في فن الحديث والمجاملات وكيفية قضاء الطالب يومه
الدراسي - كتابا التأديب وآداب المائدة - كتاب الإتيكيت
وآداب السلوك .

خطابات الطلبة ومراسلاتهم :

رسائل الطلبة تسلط الأنوار على ظروف الحياة الجامعية -
معظمها مجرد نماذج صماء وقوالب جامدة - خطوها من
النمصر الشخصى أو الفردى - طلب المال هو أغنية الطالب
الأولى - مختلف الحجاج والأعداء لقي يتعلمها الطالب الحصول
على المال من الأهل والأقارب .

أشعار الطلبة وقصائدهم :

الطلبة المحجولون - الجوليارديون والشعر الثنائى الجولياردى -
المواضيع التى يتناولها هذا الشعر : الحز ، النساء ، الحياة
المنطلقة المتحررة ، الهجاء ، التهم على الجهاز الكنسى البابوى -
تقديم الشعر الجولياردى والشعراء الجوليارديين ، ونماذج
من أشعارهم .

خاتمة :

حياة الطالب المثالى المجد الوقور ، ومدى كد شعير العصر
ووثاقه عنها - أهمية الوثائق والمستندات المتعلقة بالجانب
التعليمى فى الجامعة فى الكشف عن حياة الطالب - الكتاب
الجامعى - الانتاج الأدبى للطلبة يعبر عن صوت المجموع
وليس صوت الفرد - أوجه الشبه والتلاف بين طالب
الأمس وطالب اليوم .

بيان القوحدات ٣٩٣

٤٠٠-٣٩٥

محتويات الكتاب (القسم الثانى)

فهارس الكتاب ٤٠١ وما يليها

أولاً : فهرس الأعلام .

ثانياً : فهرس الأماكن والآثار .

ثالثاً : بيان بالمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من المراكز

الواردة ذكرها في الكتاب .

رابعاً : فهرس النظم والحضارة والفكر والحياة .

فهارس الكتاب

أولاً : فهرس الأعلام .

ثانياً : فهرس الأماكن والآثار .

ثالثاً : بيان بالمدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من المراكز الفكرية
الوارد ذكرها في الكتاب .

رابعاً : فهرس النظم والحضارة والفكر والحياة .

هذه الفهارس خاصة بالقسمين الأول والثاني من هذا المجلد .

أولا

فهرس الأعلام

أريوس (المشرح) ١٠٩-١١٢	(١)
٢٤٩ ح ٤	إبراهيم أحمد العلوي (دكتور) ٢١٠
أريوس (الكاهن السكندري) ١٣١١ ح ١	ابن رشد ٢١١ ح ٢، ٣٢٩ ح ٤
آسر العالي (الأسقف) ٦٨	ابن سينا ٣٠٣ ح ١، ٣٠٤ ح ١، ٣١١ ح ١
أقليدس ٢٤٣، ٢٩٤ ح ١	إيلارد (بطرس) ١٩، ٩٧، ٩٩-
الاريك الجرمانى ٣٠	١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٤، ١١٥
البرت العظيم ٣١١ ح ١، ٣٢٣ ح ١	١٢٦، ١٣١، ٢٠٥، ٢١٣،
الفريد السكوتى (الملك) ١٨، ٦٧،	٢٥٧ ح ٢، ٣٠٢ ح ٢، ٣١٠
١٢٥، ١٢٥، ٢٠٥، ٢٤٤ ح ١	٣ ح ٢، ٣١٢، ٣٢٩ ح ٢، ٣٨٦
الكوين ١٨، ٥١، ٥٤ ح ٢، ٥٥،	أيتلا (ملك الهون) ٤٦
٦١ ح ٢، ٦٢ ح ٣، ٦٤،	أين دى تورناى ٣٢٦
٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ١٥٥، ٣١٠	الاناسيوس السكندري ٣٣١ ح ١
١ ح ١	أجوبارد البونى ٦٦
الين دى ليل ٣١٤ ح ١	أدمارد (المؤرخ) ٧٠
امبروز (القديس) ٣١	آرثر (الملك) ١٧١ ح ١، ٢٦٤ ح ١
انتيوخس الثالث (الملك) ٣٧٢ ح ١	أرسطو ١٩، ٤٢، ٤٣، ٢٤٣، ٢٩٤
اسليم اللاهوتى ٩٩، ١٠٤، ١٠٥	١ ح ١، ٢٩٦، ٢٩٧ ح ١، ٣٠١ ح ٢
١ ح ١، ١٠٧، ٣٢٦ ح ٢	٣٠٦، ٣١١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٥٤
١ ح ٢٥٣	أركيبويت (الشاعر الجولياردى) ١١٧،
انوسنت الثانى (البابا) ٩٨، ١٠٠	٢٧٧ ح ١-٢
انوسنت الثالث (البابا) ١٣٤	

باوجولف (رئيس دير فولدا) ١٥٦،

١٦٣

باولينوس اوف اكويليا ٦١

باولينوس اوف نولا (القدس) ٣٢

بين القصير ١٦٥ و ٢ ح ٢٤١، ٢٢

بديه (جوزيف) ١ ح ٧٤

برفارد اوف كليرفو ١٩، ٩٧، ٩٨

و ٢ ح ١٠١، ١٠٢، ١٢٦،

٢٠٥، ٢١٣، ٢٥٦ و ١ ح ٢١٣

برنتون (س) ١ ح ٦٠

برنهار (الملك) ٨١

برنهار التوري ١٠٣، ١٠٤

بروديتيوس (الشاعر) ٣٢، ٧٥

برونو (رئيس اساقفة كولونيا) ٧٩

بريسكوس ٤٦، ٢٩٢ و ١ ح ٣٣٠

بريسكيان — انظر بريسكوس

بطرس برجوسي ٢ ح ٣١٧

بطرس البيزوي ٦٠، ٦١، ٦٤

بطرس اللباردي ١٠٣ و ١ ح ١٠٧،

٣٠٢ و ٢ ح ٣٢٣

بطرس الناصك ٢ ح ٢٦٢

بطليموس الاغريقي ٢٤٣، ٢٩٤ و ١ ح

ابومنت الرابع (البابا) ١ ح ٣٢٧

اوتمو الصغير (الإمبراطور) ٨٢

اوتمو الكبير (الإمبراطور) ٧٩-٨١

اودوفرينوس ٣١٥ و ١ ح ٣١٦،

٢ ح ٣١٧

اوروسيوس ٢٩٧ ح ١

اوزونيوس (الشاعر) ٣٣ و ١ ح

اوغسطس (الإمبراطور) ٣٦٠، ١ ح

٢٧٠، ١ ح ٣٧٤

اوغستين اوف هيبو (القدس)

٢٨-٣١، ٢٥، ٤٠، ٤١، ٥٣،

١٢٤

اوفيد ٢٥، ٣٤، ٤٦، ٢٢٤ و ٢ ح

٢٩٢، ١ ح ٣٦٠ و ١ ح ٣٧٩

ايزاك (جيل) ٦٨، ٦٩

ايزيدور ٥٢، ٦٤

ايف (القدس) ٢٥٦

اينهارد ٦٦ و ١ ح ٧٠، ١ ح ٧١

ايرجين الثالث (البابا) ٩٨

(ب)

باسكيبه (ابن) ٢٣٨ و ١ ح

يسكوب ٥٢، ٢٢٩٣ ج ٢	بلاوتوس ٣٥٨ ج ١
ييتز (سيدف) ١٦٠، ٢٤٢ ج ١	بلوك (مارك) ٢٢٨٩، ٢٤٢ ج ٢
١٢٧٦ ج ١	بليك (ر.ب) ٢٢٦ ج ١
ييز (نورمان) ١٢٢٠ ج ١	بليخ ٢٥، ٤٦
يويوس (اينكيوس مانليوس)	بندكت (القديس) ٤٩، ٥٠، ٨٧ ج ١
٤٠-٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥ ج ٢ - ٣	بوتيريل (د) ٣٧٤
٢٩٣ ج ١	بورشيا ٢٥٥
(د)	بول (ر.ل) ٣١٢ ج ١
تابلود (أ) ٢٢١٠ ج ٢	بولس الشماس ١٦١، ١٦٢، ١٧٩، ٨٠ ج ١
ترنتوس لوكاوس ٢٢٥٨ ج ٢	بولس اللباردي ٧٠
تشموس (جورفي) ٢٤٤، ٣ ج ٢	بولوك (ف) ٢٤٨ ج ١
٢٩٦ ج ١، ٣٠٨، ٢٥٣	بوناقتورا (القديس) ٤٠، ١٢٤، ١٢٥ ج ٢
١٢٥٤ ج ١	بونس أولف بروفانس ٣١٥
توما الاكوييني (القديس) ٢٩٧ ج ١	بونكومبايو ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩ ج ٢
٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠ ج ١	بويك (م.ف) ٢٢٨ ج ١
٢٣٤، ٢٣٠، ٢٢٨ ج ١	بيو ٢٤٨ ج ١
١ ج ١	بيتاو (لويس جون) ٢٠٦ ج ١
نيراس (بوليوس ترنتيوس افر)	٢١٤ ج ١
٢٢٥٨ ج ٢	بيده الوقور ١٨، ٥١، ٥٥ - ٦١
تييري ٢٥٦ ج ١	٢٢٣، ٢٢٤ ج ٢
	بيرين (هنري) ٢٢٩ ج ٢

١١٢ ، ٢٤٩ ، ٢ ح و ٢٠٧

١ ح - ٢ - ٣١١

جريرت الرمي ٨٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ،

١ ح و ٣١٠

جرير يانوس ٢٤٦ ح ٢

جرير يولي الاول (البابا) ٢٤٤ ح ١ ،

٤٧ - ٥٠ ، ٥٣ ، ١١٤

جرير يولي السابع (البابا) ٢٦٩ ح ٢

جرير يولي التاسع (البابا) ١٢٩ ح ٢ ،

١٣٥ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ٢٦٠ ح ٢ ،

٣٠٧ ح ٢ ، ٣٢٦ ح ٢ ، ٣٢٧ ، ٤

١ ح ، ٣٢٨ ح ١ ، ٣٢٩ ح ٣

جرير يولي الثوري ٣٤ - ٣٧ ، ٤٧ ،

٥٤

جستيان (الإمبراطور) ١١٠ ، ٥٠ ،

٢٤٦ ح ٢ ، ٢٤٩ ، ٣٠٠ ،

١ ح ٣١٦

جنجولفوس (القدّيس) ٨٠

حنيفيف (القدّيسة) ١٣١ ح ٢ ،

٢١٢ ، ٢٥٧

جوجو (أحد أصدقاء الشاعر

فورتوناتوس) ٣٣

(ث)

تورندايك (ل) ٢٦٠ ح ٢

ثيودوريك القوطي ٤١ ، ٤٤

ثيودوسيوس الكبير (الإمبراطور)

٢٤١ ح ١

ثيودولف الأسباني ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٢

ثيوفانو (ابنة ثقفور الثاني فوكاس)

٨١

ثيوفيلوس ٨٢

(ج)

جالكدي فيثري ١٤٤ ح ١ ، ١٥٨ -

١٦٠ ، ١٧٠ ح ٤ ، ٢٦٢ ح ٢ ،

٢٦٣

جالكدي جوف (المؤرخ) ٥٥ ح ١ ،

٢٦٦ ح ٣ ، ٢٢٩ ح ١

جاكوب (١) ٢١٠

جاليليو ٢٥٥ ح ٢

جالينوس ٣٠٠ ح ١ ، ٣٠٣

جان دي برين ٢٦٢ ح ٢

جان دي هوتفيل ٣٠٢ ح ٢ ، ٣٨٥

جراشيان (المشرح) ١١١ ح ٢ ،

جوړ دانیس القوطی (الاسقف) ۴۱،	جوړ دایس القوطی (الاسقف) ۴۱،
۴۷-۴۵	جوف — أنظر جاك لى جوف
جوفى اوف مونواث ۲۶۴ ح ۱	جوفى اوف مونواث ۲۶۴ ح ۱
جوفینال (الشاعر) ۲۹۲ ح ۱	جوفینال (الشاعر) ۲۹۲ ح ۱
جولیا (ابنة أرضطس) ۳۶۰ ح ۱	جولیا (ابنة أرضطس) ۳۶۰ ح ۱
جولیا (الاسقف) ۲۸۳	جولیا (الاسقف) ۲۸۳
جولیا (الفلسطینی) (بسمی أيضا	جولیا (الفلسطینی) (بسمی أيضا
جولیات و جلیات) ۱۱۶ ح ۱،	جولیات و جلیات) ۱۱۶ ح ۱،
۳۷۸، ۱ ح ۲۷۶	۳۷۸، ۱ ح ۲۷۶
جولیان المسکین (القديس) ۲۷۰	جولیان المسکین (القديس) ۲۷۰
جون اوف بریسکان — أنظر	جون اوف بریسکان — أنظر
بریسکوس	بریسکوس
جون اوف جارلاند ۳۱۴ ح ۱،	جون اوف جارلاند ۳۱۴ ح ۱،
۳۵۵ ح ۱	۳۵۵ ح ۱
جون اوف سالیسبورى ۱۰۶ ح ۱،	جون اوف سالیسبورى ۱۰۶ ح ۱،
۲۱۳، ۲۵۶ ح ۱، ۲۹۵ ح ۱،	۲۱۳، ۲۵۶ ح ۱، ۲۹۵ ح ۱،
۳۱۲-۳۱۴	۳۱۲-۳۱۴
جون اوف لندن ۳۱۴ ح ۱	جون اوف لندن ۳۱۴ ح ۱
جون سکوٹوس اریوجینا ۶۶	جون سکوٹوس اریوجینا ۶۶
جوهر الصقلی ۱۲۱ ح ۱	جوهر الصقلی ۱۲۱ ح ۱
جوړ دانیس القوطی (الاسقف) ۴۱،	جوړ دانیس القوطی (الاسقف) ۴۱،
جیون (ادوارد) ۱۶ ح ۱، ۲۲،	جیون (ادوارد) ۱۶ ح ۱، ۲۲،
جیرار الکریمونی ۳۰۰ ح ۱، ۳۰۲،	جیرار الکریمونی ۳۰۰ ح ۱، ۳۰۲،
۱ ح	۱ ح
جیرکه (اوتو) ۲۴۸ ح ۱	جیرکه (اوتو) ۲۴۸ ح ۱
جیروم (القديس) ۲۸، ۲۹ ح ۱،	جیروم (القديس) ۲۸، ۲۹ ح ۱،
۳۵، ۵۲، ۲۴۴ ح ۳	۳۵، ۵۲، ۲۴۴ ح ۳
جیلبرت دی لا بوریه ۲۲۹ ح ۱	جیلبرت دی لا بوریه ۲۲۹ ح ۱
جیلداس (القديس) ۱۰۰	جیلداس (القديس) ۱۰۰
جیلسون (لاتین) ۳۱۱ ح ۱	جیلسون (لاتین) ۳۱۱ ح ۱
(ح)	(ح)
حسن حنفی حسنین (دکتور) ۲۱۰	حسن حنفی حسنین (دکتور) ۲۱۰
هورس — أنظر هوراتیوس	هورس — أنظر هوراتیوس
(د)	(د)
دانی الیجیری ۴۳، ۲۹۷ ح ۱،	دانی الیجیری ۴۳، ۲۹۷ ح ۱،
۳۰۸	۳۰۸
داونز (نورتون) ۴۹ ح ۱، ۱۵۷ ح ۱	داونز (نورتون) ۴۹ ح ۱، ۱۵۷ ح ۱
دشیوس ۳۷۹	دشیوس ۳۷۹
دلفیدیاوس (الإمبراطور) ۳۵۰ ح ۱	دلفیدیاوس (الإمبراطور) ۳۵۰ ح ۱
دلیسل (ل) ۳۷۷ ح ۱	دلیسل (ل) ۳۷۷ ح ۱
دنیس (القديس) ۱۰۰	دنیس (القديس) ۱۰۰

دیت (۱۰۱ س) ۲۰۶	دیفیل (۸) ۲۰۷، ۲۴۱
ریشارد الریمی ۲۵۶، ۸۳ و ح ۲	دونیک (القدیس) ۱ ح ۳۲۴
ریموند (استاذ جامعی) ۳۳۰	دومیشیان (الإمبراطور) ۱ ح ۳۳۲
ریمی (القدیس) ۸۳	دوناتیوس (یسمى أيضا دوناتوس)
رینان ۳۱۲	۶۴، ۲۹۲ و ح ۱
رینوه دی منتوبان ۷۳	دیروزیل (ج . پ) ۳۶ ح ۳
(س)	۱۳۱ ح ۲
سالوست ۲۵، ۴۶، ۲۹۲ ح ۱	دیفیل (هنری ولیم کارلس) ۲۱۰
سالیفان (۱۰ ر) ۴۹	(د)
سانتا کلوز — انطریقولا (القدیس)	راشدال (هاستتجر) ۱۳۱ ح ۲
سناطیس ۲۵، ۲۴۴ ح ۳، ۲۹۷	۲۰۶، ۲۰۹، ۲۴۱ و ح ۴
۱ ح	۲۶۸ ح ۱، ۲۷۲، ۲۷۴، ۳۰۵
سینولیوس سکوتوس ۶۶، ۷۵	رائد (ا. ک) ۱ ح ۵۵، ۱ ح ۲۲۶
سرفاتوس لوبوس ۷۷	رایت (ت) ۱۲۴ ح ۱
سمید عاشور (دکتور) ۹۳ ح ۲،	ربیف (الشاعر ولیم) ۲۵۲ و ح ۱
۲۰۹، ۲۱۰	روبرت السسترشیانی ۲ ح ۹۸
سقراط ۲۴، ۳۵ و ح ۲۳۷	روبرت السوربوتی ۲۱۲، ۲۳۶ ح ۲
ساراجلوس ۶۶	۲۷۲ ح ۳، ۲۱۹ و ح ۱، ۳۸۶
سوتونیوس (المؤرخ الرومانی)	روبرخت (السکوت) ۳۶۷ و ح ۱
۳۵۸، ۷۰ ح ۲	روسلین ۱۰۴، ۱۰۵
سولیکوس سفیروس ۲۴ ح ۱	رولان ۷۴
۳۴، ۳۵، ۴۷، ۳۸۱ ح ۱	

(ع)

عبد الرحمن بدوي (دكتور) ٢١٠
المدراء (السيد مريم) ١٣٤ ، ٢٦٢
٣١٧ ، ٣٢١ ، ١٣٢ ، ٣٨٣
المرير بالله (الخليفة) ١٢١ ، ١٣١
عماد الدين زكي ٩٨

(ف)

فالتيتان الثاني (الإمبراطور) ٣١
فرجيل ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٢٤٤ ، ٢٣٢
٢٩٢ ، ١٣٢ ، ٢٩٧ ، ١٣٢ ، ٢٧٠
فرنسيس الأسيسي (القديس) ٣٢٣
٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
فرنسكا ٤٣
فريدريك بارباروسا (الإمبراطور)
١٢٨ ، ٢٤٦ ، ١٣٢ ، ٢٥٠ ، ١٣١
فريدريك الثاني (الإمبراطور) ٢٤٦
١٣١ ، ٢٥٤
فشر (هربرت) ٢١٠
فودورد الرعي ٨٣
فليس (القديس) ٢٤٩
فنا تيوس فورتوناتوس (الشاعر)
٢٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٢٣٥

السيد الباز العريق (دكتور) ٢١٠

سيدونيوس ابوليناريوس ٢٢
سيمونز (ج) ١٠٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨
٢٣٩ ، ٢٣٨

(ش)

شاتوبريان (الكاتب) ٥٩
شارل العظيم — أنظر شارلمان
شارل مارتل ٦٣
شارلمان (الإمبراطور) ١٨ ، ٢٣ ،
٥٢ ، ٥٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٦٣ ، ٦٥ —
٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ — ٧٩ ، ٨٧ ،
٩٠ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٣١ ، ١٥٧ ، ١٣١ ،
١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٥ ، ٢٠٥ ، ٢٤١ ، ٢٣٢ ،
٢٩٣ ، ٢٣٢ ، ٣١
شيدلر (ب) ٣٧٧ ، ١٣١
شيترون ٢٥ ، ٤٦ ، ٢٩٢ ، ١٣١
٢٩٩ ، ٢٣٢
شيلدريك الثالث ١٦٥ ، ٢٣٢
(س)
صلاح الدين الأيوبي ١٣٢٥٠

کلتور (ن. ف) ۱۳۶، ۱۳۵، ۱۳۴

۱۳۴، ۱۳۶، ۱۳۷

کثرت (القديس) ۵۲

کرامب (ج) ۲۱۰

کلودیان ۲۴۴ ح ۳

کولستون (فريدريك) ۱۳۱۱ ح ۱

کوجاس (المشرع جاك) ۳۲۳ ح ۱

کوفمان (ج. ر) ۲۲۶ ح ۱

کوکرين (تشارلز نوريس) ۲۲۷ ح ۱

کولتون (جورج جوردون) ۱۶

ح ۱، ۲۹، ۹۰، ۹۱، ۱۰۳، ۱۰۴

۲۱۰، ۲۲۰، ۲۳۰ ح ۲

کیر (و. ب) ۱۶، ۲۳، ۳۶، ۱۳۵ ح ۱

۴۲، ۵۳، ۵۴، ۶۱، ۷۱، ۷۲ ح ۱

(ل)

لامونت (جون) ۳۷، ۶۰، ۷۱

ح ۱، ۸۲، ۹۲، ۱۷۱، ۱۷۲، ۱۷۳ ح ۱

۲، ۲۳۷، ۲۵۶ ح ۱

لانفرانک (رئيس أساقفة كاتدری)

۱۰۴

لمازور (القديس) ۳۵۶

فولاس ۶۴

فولبرت (الأسقف) ۱۱۳

فیتزی — أنظر جاك دى فیتزی

فيلوسوفيا — أنظر بيوتيرس

فيليب أوغسطس (الملك) ۱۱۵،

۱۲۹ ح ۲، ۱۳۰ ح ۱، ۱۵۷، ۱۵۸

۱۶۷، ۱۷۵ ح ۱، ۲۶۰ ح ۱

۱۳۶، ۲۶۶ ح ۱

(ق)

قسطنطين الإفريقى ۲۱۲

قسطنطين الأول (الإمبراطور) ۳۳۱

ح ۱، ۲۵۰، ۲۵۱ ح ۱

قسطنطين السابع (الإمبراطور) ۸۱

قيصر ۲۵

(ك)

كانز (سولومون) ۲۳۷ ح ۱

كاتو ۲۵، ۲۷۲ ح ۱

كاسيان ۶۴

كاسيودورس (ماجستروس اورليوس)

۴۱، ۴۴، ۴۵ ح ۱، ۴۷، ۴۸

۵۲، ۵۱

ماربود (الشاعر) ١١٥	لوبوس (هوق شامبانيا) ٣٤
مارتر (م) ٣٧٢	لوبوس أوف فريير ٦٦
مارتيانوس كايلا ٤١، ٤٥، ٤٧،	لومر (مارتين) ١ ح ٢٣٥
٢٩١ ح ١	لومير (الإمبراطور) ٧٨
مارتين التورى (القديس) ٢٨١، ٢٥	لورزو اوف اكويليا ٣١٥
و ح ١	لومجيه (ف. جيون دي) ٢٢٩
مارشيان (الامبراطور) ٢ ح ٣٣١	لويس التاسع (ملك فرنسا) ١٥٧،
ماليه (البرت) ٦٨، ٦٩	٢٦٥ ح ٢٦٩، ١ ح ٢٧٢، ٣ ح
مايتيوس (م) ١ ح ٣٧٧	لويس الحادى عشر (ملك فرنسا)
ماير (و) ٢٧٧ ح ١	١٣٦
مق ارنولد ٢٧١ ح ١	لويس الثانى عشر (ملك فرنسا)
محمد انيس (دكتور) ٢٠٩	١٣٦
محمد بدران ٢١٠	لويس الصالح ٧١ ح ١، ٧٨
محمد مصطفى زيافة (دكتور) ٢١٠	ليون بازيل (الإمبراطور) - أنظر
مريم العذراء (السيدة) - أنظر	ليو السادس
العذراء	ليوتبراند الكرمي ٨١-٨٣
مكابي (ج) ٢٠٧	ليو الثالث (البابا) ٦٢
مسن (تيودور) ٢٠٦ ح ١، ٢٠٨	ليو السادس العاقل (الإمبراطور)
٢٢٥، ٢٢٩	٨٢ ح ٢
مونرو (د. ص) ٢٦٣ ح ١	(م)
ميتلاند (ف. و) ٢٤٨ ح ١	ماتوى (سير لايو) ٤٣
ميخائيل (القديس) ٣١٦	ماتيلدا (ابنة اوتو العظيم) ٨٠

هنرى الثالث (ملك انجلترا) ١٤٥	ميخائيل الاول (الإمبراطور) ٦٢
هنرى الرابع (الإمبراطور) ٢٣٢٦٩	(ن)
هنرى السادس (الإمبراطور) ٢٤٦	نقفور الثانى فولكس (الإمبراطور) ٨١
ح ١	نوردون (١٠ و) ٢٠٧، ٣١٢ ح ١
هنرى دانيلى (الشاعر) ٢٩٥	نيشارد (المؤرخ) ٧١ ح ١
هنرى الصياد (الملك) ٧٩	نيجل ٣٥٣ ح ١
هنريك (الملك) ٧١، ٦٦	نيقولا (القديس) ٣٥٠ ح ١
هوايتوك (الكاتبه خوروتى) ٥٣	(هـ)
هوجاشير (المشرع) ١١١ ح ٤	هاسكنز (شارل هومر) ١٨٠، ١٥ ح
١١٢	١٠٥، ٢ ح ١١١، ٢ ح ١
هوجو (فيكتور) ٢٥٨	١١٦ ح ١١٧، ١٢١ ح ١
هوراتىوس ٢٩٢ ح ١، ٣٧٠ ح ١	١٣١ ح ١٣٣، ١٤٨، ١٥٩ ح
هومير (الشاعر) ٣٤	١٦٠، ١٦١ ح ٢٠٦، ٢١٧ ح
هيوغرات ٢٤٥ ح ١، ٢٥٦، ٢٠٣ ح	٢٢٥—٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٩ ح ١
هير (فريدريك) ٣١١ ح ١	٢٤١ ح ٢٥٣، ٢٥٥ ح ١
هيرموجينياوس ٢٤٦ ح ٢	٢٧٢ ح ٢٩٦، ٣٠٧ ح ١
هيلدبرانت-أنظر جريجورى السابع	٣٦٣ ح ٣٧٦
هيلدبرت اوف ليان (الأسقف)	هرايانوس ماريوس ٦٦
١١٤، ١١٥، ٢٩٤ ح ٢	هرتسويت (الراهبة) ٧٩، ٨٠ ح
هيوج (الملك) ٨١	٣٥٨ ح ٢
هيوج الأورليانى (الشاعر) ١١٧،	هرقل ٢٤
٣٧٧ ح ١	هنرى الثانى (ملك انجلترا) ١٤١

ويلا (زوجة برنهار) ٨١	(و)
ويلسون (الرئيس الأمريكى) ٦١	واحد (ميلين) ٢٧٨ ح ٢
٢ ح	والا فريد سترا بو (الشاعر) ٧٥
ويلبرود (القديس) ٢٦١ ح ٢	والتر مات ٢٧٧ ح ٢
(ى)	وليم (استاذ المنطق فى باريس فى القرن
يهوشافاط بن آسا (ملك يهوذا)	الثانى عشر) ٩٩
١ ح ٣٢٠	وليم اوف كوتش ٣١٣ ح ١
يوحنا الثانى والمشرعون (البابا) ٣٠٧	وليم اوكلام ٢٢٤ ح ١
٢ ح	وهيب ابراهيم سمعان (دكتور) ٢١٠
يوحنا اللاهوتى ٢٢٢ ح ١	ويدوكند (الراهب) ٧٩ ، ٨٠
يوسف كرم ٢١٠	

ثانيا

فهرس الأماكن والآثار

الالب (جبال) ١٠٨ - ١١٠	(١)
٢٥٠، ١٤٠	آتيناً ٤١، ٥٠، ٢٣٧، ٢٣٨،
الماليا ٦٨، ٧٨، ٧٩، ٩٢، ٩٣	١٣٦٠، ١٣٧٠
٢٠٧، ١٦٣، ١٥٩، ١٥٦، ١٠٨	آخن - أنظر اكس لاشابل
٣٦٤، ٣٦١، ٢٣٢، ٢٦١	الأراضى المقدسة ٧٤، ٩٢
امريكا ٢٠٧، ٢٢٩، ٣٦٨، ٢٧٢	الأراضى الواطئة - أنظر الفلنك
٣٢٥	(بلاد)
البحر ١٧، ٤٨، ٥١، ٥٢	ارفورث (بالماليا) ٣٦٤
٦٨ - ٦٦، ٦٢ - ٦٠، ٥٤	اسبانيا ٦١، ٧٤، ٢٤٣، ٢٥٤
١٠٥، ٩٣، ٩٢، ٨٣، ٧١	٣٥١
٢٤٠، ١٥٩، ١٥٥، ١٢٥، ١٠٨	الاسكندرية ٢٣٨، ١٣٣١
٢٦٦، ٢٦١، ٢٣٢، ٢٤٤، ١٣	آسيا ٣٦٠، ١٣
١٣١٤، ٢٣، ٢٩٣، ٢٦٨	افريقية (شمال) ١٣٢٦، ١
٣٦٨	افيرن ١٧٦، ١٧٧
الاندلس ٩٤، ٢٠٩	اكسورد ١٢٨، ١٣٠، ٢٦٦
اورليانز ٦٢، ٣١٥، ٢٣٣١٧	٢٧١، ٢١٤، ١٣٦٨
٣٧٦، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧١، ٣٤٧	اكس لاشابل (مدينة) ٥٤، ٥٤
٣٧٧	١٥٥، ٧٧، ١٣٧١، ٦١، ٦٠

(ب)

باتموس (جزيرة) ح ٣٣٢

بارفي نوردام (ق باريس) ٣٥٦

باريس ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٧،

١٠٨، ١١٧، ١٢٦، ١٢٧،

١٢٨ ح ٢، ١٣٠، ١٣٢،

١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٢،

١٤٤، ١٦١، ١٦٧، ١٦٩،

١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ٢١٢، ٢٢٧،

٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٥٧،

٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٧،

٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٨،

٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥،

٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥،

٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٦٢، ٣٦٦،

بافيا ٤٢، ٨١، ٣٧٨،

بالاس (علة) ٣٧٣

البحر الأبيض المتوسط ٧٨

البحر الأسود ح ٣٦٠

بحر الشمال ٧٨

بحر مرمرة ٣٨

برابانت ١٧١، ٢٦٤

برج عجلين ٢٧١

أوروبا ٣٨، ٦١، ٩١، ٩٣، ٩٤،

١٠٨، ١١٠، ١٢٣، ١٣٠،

١٣١، ١٣٩، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤،

١٥١، ١٥٥، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٧،

٢٢٧ ح ١، ٢٣٧ ح ١،

٢٤٣، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣،

٢٦٨، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣٢٥،

٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٨١،

أوكسفورد ٣٥٣

أوليندورف ٣٥٧

أيرلندا ١٧، ٥١، ٥٤،

إيطاليا ٢٤، ٢٩، ٤١، ٤٤، ٦٠،

٦١، ٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٧،

٩٢، ٩٣، ١٠٨، ١١٠، ١١٣،

١٣٨، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٩،

٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٩٨،

٣١١، ٣٢٢، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٨،

— جنوب ٣٢، ٩٢، ٩٤، ٩٩،

— شمال ١٣٨

الايلاس ح ٢٧١

أيل ح ٣٠٣

(ج)

الجزيرة الرودية ٢٦٩ ح ١
جزيرة المدينة (في باريس) ٢٥٨
الجسر الصغير (في باريس) ٢٦٢، ٢٥٨
الجسر الكبير (في باريس) ٢٨٨، ٢٥٦

(ح)

الحق اللاتيني (في باريس) ٢٥٨ ،
٣٥٦، ٢٤٨

(خ)

خلفيدوية ٢٢٣١ ح ٢

(د)

دمياط ٢٦٢ ح ٢
دى فوار (شارع في باريس يعرف
أيضا باسم شارع دانتى) ٢١٨

(ذ)

الراين (نهر) ٣٣
الرها ٩٨
روما ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٥٢ ، ٧٤
٨١ ، ٩٣ ، ١٤٥ ، ٢٢٩٣ ح ٢
٢٨٣ ، ١٢٧٠ ، ٢٢٥٨ ح ١
٧١ ، ٨٣ ، ١١٣ ، ٢٥٦

برجنديا ٣٧١، ٧٨ ح ١

بروفانس ٣٦١، ٧٨ ح ١ ٣٧٢

بروفيدانس ٢٦٩ ح ١

برينثاني (فرنسا) ١٧١، ١٠٠، ٢٦٤

بريطانيا - أنظر إنجلترا

البسفور ٣٨

بنناد ١٢١ ح ١

بنسلفانيا ٢٠٧، ٢٢٥

بوابة القديس لمار (في باريس) ٢٥٦

براثيه ٣٣ ، ١٧٠ ، ٢٦٤

بودليان (مكتبة) ٢٧١

بولونيا ١١٠ ، ١١١ ح ٢ ١١٢ ،

١١٤ ، ١٣٠ ، ١٣٨ - ١٤٠ ، ٢٤٥

٢٤٨ ح ٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ،

٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٣١٣ - ٣١٥ ، ٣٦٩

٢٨٨ ، ٣٧٥

بيت المقدس ٢٥٠ ، ١ ح ١ ٢٦٢ ح ٢

بيزاسون (في فرنسا) ٣٧١

(ت)

تورل ٣٤ ، ٣٥ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ٢٩٤

٢ ح ٢ ، ٣١٠ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ح ١

توسكانيا ٣٧٤ ح ١

تونس ٢٦٦ ح ١

(ع)	(س)
٢٦٢ ح ٢	سالر نو ٢٤٥، ٢٧٦
(خ)	سان جاك (شارع في باريس) ٢٦٢
خالة ٢٤، ٢٦، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٦٦ -	سكسويا ٣٦٤
٦٨، ٧١، ٨٣، ١٢٥، ١٥٥،	سوان (في باريس) ٢٦٢
١٦٥، ٢١٣، ٢٨١ ح ١	سويكا (بايطاليا) ٨٧ ح ١
القرب الأوروبي ١٥-١٨، ٢٣، ٢٤،	سورية ٢٧٢ ح ١
٢٦، ٢٩ - ٣١، ٣٥، ٣٧ - ٣٩،	سويسرا ٣٧١ ح ١
٤١، ٤٤، ٤٧، ٥٠ - ٥٢،	السيفين (منطقة - باريس) ٢٦٢
٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٦،	السن (نهر) ١٤٤، ٢١٢، ٢٥٨
٢ ح ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٧،	سينا ٣٧٤ ح ١
٨٣، ٨٧ ح ١، ٨٨ - ٩٤،	(ش)
٩٨ ح ٢، ١٠٢، ١٠٧ -	شارتر ١٠٦، ١١٣، ٢٥٦، ٢٥٧،
١٠٩، ١١٣، ١١٦، ١١٧،	٣١٢، ٣١٣، ٣٧٠
١٢١ ح ١، ١٢٥، ١٢٦،	الشام (بلاد) ٩٤، ٢٠٩، ٢٦٥ ح ٢،
١٣٠، ١٤٢ - ١٤٥، ١٥٥،	٢٦٦ ح ١ - أنظر سورية
١٥٧، ١٥٩، ٢٤٢، ٢٤٣،	شامبايا ١٠٠
٢٥٠ ح ١، ٢٧٤، ٢٩٣ ح ٢،	(ص)
٢٩٤، ٣٠٧، ٣٢٧ ح ١،	صقلية ٩٢، ٩٤، ٢٠٩، ٢٤٣، ٢٥٤،
٤ ح ٣٢٩	٢٦٤، ٣٦٠ ح ١
(ف)	(ط)
فالكون (في باريس) ٢٦٢	طليطلة ٣٠٣ ح ١، ٣٧٦

٢٧٠، ٢٦٦	فرائش كوتيه ٣٧١ وح ١
١٠٥، ١٠٤	فرسا ٦٨، ٧٦، ٧٨، ٨٣، ٩٦ ح ١
كرميونا ٨١	١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٨، ١١٣،
كليرفو ٩٨ وح ٢	١١٤، ١٢٩، ١٤١، ١٥٩، ١٦٢،
كليرمون ٣٣	١٧٠، ١٧٦، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٥٤،
كنيسة القديس جوليان المسكين ٣٧٠	٢٦٢ وح ٢، ٢٦٣، ٢٩٨، ٣١١،
كنيسة بوتردام ١٤٥	٣١٢، ٣١٣، ٣٦١ ح ٢، ٤٦١ ح ١، ٣٧٠،
كولونيا ٣٧٧، ٧٩ وح ٢	٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤ ح ١، ٣٧٦، ٣٧٧،
كورنسي (بفرسا) ١٠٠	ح ٢ - جزيرة ١٤٤
(ل)	فريزيا ٧٨
لانجويديك (مقاطعة) ١٤١	الغلامدز - أنظر الغلنك (بلاد)
لمبارديا ٧٨	فلسطين ٧٤، ٢٦٢ ح ٢
لوتارنجيا ٧٨	الغلنك (بلاد) ١٧١ ح ٢، ٢٥٥،
اللورين ١ ح ٣٧١	٢٦١
ليكي ١ ح ٢٥٠	فيكوس سترامنيوس (في باريس) ٣١٨
ليان (بفرسا) ٢٩٤ وح ٢	(ق)
لييج ٧٥	القبر المقدس ٢٦٢ ح ٢
(ر)	فرطاجنة ٢ ح ٣٥٨، ٣٧٢ ح ١
مصر ١٢١ ح ١، ٢ ح ٢٦٥، ٢٦٦،	القسطنطينية ٢٣، ٢٨، ٨١، ٨٢ ح ١
٢٥٧، ١ ح	(ك)
مونت كاسينو ٥٠، ٦١، ٨٧ ح ١	كاهن يدج ١٢٨، ١٤٢، ٢٠٧، ٢٢٥،
ميفيل ٢٢٥	
ميرا ١ ح ٣٥٠	

(أ)	ميلان ٣١
هايدلبرج ٣٥٩	(ن)
(و)	لابول ٢٤٥ ، ٣١٥
وسكن ٦٧ ، ٢٤٠ ح ١	نوردام ٢٥٨
الولايات المتحدة الأمريكية — أنظر	نورمبلاند — أنظر نورمبريا
أمريكا	نورمبريا ٦٢ ، ٧١ ، ١٥٥
(ى)	بقيه ١٣٣١ ح
يوشافا (وادي) ٣٢٠ ح ١	النيل ٢٦٥ ح ٢
يورك ٦٢	

ثالثا

بيان بالمدارس والمعاهد والجامعات
وغيرها من المراكز الفكرية الوارد ذكرها في الكتاب

جامعة كاليفورنيا ٢٢٨ ، ٢٤٥	(ب)
جامعة كورنيل ٢٢٩ ، ٢٣١	اليوت والزل العلية
جامعة كولومبيا ٣٤٥	بيت بالبول بالملترا ٢٦٦
جامعة ماري ٣٤٥	البيت البطرسي بالملترا
جامعة هارفارد ٢٠٧ ، ٢٢٥	(بيترهاوس) ٢٦٦ ، ٢٧٠ -
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٣٤٥ ، ٢٨٧	أنظر المعاهد العلية
جامعة وليم ٣٤٥	(ج)
جامعة ويسكونسن ٢٠٧ ، ٢٢٥	الجامعات الإسلامية في العصر الوسيط
الجامعات الأوروبية في العصر الوسيط	جامعة الأزهر ١٢١ ح ١
جامعة أدبوره ٢٦٨	الجامعات الأمريكية في العصر الحديث
جامعة أفنيون ١٦٢ ، ١٧٦	٢٦٨ ، ٣٤٥
٢٦٨ ح ١	جامعة براون ٢١٠ ، ٢٢٩ ، ٢٦٩
جامعة أكسفورد ١٢٨ ح ٢ ، ١٣٠	١ ح
١٤٢ ح ١ ، ١٤٥ ، ١٦٠	جامعة برايس ٢٧٤
٢٤٠ ، ٢٤٢ ح ١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧	جامعة جونز هوبكنز ٢٠٧ ، ٢٣٥
٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٣٢	الجامعات الرائدة الإحدى عشر
جامعة أورليان ١٤٦ ، ٢٥٤	٢٧٤
٢٧٠ ، ٣٠٣	

العلبة ١٢٩، ١٣٣، ١٤٤ ح ١
١٥٧، ١٥٨، ١٦٧-١٧٢، ١٧٤،
١٧٥، ٢١٢، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦١
٣٢٦ - الحى اللاتيسفى ١٤٥ -
الدرجات الجامعية ٢٥٨، ٢٦٠،
٣١٩، ٣٢١ - رئيس الجامعة
(المدير) ١٣٦، ٣٦٢، ٣١٩ -
٣٢٢، ٣٣٠ - كليات ١٣٨ وح ٢
٢٦١ - المحاضرات ٢٦١ - مرسوم
البابا جريجورى التاسع (١٢٣١ م)
١٦١، ١٧٢، ١٧٥، ٢٦٠ وح ٢
٣٢٦ ح ٤ - مرسوم فيليب
اوغسطس (١٢٠٠ م) ١٥٧،
١٦٧ - ١٦٩، ١٧٥ ح ١
٢٥٨، ٢٦٠ - مناهج الدراسة
٢٩٦ - موقف الملكية الفرنسية
١٣٦، ١٣٧ - النزاع بين الجامعة
وأعين الكاتدرائية ١٣٥، ١٣٦ -
نقابة الاساتذة (رابطة الاساتذة)

٢٣٣-١٣٥

— جامعة بالمر ٢٥٣ وح ١

— جامعة براغ ٢٦٨

— جامعة بادوا ٢٥٣ - ٢٥٥، ٢٦٨،
٢٦٩، ٢٧٢
— جامعة باريس ١٠٧، ١٠٨، ١١٣،
١٢٨ ح ٢، ١٣٠، ١٣١، ١٤١،
١٤٦، ١٦١، ١٦٣، ١٧٣، ٢١١،
٢١٢، ٢٣٨ ح ١، ٢٣٩، ٢٤١،
٢٤٢ ح ١، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٦٨،
٢٧٠، ٢٧٢، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٠٤،
٣١١ ح ١، ٣٢٩، ٣٣٠،
٣٥٥، ٣٧٤ - أساتذة ١٧١ -
١٧٥، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٨٧ - أصولها
الأول ٥٩، ١٣١ وح ٢، ٢١٢،
٢٥٨ - الاعتراف الرسمي بها
١٢٩، ١٣٣ وح ١، ١٣٤، ١٣٦،
١٣٧، ١٥٧، ١٦١، ١٦٧، ٢١٢،
٢٥٨، ٢٦٠، ٣٦١ - امتحانات
٣١٩ - ٣٢٢ - الأمم ١٣٤، ١٤٣،
١٤٤، ١٧٠، ١٧٢، ٢٦١،
٢٦٢ - أنظمة وتشريعات ١٣٤،
١٣٥، ٢٦١ - جامعة أساتذة
١٣٨، ٢٣٩ ح ١، ٢٦١ - حياة

هجرات الطلبة ٢٥١	— جامعة برلين ٢٦٨
— جامعة تولوز ١٤١، ١٤٦، ٣٠٠،	— جامعة برولونيا ١١٣ ، ١٣٠ ،
١٣١٤ ح ١	١٣١ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٥ ،
— جامعة سالامنكا (١٤١) و ح ٣،	١٤٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ —
٢٦٨	٢٤٠ ، ٢٤٢ ح ١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ،
— جامعة سالرنو ١٣٠ ، ١٤٦ ، ٢١٢،	٢٥٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩	٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ،
— جامعة السوربون — أنظر معهد	اتحادات الطلبة الغرباء في برولونيا
السوربون	١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٥٠ — ٢٥٣
— جامعة سينا ٣٧٤ ح ١	— إجازة التدريس ٢٥٣ —
— جامعة شتراسبورج ٢٦٨	الاحتكاك بين الطلبة والأساتذة ١٤٠،
— جامعة فيينا ٢٦٨	٢٥٢ -- الامتحانات ٢٢٢ —
— جامعة كامبريدج ١٢٨ ح ٢ ،	الأمم ٢٥٢ — البراءات الصادرة
١٤١ ، ١٤٢ ، ١ ح ١ ، ٢٤٢ ح ١	لصالحها ١٢٨ ، ٢٥٠ — جامعة طلبة
٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢	١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٣٩ ح ١ ، ٢٥٣ ،
— جامعة كراكوف ٢٦٨	٢٤٦ — هجرات الدراسة ٣١٨ ،
— جامعة كريمبرج ٢٦٨ ، ٢٧٢	٣١٩ — الدرجات العالية - ٣١٨ ،
— جامعة لندن ٢٦٨	٢٥٣ ، ٢٥٤ — القيود التي عاش
— جامعة لوفان ٢٦٨	الاستاذ أسيرها ٢٥٢ — الكتب
— جامعة ليزيج ٢٦٨ ، ٢٤٧	٣٠٩ ، ٣١٩ — المحاضرات ٣٠٩ ،
— جامعة ماينستر ٢٦٨	٣١٩ — الجامعة كركول حياة القانون
	الرومان ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ —
	نقابة الأساتذة ١٣٩ ، ٢٥٣ —

٢٥٦ و ح ١ ٢٥٧ و ح ١ ٢٩٤ ،
 و ح ٢ ٢١٣ ح ١ - مدرسة لون
 الكاتدرائية ٢٥٦ - مدرسة ليج
 الكاتدرائية ٢٥٦ - مدرسة لوتردام
 الكاتدرائية ١٣١ و ح ٢ ٢١٢ ،
 ٢٥٥ ، ٢٥٨

المدارس الكنسية ١٣٢ - مدرسة
 كنيسة القديس فيكتور ١٣١ و ح ٢
 المدارس الأخرى

— مدارس أينا الفلسفية القديمة
 ٥٠

— مدارس القروسية ٨٩ ح ١ ١٢٢ ،
 — المدارس الكارولنجية ٦٤ ، ٦٥ ،
 ٦٧ ، ١٢٥ ، ١٥٧ ح ١
 — مدرسة بارفيوتاني (في
 باريس) ٢٥٨

— مدرسة البلاط (في اكس لا
 شابل) ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧١ ح ١ ،
 ٧٧ ، ٩٠ ، ١٣١ ، ١٥٥
 — مدرسة بولونيا للقانون ١٠٩ ،
 ١١٠ و ح ١ ١١١ ح ٢ ١١٢ ،
 أطر جامعة بولونيا

— جامعة مونتبليه ١٤١ ، ١٤٦ ،
 ٢٥٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٣٠٤
 — جامعة ميرون ٢٧١
 — جامعة نابولي ٢٥٤
 — جامعة هايدلبرج ٢٦٧ ، ٣٥٧ ،
 (٢)

المؤسسات الدينية العليا - المدارس
 الملحقة بها ٣٩ ، ٦٥ ، ٩١ ، ٩٤ ،
 ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ - ١٢٥ ،
 ٢٠٥

المدارس الأسقفية ١٣١ ح ٢
 المدارس الديرية ٣٩ ، ٦٤ ، ٨٩ ،
 ٩٠ ، ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ٢٤٤ ،
 ٢٩٢ - مدرسة توردالديرية ٣١ -
 مدرسة القديسة جنيفيف ١٣١
 و ح ٢ ٢١٢ ، ٢٥٧

المدارس الكاتدرائية ١٠٧ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٥ ، ٢٩٢ ، ٣٩٤ - مدرسة
 اورليانز الكاتدرائية ٢٩٤ - مدرسة
 باريس الكاتدرائية ١٠٧ ، ٢٥٦ ،
 ٢٥٧ - مدرسة ريمز الكاتدرائية
 ٢٥٦ - مدرسة شارتر الكاتدرائية

٢٦٥ و ٢٦٢ ، ٢ ح ٢	المعهد العلمى ١٢٣ ، ١٢٦ — ١٢٨ ،
٢١٩ و ١ ح	٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
المكتبات	٢٧٣ — أنظر البيوت والنزل
— المكتبة الأهلية فى باريس ١٣٤ ،	العلمية
١٤٧ ، ٢٠٩ ، ٣٦٢	— المعهد الآسيانى فى بولونيا ٢٦٦
— مكتبة بودليان باكسفورد ٢٧١	— المعهد الرودى فى أمريكا ٢٦٩
— مكتبة السوربون ٣٠٩	— معهد السوربون فى باريس ٢١٢ ،

رابعاً

النظم والحضارة والفكر والحياة

في العصر الكارولنجي ٧٧ - في	(١)
عصر الجامعات ١١٤ ، ٢٩٨	الله ٣٧ ، ٣٠ ، ٣١ ح ١ ، ٤٢ ، ٩٠ ،
د الأدبية القلبية ، (ابن سينا) ٣٠٣	١٠٥ ح ١ ، ١١٥ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ،
١ ح	٢٦٩ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
الأديرة ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٧١ ،	٢٣١ ح ١ ، ٢٥٢ ح ١ ، ٢٧٢ ،
٧٧ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٦٣ ، ٢٥٥ ،	٣٧٧ ، ٣٨١
٢٢٤ ح ٢ - دير جاردو ٥٢ ،	الأبرشيات - أبرشية باريس
٢٩٣ ح ٢ - دير جاندر شام	٢٥٨
٧٩ ، ٣٥٨ ح ٢ - دير ريغناو ٧٥ -	أبولو ٣٦٩
دير فريدر ٧٧ - دير فولدا	الإخلاق (علم - في عصر الجامعات)
٦٦ ، ١٦٣ - دير القديس	٢٤٤ ، ٢٩٦
جيلداس ١٠٠ - دير القديس	الإخوان المبشرون - انظر الدومنيكان
ديس ١٠٠ - دير القديس ديمي	الأدب (في العصر الوسيط للبكر)
٨٣ - دير القديس تليس ٢٤٩ -	٢٨ ، ٤٢ - في المصور الوسيط
دير كلوف بفرنسا ١٥١ - دير	الحقيقية ٩٤
كوردن ٧٩ - دير ويرماوت	الأدب الجرمانى (في العصر
٥٢ - الكتب والمكتبات الديرية	الكارولنجي) ٧٨
٨٨ ، ٩٩ - مكاتب النسخ	الأدب الكلاسيكي (في العصر الوسيط
الديرية ٣٩ ح ٢ ، ٨٧ ح ١ ،	المبكر) ٢٥ ، ٢٧ ، ٤٩ ، ٥١ -
٩٥ ، ٨٨	

وح ١- الحركة المضادة ٣٠٢ و ١٠١،

١٢٣٥ ج ١

الإصلاح الكاثولي - الاهتمام بالعلم

والتعليم ٩٦ و ١٠١، ٢٠٥

د اعترافات أوغسطين ، ٣٠ ،

٤٢

د أعمال الإمبراطور اوتو الأول ،

(الراهبة هروتسويت) ٨٠

أغانى المآثر ٧٢، ٧٣

الإغريق القدماء ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٥،

٣١٠، ٣٣٤، ١٢٣٥ ج ١، ٣٦٩

ج ٢، ٣٧٩

أغنية حج شارلمان ٧٣ و ج ١ ،

٧٤

الأنصار ستية ١٠٣

الأفلاطونية ٤٣

الإقطاع (في المجتمع الفريز الوسيط)

١٢٣٨ ج ١، ٢٣٦، ٧٣، ٧٦،

٨٩ و ج ٢ ، ١٠٩ ، ١١٦، ١٣٠،

١٢٧

— الأديرة الإيرلندية ٥١

— الأديرة البندكتية ٨٧ — ٨٩ ،

٩٥، ٩٨ ج ٢

— الأديرة الكلوينية ٩٦

— أديرة نورثمبريا ٦٢

د الأرجوزة في الطب ، (ابن سينا)

١٢٣٠ ج ١

الأساطير ٥٢، ٧٤ — أسطورة سنة

١٠٠٠، ١٨٢، ٩٠ و ج ٢، ٩١-

أساطير اليونان والرومان القدماء

٣٧٩

الإسمية والواقعية (في العصر الوسيط)

١٠٥ و ج ٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٨

و ج ١

الإسميون والواقعيون ٣٣٤ و ج ١

الاشتراكية في المسيحية (في العصر

الوسيط) ٣٢٨ و ج ٢

أشعيا النبي ١٧١

الإصلاح البندكتي ٩٨ ، ٢٠٥ —

الاهتمام بالعلم والتعليم ٩٥ ، ٩٦

الإصلاح الديني (حركة) ٣٣٥

- ٢٤٨ ، ٢٢٨ ح ١
تدوين للرسائل (فن - في العصر
الوسيطة) ٢٩٨ - ٣٠٠
التراث الكلاسيكي القديم ١٢٩٦ - ٧٣٠
في العصر الوسيط المبكر ١٩ ، ٢٦ -
٢٨ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٥ ح ٤٧ ، ٤٨
٤٩ - ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٨٨ - في العصر
الكارولنجي ٧٧ - في عصر الجامعات
١١٣ ، ١١٤ ، ٣٩٤ ، ٣٧٦
الترانيم الدينية (الترانيل - الأناشيد)
٣١ ح ١ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٦٤ ، ١١٥ ،
١٢٤ ، ١٤٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٣
والتركيبات الفنية ، (جارانلاند) ١٢٣١ ح ١
التروبادور ٣٦١ ح ١
تروفيو (طلاب العلم المتجولين) ٧٣ ،
٣٦١ ح ١
التشريح والجراحة (علما - في عصر
الجامعات) ٢٤٥ ، ٣٠٤
و تعليقات جريجوري على سفر أيوب ،
(جريجوري الكبير) ٤٨
و التواريخ ، (ريتشارد الريمي) ٨٣
التورتوا الفرنسي (عملة) ٣٧٠
- و تاريخ الحروب الآلمية ، (ميشارد)
٧١
و تاريخ حياة القديس ويلبرود ،
(السكون) ٢٦١ ح ٢
و تاريخ ريمز الكنسي ، (فلودور
الريمي) ٨٣
و تاريخ السكون ، (ويدوكند)
٧٩
و تاريخ شارلمان ، (اينبارد) ٧٠
و تاريخ النجفة ، (جريجوري التوري)
٣٥ ، ٣٦ ح ١
التاريخ القديم ١٢١ ، ٢٢٨
و تاريخ القوط ، (جوردايس) ٤٥ ،
٤٦ ح ١
و التاريخ الكنسي ، (بيده) ٥٢ ، ٥٤
و تاريخ المباردين ، (بولس
المباردي) ٧٠
و تاريخ يورك ، (الكوين) ٢٦١ ح ٢
التجار (في العصر الوسيط) ١٢٧ ،
٣٦٩ ح ٣
التجارة (إحياء - في أواخر العصر
الوسيطة) ٩٣ ، ١٠٩ ، ١٣٠ ، ١٦٨ ،

١٧٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٢ ح ١ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
 ٣٢١ - ٣٢٧ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ،
 ٣٤٧ ، ٣٦٠ - ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ،
 ٣٧٥ ، ٣٨٦ - ٣٨٨ - أصل كلمة
 «جامعة» وتطورها ٢١١ ، ٢٤٠ ،
 ٢٥٠ ح ٢ ، ٢٥١ ، ٢٧٣ -
 الإعراف الرسمي لها ١٢٨ - ١٣٠ ،
 ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٧٦ - أعداد
 الطلبة ١٣٠ ، ١٤٥ - الامتحانات
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ،
 ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣١٨ - ٣٢٢ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٥ - الامتحانات
 والاعفاءات والبراءات ١٥٥ ،
 ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٨ - الأمم
 (الطوائف) ١٤٣ ، ١٥٨ - ١٦١ ،
 ٢٦٧ ، ٣٤٨ - بيوت الطلبة ١٢٨
 ح ٢ ، ٢١٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ،
 ٣١٨ - التخصصات ١٤٦ -
 حجرات الدراسة ١٤٨ ، ٢١٣ ،
 ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٥١ - الحرية

و التوفيق بين القوانين الكنسية

المتعارضة ، (جراشيان) - أنظر

مرسوم جراشيان

تيودور (أسرة) ٢٧١ ح ٢

(ث)

الثورة الفرنسية ٢٦٥

الثقافة الرومانية القديمة - أنظر

الخصارة الرومانية القديمة

(ج)

الجامعات الأوروبية في الصور الوسطى

١٨ ح ١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ، ١٢٦ ،

١٤١ - ١٤٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٥٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٦٨ ،

ح ١ ، ٢٧٤ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ ،

٣٠٩ - الاتحادات والتجارات

١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢١١ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ،

٢٥٠ - ٢٨٥ - إجازة التدريس ٢١١ ،

٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ -

الاحتفالات ٢٧١ ، ٢٧٢ - أدلة

الطالب ٢٥٤ - ٢٦٦ الأساتذة

١٤٧ (لوحة ٢) ، ١٦٠ ، ١٧٦ ،

٢٩٢ — ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ،
 ٣٢١ ، ٣١٧ ، ٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٣ ،
 ٣٥٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٠ ، ٣٤٦ ، ٣٢٨
 — ٣٨٦ ، ٣٧١ ، ٣٦٨ ، ٣٦٢
 ٣٨٨ — الكليات ١٤٦ ، ٢١٣ ،
 — ٣٤٦ ، ٣١٨ ، ٢٧٢ ، ٢٦٧ ، ٢٣٨
 اللوائح والقوانين ٣٠٠ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ — المتاحف ٢٣٨ — مجتمعات
 أساتذة ٣٣٥ — المحاضرات ١٢٩ ،
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦١ ،
 ١٧٢ — ١٧٨ ، ١٧٣ ، ٢١٣ ، ٢٧٣ ، ٣٠٧ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ،
 ٣٢٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ،
 ٣٧٣ — عائلات ٢٣٨ ، ٢٦٩ ،
 ٢٧٠ — المدارس الخاصة ٢٧٣ ،
 ١٢٢ ، ٢١١ — المدن الجامعية
 ٣٥٨ ، ٣٦٩ — المراحل التي مرت
 بها ١٢٢ — ١٣٠ العامل ٢١٣ ،
 ٢٣٨ ، ٣٠١ ، ٣١٧ — المعاهد
 العلمية ١٢٣ ، ١٢٦ — ١٢٨ ،
 ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٦٤ ،
 ٢٦٥ — المكتبات ٢١٣ ، ٢٣٨ ،
 ٣٠٩ — من تساج العصر
 الوسيط ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢٢٧ ، ح ١ — المناهج

العلمية وحرية الفكر ٢١٣ ، ٢٢٥ —
 ٢٣٧ ، ٢٣٠ ، ٣٣٢ — ٢٣٥
 الدرجات والرسائل العلمية ١٤٨ —
 ١٥٠ ، ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢١١ ،
 ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٦ ح ١ — ٢ ، ٣١٨ ، ٣٥٨ ،
 ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٢٧٥ — الزى
 الجامعي ١٢٩ ، ١٧٣ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ —
 الصحافة ٢٣٩ — طرق التدريس
 ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣١٥ — ٣١٨ ،
 الطلبة ١١٧ ح ١ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٤٧ (لوحة ٢) ، ١٤٩ (لوحة
 ٤) ، ١٥١ ، ١٥٨ — ١٦١ ،
 ١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢١٦ — ٢٤٠ ، ٢٥٩ ،
 (لوحة ٥) ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ،
 ٢٢٠ — ٢٢٢ ، ٢٤٥ — ٢٨٦ ، ٢٨٨
 العادات والتقاليد الجامعية
 ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٣ ، ٢٥٨ — الكتب والمراجع
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٥٢ ،

- والقررات (مواد الدراسة) ١٢٤،
١٤٦، ٢١٣، ٢٣٨، ٢٢٩١، ٢٠١٠٢٩١
٢٠٢، ٣٠٧، ٣٥١ - نشأتها
وبدأياتها ١٥، ١٩، ١٠٥، ١١١،
١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٥٠، ٢٠٥
٢٠٧، ٢٤١، ٢٤٢، وح ٢٥٨-
النشاط الرياضي ٢٣٩، ٢٦٢،
٣٦٥، ٣٧٢ تقاسيات الاساتذة
والطلاب ٢٥١
الجليلين (حرب) ١٥٩، ٢٥٤، وح ١
الجدد (علم - في العصر الوسيط
المبكر) ٤٦ - في عصر الجامعات
١٠٨، ١٢٤
الجدد (كتاب - شيشرون) ٤٣
الجرمان البرابرة ١٥، ١٧، ٢٣، ٢٤،
٤٧، ٥١، ٨٠، ٨٩ -
زروات ١٥، ١٧، ٢٣، ٢٦،
٢٧، ٤٧، ٥٢، ٧٢، ٨٨، ٩١
١٥٥، ٢٤٦، ٢٩٣، وح ٢ -
نظم وحضارة ١٥
الجلف (حرب) ١٥٩، ٢٥٤، وح ١
الجماعات الزمانية ٩٦، ٩٧، وح ١
١٣١، ٢، ١٦٣
- الجنية الفرسي (عملة) ٣٧٥، وح ١
الجيولارديون ٣٧٦ - ٣٧٨،
٣٨٠ - ٣٨٣
جوتنبرج ٧٣، ٢٨٣، انظر
تروفيو
(ح)
حالات باريس ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٢،
٣٨٣
الحرب البونية الثانية ٣٧٢، ح ١
الحركة الصليبية ٧٤، ٩٢، ٩٨، ٢٥٠،
ح ١، ٢٦٢، ٢٦٦، ح ١
ح ٣٥٢
الحساب (في العصر الوسيط المبكر)
٤٠، ٤٦، ٦٤، ١٢٤، ٢٤٣ -
في عصر الجامعات ١٤٨، ٢٤٣
الحضارة الإسلامية (في العصر الوسيط)
٩٤، وح ١
الحضارة الجرمانية ٢٣، ٥٩
الحضارة الرومانية القديمة ١٦، ٢٣،
٤٧، ٤٨، ٧٢، ١٠٨ - في
العصر الوسيط المبكر ٢٤ - ٢٧،
٣٧، ١٠٤، ٥٠

- الامبراطورية الرومانية القديمة
الدومينيكان (الإخوان) ٣١١، ٩٦
وح ١ ح ٣٢٤، وح ١
الديجست (جستنيان) ٢ ح ٢٤٦
٣١٦، ٣١٥، ٣٠٨، ٣٠٥، ٢٤٧
الديرية (الحركة) أنظر الأديرة
(د)
الربا (في العصر الوسيط) ١ ح ٣٢٨،
٣ ح ٣٦٩ - أنظر التجارة
الرشدية ٣ ح ٣٢٩
الرهينة ٢٩، ٣٥، ٤٨، ٨٧، ١ ح ١٠٠، ١٠٥، ١٦٣ - أنظر
الأديرة
الرومان ١٥، ٤٦، ٢٣٧، ٣١٠،
٣٦٩، ٢ ح ٢٧٩
الرياضيات (في العصر الوسيط المبكر)
٤٠، ٤٤ - في عصر الجامعات
٣٢٧، ٩٤
(د)
زحل ٣ ح ٣٦٩
(س)
السحر والشعوذة (في العصر الوسيط
المبكر) ٤١ - في عصر الجامعات
- العوليات (نظام) ٧١ - الديرية ٧١،
٧٢ وح ١ - الملكية ٧٢ وح ١
« الحياة الجديدة »، (داتش) ١ ح ٣٩٧
« حياة رهبان ديرى ويرماوت
وجارد »، (بيده) ٥٢
حياة القديس كزبرت (بيده) ٥٢
(خ)
الخط (في العصر الوسيط المبكر) ٢٦ -
في العصر الكارولنجي ٧٢
(د)
الدانيون ٢٤٠ ح ١
داود النبي ١ ح ٣٧٣، ١ ح ٣٧٦
الداوية (جماعة الفرسان) ٩٨
الدراسات الإنسانية (في العصر
الوسيط المبكر) ٢٤ - في القرن
الثاني عشر ١٠٦، ٢٥٦ وح ١،
٢٩٤، ٣١٣ ح ١
الدراسات القانونية (في عصر الجامعات)
١٠٨ - ١١٠
الدولة البيزنطية - أنظر الإمبراطورية
الرومانية الشرقية
الدولة الرومانية القديمة - أنظر

الشعر اللاتيني (في القرن الثاني عشر)

١١٥

(ص)

الصناع (في العصر الوسيط) ١٢٧

الصينلة (في عصر الجامعات) ٩٤

(ض)

د الضمير ، (كتاب — روبرت

السوريوني) ٣١٩ — ٣٢١

(ط)

الطب (في عصر الجامعات) ٩٤ ،

١٧٦ ، ٢٤٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ ،

٣٧٦

(ع)

العالم الإسلامي ٩٣ ، ١٢١ ح ١

العالم العربي ٧٤ ، ٩٨

العالم القديم ٤٠ ، ٤٧

العالم المسيحي ٣٣١ ح ٢

العرب ٧٤ ، ٩٢ ، ٢٤٣ ، ٣٠٣ ،

٢٢٩

العصر البندكتي ٨٧

العصر الحديث ١٩ ، ١٠٢ ، ١١٧ ،

٢٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ ، ٣٢٣ ،

٢٨٨ ، ١ ح ٢٥٦

٣٧٦ — أنظر الأساطير

السترشيان (الإخوان) ٩٦ ، ٩٨

وح ٢

المكسون — أنظر الانجلوسكسون

د سارو الفلسفة أو عزاء الفلسفة ،

(بيونيوس) ٤٢ ، ٤٣

سيزس ٣٠١ ، ٣٦٩ وح ١

السيمونية ١٧٠

(شد)

د شرح الأحكام ، (توما الأكويني)

١ ح ٣١١

د شرح الاسماء الإلهية لديونييسيوس ،

(توما الأكويني) ١ ح ٣١١

د الشرح على أرسطو ، (توما الأكويني)

١ ح ٣١١

د شرح القوانين ، (جستنيان) —

أنظر الذيجست

الشعر (في العصر المسيحي المبكر)

٣١ — ٣٤ - في العصر الكارولنجي

٧٢ — ٧٧

الشعر الجولياردى ١١٥ ، ١١٦ ، ١ ح ١

١٥٩ وح ١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٧٦

١ ح ٣٧٧ — ٢٨٢

الفلسفة اليونانية القديمة ٤١	المهد القديم - أنظر الكتاب المقدس
الفلك (علم - في العصر الوسيط المبكر)	(ف)
٤٠، ٤٦، ٢٤٣ - في عصر	الفرجة ٣٣، ٣٥
الجامعات ٩٤، ١٤٨، ٣١٠	الفرنسية القديمة (القة - في عصر
الفلك (ببليوس) ٢٩٤	الجامعات) ٤٩، ٣٦٦
الفنون الحرة (في العصر الوسيط المبكر)	الفرنسيسكان (الإخوان) ٩٦، ٣٣٣
٥٣، ٦٥، ١٥٦، ١٦٥، ٢٤٢ و ٣٣٢	ح ٢، ٣٢٤ - ح ١ - ٢، ٣٣٢
٢٩١ - في عصر الجامعات ١٤٦،	الفروسية ٨٩
١٤٨ و ح ١، ١٧٦، ٢٥٤، ٢٥٦	الفكر ١٧، ١١٤ ح ٤ - البروتستانت
٢٩٤ و ح ٢، ٢٩٥، ٣٧٦	٣٠ - الحر ١٨، ١١٣ - الكاثوليكي
وفي أزلية العالم ردا على المتذمرين،	٣٠
(توما الأكويني) ١ ح ٣١١	الفكرة الإمبراطورية في المصور الوسطى
وفي اليهود والممعية، (توما الأكويني)	٧٩
١ ح ٣١١	الفلسفة ٤١، ٤٣، ٤٨، ٩٤، ١٠٥
فينوس ٣٧٩	١١٣، ١٢٤، ١٤٣، ٢٩٦، ٣٠١
وفي وحدة العقل ردا على الرشدتين،	٣٣٧ - ٣٣٣
(توما الأكويني) ١ ح ٣١١	فلسفة أرسطو ١٩، ٣٣٩
الفيديا (في عصر الجامعات) ٩٤	الفلسفة الطبيعية ٣٠١، ٣٢٩
(ق)	الفلسفة العقلية ٣٢٩ و ح ٢ - أنظر
القاموس (كتاب - جارلاند)	الميتافيزيقيا
١ ح ٣١٤	الفلسفة المدرسية ١٨، ٩٤، ١٠٤
	١٠٧، ١١٣، ٣٠٥، ٣٣٤

- ١٠٣ — كاتدرائية نورث دام (١٤٤٤)
 ١٧٢ و ٢ ح ٢٧٠٠ ج ٣
 الكاثوليكية ٣٣٣
 « كتاب الجبل » (بطرس المباردي)
 ١٠٣ ، ٣٠٢ و ٢ ح
 « كتاب السلوك المدرسي » (جارا لاند)
 ٣١٤ ح ١
 الكتاب المقدس ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٢ ،
 ٤٠ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٦ ،
 ٧٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ ،
 — ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ،
 — ١٦٦ ، ١٧١ ح ٢ ، ٢٥٥ ،
 ٢ ح ٢٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ح ٢ ،
 ٣٠٨ ، ٣٢٨ ح ١ ، ٣٢٢ و ١ ح ،
 ٣٤٧ ، ٣٧٣ و ١ ح ، ٣٧٦ ح ١ ،
 ٣٨٣
 الكتاب الوثنيون القداى ٢٤ ، ٤٧ ،
 ١٠٦
 الكتب (في العصر الوسيط المبكر)
 ٢٤ ، ٦٠ — صناعة نسخ الكتب
 ٢٤
 كلوني (جماعة) ٢٧٩ ح ١
- د القانون ، (كتاب — ابن سينا)
 ١ ح ٣٠٣
 القانون الجرمانى (في العصر الوسيط
 المبكر) ٢٤٦
 القانون الرومانى (في العصر الوسيط
 المبكر) ٢٤٦ — ٢٤٨ في عصر
 الجامعات ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٧
 القانون الكنسى (في عصر الجامعات)
 ١١١ و ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ — ٣٠٨
 القانون المدني (في عصر الجامعات)
 ٢١١ ، ٢٩٥
 قصص كاتربرى (ثوسر) ٢٤٤
 ٢ ح ٣٥٤ ح ١
 القوانين الجديدة (جستنيان) ٢٤٦
 ٢ ح
 القوط الشرقيون ٤١ ، ٤٤
 القوط الغربيون ٤٦ ح ١
 (ك)
 الكاتدرائيات ٢٢٧ — كاتدرائية
 بيستويا ١٤٩ — كاتدرائية تورز

الكنيسة الإيرلندية ٥١

الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ١٧ ،

• 0 • 6 4 V 6 4 7 6 3 9 • 3 V • 2 A

69Y 69Y 6AA 6YA 6YY 6YE

41176 1-861-36 100 499

200'170' 143' 133' 124'

25, 27, 28, 29, 30, 31, 32, 33, 34, 35, 36, 37, 38, 39, 40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 110, 111, 112, 113, 114, 115, 116, 117, 118, 119, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 126, 127, 128, 129, 130, 131, 132, 133, 134, 135, 136, 137, 138, 139, 140, 141, 142, 143, 144, 145, 146, 147, 148, 149, 150, 151, 152, 153, 154, 155, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 166, 167, 168, 169, 170, 171, 172, 173, 174, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252, 253, 254, 255, 256, 257, 258, 259, 260, 261, 262, 263, 264, 265, 266, 267, 268, 269, 270, 271, 272, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 279, 280, 281, 282, 283, 284, 285, 286, 287, 288, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 297, 298, 299, 300, 301, 302, 303, 304, 305, 306, 307, 308, 309, 310, 311, 312, 313, 314, 315, 316, 317, 318, 319, 320, 321, 322, 323, 324, 325, 326, 327, 328, 329, 330, 331, 332, 333, 334, 335, 336, 337, 338, 339, 340, 341, 342, 343, 344, 345, 346, 347, 348, 349, 350, 351, 352, 353, 354, 355, 356, 357, 358, 359, 360, 361, 362, 363, 364, 365, 366, 367, 368, 369, 370, 371, 372, 373, 374, 375, 376, 377, 378, 379, 380, 381, 382, 383, 384, 385, 386, 387, 388, 389, 390, 391, 392, 393, 394, 395, 396, 397, 398, 399, 400, 401, 402, 403, 404, 405, 406, 407, 408, 409, 410, 411, 412, 413, 414, 415, 416, 417, 418, 419, 420, 421, 422, 423, 424, 425, 426, 427, 428, 429, 430, 431, 432, 433, 434, 435, 436, 437, 438, 439, 440, 441, 442, 443, 444, 445, 446, 447, 448, 449, 450, 451, 452, 453, 454, 455, 456, 457, 458, 459, 460, 461, 462, 463, 464, 465, 466, 467, 468, 469, 470, 471, 472, 473, 474, 475, 476, 477, 478, 479, 480, 481, 482, 483, 484, 485, 486, 487, 488, 489, 490, 491, 492, 493, 494, 495, 496, 497, 498, 499, 500, 501, 502, 503, 504, 505, 506, 507, 508, 509, 510, 511, 512, 513, 514, 515, 516, 517, 518, 519, 520, 521, 522, 523, 524, 525, 526, 527, 528, 529, 530, 531, 532, 533, 534, 535, 536, 537, 538, 539, 540, 541, 542, 543, 544, 545, 546, 547, 548, 549, 550, 551, 552, 553, 554, 555, 556, 557, 558, 559, 560, 561, 562, 563, 564, 565, 566, 567, 568, 569, 570, 571, 572, 573, 574, 575, 576, 577, 578, 579, 580, 581, 582, 583, 584, 585, 586, 587, 588, 589, 590, 591, 592, 593, 594, 595, 596, 597, 598, 599, 600, 601, 602, 603, 604, 605, 606, 607, 608, 609, 610, 611, 612, 613, 614, 615, 616, 617, 618, 619, 620, 621, 622, 623, 624, 625, 626, 627, 628, 629, 630, 631, 632, 633, 634, 635, 636, 637, 638, 639, 640, 641, 642, 643, 644, 645, 646, 647, 648, 649, 650, 651, 652, 653, 654, 655, 656, 657, 658, 659, 660, 661, 662, 663, 664, 665, 666, 667, 668, 669, 670, 671, 672, 673, 674, 675, 676, 677, 678, 679, 680, 681, 682, 683, 684, 685, 686, 687, 688, 689, 690, 691, 692, 693, 694, 695, 696, 697, 698, 699, 700, 701, 702, 703, 704, 705, 706, 707, 708, 709, 710, 711, 712, 713, 714, 715, 716, 717, 718, 719, 720, 721, 722, 723, 724, 725, 726, 727, 728, 729, 730, 731, 732, 733, 734, 735, 736, 737, 738, 739, 740, 741, 742, 743, 744, 745, 746, 747, 748, 749, 750, 751, 752, 753, 754, 755, 756, 757, 758, 759, 760, 761, 762, 763, 764, 765, 766, 767, 768, 769, 770, 771, 772, 773, 774, 775, 776, 777, 778, 779, 780, 781, 782, 783, 784, 785, 786, 787, 788, 789, 790, 791, 792, 793, 794, 795, 796, 797, 798, 799, 800, 801, 802, 803, 804, 805, 806, 807, 808, 809, 810, 811, 812, 813, 814, 815, 816, 817, 818, 819, 820, 821, 822, 823, 824, 825, 826, 827, 828, 829, 830, 831, 832, 833, 834, 835, 836, 837, 838, 839, 840, 841, 842, 843, 844, 845, 846, 847, 848, 849, 850, 851, 852, 853, 854, 855, 856, 857, 858, 859

‘צבא’ ו‘צבא’ ו‘צבא’ ו‘צבא’

67-2816 152716 270

الكنية الأول ١٧ ، ٢٥ ، ٢٨ ،

'۱۳۰۵۰'۴۸'۴۱'۲۹

١٤٨ ١٣٣١ - ١٣٣١ ١٣٣١

۱۷۵- تدهورها و مفاسدها، ۶۱۰،

615239 615216 615217

٢٥٧ - ١٣٠٠ - ١٧٤٤٩٧١٧

١٥٣٢٧ - ١٥٣٣٥ - سادة

— ۳۸۳ —

حافظت على التعلم في بدايات العمر

المستطوي ١٧٤١٧ — ١٧٤١٨

مختلف منطوق الكتاب ومنه

[illegible]

18-190-1A0-1V0-1V6-1V7

٩٥، ٨٠، ١٠٨، ١٢٥، ١٣٢، ١٥٥، ١٥٥

6 22. 6 29A 6 2.0 6 17Y

מאז' 15 תרנ"ב, תרל"א, תרצ"א

و الكوميديا الالهية ، (دائرة) ، ٤٣ ،

15294V

الكيمياء (في عصر الجامعات) ٩٤

(J)

— ٢٥ — اللاتينية الكلاسيكية (اللغة)

في العصر الوسيط المبكر ٢٥، ٢٦،

٢٨ : ٢١ و ٢٢ : ٢٧

627617 111-27610

1941 75 76 06 05 00

٧٤ ، ٨٠ ، ١٢٥ - في مصر

تجارتات ۸۲، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۴۳

618314 649461496141

(309'307'306'28,22)

15 373 6 278 279-27

xvi

لاتينية (أحرومة الغلة) في المص

செய்து கொடுக்கப்பட்டிருக்கிறது.

670671606 615 12

— 17,444,444,44

- ٢٤٣١ (م ٤٥١)
 د مجمل علم الفلك ، (كتاب — يده)
 ٢٩٣
 د المجموعة الفلسفية ، (كتاب —
 توما الأكويني) ١٢١١ ح ١
 د مجموعة القوانين المدنية ، (جستنيان)
 ١١٠ ح ٣ ، ١١١ ، ٢٤٦ ح ٢
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦
 د المجموعة اللاهوتية ، (كتاب —
 توما الأكويني) ١٢١١ ح ١
 د اتحادات ، (كتاب — جريجورى
 الكبير) ٤٩
 حاكم التفتيش (فى الغرب) ٣٢٧ ح
 ١ — أنظر المراقبة ، والمراقبة
 المدينة ٩٣ ح ٢ ، ١٠٩ ، ١٣٠ ،
 ١٣٧ ، ١٤٥ — أنظر التجارة
 د مدينة الله ، (كتاب — القديس
 اوجسطين) ٢٩ ، ٣٠
 د مرسوم جراثيم ، ١١١ ح ٣
 ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٣٠٧
 المزامير — أنظر الكتاب المقدس
 المسيح (عليه السلام) ٩٠ ، ٩٩
- فى عصر الجامعات ١٠٨ ، ١٢٤ ،
 ١٤٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠١ ،
 ٣١٣ ، ٣١٤ ح ١ ، ٣٢٧ ، ٣٦٤
 اللاهوت (علم — فى العصر الوسيط
 المبكر) ٢٩ ، ٤٤ ، ٤٨ ،
 ٦٥ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ —
 فى عصر الجامعات ١٢٤ ، ١٤٣ ،
 ١٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٢ ح ٢ ، ٣٠٣ ،
 ٣٢٧ — ٣٣٠ ، ٣٣٠
 اللغة الانجلوسكسونية ٤٩
 اللغة الجرمانية ٢٥ ، ٧٨
 (م)
 المتجولون (طلاب علم) ٧٣ ، ٣٧٥ ،
 ٣٧٦ ح ١ — أنظر الجوليارديون
 د متفقه من اكسفورد ، (تفسر)
 ٣٠٨ ، ٣٥٣ ح ١
 المجمامع المسكونية — مجمع نيقية
 المسكونى (٢٢٢٥ م) ٣٣١ ح ١ ،
 ٣٥٠ ح ١ — مجمع خلقيدونية المسكونى

- أنظر الأساطير
المغول ١٢١ ح ١
د ملخص الاجرومية ، (كتاب -
جارلانك) ١٣١٤ ح ١
المنطق (في العصر الوسيط المبكر)
٤٤ ، ٤٦ ، ٢٤٣ - في عصر
الجامعات ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٤٨
٢٣٤ ، ٣١٤ ، ٣٠١ ، ٢٩٦ - ٢٩٤ ، ٢٤٤
و المنطق الجديد ، (كتاب - أرسطو)
٢٩٦ ، ٣١١
و الملاحظ ، (جريجوري الكبير) ٤٨
المؤسسات الدينية والديرية ٢٦ ،
٣٩ ، ٦٥
موسى النبي ١٧١
الموسيقى (في العصر الوسيط المبكر)
٤٤ ، ٦٤ ، ١٢٤ ، ٢٤٣ - في
عصر الجامعات ١٤٨
الميتافيزيقيا (علم - في عصر
الجامعات) ٣٩٦ - أنظر الفلسفة
العقلية والجامعات الأوروبية في
العصور الوسطى
- ١٠٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٦٣ ، ١٧٥ ،
٢٧١ ، ٣١١ ح ١ ، ٣٣١ ح ١ -
المسيحية ١٧ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٢٩ ،
٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ،
٩٩ ، ١٠٤ ، ١٤٤ - ١١٦ ، ١٢٥ ،
٢٩٣ ، ٢ ح ٢٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
١ ح ٣٣٥ ، ١ ح ٣٥٠ ،
٣٨١ ح ١ - تأثيرها على اللغة
اللاتينية ٢٥ ، ٣٦ ، ٢٩ ح ١ -
تأثيرها على العلم والتعليم ٣٧ -
التبشير بها ٤٨ ، ٤٩ ح ١ -
تعاليمها ٣٢ - فلسفتها ١٧ ، ٣٦ ،
٣٧ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٤٨ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ٣٢٠ ح ٣ - والفلسفة
اليونانية القديمة ٤١
المخطوطات (في العصر المسيحي المبكر)
٧٧ - في العصور الوسطى الحقيقية
٨٨
المعجزات والمعانجات (في العصر
الوسيط المبكر) ٣٦ ح ١ ، ٤٩ -

النهضة الألمانية السكسونية (القرن

العاشر) ٧٩

نهضة القرن الحادى عشر ١٨ ، ٩١

نهضة القرن لثانى عشر (فى الغرب) ١٨

و ح ١ ، ٥٥ ، ٩٢ — ١١٧ ،

١٢٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٤٢ ،

٢٤٨ ، ٢٩٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ح ١

التورمان ٩٢ ، ٢٢٨ ، ٢٦٤

(٥)

البراطقة ١٢٤ ، ١٢٧ ح ١

البرطقة ٩٩ - ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٣١

و ح ٢ ، ٢٥٥ ح ١ ، ٣٠١ ح ١ ،

٢٢٤ ح ٢ ، ٣٢٧ ح ١ ، ٢٢٩

و ح ١ ، ٣٣٠ ح ١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ -

الأريوسية ٣٣١ و ح ١ -

الأليبيجنسية ١٥٨ ، ٢٦٢ ح ٢

المهندسة (فى المصر الوسيط المبكر) ، ٤٠ ،

٤٦ ، ٢٤٣ - فى مصر الجامعات

١٤٨ ، ٢٤٢

الهدون (قبائل) ٤٦

(ن)

النثر (فى المصر المسيحى المبكر)

٣٥ ، ٣٤

د التعلق السليم د (كتاب — الكوين)

٦٤

النظام الأبرشى ١٢٣ ح ٢

د النظام فى البلاط الإمبراطورى ،

(كتاب أدلارد) ٧٠

د نم ولا ، (كتاب - إيلارد) ١٠٢ ،

١٠٣ ، ١٠٧ ، ٣١١ ، ٣١٢

النهضة الأرستقالية الجديدة ٢٩٧

٢ ح

النهضة الإيرلندية (القرن الثامن)

١٧ ، ٥١ ، ٥٥ ، ١١٧

النهضة الكارولنجية (القرن التاسع)

١٨ ، ٢٣ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٩ ح ١ ،

٦٠ ح ١ ، ٦٤ ح ٢ ، ٦٦ -

٧٢ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١٥٥ ،

١٥٦ ح ١ ، ١٦٣ - ١٦٦ ، ٢٠٩ ،

٢ ح ٢٩٢

النهضة السكسونية (القرن التاسع)

١٨

الوثنيون ١٢٤	(د)
(ى)	الرثبة ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٤
اليونانية (اللغة) ٧٩ ، ٨١ ،	٣٥ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٨ ، ١١٤ -
٨٢	آلة ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٥ — فلاسفة
	٣٥

